الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

النزاع بين الدولة العربيَّة الإسلاميَّة والإمبراطوريَّة البيزنطيَّة على جزر وسواحل البحر المتوسط (27-246هـ/ 648-861م).

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالبة:

آمنة أحمد الريحاني

إشراف:

أ.م.د. حليمة قاسم عبد الهادي

1446هـ/2024م

مُقَدِّمـــة

حظـيَ البحـرُ المتوسِّـطُ باهتمـامِ الـدُّولِ فـي العصـر القـديم والوسـيط ثـمَّ المعاصـر، لِمَـا لَـهُ مِـنْ أهمِّيَّـةٍ اسـتراتيجيَّةٍ اقتصـاديَّةٍ وسياسـيَّة وعسـكريَّة، وقـد أصـبحَ علـى مَـرِّ العصـور مِنطقـةَ نِـزاعٍ بـين الـدُّولِ التـي قامَـتْ إلـى جِـوارِهِ، أو وَطِئَـتْ أقـدامُها سـواحِلَهُ، فِـالفينيقيُّونَ بَسَـطُو سـيطرتَهُمُ التِّجاريَّـةَ علـى مُعظـمِ أطرافِـهِ فـي الألـفِ الثَّانيـةِ قبـلَ المـيلاد، كمـا نافَسَـتْهُم فـي السَّـيطرةِ عليـهِ شـعوبُ البحـر، كـذلك تصـارعَ الحثيـون والمصـريُّونَ، والآشـوريُّون ثُـمَّ البـابليُّون، حتـى أصـبح مَوضِـعَ نـزاعٍ بـين خلفـاءِ الاسـكندرِ البطالمـة والسلوقيين، كُلُّ ذلك بهدف السَّيطرةِ على شواطئِه.

وفـي القـرن الأوَّلِ قبـلَ المـيلاد، تمكنَـتْ رومـا مـن فـرضِ سُـلطَتِها السِّياسـيَّةِ علـى جميـعِ شـواطئِ البحـرِ المتوسِّـط، حتـى تَحَـوَّلَ إلـى بُحَيـرةٍ رومانيَّـةٍ، وظَـلَّ هكـذا حتـى القَـرنِ الخـامِسِ المـيلادي. ومنـذ القَـرنِ الثَّالـث حتـى القـرن السـابع المـيلادي/ الأول الهجـري دارَ نِـزاعٌ مُسـتمرٌّ بـين البيـزنطيين والفـرس الساسـانيين، وكانَـتْ مِـنْ أَهَـمِّ أسـبابِهِ رَغبـةُ الفُـرسِ فـي الوُصُـولِ إلـى البحـرِ المتوسـط، لِإيجـادِ مَنْفَـذٍ تجـاريٍّ لهـم علـى العـالَمِ المُحـيطِ بِهـذا البحـر، وهـذا دليـلٌ علـى أهمِّيَّتِـهِ الاقتصـاديَّةِ، وانتهـى الصِّـراعُ مـع الفـرس لصـالح الدَّولـةِ البيزنطيَّـةِ وبقـيَ البحـرُ المتوسـط بحيـرةً بيزنطيَّـة، حتـى وَطِئَـتْ سـواحِلَهُ جَحَافِـلُ العـربِ المُسلمين. إذْ يُعَـدُّ القـرنُ الأَوَّلُ الهجـريُّ/ السَّـابِعُ المـيلاديُّ، نُقطـةَ تَحَـوُّلٍ كُبـرى فـي تـاريخِ العـربِ المسـلمين السياسـيِّ والحضـاري، حيـث خرجـوا مـن مـوطنِهِمُ الأصـليِّ فـي شِـبهِ الجزيـرة العربيَّـةِ حـامِلين رايـةَ الإسـلام إلـى جيـرانهم مِـنَ الأمـم الأخـرى. كمـا أَنَّ عمليَّـةَ وصـول العـرب المسـلمين إلـى جُـزُرِ البحـر المتوسـط وسـواحِلِهِ، لـم تكـن بالعمليَّـةِ السَّـهلة، فقـد كانَـتِ المواجهـةُ بيـنهم وبـين البيـزنطيين شـديدةً، ولعـلَّ مـن أهـمِّ أسـاليب المُجابهـة التـي شَـهِدَتْها هـذه المِنطقـةُ هـي المجابهـة البحريَّـة، فمنـذ وصـولهم إلـى جـزر البحـر المتوسـط وسـواحله أدركـوا أنَّ السَّـيطرةَ عليهـا وعلـى شـواطئ البحـرِ والتَّوغُّـلَ فيـه لِأَيِّ هـدفٍ كـان لا يُمكِـنُ أَنْ يَتَحَقَّـقَ، إلا إذا امتلَـكَ العَـرَبُ المسـلمون قُـوَّةً بحريَّـةً مُتكاملـةً وَمُنَظَّمَـةً. إلا أَنَّ هـذه المجابهـةَ البحريَّـةَ كانـت تتـأرجح مـا بـين الهـدوء تـارة، والمجابهـة تـارة أخـرى، فلـم تسـتمر الحـروب البحريـة طيلـةَ الحقبـة

المدروسة، بل تخللها الكثير من الركود والإهمال للأسطول البحري، فمثلاً في عهد الخليفة عمر عبد العزيز 99–102هـ/717–720م، آثر السِّلْمَ على الحرب، والاهتمامَ بأمورِ الرَّعِيَّةِ وبتوطيدِ الأمن والاستقرار بعيداً عن الحروب وآثارها، لذلك كان الأسطول العربيُّ الإسلاميُّ البحريُّ في حالة ركود في عهده. وكذلك توقَّفَتِ العملياتُ والنشاط البحري قرابة 50 عاماً منذ بداية 132هـ/749م، في حين تجددتِ الحروب البحرية بعد أن استقرت دعائم الدولة العباسية، إلا أنه خلال تلك الحقبة لم تخلُ من بعض المناوشات أو الغارات البحرية الخفيفة. فقد تابع العباسيون عملياتهم البحرية في السيطرة على جزر البحر المتوسط، فكانت معظمُ الدول التي أسهمت في السيطرة على أعظم جرز هذا البحر دولة الأغالبة التي عُدَّتْ من أعظم الدول الإسلامية في الحروب البحرية. فلم يقتصرِ الاحتكاك بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة العربية الإسلامية على الجانب السياسي والحربي فحسب، فعلى الرغم من العداء الكبير بينهما واستمرار الحروب إلا أنه تخلل هذا النزاع تفاعلٌ حضاريٌّ فلم تتوانَ بيزنطة عَنِ استمرار العلاقات الاقتصادية مع الدولة العربية الإسلامية وذلك لحاجتها المُلِحَّةِ للمنتجات الشرقية، إلا أن الأمور اضطربت بعضَ الشَّيءِ لاسيَّما بعد تعريب الخليفة عبد الملك بن مروان 66–86هـ/685–705م للنقود وطَبْعِ دولتِهِ بِالطَّابَعِ العربيّ الإسلاميّ والتخلي عن أيّ صِلَةٍ للنقود والإشارات البيزنطية، مما فرضَ على بيزنطة جراءَ هذا العمل أن تقوم بفرض الرقابة التجارية، وتغيير موانئ الاستيراد والتصدير وأن تحددها بنفسها لتكون التجارة تحت إشرافها.

الفصل الأول:

النـزاع بـين الدولـة العربيـة الإسـلامية والإمبراطوريـة البيزنطيـة فـي شـرق البحـر المتوسـط 28-54هـ/ 648-673م.

أولاً: لمحة جغرافية وتاريخية لحوض البحر المتوسط.

ثانياً: نشوء القوة البحرية العربية الإسلامية.

ثالثاً: السيطرة على جزيرة قبرص Cyprus 28هـ/648م.

رابعـاً: نقـض أهـالي جزيـرة قبـرص المعاهـدة، وإعـادة السـيطرة عليهـا وعلـى جزيـرة أرواد Aradus ورودوس Rhodos 32-33هـ/652 -653م.

١- نقض أهالي جزيرة قبرص للمعاهدة وإعادة السيطرة عليها.

٢- غزو جزيرة أرواد Aradus

٣- غزو جزيرة رودوس Rhodos

خامساً: معركة ذات الصواري 34هـ/654م.

سادساً: محاولات فتح جزيرة كريت (إقريطش) 54هـ/673م.

أولاً: لمحة جغرافية وتاريخية لحوض البحر المتوسط.

يُلاحظ من خلال النظر إلى أيّ خريطة أن البحر المتوسط بحر صغير، ولكن اذ ما دُقق النظر يتبين أنه أكبر البحار بسبب طول سواحله وكثرة خلجانه وتعدد الأمم المطلة عليه، ولقد أشار ابن حوقل إلى ذلك قائلاً: "وليس في البحار أعمر حاشية من هذا البحر"[١]. فقد قام الجغرافيون العرب بمجهود كبير لاحتساب أبعاد هذا البحر، فقد بلغ طول البحر حوالي ألفين وخمسمئة فرسخ، وعرضه يتراوح من مئتين إلى خمسمئة فرسخ[٢]. أما آخر فيذكر أن طول البحر يتراوح ما بين خمسة آلاف إلى ستة آلاف ميلٍ، أما عرضه فيتراوح ما بين ثلاثمائة إلى سبعمائة ميلٍ[٣].

وقد عرف البحر المتوسط بأسماء عدّة فالرومان أطلقوا عليه بحر الروم، أما العرب المسلمين فأطلقوا عليه البحر الشامي أو البحر الرُّومي[٤]. في حين كان يسمى الحوض الغربي للبحر المتوسط بحر المغرب، ويعدَّ حوض البحر المتوسط من أكبر الأحواض الداخلية وأهمها في العالم، إذ شكل موقعه نقطة مهمة في استراتيجية كل الدول المطلة عليه، فهو يربط بين ثلاث قارات العالم القديم ويحيط به اليابسة من كل الجهات. كما أن له منافذ عدّة طبيعية، أولها الموضع المعروف بالزقاق الذي سمي فيما بعد بمضيق جبل طارق بين المغرب والأندلس ويفصل أوروبا عن إفريقية ويصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي[٥]. وعندما يخرج هذا البحر من الزقاق فإنه يشرف

---

[١] – (1992م). ص: 185.

[٢] – ابن الفقيه. (1996م)، ص: 190؛ المقدسي. (2003م)، ص: 47.

فرسخ: ثلاثة أميال. الحموي. (1977م)، ج:1. ص:36.

[٣] – المقريزي. (1998م)، ج:1. ص:54.

الميل: أربعة آلاف ذراع. الحموي. (1977م)، ج:1. ص:36.

[٤] – الاصطخري. (1927م)، ص:8؛ ابن الفقيه. (1996م)، ص:190؛ القلقشندي. (1914م)، ج:3. ص:234؛ الحميري. (1975م)، ص:275.

بحر الروم: كان البحر المتوسط يدعى بحر الروم لأنه كانت تحت سيادة الروم البحرية، حتى استطاع المسلمون إحكام السيطرة عليه والتوسع على سواحله، فتغير اسمه من البحر الرومي إلى البحر الشامي أو بحر الشام أو بحر الأندلس أو بحر الإسكندرية أو بحر الفرنج أو بحر القسطنطينية. الحموي. (1977م)، ج:1. ص:345.

[٥] – المقريزي. (1998م)، ج:1. ص:53–54؛ المقري. (1968م)، ج:1. ص:145–146؛ مشرف. (2023م)، ص:9–10.

مباشرة على شمال المغرب الأقصى إلى وسط بلاد المغرب وبرقة[١] والإسكندرية[٢] وأرض فلسطين والسواحل في بلاد الشام ثم ينعطف من هناك الى أنطاكية[٣] ثم بلاد القسطنطينية، تمتد بعد ذلك جهة منه على تخوم البيزنطيين إلى حدود الأندلس حتى ينتهي الى البحر المحيط[٤]. والمنفذ الثاني يدعى مضيق الدردنيل الذي يربط بحر مرمرة الذي تقع عليه القسطنطينية[٥] ببحر إيجة Egee[٦] بالبحر المتوسط، ويفصل آسيا عن أوروبا. أما المنفذ الصناعي الذي يصل البحر المتوسط ببحر

---

[١]- **برقة:** مدينة قديمة في المغرب تشمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، تتصف بشدة إحمرار تربتها وأرضها خصبة وفيها العديد من أنواع الفواكه كالجوز واللوز والسفرجل، وهي أول مكان ينزل بها القادم من مصر إلى القيروان، فيه قبر رويفع صاحب النبي ﷺ، وهي من المدن التي افتتحت صلحاً على يد عمرو بن العاص، وألزم أهلها بدفع الجزية ثلاثة عشر ألف دينار. للمزيد ينظر: ابن حوقل. (1992م)، ص:69؛ الحموي. (1977م)، ج:1. ص:288-289؛ الحميري. (1975م)، ص:91.

[٢]- **الإسكندرية:** تعد أكبر موانئ البحر المتوسط وذات أهمية حيوية بوصفها مركزاً بحرياً للعرب لأنها كانت تقدم السفن والبحارة اللازمين للأسطول، لذا أمر معاوية ببناء بعض السفن الحربية فيها، كان الاستيلاء على لإسكندرية عاملاً مهماً في عوامل تطور القوة البحرية العربية الإسلامية. ذاعت شهرة الإسكندرية منذ العصر البطلمي كقاعدة بحرية هامة في حوض البحر المتوسط الشرقي، والمركز الرئيسي للتجارة البحرية، وتجدد بعد ذلك بناؤها في العصر البيزنطي وتخرج للغارات على الأراضي البيزنطية أو لقمع الثورات والمتمردين. للمزيد ينظر: ابن الأثير. (د.ت)، ج:3. ص: 374؛ سالم. (1982م)، ص: 121؛ عثمان. (1966م)، ج:2. ص: 338؛ لويس. (د.ت)، ص:29.

[٣]- **أنطاكية:** اسم لمدينتين واحدة في الإمبراطورية البيزنطية وبالتحديد في الأناضول حيث كانت أقل أهمية من الأخرى التي تقع على نهر العاص في بلاد الشام، وتعدّ أنطاكية واحدة من المدن والمقرات الرئيسة لبطريركات الشرقية الأربعة. للمزيد ينظر:

Kazhdan, and others, (1991A.D), V3. P;133.

[٤]- المقريزي. (1998م)، ج:1. ص: 54؛ ابن إياس. (1995م)، ص:17.

[٥]- **القسطنطينية:** أسسها قسطنطين الأول سنة 330م، وجعلها العاصمة الثانية للإمبراطورية الرومانية بعد روما التي تعد العاصمة الأولى للإمبراطورية البيزنطية، وهي مدينة عظيمة ذات موقع استراتيجي متميز فهي نقطة التقاء أوربا وآسيا، يحيطها البحر من الشرق، ومن الغرب تحيطها الصحراء، فيها عدد كبير من الكنائس والأديرة، واختار لها قسطنطين مستعمرة يونانية قديمة تدعى بيزنطيوم على رأس ناتئ في البحر، وتقع على مضيق البوسفور. فحملت اسم مؤسسها وعرفت باسم قسطنطينية. للمزيد ينظر: ابن رستة. (1891م)، ص:119؛

Diehl. (1957A.D), P:5.

[٦]- **بحر إيجة:** أحد أفرع البحر المتوسط، وهو بحر شبه مغلق يقع بين اليونان من ناحيتي الغرب والشرق، والأناضول من ناحية الشرق وجزيرة كريت إلى الجنوب. يتصل ببحر مرمرة عن طريق مضيق الدردنيل، وإيجة من الإغريقية القديمة إيغوس Aigeus، وهو اسم ملك أسطوري ابن باندیوك قام بإرسال ابنه تيزي Thesee، في مغامرة بمحكوم عليها بالإخفاق، وبموت تيزي عاش إيغوس حياة عذاب لأنه ظنَّ أن شبحاً قد ابتلع ابنه، فرمى نفسه في البحر الذي بات يحمل اسم بحر إيغه أو إيجة. الخوند. (1995م)، ج:4. ص:124.

القلزم فهي التي عرفت منذ القدم بقناة تراجان Tragan [١] والتي تعرف اليوم بقناة السويس[٢]. إذ إن مياه البحر المتوسط الصالحة للملاحة شجعت الشعوب التي سكنت سواحله على ركوبه من دون خوف لأن زيادة العمق في البحار يؤدي إلى قلة سرعة المياه، وهذا يدل على أن سرعة حركة المياه في هذا البحر قليلة، فالملاحة فيه سهلة جداً[٣]. كما أن ظاهرة المد والجزر فيه تكاد تكون معدومة فهي لا تؤثر في حركة الملاحة البحرية، فالبنية الجغرافية للبحر المتوسط حددت طريقة بناء الموانئ فيه، على أيّ حال فإن الموانئ القديمة بصورة عامة كانت تبنى عند المنحدرات الصخرية في الخلجان الصغيرة لتوفير الحماية للسفن، وهذا ما يبدو واضحاً في الموانئ الإفريقية مثل ميناء مدينة قرطاجة[٤] ويسمى هذا النوع من الموانئ بموانئ المياه العميقة، التي أقيمت عند السواحل الصخرية. فضلاً عن ذلك فإن ساحل بلاد المغرب قد احتوى على نوع آخر من الموانئ تسمى موانئ الأرض المنخفضة، ويوجد هذا النوع من الموانئ في بلاد الشام مثل مينائي، صور وصيدا[٥] وميناء عكا[٦].

١- **قناة تراجان:** قناة مائية مصرية أنشئت في عهد سنوسرت الثالث عام 1850ق.م، وسميت قناة سيزوستريس بدايةً، لتربط بين بحر القلزم والبحر المتوسط عن طريق النيل، وازدادت حركة التجارة بين مصر وجزر البحر المتوسط كريت وقبرص، أعيد بناء القناة وتجديد الملاحة فيها في العصر الفارسي واليوناني وفي العصر الروماني لمصر في عهد الإمبراطور تراجان عام 117م، أعاد الملاحة للقناة، واستمرت في العمل لمدة 300عام ثم أهملت وأصبحت غير صالحة لمرور السفن حتى السيطرة العربية الإسلامية وأطلق عليها قناة أمير المؤمنين. السعيد. (2023)، ص:2. في حين وردت في معجم بيزنطي بأنها عبارة عن ممر جبلي ضيق، توجّه الإمبراطور باسيل إليها عندما هُزم في شن غارته على سرديكا، ثم حاصره البلغار وهزم وخسر العديد من جيوشه فيها. Kazhdan, and other. (1991 A.D), V3. P:2103.

٢- السيوطي. (2003م)، ص: 227؛ حسن. (1999م)، ص: 214؛ مشرف. (2023م)، ص:9-10.

٣- لودفيغ. (2017م)، ص: 49.

٤- **قرطاجة:** وتدعى قرطاجنة يقال اسمها قرطا وأضيف إليها جنة لطيبها وجمالها وحسنها، وهي مدينة قديمة في نواحي إفريقية عالية البناء، أسوارها من الرخام الأبيض والملون. الحموي. (1977م)، ج:4. ص:323.

٥- حظيت **صور وصيدا** بشهرة بحرية عالمية، وعرف ملّاحوهما بمهارتهم في قيادة السفن، وفي فنون القتال البحري. فمدينة صيدا مدينة قديمة بناها صيدون بن كنعان بن حام بن نوح، تعدد الملوك التي حكموها من الإسكندر والبيزنطيون ثم العرب المسلمون. وتقع في سهل ساحلي شديد الخصوبة وافر المياه. كان لموقع صيدا الجغرافي وقيامها على شبه جزيرة ضاربة في البحر أعظم الأثر في جعلها ميناء تجاري هام في حقب التاريخ المختلفة، أما صور فقد لقيت اهتمام كبير من الخلفاء فهي أقدم مدينة على الساحل. كما أنها حصينة للغاية على ساحل بلاد الشام وأكبر مدنها، وهي عامرة بالسكان يحيط بها ريف خصيب. اهتم الخلفاء الأمويين والعباسيين بهاتين المدينتين حيث شكلتا أهم القواعد البحرية التي تنطلق منها السفن لمهاجمة الأراضي البيزنطة، فقد عمل الخلفاء على إصلاحها وترميمها كلما حلّ الخراب بها. للمزيد ينظر: اليعقوبي. (2002م)، ص:165؛ المقدسي. (2003م)، ص:143؛ ابن يحيى. (1937م)، ص:11.

٦- **عكا:** أول قاعدة بحرية ودار لصناعة السفن بنيت في الشام وكانت في عكا لبعدها عن تأثير الأسطول البيزنطي، وهي مدنية قديمة كانت تسمى بطلومايس على اسم بطلومسية مصر، محصنة بأسوار منيعة جداً على البحر، وكان معاوية بن أبي سفيان أول من أمر بتأسيس دار لصناعة السفن في عكا، لاسيَّما بعد إغارة الأسطول البيزنطي على السواحل الشامية سنة 49هـ/669م،=

كما أن الموانئ الصخرية الوعرة التي تقع دائماً في الخلجان الصغيرة مناسبة، لأنها توفر الحماية اللازمة للقوارب الصغيرة[١]. إذاً فموقعه الجغرافي الممتاز المتوغل بألسنته المتعددة ومجموعاته الجزرية المتعددة المتناثرة في عمق العالم القديم وإشرافه على ممرات بحرية تربطه بألسنته، جعلت موقعه ذا أهمية استراتيجية كبيرة[٢]، ولهذا فقد أصبح المركز الأول الذي عرفه العالم ليشهد ممارسة ملاحة بحرية بطريقة عملية على يد سكان منطقة سواحله، حيث توفرت له المادة الخام والأولى لصناعة السفن، والطبيعة سمحت بتوفير سبل حياة سهلة على الأرض، فكان التوجه الذي لم يكن لولا الاستعداد الذي تولد لدى أولئك الذين ألفوا البحر بالعيش طويلاً على مقربة منه[٣]. فضلاً عن أن الجغرافية جعلت بعض المناطق في مصر وبلاد الشام بلاداً ساحلية لا يمكن عزلها عن البحر المتوسط، وإن نظرة سريعة إلى الخريطة تُبين كيف أن هذه البلاد تبدو أكثر اتجاهاً إلى البحر منهما إلى البر حيث الصحاري الداخلية[٤].

كما أن حوض البحر المتوسط يمثل أهم منطقة تاريخية في العالم فقد قامت على ضفافه أعظم حضارات التاريخ ابتداءً بحضارات الشام القديمة مروراً بالفينيقيين والرومان إلى الدولة العربية الإسلامية، وكان ساحة للمعارك منذ فجر التاريخ حتى الآن حيث نشبت معظم المعارك البحرية الحاسمة في التاريخ على سطحه[٥]. فكان البحر المتوسط محط أطماع القوى المتصارعة على الساحة

=مما يؤكد أن عكا كانت جاهزة لبناء السفن وأن المسلمين قد رمموها فقط مع ميناء صور. كما أُعيد بناء وترميم أسوار عكا وصور وقيسارية التي كانت قد خربت نتيجة الغارات البيزنطية المتكررة في عهد عبد الملك بن مروان. ولم تزل المراكب في عكا حتى ولّي بنو مروان فنقلوا دار الصناعة منها إلى صور وحلّت محلها كمحطة بحرية تحت حكم المروانيين، وظلت كذلك حتى عهد المتوكل، ازدهرت هذه القاعدة البحرية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد من خلال العمل على إصلاحها وتقويها والاستمرار في القيام بمهامها. كما أمر المتوكل على الله في سنة 247هـ/861م، بترتيب المراكب بها وبغيرها من السواحل. البلاذري. (1990م)، ص:124؛ ابن شداد. (1991م)، ج:10. ص:172؛ الأعظمي. (1985م)، ص:62؛ العبادي، سالم. (1981م)، ج:1. ص:49؛ فهمي. (1948م)، ص:60.

[١]- الجنابي. (2002م)، ص:29-30.

[٢]- حسن. (1999م)، ص: 209.

[٣]- الأعور، وأبو لقمة. (1999م)، ص:241.

[٤]- لويس. (د.ت)، ص: 89.

[٥]- مشرف. (2023م)، ص:10.

السياسية منذ أقدم العصور، ففي البداية كان البحر بحراً فينيقياً، وكانت السفن الفينيقية هي الوسيط الوحيد للنقل البحري فقد كانوا يسيطرون على طرق التجارة البحرية في شرق البحر المتوسط وغربه، لذا فإنها قامت بإنشاء مراكز للنشاط البحري على طول الساحل الآسيوي والإفريقي[١]. إلا أنه منذ الألف الأول ق.م أصبح هذا البحر محط الصراع بين الغرب والشرق، الذي دار بين الإغريق والفرس[٢]. وبقي هذا البحر نقطة تواصل وتفاعل حضاري بين الحضارات، على الرغم ما ألم به خلال المعارك والحروب، وعندما ظهرت الدولة الرومانية في النصف الثاني من الألف الأول ق.م، استطاعت بعد معارك عدّة وعنيفة وجهود كبيرة أن تسيطر على حوض البحر المتوسط بأكمله، فأصبح البحر المتوسط مقصوراً عليهم، ولم يعد لهم منافس فيه، وبقيت تسيطر على حوض البحر المتوسط وتجارته ما يقارب خمسة قرون، وربطت هذا البحر بمدينتها وفرضت عليه قوانينها وربطته بطرقها، وعندما سيطر الجرمان على الإمبراطورية الرومانية وانقسمت إلى شرقية وغربية سنة 395م أصبحت مصر وبلاد الشام من أملاك الدولة الرومانية الشرقية التي عرفت باسم الدولة البيزنطية والتي اهتمت بالملاحة والتجارة وأصبحت سيدة البحر[٣]. وقد أسهمت مصر وبلاد الشام في ظل وجود الإمبراطورية البيزنطية مساهمةً فعالة في المجال البحري سواءً على الصعيد العسكري أو التجاري وذلك بسبب طول سواحلها وكثرة قواعدها وقوة أساطيلها التي كانت تجوب هذا البحر[٤]. وهكذا استمرت الدولة البيزنطية تملك سيادة البحر المتوسط، حتى بزوغ فجر الإسلام الذي استطاع بفتوحاته الكبرى أن ينتزع من الإمبراطورية البيزنطية السيادة على موانئ مصر وبلاد الشام التي أصبحت منطلقاً للجيوش العربية الإسلامية وأساطيلها، وكذلك استطاع السيطرة على جزره وسواحله البحرية رغبةً في نشر الدعوة الإسلامية وإسقاط العاصمة البيزنطية القسطنطينية.

١- حجازي. (1992م)، ص:17.

٢- سعيد. (1983م)، ص:193.

٣- سعيد. (1983م)، ص:194؛ هايد. (1985م)، ج:1. ص:14؛ Nicolle. (2009A.D), P:57.

٤- العبادي، وسالم. (1971م)، ج:1. ص:271.

ويس. (د.ت)، ص:78.

ثانياً: نشوء القوة البحريَّة العربيَّة الإسلاميَّة.

شـهدت العلاقـات بـين الدولـة العربيـة الإسـلامية والإمبراطوريـة البيزنطيـة، العديـد مـن الحـوادث المهمـة ابتـداءً مـن منتصـف القـرن الأول الهجري/منتصـف القـرن السـابع المـيلادي، والتـي أثّـرت فـي العـالمين البيزنطـي والعربـي الإسـلامي، وجعـل الصـراع بينهمـا سـجالاً متأرجحـاً بـين النصـر والهزيمـة، وبـين الحـرب والسـلم وفقـاً لمقتضـيات الظـروف والأحـوال فـي كـل منهمـا مـن سياسـية واقتصـادية واجتماعيـة، حيـث عُـدّ القـرن الأول الهجـري/ السـابع المـيلادي مـن أحلـك القـرون التـي مـرَّ بهـا تـاريخ الإمبراطوريـة البيزنطيـة[١]، كمـا أنهـا حقبـة مهمـة فـي التـاريخ البيزنطـي، إذ لـم ينتـهِ الإمبراطـور هرقـل Hercules 610-641م[٢] مـن القضـاء علـى خطـر الفـرس[٣] حتـى التفـت إلـى الشـرق لمواجهـة الدولـة العربيـة الإسـلاميّة، التـي بـدأت بالاعتمـاد علـى قوتهـا العسـكرية ولاسـيَّما البحريـة، ويعـود للخلافـة الأمويّـة عامـة وللخليفـة معاويـة بـن أبـي سـفيان وعهـده خاصـة فضـل السـيطرة علـى البحـر المتوسـط بحلـول عـام 30هـ/650م، بعـد أن كانـت البحريـة البيزنطيـة هـي القـوة البحريـة الوحيـدة فـي المنطقـة [٤]. حيـث يُعـدُّ الانتصـار الحاسـم الـذي أحـرزه العـرب المسـلمون علـى الجـيش البيزنطـي فـي معركـة اليرمـوك عنـدما

١- Kontogiannis. (2022A.D), P: 86 ; Lemerle. (N.D), p.86.

٢- **هرقـل:** أرمنـي أصـل، وكـان والـده حـاكم قرطاجـة الـذي اسـتغاث بـه أهـل القسـطنطينية لينقـذهم مـن طغيـان الإمبراطـور فوكـاس وجبروتـه، وكتـب لهرقـل النجـاح عـام 10هـ/610م، إذ اسـتطاع أن يبعـده عـن الحكـم ويحـل محلـه علـى الـبلاد التـي كانـت تعـاني مـن التـدهور الـداخلي، فضـلاً عـن الأخطـار الخارجيـة التـي كانـت تحـيط بهـا وأهمهـا خطـر الفـرس والآفـار والصـقالبة. واسـتطاع اسـترداد بـلاد الشـام وأرمينيـة مـن الفـرس للحكـم البيزنطـي، واجـه مـا يقـارب ثلاثـة عشـر أزمـة كبـرى خـلال حكمـه، وأهمهـا الفـتح العربـي الإسـلامي والانقسـامات داخـل الكنيسـة حـول طبيعـة المسـيح وغيرهـا. ويعـدّ أول مـن قـام بتقسـيم الولايـات إلـى منـاطق حربيـة عرفـت الواحـدة باسـم الثـيم Themes، وهـو أول إمبراطـور قـاد جيشـه شخصـياً، وكـان يعـاني مـن رهـاب المـاء والاستسـقاء. تـزوج هرقـل مـرتين الأولـى مـن يودوكيـا Eudocia، التـي توفيـت سـنة 12هـ/612م، والثانيـة مـن مارتينـا Martina، ولمـا مـات هرقـل تقاسـم العـرش كـل مـن قسـطنطين الثالث بن يودوكيا، وهيراكلوناس Heraclonas، أكبر أولاده التسعة الذين أنجبتهم له مارتينا. للمزيد عن حياته وحكمه ينظر:

Kaegl. (2003A.D), P:61-300; Nicolle. (2009A.D), P:47.

٣- **الفـرس:** وصـف مـوريس الشـعب الفارسـي بأنـه شـعب وطنـي. ومطيـع لحكامـه بسـبب الخـوف. فمعظمهـم يسـعى لتحقيـق النتـائج السـريعة والفـوز مـن خـلال التخطـيط والقيـادة الحكيمـة بـدلا مـن الشـجاعة والتسـرع فـي القتـال ولـديهم قـدرة كبيـرة لتحمـل الجـو القاسـي والعطش ونقص الغذاء. فهم يرتدون دروع واقية للجسم مدربين على السرعة في القتال على الرغم من أنهم ليسوا أقوياء بالرماية.

Maurice. (1984A.D), P:113.

٤- عبد الله. (1990م)، ص:70؛

Kontogiannis. (2022A.D), P: 86

حاولت الدولة البيزنطية استعادة دمشق وحمص سنة 15هـ/636م[١]، نقطة تحول مهمة في تاريخ العرب المسلمين التي أدت إلى انهيار قوى البيزنطيين وانفصال الشام عن جسم الإمبراطورية البيزنطية[٢]. حينها أدرك الإمبراطور هرقل أن إمبراطوريتَهُ خسرت إحدى مقاطعاتها المفضلة عندئذٍ توجّه نحو القسطنطينية، فودع أرض الشام قائلاً: "عليك السلام يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده إلا أن أسلم عليك تسليم المفارق ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشؤم ويواليته لم يولد ما أحلى فعله وأمر عاقبته على الروم"[٣]، فدخول العرب المسلمين إلى الشام أدى في الحقيقة إلى دخولهم إلى مصر 18هـ/639م، واستيلائهم على الإسكندرية، بعد أن أدرك العرب المسلمون أهمية مصر وقوتها وعظم ثروتها، ومركزها في الدولة البيزنطية، فهي المخزن الذي يمدُّ الدولة البيزنطية بالغلال والقمح وورق البردي والأخشاب وغيرها من المنتجات، ويهيئ لها رغداً من العيش والاستيلاء عليها كفيل بكسر شوكة بيزنطة وإرهاقها وحرمانها من أهم الشرايين التي تعتمد عليها في حياتها[٤]. كما يعد الاستيلاء عليها بمثابة حرمان للأسطول[٥] البيزنطي من أيّ قاعدة يستطيع أن يعمل منها ضد العرب المسلمين في مياه البحر المتوسط الشرقي قرب سواحل بلاد الشام، وبالتالي

---

[١] – **معركة اليرموك:** معركة دارت بين العرب المسلمين والبيزنطيين سنة 15هـ/636م، حيث جهز هرقل جيشاً بلغ زهاء خمسين ألفاً، ودفع به إلى جنوب الشام، وولى عليه أخيه ثيودورس، وتحفز للوقوف في وجهه خالد بن الوليد، وقفة حاسمة حيث انسحب من حمص التي كان معسكراً بها لتفقد الجبهة الإسلامية، كما أمر قواته بالانسحاب من دمشق وسائر المدن المجاورة، وحشد خمسة وعشرين ألفاً من جنوده، وكان اللقاء عند اليرموك، واليرموك نهر صغير ينبع من مرتفعات حوران، وينساب في خانق ضيق متعرج ويتصل بنهر الأردن على بعد ستة كيلو مترات ونصف جنوبي بحيرة طبرية، دارت بعض المناوشات بين الفريقين إلى أن كانت المعركة الفاصلة في بقعة من الأرض تكاد تلتهب من شدة القيظ، وعلى ما يبدو أن المسلمين اختاروا هذا اليوم للإيقاع بالعدو، فقد ساعدتهم الظروف الجوية على هزيمة العدو. ولاحق العرب المسلمون البيزنطيون حتى هزموهم، وخرَّ ثيودورس صريعاً، ولم يسلم من جيشه إلا القليل، وهكذا فإن وقعة اليرموك كانت ضربة قاضية على البيزنطيين. دحلان. (1968م)، ج:1. ص:37؛ العدوي. (1951م)، ص:41؛ عمران. (2002م)، ص:79.

[٢] – Lemerle. (N.D), p. 92 ; Konstam. (2015A.D), P.16.

[٣] – ابن كثير. (1993م)، ج:7. ص:53. في حين يذكر ابن العبري أن هرقل ودع باليونانية أرض الشام بقوله شورِه سورية. أي سلام سورية. (1983م)، ص:174. وهي الأقرب إلى الواقع فهل كان هرقل يتقن العربية حتى يتكلم العربية بناءً على رواية ابن كثير؟

[٤] – العريني. (1961م)، ص: 307؛

Paul. (N.D), P:92.

[٥] – **الأسطول:** كلمة من أصل يوناني Stolos، أو Stoly، وتطلق تسميتها على المراكب الحربية المجتمعة، أحياناً على مركب حربي واحد، وهي عبارة عن مجموعة من السفن تعد للحرب أو النقل. ضيف. (2004م)، ص:17.

حماية المدن التي سيطروا عليها وزيادة قوتهم فيها[١]. ورغم فتوحاتهم البرية إلا أنهم أدركوا أهمية الدفاع البحري لاسيَّما عن المناطق الساحلية، في الوقت ذاته كانوا يدركون تمام الإدراك قلة خبرتهم في الثقافة البحرية[٢]، ليس بالنسبة لأعدائهم البيزنطيين فحسب، بل بالنسبة لسكان هذه البلاد المغلوبة الذين كانوا بحكم تطلعهم إلى البحر قد تمرسوا في خوض مياهه[٣]. فضلاً عن تخوفهم من ركوب البحر[٤] فالعرب المسلمون الأوائل لم يسبق لهم الخوض في أي عملية حربية بحرية، إلا أنهم عرفوا البحر وسمعوا عنه من خلال الروايات عن الرسول ﷺ يبشر بركوب البحر من قبل العرب المسلمين[٥]، والأحاديث النبوية[٦]، والآيات القرآنية التي كانت تتلى عليهم والتي ذكر فيها البحر بكل حالاته وظلماته ومنافعه، وأنه مصدر رزق وتجارة ونقل، فقد ورد ذكر البحر والفلك في القرآن الكريم أكثر من 50 مرة في سورٍ مختلفة منها قوله تعالى:{وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون}[٧]. وقوله: {وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون}[٨]. وكذلك قوله {مرج البحرين يلتقيان}[٩]. إلا أن الخلفاء الراشدين عامة ولاسيَّما الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

[١]- ربيع. (1983م)، ص:71؛ الشيخ. (1994م)، ص: 86.

[٢]- ومع ذلك فإن الشواهد التاريخية تشير إلى أن العرب لم يكونوا بعيدين كل البعد عن ركوب البحر قبل الإسلام، فهنالك العديد من الكتابات التاريخية التي توضح أن العرب أمّة عرفت البحر وألفت الإبحار فيه لأغراض التجارة منذ زمن بعيد، لاسيَّما أولئك الذين قطنوا السواحل في غرب وجنوب شبه الجزيرة العربية المطلة على مساحات مائية واسعة كبحر القلزم والخليج العربي وبحر العرب وخليج عمان، كعرب عمان من الأزد وعرب اليمن، فكان لقبائل حِمْيَر وسبأ سفناً عديدة يتاجرون فيها، وكانوا أهل ملاحة وتجارة عظيمة في البر والبحر. الجبوري. (2014م)، ص:179؛ خانكي. (1948م)، ص: 14؛ عبد العليم. (1979م)، ص:75.

[٣]- العبادي، سالم. (1971م)، ج:1. ص: 14.

[٤]- ابن خلدون. (2001م). ج:1. ص:313.

[٥]- ابن كثير. (1997م)، ج:10. ص: 228؛ ابن المبارك. (د.ت)، ص:174؛ البخاري. (2002م)، ص:714؛ ابن ماجه. (1918م)، ج:1. ص:927.

[٦]- علم العرب المسلمون من خلال الأحاديث النبوية أهمية ركوب البحر وأنها بمثابة الجهاد في سبيل الله ومدى ثواب وأجر الغزاة في البحر بدليل قول النبي ﷺ: "غزوة في البحر مثل عشرة غزوات في البر وقوله: "شهيد البحر مثل شهيدي البر والمائد في البحر كالمتشحط بدمه في البر، وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله، وأن الله ﷻ وكلَّ ملك الموت بقبض الأرواح إلا شهيد البحر، فإنه يتولى قبض أرواحهم، ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدّين، ولشهيد البحر الذنوب والدّين". ابن ماجه. (1918م)، ج:1. ص:928.

[٧]- **سورة البقرة**. الآية. 50.

[٨]- **سورة ياسين**. الآية.41.

[٩]- **سورة الرحمن**. الآية.19 .

13-23هـ/634-643م، أدركوا عِظَم القوة البحرية البيزنطية وسطوتها، لذلك اتبع الخليفة عمر سياسة دفاعية لمواجهة خطر استرداد البيزنطيين لسواحل بلاد الشام ومصر، حيث وجّه أوامره إلى ولاته باتخاذ وسائل دفاعية برية تحمي المدن والسواحل من خطر البيزنطيين كترميم السواحل وإقامة الحصون والمناور والمواقيد[١]، فقد كان يخشى ركوب البحر ويحذّر العرب المسلمين من ركوبه أو الهجوم بحراً، لقلة خبرتهم ومهارتهم فيه[٢]. لذلك غَضِبَ الخليفة عمر رضي الله عنه، غضباً شديداً من أحد قواده، وهو العلاء بن عبد الله الحضرمي[٣] الذي قاد جيشاً سنة 17هـ/637م، وعبر البحر إلى بلاد فارس للدخول إلى البصرة، إلا أن الحملة أخفقت وهلك العديد من رجاله، فعُدّت هذه الحادثة أحد المسوغات التي دفعت الخليفة عمر لعدم السماح بركوب البحر[٤]، فضلاً عن العديد من المسوغات الأخرى[٥]. ومنذ أن وليّ معاوية بن أبي سفيان ولاية الشام 18هـ/639م، كان يرى أن الحرب ضد البيزنطيين من أهم واجباته وأخطرها، فأدرك أهمية البحر المتوسط وضرورة وجود أسطول عربي إسلامي في مياهه[٦]، كما أدرك أيضاً أن خسارة الشام ومصر كانت ضربة مؤلمة للبيزنطيين، إلا أن دولتهم بقيت قوية في البحر، لذا كان لابد من توجيه ضربات أخرى لها، والسيطرة على جزر البحر المتوسط التابعة للبيزنطيين سواءً القريبة من الساحل الشامي والساحل المصري والأفريقي والتي

---

[١]- **المواقيد**: هي أماكن مرتفعة أو أبراج مراقبة توقد فيها النيران، ووسيلة للاتصال والمخابرة مع مواقع أخرى ولاسيَّما أثناء الحروب والهجوم، ويطلق عليها أحياناً أبراج النار. ابن منظور. (1882م)، ج:3. ص:465-466.

[٢]- ابن خلدون. (2001م)، ج:1. ص:313.

[٣]- **العلاء بن عبد الله الحضرمي** صحابي وقائد محنك، أصله من حضر موت ولد في مكة مكان سكن أبيه وترعرع فيه، ولاه النبي ﷺ البحرين سنة 8هـ، وبقي عليها حتى وجّهه الخليفة عمر بن الخطاب إلى البصرة، ويعدّ أول مسلم ركب سفينة في البحر. الزركلي. (2002م)، ج:4. ص: 245.

[٤]- للمزيد عن تفاصيل الحملة ينظر: ابن مسكويه. (2003م)، ص: 236؛ شوسرا. (1984م)، ص:6.

[٥]- من المسوغات التي جعلت الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يسمح لأحد بركوب البحر، ما أصاب علقمة بن مجزر حين أرسله إلى أرض الحبشة في البحر سنة 20هـ/640م، واعتداء الحبشة على أطراف الدولة العربية الإسلامية، فقد سار علقمة في عشرين مركباً ولعدم خبرتهم في أصول المعارك البحرية كانت النتيجة أنهم هلكوا جميعاً، لذلك جعل الخليفة عمر على نفسه عهداً ألا يحمل في البحر أحداً أبداً. وبقي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على موقفه بشأن ركوب البحر. للمزيد من المسوغات ينظر: النويري. (2004م)، ج:19. ص:202؛ المقريزي. (1998م)، ج:1. ص:470؛ الحموي. (1945م)، ص:12؛ شوسرا. (1984م)، ص:6.

[٦]- Nicolle. (2009 A.D), P:47 ; Ostrogorsky. (1968 A.D), P.116.

كانت بمثابة قواعد بحرية مهمة بالنسبة لهم[١]. لذا سعى جاهداً لتحقيق هدفه في إنشاء أسطول عربي إسلامي، فقد أخذ بعين الاعتبار الإمكانات المتوافرة في بلاد الشام من الصناع المهرة، ومن السفن التي تركها البيزنطيون بعد خسارتهم للشام، فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يوضح له سوء حال سواحل الشام البحرية وضعفها ويصف له الخراب الذي لحق بها، ومدى افتقارها إلى وسائل الدفاع القوية وضرورة وجود أسطول عربي إسلامي لحماية السواحل، وأخذ يستأذنه في ركوب البحر والسيطرة على جزيرة قبرص[٢]، ويخبره أنها قريبة ولن تستغرق أكثر من يومين[٣]، كما بيّن له شدة خطورة هذا المعقل التابع للبيزنطيين على سلامة مدن الشام ومسلميها[٤]. وعلى الفور قام الخليفة باستشارة عمرو بن العاص[٥] والي مصر، العارف بأحوال البحر ليشاوره في طلب معاوية ولاسيَّما لما لهذه الولاية من شواطئ على البحر المتوسط، ولأنها تعرضت للعديد من الغارات البحرية التي شنها البيزنطيون على سواحلها، كما أنها البلد الوحيد القادر على إمداد العرب المسلمين بالسفن وتقويم القوة البحرية لهم، ولاسيَّما أن خبرة بلاد الشام لم تكن كافية لمواجهة البيزنطيين[٦]. فكتب إليه:

---

[١]- بروكلمان. (1968م)، ص:125؛ العدوي. (1957م)، ص:14.

[٢]- هناك اختلاف بين المؤرخين حول استئذان معاوية للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فالبعض يذكر أنها جزيرة قبرص، والبعض الآخر يذكر أنها جزيرة أرواد لأن هذا الوصف لا ينطبق على جزيرة قبرص، بل على جزيرة أرواد التي كانت قريبة من الساحل الشامي والتي كانت تتلقى دعماً مباشراً من الأسطول البيزنطي، كما أن البيزنطيون يشنون الغارات من جزيرة أرواد على البلاد العربية الإسلامية. محمد. (2009م)، ص:135؛ عبد الصمد. (2009م)، ص:236؛ Picard. (2018A.D), P: 187

قبرص: تشير بعض الحفريات والوثائق إلى أن اسم قبرص، ذات تسمية يونانية، وقد ذُكر بعض الافتراضات حول تسمية قبرص، على أنها مستمدة من كويرون _النحاس باللاتينية_ لانتشار مناجم النحاس فيها. ويمكن الملاحظة أن اسم قبرص جاء بلغات أخرى فاسمها باليونانية كيبروس واللاتينية كيبروم وكان يطلق عليها Cupre ومن هذه التسمية أخذ لفظة Cvicre للدلالة على النحاس الجيد. وهي ثالث أكبر جزيرة في البحر المتوسط بعد جزيرة صقلية وسردينيا، سواء من حيث المساحة والسكان، وهي إحدى الجزر المأهولة بالسكان منذ الألف السادس قبل الميلاد، وتقع في شرق البحر المتوسط في جنوب شرق أوروبا وشمال غرب آسيا. الحموي. (1977م)، ج:1. ص:346؛ شاكر. (1974م)، ص:7؛ الطائي. (2016م)، ص:10؛ عاشور. (2002م)، ص:2؛ كيلاني. (1995م)، ص:12.

[٣]- ابن المبارك. (د.ت)، ص:176.

[٤]- الطبري. (د.ت)، ج:4. ص:258؛ الجوهري. (2003م)، ص:23.

[٥]- **عمرو بن العاص** بن وائل السهمي القرشي أبو عبد الله، وأحد أعظم القادة العرب المسلمين، أسلم في هدنة الحديبية اشترك في الاستيلاء على الشام زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وهو الذي افتتح مصر قنسرين وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية، تولى إمرة مصر سنة 38هـ/ 658م في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وكان أدهى الناس، يعرف بفطنته، للمزيد ينظر: الواقدي. (1997م)، ج:1. ص:16. الذهبي. (2004م)، ص:2955. الزركلي. (2002م)، ج:5. ص:79.

[٦]- Picard. (2018 A.D), P: 188.

"أن صِف لي البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني إليه وأنا أشتهي خلافها، فكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة رداً عليه: يا أمير المؤمنين إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، إن ركد أحزن القلوب وإن ثار أزاغ العقول، ويزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة هم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق"[١].

وهكذا جاء وصف عمرو بن العاص وصفاً دقيقاً لطبيعة البحر وركوب مياهه وما قد يلاقيه المرء في ذلك، من صعاب لذلك وحفاظاً على سلامة العرب المسلمين وخشية الوقوع في المهالك والمخاطر، أخذ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، برأي عمرو بن العاص فكتب إلى معاوية رداً على طلبه يمنعه من الغزو في البحر قائلاً: " تالله لمسلم أحب إليّ مما حوت الروم، فإيَّاك أن تعرض لي في ذلك، فقد علمت ما لقي العلاء مني ولم أتقدم إليه في مثل ذلك"[٢]. وعلى الرغم من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم يسمح لمعاوية في الغزو في البحر، إلا أنه أطلق يده لإصلاح الحصون الساحلية القديمة بما يراه مناسباً، وكفيلاً بسلامتها، وأن يرمم حصونها، ويرتب المقاتلة فيها، وشحنها بالعدّة والعتاد اللازمتين، ويجعلها على أتمّ الاستعداد لرد أي هجوم مفاجئ، وأن ينشؤا المناظر[٣] على السواحل، وأن يتخذ المواقيد لها لطلب الإنذار والتنبيه وكذلك الإمداد إذا حدث أي هجوم مفاجئ[٤]. وبالكاد امتثل معاوية لأوامر الخليفة وعدّها خطوة أساسية ليبني عليها مشاريعه البحرية. فحصّن المدن الساحلية، وزودها بالقوات البحرية ليجعلها فيما بعد قواعد تنقل منها الجنود بحراً إلى أي مكان يشاء[٥]. ولاسيَّما أن الساحل كان بالنسبة للبيزنطيين حداً تسهل مهاجمته بينما كان بالنسبة للعرب المسلمين خط دفاع بالغ التعرض للخطر، وقد أتاح عدم امتلاك العرب المسلمين

---

[١]- الطبري. (د.ت)، ج:4. ص:258؛ ابن عبد ربه. (1983.)، ج:1. ص:81.

[٢]- الطبري. (د.ت)، ج:4. ص:259؛ الحموي. (1945م)، ص:13.

[٣]- **المناظر**: تسمى المنظرة أو المراقبة وهي موضع في رأس الجبل، فيه رقيب يراقب حركات العدو. كما تعد وسيلة اتصال عن طريق إيقاد النيران إنذاراً بقدوم العدو. ابن منظور. (1882م)، ج:5. ص:217؛ الجبوري. (2014م)، ص:180.

[٤]- البلاذري. (1900م)، ص:206-205؛ ماجد. (1996م)، ص:75؛ مؤنس. (1991م)، ص:59.

[٥]- بركات. (1995م)، ص:23.

لأسطول عربي إسلامي ميزة كبيرة لعدوهم للتغلب عليهم، وبينما اتجه البيزنطيون للانتفاع بما عندهم من المزايا اجتهد العرب المسلمون في تلافي نواحي الضعف من جبهتهم وسد ثغراتها[١]. كما وضع نظاماً لتلك المدن الساحلية عرف بالرّباط[٢]. ولما تسلم عثمان بن عفان رضي الله الخلافة 23-35هـ/ 643-655م، لم يكن معاوية بذلك القائد الذي يتخلى عن مهمة أو حُلم راوده قبل تحقيقه، لذلك كتب إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه يستأذنه بغزو قبرص، ويعلمه مدى قربها وسهولة الأمر إليها، ولكن الخليفة عثمان رضي الله عنه لم يكن أقل خوفاً وحذراً من سلفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ركوب البحر، فنهاه كما نهاه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قبل، وأمره بتقوية السواحل ومدنها[٣]، وتشجيع الناس على الانتقال إلى المدن الساحلية، وذلك بهدف تنمية رغبتهم في ركوب البحر، حيث منح كل راغب في الإقامة بالمدن الساحلية الإقطاعات والمنح من الأراضي يستغلها ويتمتع بخيراتها، مما أدى إلى ازدياد العمران في المدن الساحلية وازدهارها ازدهاراً كبيراً، وكان إقبال الناس عليها كبيراً للتمتع بامتيازات الإقامة فيها، دون أن يأبهوا بمخاوف التعرض لاعتداءات سفن البيزنطيين[٤]. كل ذلك يدل على أن معاوية لم يكن أقل خوفاً على العرب المسلمين من الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، إنما عمل جاهداً لحمايتهم ولتنمية مهاراتهم البحرية ضد البيزنطيين، ورغم ما قام به معاوية من تحصينات للمدن والسواحل والانتصارات البرية التي أحرزها العرب المسلمون في السيطرة على بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس وغيرها، في أن يحرموا بيزنطة من أهم البلاد التي كانت تسيطر عليها منذ عهد جستنيانوس الأول الكبير

---

[١]- عثمان. (1966م)، ج:1. ص:336.

[٢]- **الرباط:** وهو ما يقصد به الأماكن التي يتجمع بها الجند والركبان استعداداً للقيام بحملة على أرض العدو. وهو الإقامة على جهاد العدو في الحرب وارتباط الخيل وإعدادها. شعبان. (2003م)، ص:67. وبدليل قول الله تعالى ﷻ. {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم}. **سورة الأنفال**. الآية.60. ولقد حث المولى ﷻ المسلمين على الرباط والمرابطة بقوله تعالى في كتابه الكريم. {يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقو الله لعلكم تفلحون}. **سورة آل عمران**. الآية: 200. والتي كان يختار أفرادها دائماً من أولى البأس والقوة فقد اعتنى معاوية بهذا النظام حتى أصبح جزءاً مرتبطاً أشد الارتباط بالجهاد، حيث جذب إليه كل الأتقياء المتحمسين دائماً إلى إعزاز ونصرة الإسلام. الجبوري. (2014م)، ص:181، العدوي. (1951م)، ص:49.

[٣]- البلاذري. (1900م)، ص:218.

[٤]- خماش. (1987م)، ص:202.

Justinianus I 527-565م[١]، إلا أن الهجمات البيزنطية لمحاولة استرداد تلك الممتلكات لم تتوقف، لاسيَّما في عهد الإمبراطور قسطنطين الثاني Constantine II 21-48هـ/641-668م [٢]. إلا أن جميع محاولات بيزنطة باءت بالإخفاق[٣]، وحرموا بيزنطة نهائياً من أغلى درّة في عقدها وأعظم ولاياتها قيمة من الناحية الاقتصادية[٤]. لذا ازداد إيمان العرب المسلمين بضرورة الاهتمام بالأساطيل البحرية لرد هجمات البيزنطيين في البحر[٥]. ولم يكن هناك مفر من أن يُنشأ الأسطول العربي الإسلامي الذي يعود فضل إنشائه إلى معاوية بن أبي سفيان وأيضاً لعبد الله بن سعد بن أبي سرح[٦]، الذي ساند في العديد من الحملات وقدم إليه ما يحتاجه ليكون أسطولاً قوياً متميزاً، فإذا كان لمعاوية الفضل في بناء السياسة البحرية التي غرست نواة الأسطول العربي في البحر المتوسط، فإن والي مصر زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، عبد الله بن أبي سرح يعدّ الساعد الأيمن لمعاوية في جهوده لخلق الأسطول العربي الإسلامي، ومن المتحمسين لبنائه حيث

---

[١]- **جستنيانوس الأول الكبير**: تسلم الحكم عام 527م، بعد وفاة خاله جستين الأول Justin I 518-527م، وكان عمره 45 عام عند توليه الحكم، تميز بالذكاء وسعة الاطلاع والثقافة، وقادر على إدارة شئون الدولة، إلا أنه خشن الطباع، وفي عهده ساد وباء الطاعون، للمزيد ينظر: بروكوبيوس. (2001م)، ص:83؛ بروكوبيوس. (د.ت)، ج:1. ص:211؛ لايفاجريوس. (2019م)، ص:30.

[٢]- **قسطنطين الثاني**: حفيد هرقل وابن قسطنطين الثالث، كان يبلغ من العمر إحدى عشر عاماً عندما تمّ تنصيبه إمبراطوراً على العرش، فتولى الوصاية عليه مجلس السينيت في القسطنطينية أول الأمر. وعندما أتمّ العرب المسلمون السيطرة على مصر وجهزوا السفن لمضايقة الجزر البيزنطية خرج قسطنطين الثاني سنة 34هـ/655م، بالأسطول لمحاربتهم لكنه هزم عند الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى في معركة ذات الصواري، عقد بعد ذلك بأربع سنوات معاهدة صلح مع المسلمين، وكان المسوغ الأساسي لإتمام هذه المعاهدة الاضطرابات التي عمّت العالم العربي الإسلامي بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، ومما أتاح لقسطنطين أن يتخلص من خطر الصقالبة الموجودين بالجزء الشمالي من امبراطوريته، وقد أصدر مرسوم تيبيه Type، الذي منع بمقتضاه منعاً باتاً المناقشة في موضوع طبيعة المسيح ورغبته في القضاء على المجادلات الدينية في امبراطوريته. لكنه لم يرضَ به كل الأطراف المتنازعة في الكنيسة. نيكول. (2003م)، ص:142.

[٣]- للاطلاع على تفاصيل هذه الحملات ينظر: الجنزوري. (1985م)، ص:16؛ الخربوطلي. (1963م)، ص:16؛ شوسرا. (1984م)، ص:6؛ Ostrogorsky. (1968A.D), P:115.

[٤]- الشيخ. (1994م)، ص:94؛

Stratos. (1975A.D), V3. P:37.

[٥]- الخربوطلي. (1963م)، ص:16؛ رستم. (1955م)، ج:1. ص:255؛ العبادي، سالم. (1971م)، ج:1. ص:17.

[٦]- **عبد الله بن سعد بن أبي سرح** القرشي العامري من أهل قريش وأبطال الصحابة أسلم قبل فتح مكة، ولي مصر سنة 25هـ/ 645م، بعد عمرو بن العاص واستمر فيها 12 عاماً، توجّه نحو إفريقية مع حشود من الرجال حتى دانت له. كما أنه غزا البيزنطيون في البحر وانتصر عليهم في معركة ذات الصواري، توفي في عسقلان سنة 37هـ/657م. الزركلي. (2002م)، ج:4. ص:89.

وضع موارد مصر البحرية ورجالها في خدمة معاوية، وشارك في سائر الحملات البحرية التي أعدَّها لصد البيزنطيين[١]. وتعدَّ جهود عبد الله بن أبي سرح الخطوة الإيجابية في بناء الأسطول العربي الإسلامي في البحر المتوسط، فإذا كان معاوية قد نفذ الخطوة التمهيدية لبناء السفن وشحنها بالمقاتلة من العرب المسلمين وغيرهم. فإن عبد الله بن أبي سرح هو الذي بدأ ببناء السفن الأولى التي تكونت منها نواة الأسطول العربي، ذلك أن مصر كانت أيام تبعيتها للبيزنطيين مشهورة بمهارة صُنَّاع السفن فيها، وكثرة دور الصناعة التي أخرجت الأعداد الوافرة من سفن البيزنطيين فتابع عبد الله بن أبي سرح سياسة بناء السفن في مصر، ومن ثم كانت ترسل هذه السفن لتتجمع في موانئ الشام التي كانت خالية آنذاك من دور الصناعة، للهجوم على أراضي البيزنطيين القريبة منهم[٢]. وفضلاً عن مهارة الصناع في مصر في صناعة السفن كانت هناك العديد من الدوافع التي ساعدت في إنشاء الأسطول العربي الإسلامي منها ضرورة الدفاع عن المدن الساحلية التي تمّ السيطرة عليها[٣]. وكذلك سعي العرب المسلمين إلى الاستيلاء على القسطنطينية والقضاء على الإمبراطورية البيزنطية، لذلك كان عليهم أن يبسطوا سيطرتهم على القسطنطينية قلب بيزنطة، وقلعتهم المنيعة المتحكمة بالتنظيم البحري للبيزنطيين في حوض البحر المتوسط الشرقي[٤]. فضلاً عن توافر المواد الخام، فالأخشاب التي يمكن أن تصنع منها ألواح السفن والصواري والمجاذيف تتوافر في مناطق متعددة من الأراضي العربية الإسلامية في مصر و بلاد الشام، فأشجار الصنوبر القوية والأرز[٥] والبلوط والعرعر[٦] تزخر بها جبال لبنان وبلاد الشام، كما أن أخشاب السنط[٧] المصري الصالحة لعمل الصواري وضلوع جوانب

---

[١]- العدوي. (1957م)، ص:15؛ محمود. (1995م)، ص:37.

[٢]- العدوي. (1953م)، ص:78.

[٣]- الخربوطلي. (1963م)، ص:15.

[٤]- بركات. (2007م)، ص:11؛ العبادي، سالم. (1971م)، ج:1. ص:21.

[٥]- **الأرز**: من أشجار الجبال يكثر في بلاد الشام وهو شجر طويل يستخرج من عروقه الزفت، ويطلق على خشبه أسماء عدّة منها بلغة أهل السراة المناور. آل ياسين. (2000م)، ص:371.

[٦]- **العرعر**: شجر عظيم من شجر الجبال، ويقال له الأبهل وبالفارسية الأيرس ومنه يتخذ أجود أنواع القطران في بلاد العرب المسلمين وتصبغ به الثياب. أبو حنيفة الدينوري. (1974م)، ص:128.

[٧]- **السنط**: نوع من أنواع الخشب، أوراقه تشبه أوراق البقوليات وله أنواع عدّة منتشر في العديد من المناطق. غالب. (1988م)، ج:2. ص:634.

السفن[١]، وخشب الجُميز[٢] والأثل[٣] واللبخ[٤] الصالحة لصناعة المجاذيف اشتهرت بها مصر منذ أقدم العصور[٥]. في حين كانت مصر فقيرة بالأخشاب اللازمة لصناعة السفن، فقد كانت تستورد الخشب من بلاد الشام وغيرها من البلدان المنتجة لهذا النوع من الخشب، ثم تقوم بصناعته في مدينة الإسكندرية[٦]. كما كان بإمكان معاوية استغلال معدن الحديد المتوفر في مصر وبلاد الشام واليمن، لعمل المسامير والمراسي والخطاطيف[٧] والفؤوس، كما تتوفر في مصر القطران[٨] الوارد من ليبيا[٩]. ومن عجائب مصر أنها تنتج نوعاً من الكتان تصلح أليافه صلاحيَّة تامة لعمل الحبال وأدوات السفن، وهذا النوع من الكتان يدعى الدقس، يتخذ منها حبال السفن وتسمى تلك الحبال القرقس[١٠]. فضلاً عن هذه المواد الضرورية لصناعة السفن كانت تتوفر في بلاد الشام ومصر الأيدي العاملة الخبيرة الماهرة، كالأقباط[١١] الذين أسهموا بدورٍ فعّالٍ في صناعة الأسطول العربي الإسلامي المصري

---

[١]- الشاعر. (1991م)، ص:68؛ ماجد. (1996م)، ص:76.

[٢]- **الجميز:** ويقال له الجميزي وسماه البعض تين فرعون وذلك دليل على قدمه، تشبه شجرته شجرة التين وتصل شجرته إلى حجم عظيم وترتفع من ثمانية أمتار إلى خمسة وعشرين متراً وجذعها قصير، موطنه الأصلي بلاد النوبة ومنها نقل إلى الحبشة ومصر وبلاد الشام، ويقول البعض موطنه اليمن، ويوصف خشبه بعدم الفساد بالتأثر بالطبقات الأرضية وشدة احتماله للرطوبة يستخدم لصناعة السفن. الحموي. (1977م)، ج:1. ص:143-144؛ آل ياسين. (2000م)، ج:2. ص:373.

[٣]- **الأثل:** شجرة من العضاة يشبه الطرفاء أو هو نوع منه، خشبه جيد تعمل منه البيوت وله أصول غليظة تعمل منها الأبواب، استخدم خشبه لعمل منبر الرسول ﷺ، ينتشر في الغابات بالقرب من المدينة المنورة. آل ياسين. (2000م)، ج:2. ص:169

[٤]- **اللبخ:** ويسمى البرساء وهو شجر قاسي معروف في مصر ينشر خشبها ألواحاً يجعلها أصحاب المراكب في بناء السفن، وقيل إذا ضما منه لوحان بشكل جيد وجعلا في الماء التحما وصارا لوحاً واحداً، يكثر انتشاره في صعيد مصر. الحموي. (1977م)، ج:1. ص:266؛ آل ياسين. (2000م)، ج:2. ص:209.

[٥]- بركات. (2007م)، ص:12.

[٦]- العدوي. (1957م)، ص:16؛ ماهر. (1967م)، ص:74.

[٧]- **الخطاطيف:** جمع لمفرد خُطّاف وتسمى أيضاً كلاليب أو شصوص، وهي عبارة عن أداة صلبة من الحديد معوجة الرأس يُنشل بها الشيء أو يعلق. ضيف. (2004م)، ص:245.

[٨]- **القطران:** وهو عصارة العرعر وهو مادة لازمة لقلطفة السفن وتمكينها – أي سد الشقوق في السفن-. ابو حنيفة الدينوري. (1974م)، ص:129.

[٩]- بركات. (1995م)، ص:18.

[١٠]- ابن الفقيه. (1996م)، ص:121.

[١١]- **أقباط:** جمع قبطي نسبة لقبط وقبط معناها مصر، فالقبطي معناه المصري، وهم في الأصل شعب أبيض من جنس البحر المتوسط وقد نزحوا إلى وادي النيل واستوطنوا فيه، ثم اختلطوا بشعوب مختلفة كان لكل منها أثر في تكوين عنصرهم الذي يجمع= =بين الساميين والحاميين، والبعض الآخر يذكر أن الأقباط خليط من الجنس القوقازي والجنس الزنجي بنسب مختلفة. للمزيد عن الآراء المختلفة لأصل الأقباط ولغتهم وعقيدتهم وغير ذلك ينظر: شنوده. (1962م)، ج:1. ص:6-7.

والشامي وكذلك المغاربة، حيث كانوا مشهورين بالتفوق في إصلاح السفن واستخدام مسامير الحديد في بنائها بدلاً من الحبال[١]. فقد اعتمد معاوية على تقاليد الملاحين العرب كأقباط مصر وسكان الشام القدامى، الذين كانوا يبنون سفناً للبيزنطيين، وفعلوا الشيء نفسه لحكامهم الجدد حيث صنعوا السفن الحربية التي تناسب احتياجات العرب المسلمين[٢]. ومن أهم العوامل التي أسهمت بدورٍ أساسيٍّ في إنشاء الأسطول العربي الإسلامي هي الاستيلاء على دور الصناعة القديمة في مراكز عكا ودمياط[٣] ورشيد[٤] وتنس[٥]، والإسكندرية ومساندته[٦]. وعلى ما يبدو أن العرب المسلمين استطاعوا الاستيلاء على ما تركه البيزنطيون من سفن جاهزة، أو في طور التجهيز، وأصلحوا ما أمكن إصلاحه من السفن المتضررة التي كانت تستخدم من قبل القوات البيزنطية، ومن الممكن أنهم استعانوا بالسفن التجارية التي ملكها أهل السواحل، وكان من السهل استخدامها لنقل الجنود والاستعانة بملاحي أهلها ذوي الخبرة. فإن ارتباط مصر وبلاد الشام وتضامنهما في العمليات الحربية ضد البيزنطيين عُدّ من الدوافع التي أسهمت بشكل كبير في إنشاء الأسطول العربي الإسلامي فقد حتّم الموقع الجغرافي لمصر وبلاد الشام والمصالح السياسية والاقتصادية المشتركة قيام روابط وثيقة بينهما منذ أقدم العصور التاريخية[٧]. أدرك العرب المسلمون حقيقة التلاحم والتواصل بين البلدين فوقفا معاً أثناء عمليات الغزو البحري التي كان يوجهها البيزنطيون على سواحلهما، وكان أثر هذا التعاون الوثيق،

---

[١]- بركات. (2007م)، ص:12.

[٢]- Konstam. (2015 A.D), P.30.

[٣]- **دمياط:** من المدن العريقة القديمة الواقعة بين تنيس ومصر، على زاوية بين بحر الروم والنيل، وتتميز بالهواء الطيب وهي ثغر من ثغور الإسلام. الحموي. (1977م)، ج:2. ص:472.

[٤]- **رشيد:** بلدة على ساحل البحر والنيل قرب الإسكندرية. الحموي. (1977م)، ج:3. ص:45.

[٥]- **تنس:** مدينة على مقربة من ضفة بحر القلزم، على ميلين منه، وبعضها على جبل وقد أحاط بها سور، وبعضها في سهل الأرض، وهي قديمة يحيط بها سور حصين منيع، ولها في جهة المشرق واد كثير الماء وشربهم منه في أيام الربيع والشتاء، وبها فواكه وخصب، ولها وتشتهر بالعديد من المزروعات كالفواكه والحبوب والحنطة وغيرها. الحموي. (1977م)، ج:2. ص:48؛ مقديش. (1988م)، ج:1. ص:78-77. للمزيد عن هذه المراكز أيضاً ينظر: فهمي. (1948م)، ص:35 وما بعد.

[٦]- البلاذري. (1900م)، ص:124-123.

[٧]- بركات. (1995م)، ص:19.

قيـام بحريــة عربيــة إسـلامية، شـامية مصـرية مشـتركة حولـت خطـط العـرب المسـلمين مـن خطـط دفاعيــة إلى هجومية[١]. وسيتم التطرق للنشاط والتعاون بشكل منفصل في الصفحات التالية.

ثالثاً: السيطرة على جزيرة قبرص Cyprus 28هـ /648م.

تشتهر جزيرة قبرص بموقعها الجغرافي الاستراتيجي المتميز، الذي جعل منها ممراً مهماً للطرق التجارية ومعبراً لانتقال الحضارة منها وإليها منذ أقدم العصور، فقد شكلت الجزيرة بميزاتها منطقة جذب واستقطاب للسكان، وهي جزيرة جبلية في البحر المتوسط ذات سلاسل عديدة، والمحطة البحرية للتجارة والملاحة وموقع مهم لسيطرة العرب المسلمين[٢]، وتعدَّ قبرص مركزاً ليس للتجارة فحسب وإنما مركزاً حربياً من الطراز الأول، كما تتميز بخصوبة تربتها ووفرة غلاتها ومحاصيلها[٣]. وكانت هذه الميزات مسوغاً في احتلالها وهدفاً تسابقت الدول قديماً لضمها إلى ممتلكاتها. لذا طمع الرومان فيها وبخيراتها حتى وقعت في أيديهم سنة 58ق.م، وبعد تقسيم الإمبراطورية الرومانية سنة 395م، غدت قبرص من نصيب الدولة البيزنطية، وبقيت تابعة لتلك الدولة حتى ظهور الإسلام واتساع دولة العرب المسلمين على حساب كل من الدولتين الفارسية والبيزنطية[٤].

فقد بدأت مظاهر التعاون البحري بين الشام ومصر، عندما شاركت مجموعة من أهل الإسكندرية العارفين بشؤون البحر تحت قيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح[٥]، وتتجلى مظاهر التعاون حين صمم معاوية بن أبي سفيان على إنشاء أسطول عربي إسلامي للاستيلاء على جزيرة قبرص، التي تعدّ من أقدم القواعد البيزنطية في شرق البحر المتوسط وأهمها، وحرصت القوى المتنافسة فيه على إبقائها تحت سيطرتها؛ لأنها حجر الزاوية في قوة أيّ دولة تصل إلى مركز الزعامة في بلاد المشرق الإسلامي[٦]. فأسرع للهجوم عليها وضمها لسيادة الدولة العربيّة

١- العبادي، سالم. (1971م)، ج:1. ص:21.

٢- الصّريفي. (د.ت)، ص:244-243.

٣- عاشور. (2002م)، ص:3.

Magdalion, Necipoglu, and Jevtic. (2013A.D), P:113

٤- شاكر. (1974م)، ص:12.

٥- عاشور. (2002م)، ص:6.

٦- العدوي. (1957م)، ص:21.

الإسلامية بسبب غارات البيزنطيين على بلاد الشام، حيث اتخذوها محطة تموين في الطريق، وملجأ يحتمون به حين تدفعهم الحوادث إلى الانسحاب، كما كانت البحرية البيزنطية تتخذها قاعدة لتهديد موانئ بلاد الشام والإغارة عليها[١]. فعندما رفض الخليفة الراشديُّ عثمان بن عفان رضي الله عنه طلب معاوية في ركوب البحر وغزو جزيرة قبرص كما ذُكر سالفاً، لم يقطع معاوية الأمل في غزوها، لذلك كرر طلبه من الخليفة عام 27هـ/ 647م، وأخذ يلح عليه في السماح له بركوب البحر إلى قبرص مبيناً قربها، وأهمية السيطرة عليها وسهولة الأمر فيها، وشدة الحاجة إلى اقتناء السفن[٢]. وافق أخيراً الخليفة عثمان إلا أنه اشترط عليه شرطين، أولهما: ألا يجبر أحداً من العرب المسلمين على ركوب البحر، وأن يكون الذهاب للغزو تطوعياً، ومن رفض ركوب البحر فلا حرج عليه[٣]. وثانيهما: أن يأخذ معه زوجته فاختة بنت قرظة[٤] في معركته البحرية إلى قبرص[٥]. ومن خلال تلك الشروط يتضح أن الخليفة عثمان رضي الله عنه، أراد أن يتبين صدق عزيمة معاوية في ركوب البحر والإغارة على جزيرة قبرص، ومدى حرصه على أرواح العرب المسلمين. فبعد أن أخذ معاوية موافقة الخليفة في غزو جزيرة قبرص كتب إلى أهل السواحل يأمرهم بإصلاح المراكب وتقريبها من ساحل حصن عكا ليكون ركوب العرب المسلمين من عكا إلى قبرص، فأُصلحت المراكبُ وجُمِعت ووضع معاوية الأرزاق للناس الذين أرادوا الاشتراك في هذه الحملة وأمرهم بالمسير إلى عكا[٦]، وبالفعل أُعدتِ السفنُ والقواتِ في ميناء عكا، في الوقت التي وصلت فيه بعض السفن من مصر، إلا أن البعض يذكر أن معاوية بعد أن أخذ موافقة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، قام ببناء السفن في مصر ومعظمها على يد عرب اليمن المسيحيين[٧]. ولكن كيف بُنيت تلك السفن في هذه المدة القصيرة؟ وأين بنيت؟ وهل من المعقول أن يقوم أشخاص من البيزنطيين أنفسهم ببناء السفن الذي يعدُّ سلاح لمواجهة دولتهم فيه؟

١- محمود. (1995م)، ص:38؛ شاكر. (1974م)، ص:12.

٢- عون. (1961م)، ص:260.

٣- البلاذري. (1900م). ص:159؛ العبادي، سالم. (1971م). ج:1. ص:19؛
Hill. (1940A.D), V1. P:38 ; Picard. (2018 A.D), P.190.

٤- **فاختة بنت قرظة:** لم تذكر المصادر معلومات كثيرة عنها بل اكتفت بذكر أنها بنت قرظة من بني نوفل بن عبد مناف زوجة معاوية بن أبي سفيان. ابن عبد البر. (2002م)، ص:1931

٥- البلاذري. (1900م)، ص:159؛ العدوي. (1957م)، ص:23؛ Picard. (2018 A.D), P.193

٦- خماش. (1987م)، ص:202.

٧- عون. (1961م)، ص:260؛ Nicolle. (2009A.D), P:57

وعلى فرض هم من قاموا ببنائها فما الظروف التي جعلتهم يقبلون بذلك العمل؟ كل هذه الأسئلة مع الأسف لا جواب لها. فلم يقم أحد من المؤرخين بذكر مثل هذه التفاصيل في الكتب التي تمَّتِ الاستعانة بها. ويبدو أن العرب المسلمين أثناء غاراتهم على الإمبراطورية البيزنطية وممتلكاتها وأسر بعضهم كان من هؤلاء الأسرى من يتقن بناء السفن، ومن المحتمل أن بعض تلك السفن تمّ الاستيلاء عليها من البيزنطيين؛ لأن معاوية لم يتوفر لديه الوقت الكافي لصناعة سفن جديدة في تلك المدّة الزمنية القصيرة.

وقد اشترك في تلك الحملة كبار رجال بلاد الشام، ومشاهير قادة العرب المسلمون أمثال: عبادة بن الصامت[١]، وفضالة بن عبيد الله الأنصاري[٢]، وأبي الدرداء[٣]، وعمير بن سعد الأنصاري[٤]، وعبد الله بن بشر وغيرهم[٥]. كما اتسمت هذه الحملة بمشاركة النساء فيها حيث سجلت المرأة العربية اسمها بمداد الفخر في أولى حملات الأسطول العربي الإسلامي على جزر البحر المتوسط، إذ اصطحب معاوية معه زوجته فاختة، كما أخذ عبادة بن الصامت زوجته أم حرام بنت ملحان[٦] التي تنبأ لها الرسول ﷺ وبشّرها بأنها ستكون من الأولين في تلك الحملة. بعد ذلك أبحر

---

[١]- **عبادة بن الصامت** بن قيس الأنصاري الخزرجي صحابي جليل عرف بورعه وتقواه، شهد العقبة وبدر، ويعدّ أول من ولي القضاء في فلسطين، مات بالرملة سنة 34هـ/654م. الزركلي. (2002م)، ج:3. ص:258.

[٢]- **فضالة بن عبيد الله الأنصاري:** ابن نافذ بن قيس بن صُهيب بن أصرم القاضي الفقيه أبو محمد الأنصاري الأوسي، صاحب رسول الله من أهل بيعة الرضوان، شهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ولي قضاء الشام في زمن معاوية ومات فيها. ابن سعد. (2001م)، ج:4 ص:307؛ ابن حبيب. (د.ت)، ص: 294.

[٣]- النويري. (2004م)، ج:19. ص:261؛ العبادي، سالم. (1971م)، ج:1. ص:19.

أبي الدرداء: عويمر ابن مالك ابن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي من الصحابة القضاة، كان يعمل تاجراً في المدينة قبل البعثة وكان أول من ولي قضاء الشام وتوفي فيها سنة 32هـ/652م. ابن عبد ربه. (1983م)، ج:3. ص:114؛ الزركلي. (2002م)، ج:5. ص:98.

[٤]- **عمير بن سعد** بن عبيد الأوسي الأنصاري صحابي جليل عرف بتقواه، شهد فتوح بلاد الشام، كما ولاه الخليفة عمر بن الخطاب على حمص توفي سنة 45هـ/665م. الزركلي. (2002م)، ج:5. ص:88.

[٥]- الوكيل. (1995م)، ص:146.

[٦]- **أم حرام بنت ملحان** بن خالد بن زيد البخارية الأنصارية، وكان الرسول الأعظم ﷺ يكرمها ويزورها في بيتها ويغفا عندها، وقد دعا لها بالشهادة، فقد كانت تخرج مع الغزاة وتشهد الوقائع، حضرت غزو جزيرة قبرص ومات ودفنت فيها سنة 27هـ/647م، ويعرف قبرها بقبر المرأة الصالحة، كما لقبت بشهيدة البحر. ابن عبد البر. (2002م)، ص:948؛ الزركلي. (2002م)، ج:2. ص:172.

معاوية من ميناء عكا على رأس أسطوله باتجاه قبرص[١]، الذي بلغ عدد سفنه 220سفينة[٢]. وبعد انتهاء شتاء 28هـ/648م[٣]، رست السفن العربية الإسلامية على الشاطئ وأخذ الجند ينزلون منها وتقدمت أم حرام لتركب دابتها التي نفرت وأوقعتها، فلقيت حتفها مسجلة بذلك اسمها في أول صفحة دونها الأسطول العربي الإسلامي في مياه البحر المتوسط، ودفنت أم حرام في أرض جزيرة قبرص، وعُرف قبرها بقبر المرأة الصالحة. وبعد أن أنزل العرب المسلمون عدّتهم وعتادهم إلى الشاطئ، أرسلوا إلى أهالي قبرص يخبرونهم بأهدافهم، وأنهم لم يأتوا طمعاً في جزيرتهم وإنما ليتفقوا معهم على ما فيه سلامة الشواطئ العربية الإسلامية في المياه الشرقية من البحر المتوسط[٤]. إلا أن سكان قبرص أبَوا تحت الضغط البيزنطي الدخول في مفاوضات مع العرب المسلمين واعتصموا بأسوار مدنهم، فتقدمت القوات العربية الإسلامية نحو العاصمة كونستانتينا Constantina[٥]، وكانت مليئة بالسكان، وبها جميع ثروات الجزيرة وذخائرها، وبعد حصار لم يدم طويلاً اقتحم العرب المسلمون هذه المدينة واستولوا على كنوزها وأخذوا الكثير من الأسرى، فاضطر حاكم العاصمة لطلب الصلح مع العرب المسلمين[٦]، فصالحه معاوية على:

١- الحموي. (1945م)، ص:47؛ ماجد. (1996م)، ص:75.

٢- ابن الأعثم. (د.ت)، ج:2. ص:348.

٣- رستم. (1955م)، ج:1. ص: 255؛ الشاعر. (1991م)، ص:68؛ كيغي. (2003م)، ص:306؛
Kontogiannis. (2022 A.D), p: 86.

٤- لويس. (د.ت)، ص:90؛
Hill. (1940A.D), V1. P:285

٥- **كونستانتينا:** عاصمة قبرص وهي ميناء بحري البيزنطي الرئيسي تشتهر بتصدير البترول والحبوب والأخشاب والمنسوجات، أسسها اليونانيون في القرن السادس ق.م، وأعاد قسطنطين الكبير بناءها في القرن الرابع. Moore. (1978A.D), p:197.

٦- البلاذري. (1900م)، ص:160؛ Browning. (1980A.D), P:45.

١. أن يدفع القبارصة جزية سنوية لمعاوية قدرها سبعة آلاف ومئتا دينار[١]، وفي بعض الروايات على سبعة آلاف دينار فقط[٢]، على نحو ما يؤدونه كل عام كذلك لإمبراطورية بيزنطة، فلم يمنع العرب المسلمين أهالي قبرص عن أداء الجزية لبيزنطة[٣].

٢. أن يتعهد أهالي قبرص بألّا يساعدوا البيزنطيين في حملاتهم على أراضي بلاد الشام، ولا يقدموا لهم أي نوع من الدعم[٤].

٣. وبألا يطلعوهم على أسرار الأسطول العربي الإسلامي. وعلى أهالي قبرص أن يخبروا العرب المسلمين بأنباء أيَّ حملة يَعُدّها البيزنطيين ضد شواطئ بلاد الشام ومصر، وهذا يدل على اهتمام معاوية بالأسطول البحري البيزنطي وقوته[٥].

٤. واشترط العرب المسلمون فضلاً عن ذلك أن تكون قبرص كمكان في منتصف الطريق للعرب المسلمين لمهاجمة الأراضي البيزنطية[٦]. ومن خلال هذا الشرط يُلاحظ أن العرب المسلمين أرادوا جعل قبرص قاعدة لهم للهجوم على بلاد الدولة البيزنطية. بدليل استمرار الأساطيل العربية الإسلامية على التجمع بجزيرة قبرص كلما تأهبوا للغزو في الأراضي البيزنطية[٧].

فهل يعقل أن تكون جزيرة قبرص تابعة للإمبراطورية البيزنطية وتدفع لها جزية؟ ومن المرجح أن سكان قبرص كانوا يدفعون نوعاً من الضرائب المستحقة عليهم مثل أي منطقة أخرى تابعة للإمبراطورية البيزنطية. ومن الممكن أن مسوغاتِ هذه المعاهدة التي اضطرت بيزنطة لعقدها لأنها شعرت بقوة العرب المسلمين واحتمال خسارة هذا المعقل المهم _ قبرص_ فخلال هذه السنوات تستطيع إعادة بلورة قوتها من جديد لتواجه العرب المسلمين. ويتضح من تلك الشروط أن العرب

---

[١]- الوكيل. (1995م)، ص:158؛ لويس. (د.ت)، ص:90؛ كيغي. (2003م)، ص:311؛ Hill. (1940A.D), V1. P:284

[٢]- النويري. (2004م)، ج:19. ص:262؛ الحموي. (1945م)، ص:14؛ طرخان. (1966م)، ص:80؛ عاشور. (2002م)، ص:7.

[٣]- عثمان. (1966م)، ج:1. ص:339.

[٤]- Hill. (1940 A.D), V1, P.284.

[٥]- كيغي. (2003م)، ص:311؛ لويس. (د.ت)، ص:91.

[٦]- Hill. (1940 A.D) ,V1,P.285

[٧]- النويري. (2004م)، ج:19. ص:262؛ عاشور. (2002م)، ص:8.

المسلمين لم تُلّزم أهل قبرص بتقديم أيَّ مساعدة للأسطول العربي الإسلامي أثناء إغارته على أراضي بيزنطة. فكان العرب المسلمون إذا ركبوا البحر لم يتعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرص ولم ينتصروا عليهم[١]. وبذلك استولى الأسطول العربي الإسلامي حديث النشأة على جزيرة قبرص، التي كانت من أعظم القواعد الاستراتيجية لأسطول بيزنطة في الشرق[٢].

وبهذا سجّل معاوية أول انتصارٍ باهرٍ في سجل النشاط البحري الإسلامي، وحقق فوزاً في ميدان جديد، الذي زاد من الروح المعنوية لدى العرب المسلمين، وكسر عندهم حاجز الخوف من ركوب البحر، وأظهروا أنهم في سبيل عزة الإسلام وأرضه يذللون سائر العقبات، وكذلك برهن معاوية بانتصاره على أهالي قبرص على أن سياسته البحرية قامت على أسس وطيدة لا بد أن تجني ثمارها، وكان خضوع قبرص لمطالب معاوية بداية طريق جديد سلكه العرب المسلمون مظفرين[٣].

رابعاً: نقض أهالي جزيرة قبرص للمعاهدة وإعادة السيطرة عليها وعلى جزيرة أرواد Aradus، ورودوس Rhodos 32-33هـ/652-653م.

١- نقض أهالي جزيرة قبرص للمعاهدة وإعادة السيطرة عليها.

بعد غزو معاوية لجزيرة قبرص عاد إلى ولايته في الشام، إلا أنه لم يكن مرتاحاً للصلح الذي عقده مع أهالي قبرص، لذا أخذ يراقبهم ليرى مدى صدقهم وتنفيذهم لالتزاماتهم إزاء العرب المسلمين، وكان معاوية محقاً في شكوكه وحذره في تتبع حركات سكان قبرص، لأن أهالي قبرص استغلوا عودة معاوية ونقضوا شروط الصلح في عام 32هـ /652م، حين قاموا بمساعدة البيزنطيين، وأمدوا الإمبراطور قسطنطين الثاني بسفن يستعين بها على حرب العرب المسلمين[٤]. فضلاً عن أن

---

[١]- البلاذري. (1900م)، ص:160؛ العدوي. (1957م)، ص:25.

[٢]- الشيخ. (1994م)، ص:95.

[٣]- العدوي. (1953م)، ص:84؛ الجوهري. (2003م)، ص:24.

[٤]- Hill. (1940 A.D), V1. P:285.

الإمبراطـور أخـذ يعمـل علـى تعزيـز قواتـه فـي قبـرص وزيادتهـا، لـذلك عنـدما علـم معاويـة فـي ذلـك صـمم علـى القيـام بغـزو قبـرص مـرة ثانيـة سـنة 33هـ /654م، ليحـرم البيـزنطيين نهائيـاً مـن اسـتغلال جزيـرة قبـرص وأهلهـا والاسـتفادة مـن خيراتهـا[١]. وجهـز أسـطوله مكونـاً مـن 500 سـفينة[٢]، وعـدد كبيـر مـن الجنـد بقيادة أبي الأعور[٣]. كما شارك الأسطول المصري أيضاً بقيادة عبد الله بن أبي سرح[٤].

ويبـدو أن القبارصـة ذاقـوا الكثيـر مـن غـزوة العـرب المسـلمين الأولـى، لـذلك لـم تكـن تقتـرب السـفن العربيـة الإسـلامية مـن الجزيـرة فـي المـرة الثانيـة حتـى فـرّ الأهـالي إلـى الجبـال والغابـات وركـب بعضـهم البحـر طلبـاً للنجـاة[٥]. قضـى أبـو الأعـور وجنـده حـوالي 40 يومـاً فـي العاصـمة كونسـتانتينا، فلـم يكتفـوا بـالغزو بـل بقـوا فـي الجزيـرة حتـى سـيطروا عليهـا عنـوة، رغـم مقاومـة أهلهـا البـاقيين فيهـا، فقتلـوا وسـبوا وأخـذوا العديـد مـن الغنـائم والأسـرى، ونجـح فـي تلقـين أهلهـا درسـاً قاسـياً لإخلالهـم بشـروط الصـلح. وانتهـى الأمـر بـين الطـرفين بـإقرار شـروط الصـلح السـالفة. ولـم يفكـر معاويـة هـذه المـرة فـي الجـلاء عـن الجزيـرة كمـا فعـل أول الأمـر، ويبـدو أنـه لـم يكـرر الخطـأ ذاتـه، بـل عمـل علـى تـدعيم نفـوذ العـرب المسـلمين فـي الجزيـرة[٦]. فأرسـل إليهـا غـداة عودتـه إلـى الشـام 12 ألفـاً مـن الجنـد، أقـاموا فـي ليبيتـوس Lepithos، علـى السـاحل الشـمالي للجزيـرة[٧]. وأجـرى لكـل مـنهم راتبـاً ليكـون جيشـاً مقيمـاً فـي الجزيـرة يصـد عنهـا عـدوان البيـزنطيين ويقضـى علـى أي إغـارة يحتمـل أن تمـر بهـذه الجزيـرة[٨]. كمـا نقـل جماعـة مـن أهـل بعلبـك وأغـراهم بالبقـاء فيهـا مقابـل مـنحهم الرواتـب[٩]، ومـا زال هـؤلاء بجزيـرة قبـرص حتـى قيـام الدولـة الأمويـة

---

[١]- النويري. (2004م)، ج:19. ص:262؛ العدوي. (1953م)، ص:84.

[٢]- Picard. (2018 A.D), P:193.

[٣]- صايغ. (1956م)، ص:100؛ Hill. (1940 A.D), V1. P:285

ولكن طالما أن معاوية قد شارك في هذه الحملة فلماذا ولّى أمر القيادة لأبي الأعور؟

[٤]- كيلاني. (1995م)، ص:12.

[٥]- عاشور. (2002م)، ص:8.

[٦]- عاشور. (2002م)، ص:8؛ Hill. (1940 A.D), V1. P:285

[٧]- لويس. (د.ت)، ص:91.

[٨]- البلاذري. (1900م)، ص:160؛ العدوي. (1953م)، ص:84؛ Hill. (1940 A.D), V1. P:285

[٩]- البلاذري. (1900م)، ص:160؛ طرخان. (1966م)، ص:80؛ Picard. (2018 A.D), P:193

40هـ/660م. واعتنى معاوية بأمر تلك الجالية الإسلامية التي أرسلها إلى قبرص فتعهد برعايتها حتى تمكن أفرادها من نشر الدين الإسلامي فيها، وشيدوا مدينة للعرب المسلمين في الجزيرة، كما أقاموا الحاميات، وعدداً من المساجد فيها لممارسة شعائرهم وصلاتهم[١]. ما يدل على عزم معاوية على جعل جزيرة قبرص جزيرة عربية إسلامية والاستقرار بها، ويلاحظ تشدد معاوية في معاملته لأهالي قبرص بعد الحملة الثانية رغبة منه في وضع حد نهائي لتمرد أهالي قبرص وتقلب أهوائهم، وتَكرار مساعدتهم لأسطول البيزنطيين، وليحرم بيزنطة نهائياً من تلك الجزيرة[٢].

وباحتلال جزيرة قبرص من قبل الأسطول العربي الإسلاميّ حُلّت بعض الشيءِ مشكلةُ حماية الشواطئ العربية في بلاد الشام ومصر، وقضت نوعاً ما على المخاوف التي غلبت على العرب المسلمين وتوهمهم قوة البيزنطيين البحرية العظيمة، وأنها قوة لا تهزم كما استطاع أيضاً أن يقلم أظافر البيزنطيين، ويجعلهم يدركون مدى أهمية البحرية العربية الإسلامية الناشئة وقوتها، وبالتالي أصبح إقليم بلاد الشام في مأمن من الأخطار المتكررة التي تهدده من جزيرة قبرص وأصبح العرب المسلمون لا يخشون أي هجوم مفاجئ من البيزنطيين[٣]. حيث أصبحت هذه الجزيرة قاعدة استراتيجية مهمة من قواعد الأسطول العربي الإسلامي في البحر المتوسط تنطلق منها السفن العربية الإسلامية لصدّ سفن البيزنطيين قبل أن تهجم على شواطئ بلاد الشام ومصر[٤]. ويذكر أنه بعد هجوم معاوية على جزيرة قبرص، والاستيلاء على عاصمتها كونستانتينا[٥]، اضطرت بيزنطة نتيجة هذا الهجوم أن تعقد سلماً مع معاوية مدته ثلاثة أعوام مقابل أن تدفع للمسلمين أتاوة كبيرة، وقد استغل معاوية سنوات السلم

---

[١]- النويري. (2004م)، ج:19. ص:262؛ شاكر. (1974م)، ص:17؛ ماجد. (1966م)، ص:85.

[٢]- العدوي. (1957م)، ص:26.

[٣]- العدوي. (1953م)، ص:86.

[٤]- محمود. (1995م)، ص:39؛ الجوهري. (2003م)، ص:24؛ Lemerle. (N.D), p.92

[٥]- عبد الصمد. (2009م)، ص:243.

الثلاث في زيادة قوة أسطوله، إذ بقيت الحامية العربية الإسلامية في قبرص إلى أيام خلافة يزيد ابن معاوية60-64هـ/679-683م، الذي أمرهم بالانسحاب منها بعد أن دام بقاؤها 30 عاماً[١].

٢- غزو جزيرة أرواد Aradus.

كانتِ الغارةُ التي شنها الأسطول العربي الإسلامي على جزيرة قبرص بداية نشاط بحري، أثبت العرب المسلمون من خلالها فهماً جيداً لطبيعة الجزر التابعة للبيزنطيين في شرق البحر المتوسط، إذ رأَوا ضرورة الاستيلاء عليها لما تتمتع به من مراكزَ استراتيجيةٍ مهمةٍ، ولشل حركات بيزنطة البحرية قدْر المستطاع. لذا سارت حركات الأسطول العربي الإسلامي إزاء تلك الجزر وَفق خطوات منظمة تهدف أولاً لتأمين سلامة الجزر القريبة لأراضيهم التي استطاع العرب المسلمون دخولها، ثم الاستيلاء على الجزر الجديدة التي تتحكم في أكبر عدد من المضائق البحرية لسدّ الطريق في وجه أساطيل بيزنطة[٢]. فأثناء إغارة العرب المسلمين على قبرص لفت نظرهم وجود جزيرة تدعى أرواد Aradus، تقع بالقرب من ساحل الشام بين مدينتي جبلة وطرابلس[٣]. والتي كانت تتمتع بشهرة كبيرة منذ أقدم العصور حيث إن أهلها قراصنة – لصوص البحر – ، ويشتهرون بميدان التجارة لتدعيم رخائها الاقتصادي، فكان أهالي هذه الجزيرة يستغلون ما فرضته عليهم الطبيعة من مركز جغرافي

---

[١]- صايغ. (1956م)، ص:100؛ عاشور. (2002م). ص:9؛ Picard. (2018 A.D), P:194

[٢]- العدوي. (1957م)، ص:29-28.

[٣]- هناك اختلاف حول موقع الجزيرة، وتاريخ غزوها، فالبعض يذكر أنها جزيرة قريبة من الساحل الشامي بين مدينتي جبلة وطرابلس. الجوهري. (2003م)، ص:24؛ العدوي. (1957م)، ص:29؛ منصور. (2003م)، ص:62؛ نجدت. (1987م)، ص:204؛ الوكيل. (1995م)، ص:147-146. والبعض الآخر يذكر أن جزيرة أرواد والتي كانت تدعى كزيكوس Cyzicus، في المصادر الأجنبية، والتي لم تحدد المصادر العربية والبلدانيون والمؤرخون موقعها سوى أنها تقع بالقرب من القسطنطينية، وأن غزوها كان سنة 54هـ/674م، على يد جنادة بن أمية الأزدي وأن معاوية أسكنها المسلمين، وأقاموا فيها سبع سنوات، كما اتخذها قاعدة لتوجيه الحملات البحرية على القسطنطينية، فكانت الأساطيل تنقل الجنود من هذه الجزيرة إلى البر لمحاصرة القسطنطينية، مما يؤدي ذلك إلى التساؤل إن كان هناك خطأ في تسمية الجزيرة التي تمّ السيطرة عليها سنة 54هـ/674م؟ الحموي. (1977م)، ج:1. ص:162؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج:3. ص:490؛ البغدادي. (1992م)، ج:1. ص:61؛ بروكلمان. (1968م)، ص:126؛ العبادي، سالم. (1971م)، ج:1. ص:24؛ علي. (1994م)، ص:363. بينما يسميها آخرون، كزيكوس Cyzicus، شبه جزيرة تقع على الساحل الجنوبي لبحر مرمرة، وهي فعلاً قريبة من القسطنطينية والتي استولى عليها أحد قواد معاوية في سنة50هـ/670م، وأصبحت قاعدة بالغة الأهمية في مهاجمة القسطنطينية. العريني. (1965م)، ص:149؛ عطا. (1994م)، ص:29. وعلى الأرجح هي الأصح لأنه لا يعقل أن يكون هناك اسم واحد لجزيرتين مختلفتين.

متميز في ميدان التجارة، وأبدَوا جشعاً في تنمية مواردهم الاقتصادية عن طريق ميدان القرصنة المخيفة، لذلك اتسموا بالغدر والبعد عن موضع الثقة، فأدرك العرب المسلمون خطورة هذه الجزيرة على بلاد الشام، ولم يكن معاويةُ بن أبي سفيان ذلك القائد الذي يترك أي معقل للبيزنطيين يهدد سلامة بلاده. لذا عزم على غزو الجزيرة لتأمين حدوده، فأعد حملة بحرية لمهاجمتها سنة 28هـ/ 648م[١]. واستطاع بفضل أسطوله السيطرة على شواطئ تلك الجزيرة، وإنزال الجند فيها، لكن أهل أرواد رفضوا الإذعان والاستسلام واعتصموا بقلعة الجزيرة وأخفق العرب المسلمون في دخولها[٢]. حيث كانت خُطة العرب المسلمين البحرية تسير على أساس مسالمة أهالي جزر البحر المتوسط أولاً فإن رفضوا ذلك لجؤوا إلى القتال، وهكذا عادتِ الحملة إلى أراضيها أمام موقف أهالي الجزيرة منهم، لذلك قرر العرب المسلمون مهاجمة جزيرة أرواد مرة ثانية في العام التالي[٣]. وبالفعل هاجم الأسطول العربي الإسلامي جزيرة أرواد سنة 29هـ/649م، واستطاع الاستيلاء عليها وإجلاء أسطول البيزنطيين عن مينائها، كما ألزم أهالي أرواد بإخلاء الجزيرة تماماً جزاء لهم على مقاومتهم وعنادهم، ولم يكن هذا التصرف الذي اتخذه العرب المسلمون شيءٌ من التعسف أو القسوة، وإنما جاء نتيجة بعد نظرهم وفهمهم لطبيعة أهالي تلك الجزيرة، التي اتسمت بالغدر[٤]. إلا أن ابن الأعثم، يذكر أن غزو جزيرة أرواد التي تقع بالقرب من القسطنطينية، كان في السنة التي قتل فيها الخليفة عثمان رضي الله عنه، أي سنة 36هـ/656م. ويروي تفاصيل الحملة بقوله: "كان المسلمون قد أسروا رجلاً من البيزنطيين، فسألوه: من أين أنت؟ فقال: من أرواد، فأتوا به إلى معاوية بن أبي سفيان، فأخذ معاوية يسأله عن أرواد ويخبره عن موضعها من البحر، فقال له الرومي[٥]: إنها جزيرة عظيمة ومن حالها وحال أهلها

١- رستم. (1955م)، ج:1. ص:255؛ منصور. (2003م)، ص:62؛ الوكيل. (1995م)، ص:147-146؛ Picard. (2018), P:194.

٢- صايغ. (1956م)، ص:99؛ منصور. (2003م)، ص:62.

٣- العدوي. (1957م)، ص:30.

٤- الجوهري. (2003م)، ص:26؛ عمران. (1980م)، ص:78؛ الوكيل. (1995م)، ص:147.

٥- لم يذكر اسم الرومي في الكتب المتوفرة، إلا أنه على الأرجح رجل من أهالي بيزنطة كان يقيم في جزيرة أرواد.

كذا وكذا"[١]. فدعا معاوية جنادة بن أبي أمية[٢]، وضم إليه أربعة آلاف رجل وأمره أن يغزو أرواد[٣]. فخرج مع أصحابه في عشرين مركباً حتى وصل إلى الساحل، ومعهم الرجل الرومي ليدلهم على الجزيرة، ثم يردوه لأهله وماله، ثم رست المراكب في البحر على وجه الماء حتى إذا جنّ الليل أكملوا مسيرهم، وصل العرب المسلمون الجزيرة وأهلها غافلون، فأرسَوا سفنهم على ساحل الجزيرة، ثم تسللوا ودخلوا الجزيرة بأسلحتهم، فقُتل من قتل، وأُسر من أُسر، فصالحهم جنادة على دفع جزية، – لم يحدد ابن الأعثم قدرها – ثم أخذ جنادة الغنائم وتوجه مظفراً إلى الشام، وسلّم لمعاوية الغنائم الذي أخرج منها الخمس فوجه به إلى عثمان رضي الله عنه، وما بقي من ذلك قسمه على العرب المسلمين[٤]. في حين أن هناك رواية مختلفة تماماً عمّا رواها ابن الأعثم، فيذكر أن معاوية اغتنم فرصة وصول ملك جديد صغير السن إلى العرش البيزنطي، وكان يدعى قسطنطين الرابع Costanten IV 48–66هـ/668–685م [٥]، حديث العهد بأمور الحرب والسياسة والإدارة، فسار الأمويون في حملة كبيرة منظمة، تتألف من قوات برية تولى معاوية قيادتها، بينما تولى بسر بن أرطاة[٦] القوات البحرية وإمرة الأسطول[٧]. ومهد الأسطول الأموي للحملة بأن قام باحتلال جزيرة أرواد ذات الأهمية الاستراتيجية، كما اتخذها الأمويون قاعدة لأسطولهم، ومنها كانت السفن تبحر في حملاتها، واتخذها معاوية مقراً

---

[١] – (د.ت)، ج:1. ص:367.

[٢] – **جنادة بن أبي أمية** مالك الأزدي الأنصاري الزهراني من كبار الصحابة الغزاة في العصر الأموي قائد بحري، قاد غزوات في البحر أيام الخليفة معاوية بن أبي سفيان، شهد غزو مصر، كما غزا جزيرة رودوس سنة 53هـ/672م، توفي في الشام سنة 80هـ/699م. الذهبي. (2004م)، ص:1327؛ الزركلي. (2002م)، ج:2. ص:140.

[٣] – نجدت. (1987م)، ص:204.

[٤] – (د.ت)، ج:1. ص:367.

[٥] – **قسطنطين الرابع:** هو ابن قسطنطين الثاني، تسلّم الحكم عام 48هـ/668م، على إثر اغتيال والده وتوفي سنة 66هـ/ 685م، وكان لحكمه أثر بالغ على السياستين الداخلية والخارجية للإمبراطورية البيزنطية، وفي عهده حاول العرب المسلمون الاستيلاء على القسطنطينية 54هـ/674م، ومرة أخرى عام 59هـ/678م. Zonarae. (1897 A.D), p:22

[٦] – **بسر بن أرطاة** العمري القرشي قائد شجاع، ولد في مكة قبل الهجرة أسلم صغيراً، شهد غزو مصر والمدينة ومكة وغيرها ولي البصرة سنة 41هـ/661م، غزا البيزنطيين حتى وصل إلى أسوار القسطنطينية سنة 50هـ/670م، أصيب في عقله ثم توفي سنة 86هـ/705م. ابن سعد. (2001م)، ج:2. ص:186؛ الذهبي. (2004م)، ص:1202. الزركلي. (2002م)، ج:2. ص:51.

[٧] – صايغ. (1956م)، ص:112.

لجيوشه من سنة 54-60هـ/ 673-679م[١]، ولم يتخلَّوا عنها إلا أثناء خلافة يزيد بن معاوية الذي أصدر أوامره بسحب الحامية الأموية عن جزر البحر المتوسط ومنها جزيرة أرواد[٢].

٣- غزو جزيرة رودوس Rhodos.

رودوس Rhodos، جزيرة هائلة في البحر، تقع في مكان كثير الشجر[٣]، وهي من جزر البحر المتوسط المهمة، وتعدُّ من أخصب الجزر فيها الكروم والزيتون والثمار والمياه العذبة، وهي مقابلة للإسكندرية[٤]. بينها وبين جزيرة قبرص عشرون ميلاً، وبينها وبين ساحل الإسكندرية أربعة أيام[٥]. وعلى الأرجح فإن موقعها هذا هو الذي أكسبها تلك الأهمية وجعل العرب المسلمين يتطلعون للسيطرة عليها.

كانت أولى المحاولات للسيطرة على هذه الجزيرة سنة 28هـ/648م[٦]، من قبل والي الشام آنذاك معاوية بن أبي سفيان الذي توجّه مع بعض العرب المسلمين حتى وصلوا إلى الجزيرة وبدأ القتال بينهم وبين أهالي رودوس حتى قُتِلَ الكثير منهم، فاستطاع العرب المسلمون السيطرة عليها عنوة ودخلوها فأخذوا يجمعون الغنائم، ثم عادوا مظفرين إلى الشام، فكتب معاوية إلى الخليفة يخبره بالنصر وبسلامة العرب المسلمين، فسُر الخليفة عثمان لهذا الخبر وقسّم الغنائم على الفقراء والمحتاجين[٧]. ويبدو أن الهدف من هذه الحملة الاستطلاع لمعرفة أحوال الجزيرة ومدى أثرها على الطرق البحرية. في حين ذُكر أن الأسطول العربي الإسلامي، سار من موانئ الشام بقيادة جنادة بن أبي أمية الأزدي

١- بروكلمان. (1968م)، ص:126.

٢- ابن الأثير. (د.ت)، ج:3. ص:490؛ صايغ. (1956م)، ص:112.

٣- ابن جعفر. (1981م)، ص:351؛ الوكيل. (1995م)، ص: 148.

٤- البلاذري. (1900م)، ص:244؛ البغدادي. (1992م)، ج:2. ص:639؛ الأعظمي. (1985م)، ص:67؛ ماجد. (1966م)، ص:85.

٥- الحميري. (1975م)، ص:287.

٦- ابن الأعثم. (د.ت)، ج:2. ص:353؛ طرخان. (1966م)، ص:82؛ كيلاني. (1995م)، ص:35.

٧- ابن الأعثم. (د.ت)، ج:2. ص:353.

للسيطرة على رودوس في عام 32هـ/652م[١]، حينما جهز معاوية أسطولاً عظيماً قوامه 500سفينة، واستطاع أن يستوليَ على الجزيرة عنوة، واهتم العرب المسلمون بتدعيم تلك القاعدة البحرية الجديدة في البحر المتوسط، فبنَوا حصناً منيعاً وجددوا أفراد الحامية العربية بها من حين لآخر، حتى تبقى قوتهم وروحهم المعنوية عاليتين[٢]. مما يدل إما على تعدد الغارات على هذه الجزيرة، أو عدم وجود تاريخ ثابت يؤكد السيطرة على الجزيرة. إلا أنه لم يُذكر أن هذه الجزيرة قد تمّتِ السيطرة عليها في مثل هذا التاريخ، وإنما معظمها يذكر أنه تمّ ذلك سنة 52-53هـ/672م، حين أرسل معاوية بن أبي سفيان، جنادة بن أبي أمية الأزدي[٣]، فسيطر عليها عنوة وأنزل بها جماعة من العرب المسلمين استقروا فيها حوالي سبع سنوات، فسكنوها وزرعوا أراضيها، واتخذوا بها أموالاً ومواشيَ يرعَون حولها، فإذا أمسَوا دخلوا الحصن مع أغراضهم ومواشيهم، وكان لهم ناطور – حافظ الزرع والتمر والكرم –، يحذرهم ما في البحر وممن يريد أن يوقع الأذى والكيد بهم. كما أنهم كانوا يعترضون البيزنطيين في البحر فيقطعون سفنهم، وكان معاوية يهتم بهم ويدرّ الأرزاق والعطاء عليهم، فلما مات معاوية منع عنهم ذلك ابنه يزيد، وهذا يعني أن الأمويين سيطروا على سواحل رودوس وعلى مياهها الإقليمية، هذا جعل البيزنطيين يخافونهم ويشعرون بشدتهم وتضيقهم عليهم[٤]. إضافة لذلك فقد غنم العرب المسلمون منها الكثير من الغنائم باهظة الثمن، منها الأنقاضُ النحاسيةُ لتمثال إله الشمس[٥]، في حين يذكر آخرون أن معاوية أخذ ما يحتويه التمثال من البرونز بعد أن حطمه قائده، وحمله إلى الشام وعرضه للبيع فاشتراه يهودي من الرُّها وحمل البرونز الذي كان قد صنع منه على تسعمئة جمل[٦]. بقي هؤلاء الجنود في الجزيرة يحرسونها ويعملون فيها إلى أن كانت خلافة يزيد بن معاوية 60-63هـ/679-

---

١- Kontogiannis. (2022 A.D), P: 86.

٢- الجوهري. (2003م)، ص:26؛ Foss. (2008A.D), P:19

٣- ابن جعفر. (1981م)، ص:351؛ الزركلي. (2002م)، ج:2. ص:140؛ العسلي. (1988م)، ج:1. ص:203.

٤- صايغ. (1956م)، ص:116؛ طهبوب. (2004م)، ص:20؛ علي. (1994م)، ص:363؛ كيغي. (2003م)، ص:306.

٥- **إله الشمس:** تمثال من البرونز لإله الشمس هيليوس، ويبلغ ارتفاعه من القدم إلى الرأس ثمانين ذراعاً، ونحاسه ثلاثة أطنان، وكان عريضاً، ومكتوباً على قاعدته تمثال رودوس الضخم صنعه خارس أف ليندس، Chares of Lindus، كان موجوداً عند ميناء رودوس، ويعدّ من أحد العجائب السبع في العالم القديم. Ostrogorsky. (1968), P:116

٦- عمران. (1980م)، ص: 78؛ لويس. (د.ت)، ص: 146-91. ويبدو ان هناك مبالغة من قبل المؤرخين حول عدد الأجمال.

682م، الذي أمرهم بالرجوع إلى الشام بعد هدم حصون الجزيرة[١]. ولكن ما المسوغ الذي دفع يزيد بن معاوية ليأمر جنوده بالانسحاب من هذه الجزيرة بعد أن عُدت من أملاك الدولة الأموية. وما طبيعة هذه الغارة؟؟ أكانت فقط مجرد إغارة واكتفوا بأخذ الغنائم؟ أم إنهم استطاعوا السيطرة عليها بالكامل وتمّ وضع حامية فيها ؟؟ أم ما الذي حدث ؟؟ الإجابة عن هذه الأسئلة مُبهمة لأن المعلوماتِ عن غزو جزيرة رودوس – قليلة جداً فقد اكتفى المؤرخون فقط بذكر السنة التي تمت الغارة عليها دون تفاصيل أخرى.

ومن الجدير ذكرُهُ أنه أثناء خلافة يزيد بن معاوية ومن بعده، عدّ البحر المتوسط بحراً محايداً لم يكن بحراً أموياً ولا بيزنطياً لأن الحامياتِ العربيَّةَ الإسلاميَّةَ الأمويّة انسحبت من القواعد البرية والبحرية في أروادَ وقبرصَ ورودوس، -كما ذُكر أثناء الحديث عن كل جزيرة-، وذلك لانشغال الخليفة يزيد في محاربة ابن الزبير المطالب بالخلافة لنفسه[٢]. فبعد إخفاق العرب المسلمون في حصار القسطنطينية بين عامي 54-60هـ/ 673-679م، استفادت بيزنطة من هذا الموقف وعاودت الظهور في شرق البحر المتوسط مستغلةً ذلك السلاح المدمر وهو النار الإغريقية، فاضطر هنا يزيد إلى عقد معاهدة صلح مع البيزنطيين تعهد فيها بدفع ثلاثة آلاف دينار مع خمسين حصاناً وإطلاق سراح خمسين أسيراً كلَّ سنة[٣]. وبقيت هذه المعاهدة سارية المفعول سنواتٍ عديدةً، وبعد وفاة يزيد خلفه ابنه معاوية الثاني لمدة ثلاثة أشهر فقط، ثم خلفه مروان بن الحكم 64-66هـ/ 683-685م، الذي قضى عهده أيضاً في محاربة ابن الزبير وغيره من المنافسين له، لذلك كان الأسطول الأموي في عهد هؤلاء الخلفاء الثلاثة في حال خمول وجمود، وابتعد البحر المتوسط عن الحروب والغارات ولم يخضع

---

[١]- صايغ. (1956م)، ص:112؛ Picard. (2018), P.193

[٢]- صايغ. (1956م)، ص:117-116.

[٣]- لويس. (د.ت)، ص:91.

لسلطان أي من المتنافسين، وظل كذلك إلى منتصف حكم عبد الملك بن مروان الذي ولي سنة 66هـ/ 685م، الذي استطاع أن يجعل البحر منطقةِ نفود أموية لسنوات عدّة[١].

خامساً: معركة ذاتِ الصواري 34هـ/ 654م.

تناول العديد من الباحثين معركة ذات الصواري البحرية بالدراسة من نواحيها العسكرية والتقنية والتنظيمية، إلا أنهم لم يبينوا خصوصية هذه المعركة التي تميزت بها عن كل النشاطات البحرية الأخرى السالفة واللاحقة. فمعركة ذات الصواري كانت المعركةَ البحريةَ الوحيدة التي تقابلت فيها سفن العرب المسلمين وسفن البيزنطيين في البحر ودار بينهما قتال باستخدام الأسلحة البحرية والبرية. أما باقي المعارك البحرية فكان استخدام البحر فيها بوصفها وسيلة للعبور يصلون من خلاله إلى أرض الأعداء، ثم بعد أن تصل السفن إلى الساحل فإن المقاتلين الذين جاؤوا على ظهرها يلتقون بأعدائهم في البر باستخدام أسلحة القتال البرية. وقد كانت تستخدم السفن أحياناً لحصار الجزر أو المدن في بعض الأحيان. وعلى الرغم من أن بعض المناوشات قد حدثت بين سفن العرب المسلمين والسفن البيزنطية أثناء حصار العرب المسلمين للقسطنطينية، إلا أنها لم تكن بمستوى الصراع الذي دار بين العرب المسلمين والبيزنطيين في هذه المعركة. ومن هنا جاءت أهمية هذه المعركة في التاريخ حتى عدّت معركة بحرية فاصلة بين العرب المسلمين والبيزنطيين ونقطة تحول في تاريخ العرب المسلمين البحري وكان نتيجتها أن أصبح العرب المسلمون هم سادةَ البحر المتوسط. إلا أنّ المؤرخون اختلفوا في تحديد تاريخ ثابت لهذه المعركة[٢]. ويبدو أن الغاراتِ التي قام بها العرب المسلمون بهدف احتلال العديد من الجزر والسيطرة على سيادة البحر المتوسط، أثارت

---

[١]- صايغ. (1956م)، ص:117.

[٢]- فالبعض يذكر أنها حدثت سنة 31هـ/651م. الطبري. (د.ت)، ج:4. ص:288؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج:3. ص:380؛ والبعض الآخر يذكر أنها حدثت سنة 34هـ/654م. ابن عبد الحكم. (1961م)، ج:1. ص:255؛ الطبري. (د.ت)، ج:4. ص:288؛ ابن الاثير. (د.ت)، ج:3. ص:388؛ النويري. (2004م)، ج:19. ص:264؛ ابن كثير. (1993م)، ج:7. ص:166؛ شوسوا. (1984م)، ص:7؛ ماهر. (1967م)، ص:80.

حمـاس الدولـة البيزنطيـة وغيرتهـا نحـو البحـر، والانتبـاه لحمايـة ممتلكاتهـا البحريـة الباقيـة مـن العـرب المسـلمين، وكـان الإمبراطـور البيزنطـي قسـطنطين الثـاني يحـاول القضـاء علـى القـوة البحريـة العربيـة الإسـلامية لاسـيَّما بعـد أن حققـت انتصـاراً كبيـراً علـى القبارصـة وجعلـت مـن جزيـرتهم نقطـة متقدمـةً ومركـزاً مهمـاً لضـرب الدولـة البيزنطيـة وأسـاطيلها، هـذا فضـلاً عـن أن القسـطنطينية كانـت تعـاني مـن ظـروف الانحـلال والضـعف بعـد أن فقـدت أغنـى أقاليمهـا فـي مصـر وبـلاد الشـام، فلمـا تسـلم قسـطنطين العـرش كـان يعتقـد بـأن القـدر قـد اختـاره لإنقـاذ دولتـه مـن ضـعفها، واسـتعادة ممتلكاتهـا كافـةً، فبـادر بإعـداد الوسـائل التـي تمكنـه مـن المحافظـة علـى وحـدة بـلاده والقضـاء علـى طلائـع البحريـة العربيـة الإسـلامية[١]. هـذا مـا دفعـه للقيـام بعمليـات بحريـة جديـدة، التـي كانـت قـد توقفـت منـذ إخفاقهـا فـي معركـة الاسـكندرية عـام 20هـ/645م[٢]. إلا أن الأسـباب الرئيسـة لهـذه المعركـة غامضـة بعـض الشـي، وقـد اجتهـد معظـمَ المـؤرخين فـي ذكـر أسـبابها كـلٌّ حسـب رأيـه[٣]. وعلـى الـرغم ممـا فعلـه وكـلاء بيزنطـة[٤] إلا أن الأسـطول العربـي ظـلَّ سـليماً، وتمكـن معاويـة مـن إصـلاح كـل هـذا الخـراب وأعـدّ آلاتِ الحـرب ثانيـةً، وحشـد قـواده، ووصـلته إمـدادات مـن السـفن المصـرية، فخـرج الأسـطول العربـي المصـري والشـامي مؤلفـاً مـن مئتـي مركـبٍ قاصـداً القسـطنطينية[٥]. ولكـن أيعقـل أن معاويـة أراد مهاجمـة القسـطنطينية تلـك العاصـمة المنيعة، وذات الحصون القوية في سفن قليلة؟!

---

[١]- الجوهري. (2003م)، ص:26؛ العدوي. (1957م)، ص:36.

[٢]- لويس. (د.ت)، ص:91.

[٣]- يقـال أنّ العـرب المسـلمين لمـا سـيطروا علـى الإسـكندرية جـاء أهـالي بيزنطـة إلـى قسـطنطين الثـاني وشـاوروه فـي الأمـر وسـألوه أيعقـل أن نتـرك الإسـكندرية فـي أيـدي العـرب المسـلمين وهـي مـدينتنا الكبـرى، وبنـاءً علـى ذلـك جمـع قسـطنطين الثـاني العسـاكر وأبحـر فـي ألـف مركـب متوجهـاً نحـو الإسـكندرية لاسـترجاعها مـن العـرب المسـلمين. ابـن إيـاس. (1975م)، ج:1. ص:113؛ عبـد العلـيم. (1979م)، ص:92؛ ماجد. (1966م)، ص:85.

[٤]- فـي الوقـت الـذي أسـرع فيهـا قسـطنطين بإعـداد أسـطوله نشـط وكـلاء بيزنطـة فـي الشـام لعرقلـة اسـتعدادات العـرب البحريـة مـا اسـتطاعوا، وكـان معاويـة قـد حشـد معداتـه البحريـة فـي مدينـة طـرابلس الشـام اسـتعداداً لقيـام الحملـة البحريـة إلا أن شخصـين مسـيحيين مـن مدينـة طـرابلس مـن وكـلاء بيزنطـة أسـرعا إلـى سـجن المدينـة الـذي يحتـوي عـددٍ كبيـرٍ مـن الأسـرى البيـزنطيين، ففتحـا أبوابـه وأطلقـا سـراحهم، ثـم هـاجموا دار الحـاكم العربـي فـي طـرابلس وتـمّ قتلـه هـو وأتباعـه، ثـم أحرقـوا العـدّة والعتـاد التـي بـذل معاويـة فـي جمعهـا الكثيـر من الجهد والعناء، ثم فروا جميعاً إلى آسيا الصغرى. العدوي. (1957م)، ص:38؛ منصور. (2003م)، ص:67.

[٥]- ابن عبد الحكم. (1961م)، ج:1. ص:256؛ العبادي، سالم. (1971م)، ج:1. ص:28؛ العدوي. (1957م)، ص:38.

فـي الواقـع يـذكر أن الغـاراتِ التـي قـام بهـا العـرب المسـلمون بهـدف احـتلال الجـزر أثـارت حمـاس الدولـة البيزنطيـة وغيرتهـا نحـو البحـر، والانتبـاه لحمايـة ممتلكـاتهم البحريـة مـن العـرب المسـلمين، وهـذا دفعهـم للقيـام بعمليـات بحريـة جديـدة، لـذلك أعـدَّ الإمبراطـور قسـطنطين الثـاني عـام 34هـ/654م، أسـطولاً كبيـراً يتـراوح عـدده بـين 500 إلـى 1000سـفينة[١]، وكـان يرمـي مـن خلالهـا إلـى تحطـيم قـوى العـرب المسـلمين البحريـة فـي مهـدها[٢]. وعنـدما بلـغ عثمـان بـن عفـان رضـي الله عنـه بـذلك، كتـب إلـى معاويـة وأمـره بـأن يركـب فـي البحـر بجنـود مـن العـرب المسـلمين مـن أهـل الشـام، كمـا كتـب إلـى عبـد الله بـن أبـي سـرح يـأمره أن يركـب بأهـل مصـر وأن يقـدم عمـرو بـن العـاص لعبـد الله كـل مـا يحتاجـه مـن المـال والسـلاح[٣]. وممـا لا شـك أن السـفن التـي جهزهـا معاويـة فـي الشـام _ والتـي أخافـت الإمبراطـور قسـطنطين الثـاني وجعلتـه يتوقـع خـروج حملـة بحريـة إسـلامية ضـخمة لمهاجمـة القسـطنطينية بحـراً_ كانـت مـن بنـاء أهـل الشـام، أيّ إن نـواة الأسـطول الإسـلامي كانـت شـامية، ولكـنَّ القـوة الحاسـمة أتـت مـن مصـرَ بقيـادة عبـد الله بـن سـعد بـن أبـي سـرح، فأصـبح تعـداد الأسـطول العربـي الإسـلامي مكونـاً مـن 200 سـفينة تقريبـاً[٤]. ويقـال مـن 500 سـفينة[٥]، وبينمـا سـار معاويـة بسـفن الشـام، خرجـت الأسـاطيل المصـرية، وتوقفـا قـرب سـواحل ليكيـا Lykia[٦] عنـد موضـع يقـال لـه فـونكس Phoenx[٧]. وعنـد وصـول العـرب

---

[١]- اختلـف المؤرخـون حـول تعـداد السـفن البيزنطيـة، أمـا ابـن عبـد الحكـم فيـذكر أن عـدد سـفن البيـزنطيين بلغـت 1000 سـفينة، (1961م). ج:1. ص:256؛ أمـا الطبـري فيـذكر أن عـدد سـفنهم 500 سـفينة. (د.ت)، ج:4. ص:290؛ أمـا أنجـوس كونسـتام فيـذكر أن عدد السفن البيزنطية 500 سفينة وأن ابن عبد الحكم بالغ حين ذكر بأن عددهم 1000 سفينة.

(2015A.D), P:92

[٢]- لويس. (د.ت)، ص:91؛ ماهر. (1967م)، ص:80.

[٣]- ابن الأعثم. (د.ت)، ج:2. ص:355.

[٤]- مؤنس. (1991م)، ص:60-61؛ محمود. (1995م)، ص:39؛ شوسوا. (1984م)، ص:7؛

Konstam. (2015 A.D), P.92.

[٥]- ابن الأعثم. (د.ت)، ج:2. ص:35؛ حتي، وآخرون. (1949م)، ج:1. ص:223.

[٦]- **ليكيـا:** منطقـة سـاحلية تقـع جنـوب غـرب آسـيا الصـغرى، وتحديـداً علـى البحـر المتوسـط، تتهـر بجمالهـا الطبيعـي حيـث تضـم منـاظر خلابـة مـن الجبـال والشـواطئ والميـاه الصـافية، وكانـت ليكيـا موطنـاً لثقافـة قديمـة تعـرف باسـم الليكيـوين، وقـد تركـت آثـاراً هامـة مثـل المـدن القديمة والمعابد والأضحية. https://ar.m.wikipedia.org. 10/08/24. 10:00 AM.

[٧]- لويس. (د.ت)، ص:91؛ ماهر. (1967م)، ص:80؛ مؤنس. (1991م)، ص:61.

تبـين بعـض المراجـع أن العـرب المسـلمون اختـاروا هـذا المكـان لسـعيهم فـي الحصـول علـى مصـدر جديـد للأخشـاب الجيـدة اللازمـة لصـناعة السـفن مثـل خشـب البلـوط القاسـي، والعرعـر وغيرهـا، فـي حـين يوضـح آخـرون أن المكـان التـي دارت فيـه المعركـة وهـو سـاحل=

المسلمين هالهم منظر البحر وقد امتلأ بالسفن البيزنطية الكثيرة مقارنة بعدد سفن العرب المسلمين[١]. ولعل البيزنطيين قرروا القيام بتلك المعركة في هذا الموقع ليحولوا بين الخشب اللازم لصناعة السفن هناك وبين وقوعه بيد العرب المسلمين، وهذا يدل على أهمية الخشب في الصراع البحري بين العرب المسلمين وبيزنطة[٢]. لذا بدأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح يستشير أصحابه فيما يفعل وطرح القضية أمامهم لاتخاذ الرأي فيها فقرروا مواجهة العدو والبدء في المهاجمة [٣]. إلا أن الرياح كانت غير ملائمة مما أجبرتهم على التريث قليلاً، فلما هدأت الريح اقترح البعض أن يخرجوا لملاقاة العدو على البر أو على البحر، فوقع اختيارهم على أن تكون المعركة في البحر، وفي صبيحة اليوم التالي دارت المعركة واشترك فيها الإمبراطور قسطنطين نفسه[٤]. كان العرب المسلمون يحاربون في البحر بأسلوب حربهم نفسِهِ في البر، حيث بدأ القتال باستعمال الأقواس والسهام والحراب والحجارة، وهذا لا يتناسب مع البحر[٥]. فأدرك قسطنطينُ الثاني تفوق جنده عليهم لأن العرب المسلمين يجيدون هذا السلاح في الحروب البرية فقط ولأن ذخيرتهم سوف تنفد سريعاً، وتحقق ما رآه قسطنطين الثاني، إذِ اضطر العرب المسلمون إلى استبدال الحجارة بالأقواس والرماح التي نفدت وأخذ يقذف العدو بها، وهنا أيقن الإمبراطور مرة أخرى أن الفوز حليف أسطوله لذا أخذ يماطل ويراوغ لإنهاك قُواهم. إلا أن العرب المسلمين أدركوا بحنكتهم ما يرمي إليه الإمبراطور فربطوا سفنهم بعضَها ببعض بسلاسلَ ثقيلةٍ فاستحال على أعدائهم اختراق صفوفهم، وقذفوا خطاطيفَ طويلةً في البحر، جذبوا بها سفن البيزنطيين إليهم، ثم اتخذوا من ظهور السفن المتلاحمة ميادينَ قتالٍ أشبهَ بميادين البر. وحين وصلت أنباء تلك

=الأناضول الذي يزدحم بغابات السرو الكثيفة. وأطلق على هذه المعركة ذات الصواري، نسبة إلى كثرة صواري السفن التي استعملت فيها. فلم يكن السفن التي تدار بالبخار، أو الفحم، أو البترول أو الطاقة النووية تُعرف آنذاك، وإنما كانت السفن تعتمد في حركتها على الأشرعة التي تحملها الصواري المثبتة في تلك السفن. العبادي، سالم. (1971م)، ج:1. ص:29؛ الجوهري. (2003م)، ص:26؛ رستم. (1955م)، ج:1. ص:256؛ فروخ. (1958م)، ص:79؛ ماجد. (1966م)، ص:86.

[١]- الطبري. (د.ت)، ج:4. ص:290.

[٢]- لويس. (د.ت)، ص:92.

[٣]- الجنزوري. (1985م)، ص:40.

[٤]- دحلان. (1968م)، ج:1. ص:152؛ عثمان. (1966م)، ج:2. ص:338؛ مؤنس. (1991م)، ص:61.

[٥]- عثمان. (1966م)، ج:2. ص:337؛ مؤنس. (1991م)، ص:47؛ Konstam. (2015 A.D), P.92

الخُطــة الجديــدة إلــى الإمبراطــور قســطنطين الثــاني أدرك إخفــاق حملتــه وأن الهزيمــة لا شــك محيطــة بجنـده[١]. وهـذا يـدل علـى أن البيـزنطيين عمومـاً وحفيـد هرقـل خصوصـاً، أدركـوا تمامـاً إيمـان العـرب المسـلمين وجهـادهم وصـبرهم وعـزيمتهم وقـدرتهم القتاليـة وحنكـتهم وسـرعة البديهـة فـي قلـب أي موقـف لصـالحهم فـي المعركـة. وبالكـاد وثـب العـرب المسـلمون علـى البيـزنطيين بالسـيوف والخنـاجر وأعملـوا فـيهم القتـل واشـتد الصـراع وكثـر القتلـى بـين صـفوف الفـريقين[٢]. وسـرعان مـا امـتلأ البحـر بالـدماء البيزنطيـة[٣]، مـا يـدل حقـاً علـى مـدى الخسـائر التـي تعرضـت لهـا بيزنطـة فـي هـذه الحـرب. كمـا وصـف أحـد الرجـال الـذين شـاركوا فـي هـذه المعركـة قـائلاً: "رجعـتِ الـدماءُ إلـى السـاحلِ تضـرِبُها الأمـواج، وطرحـت الأمـواجُ جثـث الرجـال وغلـب لـون الـدم علـى المـاء"[٤]. تـابع العـرب المسـلمون قتـالهم ونسَـوا مخـاوفهم واسـتمروا فـي المهاجمـة والـدفاع عـن أنفسـهم فضـلاً عـن متابعـة البيـزنطيين أيضـاً لقتـالهم ومحاولـة الـدفاع عـن قائـدهم [٥]. الأمـر الـذي انتهـى بكارثـة بالنسـبة للبيـزنطيين ونجـا إمبراطـورهم قسـطنطين الثـاني مـن المـوت وكـاد يقـع أسـيراً فـي قبضـة العـرب المسـلمين، لـولا تنكـره وذلـك باسـتبدال ملابـس ابـن أحـد ضـاربي الطبـول أو مـا يسـمى بعـازف البـوق Buccinator بملابسـه[٦]، وأنقـذ الإمبراطـور حياتـه بصـعوبة بعـد أن أصـيب بجـروح كثيـرة فهـرب مـن المعركـة بفضـل إحـدى سـفنه السـريعة إلـى جزيـرة صـقلية[٧]، متخـذاً منهـا مقـراً لمواجهـة الخطر الأموي، تاركاً جنوده فريسة في أيدي العرب المسلمين[٨].

وعُـدّ هـذا الانتصـار أول انتصـار للعـرب المسـلمين فـي معركـة بحريـة وهزيمـة سـاحقة لأسـطول البيـزنطيين، هـذا الانتصـار مكّـن العـرب المسـلمين مـن السـيطرة علـى حـوض البحـر المتوسـط الشـرقي

---

[١]- ابن عبد الحكم. (1961م)، ج:1. ص:256-257؛ الطبري. (د.ت)، ج:4. ص:288؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج:3. ص:381.

[٢]- ابن الأثير. (د.ت)، ج:3. ص:380.

[٣]-Konstam. (2015 A.D), P.94.

[٤]- الطبري. (د.ت)، ج:4. ص:288.

[٥]- ابن عبد الحكم. (1961م)، ج:1. ص:257؛ الجوهري. (2003م)، ص:27.

[٦]- Konstam. (2015 A.D), P.95; Ostrogorsky. (1968 A.D), P.116.

[٧]- **صقلية:** ضبطها ياقوت الحموي، بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضاً مشددة، والبعض يكتبها بالسين أي سقلية. وسيأتي على ذكرها بالتفصيل ص:69. (1977م)، ج:3. ص:416.

[٨]- الجوهري. (2003م)، ص:28؛ صايغ. (1956م)، ص:104؛ عبد الله. (1990م)، ص:71؛ ماجد. (1966م)، ص:86.

والتفوق على البيزنطيين وأخذ السيادة البحرية من بين أيديهم. حيث تعد هذه المعركة حداً فاصلاً في تاريخ البحر المتوسط، الذي أصبح بحيرة عربية إسلامية[١]. ذلك أن قسطنطين الثاني كان يريد تحطيم قوة العرب المسلمين البحريةِ في مهدها قبل أن تشتدَ وتصبحَ خطراً على دولته، ولو أنه وُفق في ذلك لبقيت سيادة البحر المتوسط أو القسم الشرقي على الأقل في يد البيزنطيين دون العرب المسلمين[٢]. فبعد هذا الانتصار الساحق للعرب المسلمين على البيزنطيين، أدرك قسطنطين الثاني أن إعداد أيّ حملات برية أو بحرية لاسترداد بلاد الشام ومصر مجهود ضائع نتيجته الإخفاق، ومحاولات فات أوانها. ورأى أنه من الأجدى أن ينظم دولته وسياستها على أساس الأمر الواقع للاحتفاظ بالبقية الباقية من ممتلكاتها، ويعملَ على تقوية أداتها الحربية لصد هجوم العرب المسلمين الذي أخذ يتطلع إلى العاصمة القسطنطينية نفسِها[٣]. على الرغم من انتصار العرب المسلمين انتصاراً بحرياً عظيماً، إلا أنها أضعفت الطرفين، أسطولاً وجيشاً وميزانية، بالرغم من أن خسارة الأمويين أقلُ من خسارة البيزنطيين، وقد أثبت الأسطول العربي الإسلامي قدرته البحرية على مجابهة قوة الأسطول البيزنطي، إلا أن هذا الانتصار يعدّ آخر العمليات البحرية التي استمرت أكثر من عشر سنوات بين الطرفين، حيث توقف العرب المسلمون بعد هذا النجاح ولم يستغلوا نتائج النصر التي أحرزوه ويفيدوا منها، ولم يحاولِ البيزنطيون أيضاً معاودة نشاطهم البحري[٤]. فعلى الجانب الإسلامي، تلا هذه المعركة مقتل الخليفة عثمان بن عفان 35هـ/655م رضي الله عنه، ومن ثَمَّ بدأت الخلافات الداخلية بين علي بنِ أبي طالب رضي الله عنه ومعاويةَ بنِ أبي سفيان، وهذا منح البيزنطيين فرصة للتنفس وضبط أمورهم[٥]. الأمر الذي استغرق أكثر من عشر سنوات إلى أن استقرتِ الخلافة في الشام، وتسلّم معاويةُ الخلافة 40-60هـ/660-679م، حتى أصبح في ذلك الوقت في حال يسمح له بتجديد

---

[١]- الجوهري. (2003م)، ص:28؛ محمود. (1995م)، ص:39.

[٢]- عثمان. (1966م)، ج:2. ص:338.

[٣]- الشيخ. (1994م)، ص:96؛ العدوي. (1951م)، ص:54.

[٤]- صايغ. (1956م)، ص:106-107.

[٥]- العدوي. (1951م)، ص:55؛ Browning. (1980A.D), P:50.

نشاطه ضد البيزنطيين، هذه المدة حالت دون اهتمام معاويةَ بتسجيل انتصارات بحرية أخرى ضد البيزنطيين واستغلال ضعفهم واستغلال هذا الانتصار أيضاً بتثبيت سيطرته على البحر، كما أنه لم يفكر في ترميم ما خُرّب من الأسطول والعمل على بناء سفن وتجهيز عتاد وعدّة جديدة، وتدريب بحارة جدد بدلاً من الذين استشهدوا[١]. أما على الجانب البيزنطي، فقد انتهز قسطنطينُ الثاني توقف العلاقات الحربية بين دولته والدولة العربية الإسلامية على إثر انشغالهم بمشكلاتهم الداخلية، فبعث إلى جبال الساحل الشامي بضعة آلاف من المردة[٢]، يُغيِرونَ منها على الحواضر والأرياف فيهددون سيادة العرب المسلمين في بلاد الشام وينشرون الفساد في البلاد، وقد نجح الإمبراطور في ذلك بهدف تخفيف ضغط الهجوم العربي الإسلامي على عاصمته[٣]، فاضطر معاويةُ لتخفيف الضغط عليه جراء أعمال المردة، لئن يعقد معاهدة مع إمبراطور بيزنطة، ويدفع بموجبها مبلغاً من المال له كل سنةٍ شرط أن يقطعَ قسطنطينُ الثاني الإعانةَ عن المردة[٤]. بالمقابل سيُلاحظ أن البيزنطيين استغلوا انشغال الأمويين بهذه الخلافات وعملوا على إعادة تقوية أسطولهم من جديد وتوجيه ضربات نحو السواحل العربية الإسلامية في الصفحات المقبلة. على الرغم مما واجهته القسطنطينية من الاضطرابات التي سادتِ البلقان وباقي الممتلكات في الغرب، وكذلك الخلافات الدينية بين القسطنطينية والأقاليم الغربية، وفقدان البيزنطيين قدراً كبيراً من سمعتهم إزاء انتصارات العرب المسلمين البحرية عليهم، كل ذلك جعل قسطنطين الثاني يترك ولو مؤقتاً الصراع مع العرب المسلمين

---

[١]- صايغ. (1956م)، ص:106.

[٢]- **المردة:** يطلق عليهم أيضاً الجراجمة، وهم من مدينة على جبل اللكام يقال لها الجرجومة، وعظمت مكانتهم أيام استيلاء البيزنطيين على الشام وانطاكية، وعندما غزا حبيب بن مسلمة الفهري الجرجومة لم يقاتله أهلها بل طلبوا الصلح والأمان، فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للعرب المسلمين وعيوناً لهم في جبل اللكام وأن لا يؤخذوا بالجزية، وأن ينقلوا أسلاب من يقتلون من عدو العرب المسلمين إذا حضروا معهم حرباً في مغازيهم، فأطلق عليهم الروايف لأنهم تبعوهم وليسوا منهم، ويقال أنهم جاؤوا بهم إلى عسكر المسلمين وهم أرداف لهم فسموا روايف، فقد كانوا يقفون إلى جانب الولاة تارة وضدهم تارة أخرى، فيكاتبون البيزنطيين ويساعدونهم، على الرغم من معاهدتهم للعرب المسلمين، لذا ازداد خطرهم على الدولة العربية الإسلامية. لذلك يُلاحظ أن بعض الخلفاء عقدوا معاهدة مع البيزنطيين بشأنهم ليأمنوا جانبهم على الأقل ولينتهوا من مشكلاتهم الداخلية. البلاذري. (1900م)، ص:166.

[٣]- Foss. (2008 A.D), P:38.

[٤]- البلاذري. (1900م)، ص:168؛ الشيخ. (1994م)، ص:97؛ رستم. (1955م)، ج:1. ص:260.

ويتفرغ لتشديد قبضته على الجانب الغربي، ولحلِّ كل هذه المشكلات والاضطرابات في دولته، إلا أنه رغم ذلك وجّه بعض الغارات البحرية التي لم تسفر عن أيّ نتائج فعالة[١]. وعمد إلى تدعيم إمبراطوريته، ورأى أن ينقل مقر حكمه من القسطنطينية إلى صقلية حيث يستطيع من هذا المقر الذي يربط الدولة البيزنطية ببقية أملاكه في شمال أفريقية، وأن يصد الغزو العربي الإسلامي المتدفق من مصرَ عن هذه البقية ويحفظَ ممتلكاته في الغرب [٢].

سادساً: محاولات فتح جزيرة كريت Crete (اقريطش Ikritish) 54هـ/673م.

تعد جزيرة كريت[٣] إحدى أربع جزر كبرى – صقلية، سردينيا[٤]، قبرص – في البحر المتوسط، وهي تتمتع بموقع استراتيجي مهم أكسبها مكانة متميزة بين سائر الجزر اليونانية فإن قربها من القارات الثلاث آسيا وإفريقية وأوروبا، جعلها مركز التقاء الحضارات المختلفة لشعوب هذه القارات، كما جعلها مستودعاً تجارياً مهماً[٥]. إذ تنبّه العرب المسلمون إلى موقعها الاستراتيجي في وقت مبكر لكونها تتحكم في الممرات المائية إلى بحر إيجة وسواحل آسيا ومقدونيا Macedonia[٦]، كما تجاور عدداً لا يحصى من جزر بحر إيجة مثل رودوس وخيوس chios ولنوس linus وغيرها، التي تشكل

---

[١] – عمران. (2000م)، ص:81.

[٢] – العدوي. (1951م)، ص:55؛ عطا. (2006م)، ص:48؛

Kontogiannis. (2022A.D), P: 86

[٣] – **كريت:** جزيرة في البحر المتوسط الشرقي، وهي قديمة جداً كثيرة الخصب فيها العديد من المدن والقرى، وسبب تسميتها اقريطش نسبة إلى أول رجل عمّرها يقال له قراطي، وتسمى أيضاً اقريطش البتربلش وتعني مائة مدينة، ويبدو أن هذه التسمية جاءت نتيجة كثرة المدن والقرى فيها. الحموي. (1977م)، ج:1. ص:236؛ القلقشندي. (1915م)، ج:5. ص:371؛ الحميري. (1975م)، ص:50.

[٤] - **سردينيا:** سيتم التعريف عنها بشكل مفصل في ص: 82.

[٥] – غنيم. (1983م)، ص:34–35.

[٦] – **مقدونيا:** تقع بين تراقيا وإيبروس، عاصمتها الأولى تدعى تسالونيكي، والثانية تدعى ستوبي، تم احتلالها من قبل السلاف في أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادي، وأنشئت فيها وحدات إدارية عديدة. ويقال أنها ناحية كان فيها الإسكندر الرومي وهي متصلة بالبحر المتوسط، وتعد جمهورية مقدونيا حالياً إحدى جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي السابق، أعلنت استقلالها عام 1991م، بعد انهيار هذا الاتحاد، وتتحدث اللغة المقدونية، وعملتها الدينار المقدوني، وعاصمتها سكوبي. للمزيد ينظر: مجهول. (1999م)، ص:137؛ عبد الكافي. (2005م)، ص:253؛

Kazhdan. and other. (1991 A.D), V2. P:1261.

خطاً دفاعياً أمامياً لسواحل الإمبراطورية البيزنطية المطلة على بحر إيجة وبحر مرمرة، ولهذا السبب يتيسر لفاتحي هذه الجزيرة تهديد الإمبراطورية البيزنطية تهديداً مباشراً[١]. لذلك كان موقعها هذا من أهم الدوافع التي جعلت العرب المسلمين يرغبون في السيطرة عليها، ولنشر الدين الإسلامي بين سكانها، فضلاً عن ذلك فإنهم أرادوا تحرير هذه الجزيرة من السيطرة البيزنطية[٢]. فضلاً عن أن جزيرة كريت، عامرة وغنية بالأشجار التي يمكن أن يستفيد منها العرب المسلمين في بناء الأساطيل[٣]. كما أنها غنية بأراضيها الخصبة الممتدة على السهول الساحلية في شمال الجزيرة[٤]. فقد تنبه معاوية بن أبي سفيان إلى أهمية هذه الجزيرة، فأراد أن يقطع كل السبل والطرق على البيزنطيين من خلال الاستيلاء عليها لسد منافذ بحر إيجة الرئيسة في وجه البيزنطيين[٥]. لذلك أرسل إليها حملة بحرية بقيادة جنادة بن أبي أمية سنة 54هـ/673م[٦]، إلا أنها باءت بالإخفاق، حيث أغرق البيزنطيون بعض سفن الأسطول العربي الإسلامي، واستولوا على بعض السفن الحربية الأخرى، أما الباقي فقد أسرع بالفرار، فقد كانت كريت جزيرة ضخمة يصعب على الأسطول العربي الإسلامي والقوى البحرية الناشئة السيطرة عليها[٧]. لذلك اكتفى العرب المسلمون بشن غارات هجومية عليها للبطش بالبيزنطيين وإلحاق الأذى بهم وبأساطيلهم، كما اكتفى بما حققه من مكاسب في تلك الغارة، فلم يستقروا فيها بل عاد بأسطوله إلى قواعده في بلاد الشام[٨]. ومما لا شك فيه أن هذه الانتصارات كلها في السيطرة على الجزر زادت من قوة العرب المسلمين ورغبتهم في التوسع وبسط النفوذ العربي الإسلامي إلى أكبر حد ممكن. وبقيت هذه الجزيرة هكذا ولم يتم السيطرة عليها إلا في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك 86-

---

[١]- بركات. (1995م)، ص:193.

[٢]- الجنابي. (2002م)، ص:78.

[٣]- Magdalion, and other. (2016), P:119.

[٤]- الحميري. (1975م)، ص:51، القلقشندي. (1915م)، ج:5. ص:371.

[٥]- منصور. (2003م)، ص:66.

[٦]- البلاذري. (1900م)، ص:244؛ دحلان. (1968م)، ج:1. ص: 108؛ غنيم. (1983م)، ص:45. بينما يذكر آخرون أن محاولة غزوها كانت سنة 55هـ/674م. طرخان. (1966م)، ص:84.

[٧]- الوكيل. (1995م)، ص:147-148؛ العدوي. (1957م)، ص:35.

[٨]- ابن جعفر. (1981م)، ص:351؛ منصور. (2003م)، ص:66.

96هـ/705-714م الذي وجّه حملة بحرية ضدها فسيطر العرب المسلمون على بعض أجزاء منها ثم انصرفوا عنها[١]، إلا أن المصادر والمراجع لم تحدد تاريخها.

ويستخلص من ذلك قيام معاوية بن أبي سفيان، بمساعدة عبد الله بن أبي سرح في إنشاء الأسطول العربي الإسلامي وتوجيه الحملات نحو جزر البحر المتوسط، ونجاحه في الاستيلاء عليها وقدرة العرب المسلمين ومهارتهم في تحقيق أي هدف يطمحون إليه، وممارستهم ركوب البحر وكأنهم متمرسين فيه منذ آلاف السنين.

[١]- غنيم. (1983م)، ص:45. ذكرت أنها في عهد الوليد بن عبد الملك دون تحديد عام السيطرة عليها.

الفصل الثاني:

النزاع بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية في غرب البحر المتوسط 32-130هـ/652-747م.

أولاً: غزو جزيرة صقلية Sicily 32هـ/652م.

ثانياً: فتح جزيرة جربة Girba 47هـ/667م.

ثالثاً: فتح جزر البليار Balearis 89هـ/707م.

رابعاً: محاولات فتح جزيرة سردينيا Sardinia 84-119هـ/703-737م.

خامساً: فتح جزيرة قوصرة Qusra 88-130هـ/706-747م.

حمل الأمويون راية الجهاد ضد البيزنطيين في كل مكان وتعقبوهم في كل بقعة يمكن أن تتخذ قاعدة يهاجمون منها أرض العرب المسلمين، وكانت الجبهة الجديدة التي اتجه إليها الأمويون هي المغرب فقد شرع العرب المسلمون في غزوها منذ 21هـ/641م، في ولاية عمرو بن العاص على مصر، وذلك من أجل تأمين حدود مصر الغربية والاستمرار في نشر الإسلام في شمال إفريقية التي آلت إلى الإمبراطورية البيزنطية بعد انهيار الدولة الرومانية، وقد اشتملت على الساحل الممتد من برقة إلى طنجة، حيث اعتمدت السلطات البيزنطية على موارد الغلال في هذه البلاد لتموين رعاياها في العاصمة، فضلاً عن أخذ أخشابها لبناء أساطيلها. وهذا ما يوضح أهمية الدور الذي قام به الأمويين لانتزاع هذه الأراضي من البيزنطيين وتقليل مجهوداتهم على الحدود الشرقية في آسيا الصغرى[١].

سارت خطوات البحرية العربية الإسلامية في غرب البحر المتوسط في طريق مماثل لنشأة النشاط البحري العربي في الشطر الشرقي من هذا البحر[٢]، وذلك أن أحداث الفتح العربي الإسلامي لشمال إفريقية الذي بدأ بعد الاستيلاء على مصر، حمل العرب المسلمون على بناء أسطول لهم في مياه المغرب ساعدهم على إتمام مشاريعهم وتأمين فتوحاتهم وفتح جزر غرب البحر المتوسط، وكانت بلاد شمال إفريقية تابعة للبيزنطيين الذين عمدوا إلى التشبث بالدفاع عن هذا الجزء من ممتلكاتهم ليكون عوضاً لهم عمّا فقدوه من ولايات في شرق البحر المتوسط، وكان الإمبراطور قسطنطين الثاني هو صاحب تلك السياسة الجديدة بعد هروبه من معركة ذات الصواري، فبينما شغلت الدولة العربية الإسلامية بفتنة مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، وما تلاها من صراع بين الخليفة علي ومعاوية، فكر الإمبراطور بتوجيه اهتمامه نحو شمال إفريقية، بعد أن أدرك قوة الأسطول العربي الإسلامي وأن العرب المسلمين أصبحوا ذات قوة رهيبة في مجال البحر، وأن يؤسس قاعدة بحرية جديدة للبيزنطيين بعيدة عن بطش الأسطول العربي الإسلامي الفتي، وتكون وسيلة في المستقبل لكسر شوكة العرب المسلمين[٣].

---

[١]- العدوي. (1953م)، ص:193.

[٢]- مع التنويه أن الحوادث في شرق البحر المتوسط كانت أوسع وعلى أوجها أكثر منه في غرب البحر المتوسط فضلاً عن الجزر الأكثر والحملات المتعددة. لذا فإن الفصل الأول مع مقدمات البحرية العربية الإسلامية ونشوئها، أخذ مساحةً وعدداً أكبرَ من الفصل الثاني.

[٣]- عطا. (2006م)، ص:48؛ Nicolle. (2009A.D), P:57

بدأ قسطنطين الثاني بتنفيذ سياسته البحرية الجديدة والعمل على تدعيم أساطيله في شمال إفريقية واستهل نشاطه البحري الجديد من عاصمته سرقوسة في صقلية[١]، حيث بعث أساطيله منها لتغير على القوات العربية الإسلامية التي وصلت إلى تونس[٢]، ونجح في استرداد بعض الأقاليم التي فتحها العرب المسلمون في برقة وتونس، كما حصن مدن شمال إفريقية المهمة مثل قرطاجة، وزاد عدد السفن الحربية فيها، إلا أن مشاريع قسطنطين لم يكتب لها الاكتمال فقد اغتيل في سرقوسة[٣] سنة 68هـ/687م، وماتت معه مشاريعه [٤]. إلا أن موته لم يؤثر في سياسة البيزنطيين البحرية في غرب البحر المتوسط، إذ أصبحت أساطيلهم تقف بالمرصاد للفتوحات العربية الإسلامية التي وجهت نشاطها إلى عمق آسيا الوسطى وشمال إفريقية بعد تولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة 40هـ/660م، ففتحت العديد من المناطق والجزر في عهده[٥].

أولاً: غزو جزيرة صقلية Sicily 32هـ/652م.

تعد جزيرة صقلية sicily، إحدى أهم وأكبر جزر البحر المتوسط، تقع بين ساحل إيطاليا الجنوبي وبين الساحل الفرنسي القريب منها جنوباً[٦]. وهي على شكل مثلث متساوي الساقين[٧]. كما عرفت صقلية بمناخها المعتدل، وجمال طبيعتها وكثرة خيراتها من الفواكه والتوابل والمواشي والمعادن كالذهب والفضة والنحاس وغيرها[٨].

١- Pireen. (1957A.D), P: 153.

٢- **تونس**: مدينة كبيرة في إفريقية على ساحل البحر المتوسط، وكان يطلق عليها قديماً اسم ترشيش. وسميت تونس، لأن العرب المسلمين لما وصلوا إفريقية نزلوا بالقرب من صومعة ترتيش، وكانوا يسمعون أصوات بعض الرهبان طوال الليل في صلواتهم فيأنسون بها فقالوا: هذه البقعة تؤنس فلازمها هذا الاسم. وقد أسست هذه المدينة في عهد والي المغرب حسان بن النعمان الغساني الذي أدرك ضرورة بناء مدينة بحرية لوضع حد لمحاولات البيزنطيين، لذا فكر في إنشاء ميناءٍ وقاعدةٍ جديدةٍ في إفريقية لتحل محل قاعدة قرطاجة البحرية واستعان بالبربر لنقل الأخشب المطلوبة، كذلك استعان بعائلات قبطية، وتم تجديدها في عهد عبيد الله بن الحبحاب، وبطبيعة الحال عندما قام الحكم الأغلبي في إفريقية زاد الاهتمام أكثر في دار الصناعة في تونس، وأصبحوا سادة البحر المتوسط، وبإمكانهم التحكم فيه. للمزيد ينظر: ابن حوقل. (1992م)، ص: 75؛ البكري. (1857م)، ص: 38؛ الإدريسي. (1957م)، ص: 81؛ الحموي. (1977م)، ج:2. ص: 60؛ الحميري. (1975م)، ص: 143؛ ابن أبي دينار. (1966م)، ص:12-33؛ خطاب. (1984م)، ج:1. ص: 290؛ عبد الحميد. (1993م)، ج:1. ص: 246.

٣- **سرقوسة**: تعرف أيضاً بسيراكوز وهي أعظم مدينة في صقلية. الحموي. (1977م)، ج:3. ص:214.

٤- العدوي. (1957م)، ص:67؛ العريني. (1965م)، ص: 148.

٥- Foss. (2008A.D), P: 38.

٦- حلاق. (1989م)، ص:339.

٧- ابن حوقل. (1992م)، ص:113.

٨- الحموي. (1977م)، ج:3. ص:417.

ويعد مركز صقلية البحري المهم من العوامل التي جعلتها مطمعاً لكل القوى السياسية التي تصارعت في حوض البحر المتوسط على مر التاريخ، ابتداءً من تاريخ الفينيقيين والإغريق والرومان والقوط Coths[١] والبيزنطيين ثم العرب المسلمين، وكان لهذه القوى أثر كبير في سير الحوادث وفق مراحل، وما يهم الآن مرحلة السيطرة العربية الإسلامية. فالأسطول العربي الإسلامي قام بنشاطه البحري مبكراً، وسار العرب المسلمون في أعمالهم البحرية وفق سياسة واضحة تهدف أولاً إلى حماية ممتلكاتهم، ثم إبعاد البيزنطيون عن أي مكان تتجمع فيه أساطيلهم لمهاجمة الأراضي العربية الإسلامية. وكانت آية هذا التفكير العربي الإسلامي السديد هو اتجاه الأسطول العربي الإسلامي للهجوم على جزيرة صقلية، إذ يبدو أن هذه الجزيرة بعيدة كل البعد عن أن تكون في موضع خطر مباشر على إقليم بلاد الشام ومصر، ولكن مجريات الحوادث دلّت على أن صقلية غدت قاعدة لأساطيل البيزنطيين التي انسحبت من قواعدها في بلاد الشام ومصر بعد السيطرة العربية الإسلامية لهما، ومركزاً تهجم منه على العرب المسلمين بحيث تشل التعاون البحري بين أساطيلهم في مصر وبلاد الشام[٢]. كما استمدت جزيرة صقلية بفضل موقعها الاستراتيجي كل إمداد ومعونة من الولايات البيزنطية البعيدة عن متناول الأسطول العربي الإسلامي في تلك المدة، وغدت المعقل الذي يمكنه من الصمود تماماً أمام الغزو العربي الإسلامي إذ ما تجدد مرة أخرى، وأعظم قاعدة لأسطول بيزنطة في شرق البحر المتوسط، وتعدّ مصر أول من أدرك خطورة التجمعات البيزنطية وأساطيلهم في صقلية، لذا تكاتفت مع الأسطول العربي الإسلامي الشامي على عرقلة تلك الاستعدادات البيزنطية، ولشن هجوم على تلك الجزيرة لتقليم أظافر البيزنطيين وبث الرعب في صفوفهم ونفوسهم[٣]. وبالكاد اتجهت الحملة العربية الإسلامية من الشام نحو جزيرة صقلية تؤازرها القوات البحرية المصرية في عام 32هـ/652م[٤]، حيث كانت الحملة

١- **القوط:** قبائل بربرية جرمانية انتشروا منذ القدم في اسكندنافية فوق رقعة من العالم الروماني، ولقد انقسم هؤلاء القوط إلى فرعين شرقيين وغربيين، أما القوط الشرقيين فلقد أسسوا إمبراطورية واسعة في مدينة تسمى روس Rus أو أرض روس، وتعرف اليوم بأوكرانيا، وانتهت على يد قبائل الهون سنة 370م، أما القوط الغربيين، وحين ضعفت الإمبراطورية الرومانية نهبوا عاصمتها روما سنة 410م، وامتد ملكهم إلى بلاد الغال وشبه الجزيرة الإيبيرية، وقد أنشأ هؤلاء دولة إقليمية بجيش منظم في إسبانيا القوطية، تأثروا بالإمبراطورية البيزنطية ودخل عدد كبير منهم في خدمة الجيش البيزنطي. . Maurice. (1984), P:172; Nicolle. (2009), P:46

٢- العدوي. (1957م)، ص:31-30؛ الوكيل. (1995م)، ص:147.

٣- العدوي. (1953م)، ص:89.

٤- حتي، وآخرون. (1949م)، ج:1. ص:224؛ صايغ. (1956م)، ص:101؛ الوكيل. (1995م)، ص:147.=

بقيادة معاوية بن حديج الكندي[١] الذي اشتهر بجرأته وشجاعته[٢] بتَعدادٍ بلغ 200سفينة، فغنموا منها وعادوا[٣]. نزلت الحملةُ على الشاطئ ومعها المجانيق والعرادات[٤]، وأعملت التدمير في الحصون الساحلية في الجزيرة، ثم اشتبكت القوات العربية الإسلامية مع البيزنطيين في معركة دامت طوال النهار، ما دفعَ الحامياتِ إلى الانسحاب إلى داخل الجزيرة، فتابع العرب المسلمون انتصاراتهم بالإغارة ليلاً على القرى والمدن القريبة من السواحل، وعلى الرغم من عدم قدرة العرب المسلمين على اقتحام الجزيرة وفتحها بالكامل إلا أنهم أحرزوا نصراً جزئياً على القوات البيزنطية وعادوا مظفرين إلى الشام ببعض الغنائم[٥]. في حين يذكر البلاذري أن عبد الله بن قيس بن مخلد الفزاري عندما سبى صقلية، وعلى الأرجح أنها حملة أخرى توجهت نحو صقلية بعد حملة معاوية بن حديج، أصاب منها أصناماً من الذهب والفضة مكللة بالجواهر، فبعث بها إلى معاوية بنِ أبي سفيان، فوجه بها معاوية إلى البصرة لتُحملَ إلى الهند وتباع هناك ويَحصُلَ على ثمنها[٦].

=كما لا يوجد تاريخ دقيق تم الاتفاق عليه حول أول حملة تم توجيهها إلى صقلية، فالنويري يذكر أن أول من غزا صقلية عبد الله بن قيس الفزازي من قبل معاوية بن حديج، في خلافة معاوية بن أبي سفيان. إلا أنه لم يحدد العام. (2004م)، ج:24. ص:194. ويذكر آخرون أن أول حملة عربية إسلامية لجزيرة صقلية سنة 36هـ/656م، حيث خرجت حملة مكونة من مئتي سفينة من شواطئ بلاد الشام، بقيادة معاوية بن حديج. محمود. (1995م)، ص:40؛ كيلاني. (1995م)، ص:37. ويذكر فتحي عثمان، أن معاوية استكمل الحملات العربية الإسلامية والغارات على الجزر، بعد وفاة قسطنطين الثاني، واستهدفت في السنوات التالية السيطرة على شواطئ المتوسط بالإغارة على صقلية وشمالي إفريقية، ويتفق معه في ذلك حسان حلاق أن معاوية بن أبي سفيان هاجمها مرتين المرة الأولى عندما كان والي الشام زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه عام 29هـ/650م، والمرة الثانية عندما أصبح خليفة عام 50هـ/670م، من بلاد المغرب، وتتسم بأن هذه الحملات لم تكن منظمة أو قوية. (1966م)، ج:2. ص:339. (1989م)، ص:340؛ وكذلك يورد أنيس صايغ، أن أولى الحملات التي توجهت نحو جزيرة صقلية كانت سنة 47هـ/667م، بقيادة معاوية بن حديج. (1956م)، ص:115-114.

[١]- **معاوية بن حديج الكندي**: بن شرحبيل بن أخضر الكندي، من أصحاب رسول الله ﷺ ولي إمارة مصر وإفريقية من قبل معاوية ابن أبي سفيان. للمزيد ينظر: ابن حبيب. (د.ت)، ص:252؛ الكندي. (1908م)، ص:89؛ ابن جعفر. (1981م)، ص:351.

[٢]- البلاذري. (1900م)، ص:244؛ أحمد. (1980م)، ص:8.

[٣]- لويس. (د.ت)، ص:91.

[٤]- **العرادات:** أصغر من المنجنيق يرمي بها النفط المشتعل على الأعداء وتوضع في الحراقة. الحموي. (1945م)، ص:34-66.

[٥]- منصور. (2003م)، ص:64؛ الوكيل. (1995م)، ص:147.

[٦]- (1900م)، ص:244.

ثانياً: فتح جزيرة جربة Girba 47هـ/667م.

تعد جربة جزيرة في المغرب من ناحية إفريقية قرب قابس معظم سكانها من البربر[١]، طولها ستون ميلاً تقريباً، وعرضها من ناحية الغرب عشرون ميلاً، ومن الشرق خمسة عشر ميلاً[٢]. اشتهرت بكثرة البساتين وأشجار التين والنخل والزيتون والعنب، كما اشتهرت بالنسيج وعمل الصوف[٣]. وهي تبدو على شكل سداسي غيرِ متنظمِ الأضلاع، سميت بهذا الاسم نسبة إلى أول قبيلة سكنت فيها وتدعى قبيلة جربة[٤]. وتعد من أعظم الجزائر وأكثرها خطراً[٥]، إذ إن لموقع جربة على طريق خليج قابس وتوسطَها بين إفريقية وليبيا الأثر الأكبر في لفت أنظار الدول البحرية إليها فهي صالحة لتكون مركزاً تجارياً يمون القبائل الساكنة على سواحل إفريقية، ومركزاً حربياً مهماً لتموين السفن الغازية لتلك السواحل، ثم تنبه الرومان إلى أهميتها في امتلاكهم لإفريقية فنقلوا إليها عمارتهم وبنَوا فيها حصوناً للحراسة، بعد ذلك سيطر عليها الوندال – الفاندال Vandal–[٦]، ثم البيزنطيون إلى مجيء الفتح العربي الإسلامي، ويبدو أن العرب المسلمين تنبهوا أيضاً إلى أهمية هذه الجزيرة وبدؤوا بالتفكير في السيطرة عليها ليأمنوا

---

[١]– البكري. (1857م)، ص:19؛ البغدادي. (1992م)، ج:1. ص:323.

البربر: قبائل وأمم متعددة تنسب كل قبيلة إلى المكان التي تقيم فيه، اختلف في أصلهم ونسبهم، قيل إنهم من بقية قوم جالوت لما قتله طالوت هربوا إلى المغرب وتحصنوا في جبالها، وقيل إن من سماهم البربر هو أفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة، لما غزا المغرب وأفريقية، وبنى المدن والأمصار، ونسبة إليه سميت إفريقية بذلك، فلما رأى أشخاص من الأعاجم وسمع حديثهم، فاستغرب من اختلافهم وتنوعهم، وقال ما أكثر بربرتكم، فسُموا البربر، والبربرة هي اختلاط الأصوات غير المفهومة. الحموي. (1977م)، ج:1. ص:368–369؛ ابن خلدون. (2000م)، ج:6. ص:116.

[٢]– الحميري. (1975م)، ص:157؛ مقديش. (1988م)، ج:1. ص:141.

[٣]– ابن خلدون. (2000م)، ج:6. ص:543؛ مقديش. (1988م)، ج:1. ص:142.

[٤]– الجنابي. (2002م)، ص:91.

[٥]– التجاني. (1981م)، ص:121.

[٦]– **الوندال:** شاع مصطلح الوندال في كثير من اللغات الأوربية الحديثة. فقد يعتقد أن قبائل الوندال نشأت في جنوب الدول الإسكندفاية، ويُذكر أيضاً أن الوندال مشتق من اسم قرية تدعى الفاندال، ثم استقروا في جزيرة زيلاند تميزوا بالشراسة والقوة والتدمير. وهم جماعة من البربر أتو من نواحي بحر البلطيق إلى إسبانيا ثم عبروا المضيق إلى شمال إفريقية في عام 428م، في عهد ملكهم جيزريك 428–477م Gaiseric، كما تعد إحدى القبائل الجرمانية الشرقية، اقتطعوا أجزاء من الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي وأسسوا لهم دولة في شمال أفريقيا مركزها مدينة قرطاج، وضموا إليها جزيرة صقلية والعديد من جزر البحر المتوسط، وفي عام 455م، اقتحم الوندال مدينة روما ودمروها وظلت الوندال قائمة حتى سنة 534م، وانتهى حكم جيزريك بعد انتصار الإمبراطورية البيزنطية عليهم وسيطرتهم على الشمال الإفريقي. عمران. (1985م)، ص:5.

Jacobsen. (2012 A.D), P:13–14 .

السواحل الإفريقية أولاً، ومن ثم لإبعاد البيزنطيين عن مثل هذه الأماكن التي قد يتخذونها قواعدَ لمدَّ جيوشهم وأساطيلهم بالمؤن والإمداد[١]. لذا وجهت الحملات العديدة نحو إفريقية لفتح مدنها وسواحلها، وأهمها ساحل سوسة[٢].

وبعد أن تمَّ للعرب المسلمين فتح بلاد الساحل وقسم من الوسط والجنوب تحرّك معاوية بن حديج إلى أطراف البلاد داعياً وفاتحاً إلى أن وصل بنزرت[٣]، التي تعد من أهم ثغور إفريقية، فغزاها وغنم غنائم كثيرةً من نواحيها ورجع إلى قمونية[٤] وبنى بالقرب من جبل في إفريقية يدعى القرن مساكن وسمّاها القيروان[٥]، وإذا كانت فكرة إيجاد معسكر ومدينة ليستقر فيها العرب المسلمون قد ابتدأها معاوية بن حديج، إلا أن الذي تولى فكرة تأسيسها وإعطائها طابَعَها الحقيقي، هو الذي سيتولى أمر السيطرة من بعد معاوية بن حديج وهو عقبة بن نافع[٦]، كما سيتم ذكرها في الصفحات التالية.

---

[١]- الجنابي. (2002م)، ص:91.

[٢]- للتفاصيل عن هذه الحملات ينظر: ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:12؛ الذهبي. (2003م)، ج:2. ص:388؛ مقديش. (1988م)، ج:1. ص:211؛ المسعودي. (2012م)، ص:60-61.

سوسة: بلد في المغرب، أقام الأغالبة دار صناعة فيها، وهي مدينة كبيرة على سفح جبل عال وقد أحاط بها البحر من ثلاث نواحٍ، وسورها صخر منيع حصين متقن البناء. اهتم الأغالبة بتحصينها والعناية بدار الصناعة فيها لتكون عوناً لدار الصناعة في تونس، ولإمداد أسطولهم بالسفن اللازمة لغاراته على صقلية وجنوب إيطاليا. فأهمية سوسة تكمن من كونها كانت تخرج بعض الحملات العربية الإسلامية منها، وكان إنتاج هذه الدار للسفن ضخمة، مما يدل على مدى أهمية دار الصناعة في سوسة واهتمام الأغالبة بها، وتوفير كل ما تحتاجه لتكون دعماً وقوة لهم. للمزيد ينظر: الحموي. (1977م)، ج:2. ص:282؛ ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:143؛ ابن الخطيب. (1964م)، ج:3. ص:112؛ الحميري. (1975م)، ص:331؛ التجاني. (1981م)، ص:24؛ عباس. (1975م)، ص: 25؛ عبد الحميد. (1979م)، ج:2. ص: 217.

[٣]- **بنزرت:** مدينة في إفريقية بينها وبين تونس يومان، وهي من نواحي سطفورة مشرفة على البحر. الحموي. (1977م)، ج:1. ص:500.

[٤]- **قمونية:** مدينة في إفريقية كانت موضع القيروان قبل أن تمصر القيروان، وقيل أنها المدينة المعروفة بسوس المغرب. الحموي. (1977م)، ج:4. ص:399.

[٥]- **القيروان:** مدينة عظيمة في إفريقية، بُنيت أيام الدولة العربية الإسلامية زمن معاوية بن أبي سفيان على يد عقبة بن نافع، وفيها أجناس مختلفة من قريش ومن سائر العرب من مضر وربيعة وقحطان وغيرهم، للمزيد ينظر: اليعقوبي. (2002م)، ص: 187؛ الحموي. (1977م)، ج:4. ص:420؛ مجهول. (1985م)، ص:113.

[٦]- زيتون. (1990م)، ص:25.

عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري، من كبار القادة والفاتحين في صدر الإسلام، شهد غزو مصر، وولاه معاوية بن أبي سفيان إفريقية سنة 48هـ/668م، وهو الذي بنى مدينة القيروان وجامعاً يعرف بجامع عقبة، عزله معاوية سنة 55هـ/674م، ثم ولي عليها أبا المهاجر دينار ثم عزل وأعيد عقبة بنن نافع في عهد يزيد بن معاوية سنة 62هـ/681م، قتله كسيلة زعيم بربر أوروبا سنة 63هـ/682م، عند تهودة ودفن في الزاب. اليعقوبي. (2002م)، ص:186؛ الزركلي. (2002م)، ج:4. ص:241.

بعد ذلك أراد معاوية بن أبي سفيان الاستيلاء على جزيرة جربة بهدف حماية سواحل البلاد من المراكب البيزنطية، وإبعاد غاراتهم عنها فكتب إلى رويفع بن ثابت الأنصاري[١] وقد كان أمير طرابلس إفريقية –طرابلس الغرب[٢]–، أن يخرج بأسطول لغزو جزيرة جربة وإجلاء من بها من البيزنطيين فهاجمها سنة 47هـ/667م، وافتتحها عنوة، ويعدّ رويفع أول من افتتح جزيرة جربة[٣]. وعلى ما يبدو أن رويفع قد قدم إلى جزيرة جربة في قطع بحرية من الأسطول العربي الإسلامي الذي كوّنه معاوية بن أبي سفيان، إلا أن المؤرخين لم يذكروا أيّ تفاصيلَ عن مدى المقاومة التي لقيها العرب المسلمون من أهالي الجزيرة، وكذلك الصعوبات التي واجهت حملتهم، أو الفرص التي ساعدتهم في إتمام السيطرة، فلم يذكروا سوى أنها فتحت عنوة على يد رويفع بن ثابت. كما لم يذكروا ما حدث للجزيرة على إثر السيطرة العربية الإسلامية لها فهل دخل أهلها الإسلام؟ أم فُرضت عليهم الجزية، وما مقدارها؟ هل بقيت فيها حامية عربية إسلامية؟ وعلى ما يبدو أن العرب المسلمين قد تركوا فيها حامية عسكرية بعد تطهيرها من البيزنطيين، حيثُ لم تَرد أيُّ إشارة بعد ذلك لكونها شكلت خطراً على العرب المسلمين، أو أرسلوا إليها حملة مرة أخرى.

لذا تابع الولاة الذين تعاقبوا على شمال إفريقية عمليات السيطرة وتأسيس قواعدَ حربيةٍ لهم فيها كمدينة القيروان، وقد اختاروها بعيدة عن الساحل لتكون صعبة المنال على الأساطيل المعادية[٤]. إذ إن الحوادث التي

---

[١]– **رويفع بن ثابت** بن سكن بن عدي بن حارثة الأنصاري، من بني مالك بن النجار، سكن مصر وأقام فيها، ولّاه معاوية على طرابلس سنة 46هـ/666م، ويقال إنّه مات في الشام ويقال مات في برقة وقبره فيها. للمزيد ينظر: ابن عبد البر. (2002م)، ص:230؛ السيوطي. (1967م)، ج:1. ص:199؛ ابن العماد. (1986م)، ج:1. ص: 55.

[٢]- **طرابلس الغرب:** تعدّ من مدن إفريقية وقاعدة بحرية مهمة، فهي مدينة كبيرة قديمة على ساحل البحر خصبة حصينة ذات سور صخري متين، جليل البنيان، وفيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصَّالحون من الناس، ومن أشهرها وأقدمها مسجد الشعاب، ومرساها مؤمّن من عواصف الرياح. ولها دار صناعة للأساطيل، تعدّ من أهم قواعد الأساطيل المغربية في العصور العربية الإسلامية، إلى جانب أنها دار لصناعة السفن، فمنها كانت تخرج حملات العرب المسلمين الموجهة ضد البيزنطيين، فقد كانت نقطة انطلاق الأسطول الأغلبي إلى جزيرة مالطة والتي تمّ السيطرة عليها في عهد الأغالبة سنة 255هـ/868م. للمزيد ينظر: الاصطخري. (د.ت)، ص:38؛ ابن حوقل. (1992م)، ص:71–72؛ الحميري. (1975م)، ص:389؛ العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص:50.

[٣]– التجاني. (1981م)، ص:124؛ الذهبي. (2003م)، ج:2. ص:389.

[٤]– الذهبي. (2003م)، ج:2. ص: 390؛ سالم. (1961م)، ص:34؛ Picard. (2018), P.191.

حدثت في برقةَ ومقتل عقبة بن نافع سنة 63هـ/682م[١] وزهير بن قيس البلوي سنة 73هـ/ 692م[٢]، كان لها نتائج بعيدة المدى في سياسة العرب المسلمين البحرية في غرب البحر المتوسط، ومجرى فتوحاتهم في شمال إفريقية، إذ أدرك العرب المسلمون أن الموقف يتطلب انتزاع قواعد بيزنطة البحرية في شمال إفريقية والقضاء عليهم، ثم إنشاء أسطول عربي إسلامي آخر في مياه تلك الجبهة، يضاهي قوته قوة الأسطول البيزنطي وتكون مهمته القضاء على سيادة بيزنطة البحرية في غرب البحر المتوسط[٣] وإتمام فتح شمال إفريقية[٤]. في حين أبدت أيضاً الإمبراطوريَّة البيزنطية اهتمامها في أحوال شمال إفريقية، من خلال تقوية مدنها الساحلية وتزويد رعاياها فيها بالعتاد والذخيرة، وقد اعتمدت على جهودها الخاصة بدلاً من الاعتماد على حلفائها من البربر[٥]. فقد تابع العرب المسلمون سيطرتهم في شمال إفريقية بقيادة حسان بن النعمان[٦] سنة 76هـ/695م، الذي بادر إلى مهاجمة قرطاجةَ أقوى قاعدة لأسطول البيزنطيين في مياه المغرب، وكان يدرك أن نجاحه يتوقف على سرعة العمل والتنفيذ، لهذا أنزل بالبيزنطيين هزيمة فادحة، ففروا هاربين في البحر، فلما انصرف حسان عنها استغل البيزنطيون ابتعاده عن قرطاجة وعادت أساطيلهم مرة ثانية إليها[٧]، واستولت على هذا الميناء – ميناء قرطاجة – بعد قتل الحامية العربية الإسلامية الموجودة فيها، لكن حسان ما إن علم بالأمر حتى عاد وأفسد خطة البيزنطيين واستعاد قرطاجة[٨]، وقد جذبت تلك

١- مقديش. (1988م)، ج:1. ص:216؛ Nicolle. (2009), P:68

٢- **زهير بن قيس البلوي** المصري ينتمي إلى بني بلي من بطون قبيلة من قضاعة، وهو قائد عسكري محنك شهد غزو مصر وسكنها، ويقال لها صُحبة، قتله البيزنطيون في برقة. وللمزيد ينظر. ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:56 وما بعد؛ ابن يونس المصري. (2000م)، ج:2. ص:387؛ الذهبي. (2003م)، ج:2. ص: 813؛ السيوطي. (1967م)، ج:1. ص:200. للمزيد والتفاصيل عن الحوادث في برقة ينظر: العدوي. (1953م)، ص:217-218؛ فروخ. (1959م)، ص:69؛ Pireen. (1957A.D), P:154.

٣- العدوي. (1957م)، ص:69.

٤- مؤنس. (د.ت)، ص:233.

٥- العدوي. (1953م)، ص:217-218.

٦- **حسان بن النعمان** بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مُزيقيا بن عامر بت الأزد بن المنذر الغساني ابن زعيم عرب الشام، كان بطلاً شجاعاً، يسمى بالشيخ الأمين لثقته وأمانته ولي فتوحات المغرب، وكانت له في دمشق دار، وجّهه معاوية سنة 57هـ/676م، فصالح البربر وقرر عليهم الخراج، تمكّن من إفريقية ودانت له بعد قتل الكاهنة، توفي سنة 80هـ/699م. للمزيد ينظر: الكندي. (1908م)، ص:346؛ ابن عبد ربه. (1983م)، ج:1. ص:289؛ ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:60؛ الذهبي. (2003م)، ج:2. ص:928؛ ابن تغري. (1929م)، ج:1. ص:200.

٧- ابن عذاري. (2013م)، ج1، ص:24؛ مقديش. (1988م)، ج:1. ص:142؛ Decker. (2013A.D), P:31

٨- Pireen. (1957 A.D), P:154.

الحملة أنظاره إلى الخطة البحرية التي يجب أن يسير عليها إزاء البيزنطيين، إذ علم أن للبيزنطيين على الساحل معاقل أخرى يتخذونها وسيلة لاسترداد قواعدهم البحرية الكبرى. لذا حاول البيزنطيون بعد خروجهم من قرطاجةَ للمرة الثانية اتخاذ شبه الجزيرة الواقع شمال تونس والذي تقع فيه بنزرت مقراً لأعمالهم الحربية ضد العرب المسلمين، والتحكم في البحر المتوسط[١]، وتعرف هذه المنطقة بإقليم سطفورة[٢] وتضم عدداً كبيراً من المدن التي تعتمد على البحر في الدفاع عن نفسها والحصول على الإمداد، لذا بادر حسان بطرد البيزنطيين من تلك الجهات الساحلية وبدعم أقدام العرب المسلمين فيها[٣]. فشعر حسان أن البيزنطيين لن يتوقفوا عن شن غاراتهم طالما أن العرب المسلمين يفتقرون إلى أسطول يحمي شواطئ شمال إفريقية، وكان حسان صادق الإحساس إذ بعث الإمبراطور البيزنطي حملة بحرية سنة 78هـ/697م، على رأسها أشهر قادته وهو يوحنا Yohna[٤]، الذي استطاع أن يستوليَ على قرطاجة مرة أخرى، في حين بعث حسان في طلب أسطول عربي إسلامي يشد أزره في استرداد قرطاجة، وبالفعل توجهت عدّة سفن حربية كانت أول قوة بحرية عربية إسلامية ظهرت في مياه شمال إفريقية، واستطاع حسان بفضل المدد أن ينال نصراً باهراً على البيزنطيين، وهرب أمير البحر البيزنطي مع من تبقى من جيوشه، وبذلك أثبت الأسطول العربي الفتي مرة أخرى للبيزنطيين أنه قد أصبح قوة شديدة البطش[٥]. رأى حسان أنه لا يستطيع المحافظة على ما فتحه في شمال إفريقية من دون تأسيس قاعدة بحرية وأسطول عربي إسلامي يحمي هذه الممتلكات، لذا رأى أن يتخذ من الأسطول العربي الإسلامي الذي جاء لنجدته نواة لخلق قوة بحرية في أرض المغرب، فأنشأ مدينة تونس سنة 84هـ/703م، ثم أنشأ قاعدة تونس التي حلت محل قرطاجة ويتوفر لها الحماية وصارت مركز البحرية العربية الإسلامية ونشاطها المبكر في غرب البحر المتوسط[٦]، ويعد حسان بذلك أول قائد تمّ على يديه استقرار العرب المسلمين النهائي في شمال إفريقية[٧]. فقد اختار تونس بدلاً من قرطاجة لتكون بعيدة

١- Picard. (2018A.D), P:191.

٢- **إقليم سطفورة:** إقليم جليل في المغرب فيه ثلاث مدن، أقربها إلى تونس أشلونة وتينجة وبنزرت. الإدريسي. (2002م)، ج:1. ص:288. مقديش. (1988م)، ج:1. ص:122.

٣- مقديش. (1988م). ج:1. ص:142؛ العدوي. (1957م). ص:70.

٤- **يوحنا:** لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

٥- العدوي. (1957م)، ص:70-71.

٦- Nicolle. (2009A.D), P:57; Picard. (2018A.D) P:197; Pireen. (1957A.D), p:154.

٧- فرج. (1981م)، ص:103.

شيئاً ما، وبمأمن عن يد البيزنطيين وغاراتهم. كما خطا الأسطول العربي الإسلامي الفتي في غرب البحر المتوسط خطواتٍ سريعةً في سبيل المجد والقوة، على نحو ما قام به قرينه في شرق البحر المتوسط، وتجلَّت مظاهر نشاط الأسطول المغربي وتوسعاته في عهد ولاية موسى بن نصير[١]، الذي خلف حسان بن النعمان على شمال إفريقية سنة 78هـ/697م، –كما سيتم ذكرها في الصفحات التالية –

ثالثاً: فتح جزر البليار Balearis 89هـ/707م.

مجموعة من الجزر تقع غرب البحر المتوسط، وتعرف أيضاً بالجزائر البحرية أو الشرقية لوقوعها شرق الأندلس، كما تعرف بجزر البليار. وأهم جزرها ميورقة Majorca، ومنورقة Minorca، ويابسة Ibiza[٢].

تتميز هذه الجزر بموقع استراتيجي ذي أهمية كبيرة لذا فهي بمثابة حلْقة اتصال بحري ومركز صراع دولي، ونقطة التقاء حضاري منذ أقدم العصور، فقد كانت هذه الجزر بحكم موقعها الاستراتيجي على علاقة وثيقة بسواحل البحر المتوسط وجزره لاسيَّما الغربية منها[٣]. وبحكم موقع جزر البليار وميزاتها الطبيعية وخصوبة أراضيها وثرواتها وروعة مناخها وجمالها الطبيعي الباهر، فقد جذبت إليها عبر العصور أنظار الغزاة والفاتحين والقوى المسيطرة في حوض البحر المتوسط، لهذا كانت مركزاً للصراع البحري ونواة للالتقاء الحضاري. حيث تعاقب على غزوها اليونانيون والرومان والوندال والبيزنطيون ثم العرب المسلمون. وقد ترك كل منهم أثراً واضحاً على حياة سكان هذه الجزر وسماتهم وتقاليدهم وطريقة تفكيرهم ومختلف نواحي حضارتهم[٤]. حيث أطلق اليونانيون ومن بعدهم الرومان

---

[١] – **موسى بن نصير** بن عبد الرحمن بن زيد بن لخم، وقيل من بكر بن وائل ولد سنة 19هـ/640م، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أحد أفراد الدينا ومشاهير رجالها وأبطالها، ومن أعظم الزعماء والقادة الذي وجهتهم الخلافة إلى الغرب، كان عاقلاً كريماً شجاعاً، ورعاً تقياً، تولى إفريقية سنة 78هـ/697م، كان أبوه من حرس معاوية ومكانته عظيمة لديه. للمزيد ينظر. ابن خلكان. (1970م)، ج:5. ص:318، ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص: 66؛ ابن تغري. (1929م)، ج:1. ص:235؛ عنان. (1970م)، ص:126.

[٢] – ماجد. (1966م)، ص:87.

يابسة: وردت باسم جزيرة إيبيزة Ivisa أو Ibiza، ويابسة تأنيث الشيء اليابس ضد الندي، وهي جزيرة نحو الأندلس في طريق من يقطع دانية في المراكب يريد مبورقة فيلقاها قبلها. وفي معظم المصادر الإسلامية غرفت بجزيرة يابسة، ويقول ابو الفداء حول نطقها: "بفتح المثناة من تحت وألف وباء موحدة مكسورة وسين مهملة وهاء". الحموي. (1977م)، ج:5. ص:424؛ (1830م)، ص: 190–191.

[٣] – سيسالم. (1984م)، ص:15.

[٤] – سيسالم. (1984م)، ص:16؛ Bidwell. (1876A.D), p:6.

اسم باليارس Baliares، على هذه الجزر[١]. في حين ينسب آخرون هذه التسمية إلى القبيلة التي كانت تعيش في جزيرة سردينيا المجاورة تدعى بلاري Balari، ثم هاجرت إلى جزر البليار في العصر الحجري الحديث[٢]. وكانت تعدَّ جزر البليار السد المنيع والدرع الواقي لساحل الأندلس الشرقي، ينطلق من قواعدها غزاة البحر الأندلسيون للجهاد في سواحل غربي البحر المتوسط وجزره[٣].

وتعد جزيرة ميورقة أكبر جزر البليار وأهمها، فقد جاء وصفها في تقويم البلدان: "جزيرة ميورقة آخر جزيرة ثبتت في يد العرب المسلمين، وبها مدينة طولها وعرضها ما ذكر وامتداد هذه الجزيرة من الشمال إلى الجنوب أربعون ميلاً، وهي في الغرب من منورقة وبها بحيرة دورها تسعة أميال وفيها غير مدينتها عدّة حصون..."[٤]. ويبدو أن موقعها القريب من الأندلس هو الذي جعلها تحظى باهتمام العرب المسلمين، ولكن ماذا يقصد المؤرخ بذكره أنها آخر جزيرة تثبتت في يد العرب المسلمين؟ أيقصد أنها آخر أعمالهم إلا أن ذلك غير وارد لأنه تم فتح جزر عدّة بعدها، وعلى الأرجح كان يقصد أنها آخر جزيرة فتحها العرب المسلمون وبقيت في أيديهم واستطاعوا الحفاظ عليها منذ أول مرة فتحت. كما أن جزيرة ميورقة تعد من أكبر الجزائر الشرقية في البحر المتوسط [٥].

أما جزيرة منورقة، فتعد جزيرة خصبة، لها حصن منيع[٦]. ونظراً لقرب هذه الجزائر من الأندلس فقد ارتبط تاريخها بتاريخ مدينة الأندلس، كما لهذه الجزائر تاريخ طويل فقد تعرضت للعديد من الغزوات التي شهدتها سواحل

---

[١] – **باليارس:** مشتق من كلمة بالين Ballein، اليونانية والتي تعني ألقى أو رمى، وذلك لبراعة سكانها القدماء في رمي الحجارة بالمقلاع.
Bidwell. (1876A.D), p:2.

[٢] – سيسالم. (1984م)، ص:16.

العصر الحجري الحديث: يمتد من سنة 10.000–4.500ق.م، وهي المرحلة الأخيرة من عصور ما قبل التاريخ، فقد بقي الإنسان لحقبة تقترب من مليون عام يعيش على الصيد، إلا أنه خلال أربعين ألف سنة الأخيرة تطورت قدرات الإنسان العقلية ومهاراته التي جعلته يرتقي إلى مستوى الإنسانية الكاملة، فقد بقي يعتمد على ما تقدمه الطبيعة له من مأوى وملبس ومأكل فممتلكاته كانت محدودة، وأهم الظواهر المميزة في هذا العصر تشييد القرى والثورة الزراعية. وولى. (1967م)، ص:6–10.

[٣] – عثمان. (1966م)، ج:2. ص:360.

[٤] – أبو الفداء. (1830م)، ص:192؛ الحميري. (1988م)، ص:188.

[٥] – المخزومي. (2007م)، ص:26.

[٦] – أبو الفداء. (1830م)، ص:192.

البحر المتوسط وبلاده، فوقعت تحت سيطرة اليونان، ثم سيطر عليها الوندال، ثم البيزنطيون حتى دخول العرب المسلمين إليها[١].

فقد كانت جزر البليار قاعدة من القواعد البحريَّة البيزنطيّة لمواجهة الغزو العربي الإسلامي عبر الحوض الغربي للبحر المتوسط، تجاه ساحل إفريقية الشمالي وسواحل الأندلس المطلة على البحر المتوسط، كانت تشمل هذه القواعد البحرية بالإضافة لجزر البليار سردينيا وكورسيكا[٢]، وقاعدة سبتة[٣] التي تتحكم في طريق العبور البحري الضيق بين المغرب والأندلس، وقد أطلق العرب المسلمون عليه اسم مضيق جبل طارق بعد فتح الأندلس[٤]. ووَفقَ التقسيمات الإدارية البيزنطية فقد كانت جزر البليار تابعة مباشرة لجزيرة سردينيا الإقليم السابع في ولاية إفريقية البيزنطية[٥]، في حين كانت جميع القواعد البحرية البيزنطية في الحوض الغربي للبحر المتوسط تابعة لحاكم صقلية نائب القائد الأعلى للبحرية البيزنطية[٦]. ونظراً لانشغال بيزنطة بالتصدي لهجمات العرب المسلمين في المشرق والمغرب، فقد منحت جزر البليار نوعاً من الاستقلال لتتيح لها حرية التحرك والتصرف إزاء أي خطر يتهدّدها. فهل تركت بيزنطة أقاليمها تواجه مصيرها بنفسها دون أن تقدم لهم أيّ دعم أو مساندة؟

لقد هدفت بيزنطة من جراء منح جزر البليار الاستقلال، لصعوبة إمدادها بعون خارجي لكونها تقع في أقصى الحدود الغربية للإمبراطوريّة البيزنطيّة، وشيئاً فشيئاً أخذ يتناقص اهتمام البيزنطيين بهذه المنطقة تاركة إياها تلقى حتفها بعد سقوط قرطاجة في أيدي العرب المسلمين وزوال السيطرة البيزنطية نهائياً من إفريقية 78هـ/697م، ومنذ ذلك الوقت أخذت القيادات البحريّة في جزر البليار وبقيّة الجزر البيزنطية في الحوض الغربي للمتوسط تعتمد على نفسها في مواجهة الخطر المتمثل بالدولة العربية الإسلامية. وأصبح لها أساطيلها الخاصة، وكذلك دور صناعتها. أما بالنسبة لنفقات الأساطيل والقوات البريّة لهذه الجزر لقد كانت تدفع من قبل السكان. كما يفرض

١- طرخان. (1966م)، ص:102.

٢- لويس. (د.ت)، ص:141.

٣- **سبتة:** مدينة قديمة وحصينة تقع شمال المغرب، فيها آثار كثيرة ويعدّ ومرساها أجود مرسى في البحر، وهي عبارة عن شبه جزيرة في مضيق طارق. الحموي. (1977م)، ج:3. ص: 182؛ مجهول. (1985م)، ص:137.

٤- مؤنس. (2002م)، ص: 130.

٥- مؤنس. (د.ت)، ص:15

٦- لويس. (د.ت)، ص:114.

عليهم العمل كبحارة على سفن الأسطول[١]. فإن موقع هذه الجزائر والسيطرة عليها أمر مهم جداً إذا ما فكر العرب المسلمين دخول الأندلس، ويبدو أن هذا الأمر قد وعى إليه موسى بن نصير منذ وصوله إلى إفريقية سنة 78هـ/697م[٢]، وذلك لخبرته الواسعة بشؤون البحر، وتنبّه إلى ما تشكله جزر الحوض الغربي للبحر المتوسط من خطر على استقرار دعائم الحكم العربي الإسلامي في بلاد المغرب، وما قد تشكله من عوائق خطيرة تقف عثرة في سبيل تحقيق أهدافه الكبرى وأهمها استكمال فتح بلاد المغرب وفرض السيّادة العربيّة الإسلاميّة على الحوض الغربي للبحر المتوسط وفتح الأندلس[٣].

ويتضح مما ذكر أن دخول العرب المسلمين لجزر البليار لم يكن مجرد مغامرة عابرة بل كانت حلْقة في سلسلة من الإنجازات المتتابعة، والخطط المحكمة مهدت لها عوامل عدّة رئيسة كانت محصلتها استكمال فتح بلاد المغرب والسيطرة على معظم الحوض الغربي للبحر المتوسط، وفتح جزر البليار مما مهد السبيل لفتح الأندلس وأهمها: براعة موسى بن نصير السياسية والحربية وقدراته التي أهلته ليكون من أعظم القادة في العصر الأموي، فقد جمع بين قيادة القوات البريّة والبحريّة[٤]. فضلاً عن مساعدة أساطيل مصر المستمرة لقوات موسى بن نصير البريّة بالتعاون مع أساطيل إفريقية حتى أتمّ بناء دار الصناعة في تونس، وأصبحت إفريقية بغنى عن أي عون خارجي[٥]. وتجنيده لمن دخل في الإسلام من الأفارقة والبربر والبيزنطيين، وجعلهم في خدمة الجيوش البريّة وإلحاق ذوي الخبرة منهم في أساطيله وقواته البحريّة، وبذلك وفّر على نفسه عناء طلب الإمدادات من مصر والشام التي تكلف جهداً ووقتاً وتكاليف باهظة، الأمر الذي ساعده على تحقيق العديد من الانتصارات البريّة والبحريّة[٦]. كما إن إنشاء الأساطيل في دار الصناعة في تونس منذ عهد عبيد الله بن الحبحاب[٧] واعتناء موسى بها، وقيامه

١- سيسالم. (1984م)، ص:47.

٢- ابن قتيبة. (1990م)، ج:2. ص:72.

٣- سيسالم. (1984م)، ص:47.

٤- العبادي. (د.ت)، ص:46.

٥- العبادي، سالم. (1969)، ج:2. ص:28.

٦- ابن قتيبة. (1990م)، ج:2. ص:81-82؛ سيسالم. (1984م)، ص:48.

٧- **عبيد الله بن الحبحاب** مولى بني سلول، كان رئيساً نبيلاً، أميراً جليلاً، بارعاً في الفصاحة والخطابة، كان والياً على مصر ثم ولاه هشام بن عبد الملك على المغرب بعد عزل عبيدة بن عبد الرحمن، بنى جامع الزيتونة ودار الصناعة في تونس. للمزيد ينظر: =

بتوسيعها أدى إلى ازدياد انتاجيتها في صناعة السفن والمعدات والتجهيزات العسكرية[١]، وأمر بإنشاء مائة سفينة في دار الصناعة في تونس[٢]، بمساعدة الأقباط الذين أرسلهم عامل مصر عبد العزيز بن مروان 65-85هـ/684-704م إلى إفريقية، بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان 66-86هـ/685-705م، كما أسهم البربر بتزويد دار الصناعة بالأخشاب الجيدة الملائمة لصناعة السفن[٣].

فبعد وصول موسى بن نصير إلى إفريقية أخذ في إرسال الحملات البريّة الواحدة تلو الأخرى من أجل استكمال فتح بلاد المغرب[٤]، وفي الوقت نفسه كان يرسل الحملات البحرية أيضاً للإغارة على جزر الحوض الغربي للبحر المتوسط لتأمين تقدم قواته وحماية خطوط إمداده الخلفية وللقضاء على القواعد البحرية البيزنطية، ثم متابعة فتوحاته إلى الأندلس. ويُلاحظ اهتمام موسى بن نصير في الغزوات البحريّة وإرسال الأساطيل إلى القواعد البحرية في صقلية وقوصرة[٥] وسردينيا وجزر البليار وغيرها، ليشددوا الخناق على البيزنطيين. وأولى الحملات البحرية العربية الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط كانت عبارة عن غارة بحرية على جزيرة يابسة إحدى جزر البليار سنة 79-80هـ/698-699م، إلا أن المؤرخين لم يوردوا معلوماتٍ مفصلةً عن هذه الجزيرة، فقد صبّ المؤرخون اهتمامهم على الحديث عن جزيرتي ميورقة ومنورقة أكثر من غيرها من جزر البليار. كما أُرسلت حملة بحرية أخرى في سنة 84هـ/703م، بقيادة عبد العزيز بن موسى بن نصير التي عاد منها ظافراً بعد أن أصاب غنائمَ كبيرةً[٦]. وعلى الأرجح كانت هذه الغارات بسيطة وعلى نطاق ضيق لم يُسمح للعرب المسلمين بالتوغل بالجزيرة أكثر، بل اكتفوا بما كسبوه من الغنائم، فيما بعد أمر موسى بن نصير ابنه عبد الله[٧] بالخروج على رأس

=ابن الأثير. (د.ت)، ج:5. ص:714؛ ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:81؛ النويري. (د.ت)، ج:24. ص:31؛ ابن تغري. (1929م)، ج:1. ص:266.

[١]- العبادي، سالم. (1969)، ج:2. ص:31.

[٢]- ابن قتيبة. (1990م)، ج:2. ص:80.

[٣]- البكري. (1857م)، ص:38-39.

[٤]- ابن خياط. (1985م)، ص:277-279.

[٥]- سيتم التعريف عنها في الصفحات التالية.

[٦]- سيسالم. (1984م)، ص:50-51.

[٧]- **عبد الله بن موسى بن نصير** اللخمي أمير من رجال الفتوح في المغرب، كان مع أبيه في إفريقية قبل دخوله الأندلس، وفي سنة 93هـ/711م، ولي إفريقية عوضاً عن أبيه الذي توجّه نحو الأندلس، توفي أيام خلافة عمر بن عبد العزيز. للمزيد ينظر.=

حملة بحرية إلى جزيرتي ميورقة ومنورقة سنة 89هـ/707م، استعداداً لنقل القوات البرية إلى الأندلس، ومنعاً لأي تدخل خارجي، فافتتحهما ونهبها وغنم منها ما لا يحصى وعادت القوة سالمةً[١].كما أُسِرَ العديد من أهالي الجزيرة ومنهم الحاكم البيزنطي لجزيرة ميورقة[٢]. وبذلك استطاع موسى بن نصير أن يشل حركة الأسطول البيزنطي في غرب المتوسط وينشر الإسلام في المغرب وأن يتقدم بكل اطمئنان لفتح الأندلس سنة 92هـ/710م[٣]، بعد أن حمى ظهره وضمن سلامة مواصلاته من خطر البيزنطيين[٤]. في حين يُذكر أن العرب المسلمين قاموا بأول محاولة لغزو جزيرة ميورقة سنة 98هـ/716م، بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير ، الذي لم يستطيعوا بسط نفوذهم عليها[٥]. وعلى الرغم من هذه الحملات المتكررة على جزر البليار ، إلا أنها لم تسفر عن أي حكم عربي إسلامي مستقر في هذه الجزر[٦].

رابعاً: محاولات فتح جزيرة سردينيا Sardinian 84-119هـ/703-737م.

سردينيا جزيرة كبيرة في بحر المغرب ليس هناك بعد الأندلس وصقلية وكريت أكبر منها[٧]، وتقع في منتصف حوض المتوسط الغربي بين شبه جزيرة إيطاليا وشبه جزيرة إيبريا من جهة وبين ساحل فرنسا الجنوبية وسواحل المغرب من جهة أخرى، وتمثل مع جزيرة كورسيكا المركز بالنسبة لحوض المتوسط الغربي، كما تطل جزيرة سردينيا على حركة السفن بين جبل طارق ومضيق تونس[٨]. كما تتميز بأنها واسعة، كثيرة الجبال قليلة

= ابن حبيب. (د.ت)، ص:492؛ ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:71؛ ابن تغري. (1929م)، ج:1. ص: 232؛ المسعودي. (2012م)، ص:78.

[١]- ابن خياط. (1985م)، ص:302؛ ابن قتيبة. (1990م)، ج:2. ص:82؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج:4. ص:649؛ ابن العماد. (1986)، ج:1. ص:98.

[٢]- العريني. (1965م)، ص:169؛ لويس. (د.ت)، ص:101.

[٣]- للمزيد عن السيطرة على الأندلس ينظر: ابن القوطية. (1989م)، ص:30 وما بعد؛ ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:70؛ المقري. (1968م)، ج:1. ص:259؛ خطاب. (1984م)، ج:1. ص: 251؛ المعاضيدي. (1988م)، ص:37.

[٤]- Pireen. (1957A.D), P:155.

[٥]- المخزومي. (2007م)، ص: 26؛ Picard. (2018), P:202

[٦]- سيسالم. (1984م)، ص:56.

[٧]- الحموي. (1977م)، ج:3. ص:209؛ البغدادي. (1992م)، ج:2. ص:706.

[٨]- بركات. (1995م)، ص:203.

المياه، طولها مئتان وثلاثون ميلاً وعرضها من الغرب إلى الشرق مائة وثمانون ميلاً[١]. وهي كثيرة الأنهار والزرع والخيرات[٢]. كما أن أصل أهالي سردينيا يعود لأصول بيزنطية، ويتميزون بأنهم ذوو حزم وقوة، مسلحون دائماً، ويبدو أنهم من كثرة الهجمات على جزيرتهم والأطماع المحدقة بهم والمخاطر التي تحيطهم فضلاً عن هجمات القوات العربية الإسلامية جعل أهلها لا يفارقون السلاح. وقيل سميت سردينيا نسبة لساردوس بن هرقل[٣] إذ قصدها بجمع عظيم وحاصرها وافتتحها[٤]. كما لجزيرة سردينيا تاريخ طويل فقد سكنها البربر ثم الفينيقيين واستولوا عليها وأقاموا بها مدناً، ثم استولى عليها الرومان، ثم الوندال، وبعد ذلك البيزنطيون. فقد كانت جزيرة سردينيا من الجزر الغربية التي دار الصراع الحربي البحري عليها بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية، وذلك لما تتمتع به من موقع استراتيجي مهم في الجزء الغربي للبحر المتوسط ولقربها من شبه جزيرة إيبريا – الأندلس – وذلك لمواصلة عمليات السيطرة ومواصلة الجهاد ونشر الدين الإسلامي. فقد بدأ الاهتمام بها، بعد أن تمَّ تحرير المغرب من القوات البيزنطية، إذ بدأت القوات البيزنطية تشن هجمات على سواحل المغرب مُتخذةً من هذه الجزر قواعد للإغارة والعودة إليها في الوقت نفسه. ففكر عبد الرحمن بن حبيب الفهري في الاستيلاء على جزيرة سردينيا، ونجح العرب المسلمون في ذلك سنة 80هـ/699م، ومن الدوافع التي دفعت العرب المسلمين لتوجيه الحملات البحرية إليها غناها بالأخشاب، ولاسيَّما أن البيزنطيين قد أحرقوا غابات تونس فلم يبقَ منها سوى القليل، وذلك لزراعة القمح والأعشاب وإيقاد أفران الحمامات التي كانوا مولعين فيها. لذلك سيطر العرب المسلمون عليها ليمنعوا البيزنطيين من الحصول على أخشابها وإنشاء الأساطيل التي يقاومون بها العرب المسلمين[٥]. ومع حلول سنة 84هـ/703م، تم غزو جزيرة سردينيا بقيادة عطاء بن رافع[٦] الذي توجّه من الإسكندرية باتجاه الجزيرة وأثناء عودته

---

[١]- الحميري. (75 19م)، ص:314.

[٢]- ابن الكردبوس. (1971م)، ص:186.

[٣]- **ساردوس بن هرقل**: لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة

[٤]- الحميري. (1975م)، ص:314.

[٥]- الكعاك. (1965م)، ص:28.

[٦]- **عطاء بن رافع** الزلفي قائد عسكري مسلم، وفاتح بلاد سردينيا جنوب إيطاليا، وأمير بحر مصر في العصر الأموي، ويعدّ أحد القادة الكبار في مصر الذين اعتمد عليهم عبد العزيز بن مروان في الفتوح وغزو دول البحر المتوسط وجزره التابعة للإمبراطورية البيزنطية، فقد غزا جزيرة صقلية، توفي سنة 87هـ/706م، أثناء عودته من سردينيا إلى مصر. ابن يونس المصري. (2000م)، ج:1، ص:344.

أُغرق في البحر مع الكثير من الغنائم التي جلبها من الجزيرة، في حين فضّل آخرون البقاء في الجزيرة والاستقرار فيها[١]. وكذلك في سنة 85هـ/704م، جهز الوالي موسى بن نصير أسطولاً بحرياً للهجوم على جزيرة سردينيا بقيادة ابنه عبد الملك وكانت حملة ناجحة وموفقة حيث غنم العرب المسلمون الكثير من الغنائم[٢]. ثم توالت حملات العرب المسلمين على هذه الجزيرة، حيث وجّه موسى بن نصير حملتين إليها سنة 87هـ/706م، أحدها بقيادة عبد الله بنِ حذيفة الأزدي فغنم غنائماً وسبياً كثيراً، وثانيها كانت بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير فاستطاع أن يفتح إحدى مدنها وتدعى قِولة[٣]. وفي سنة 89هـ/707م، خرج عبد الله بن مرّة على رأس حملة بحرية طرقت جزيرة سردينيا فدخل مدنها ونكّل بحاميتها وعادت القوة بسلام في السنة ذاتها[٤].

ويبدو أن هذه الحملات والغارات كانت مجرد حملات استطلاعية لاستكشاف المنطقة ومدى قوتها قبل فتح الأندلس، أو أنها كانت حملات استعراض قوة الأسطول العربي الإسلامي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، فضلاً عن الهدف الأساس وهو إخضاع جزيرة سردينيا للسيادة العربية الإسلامية، غير أن هذه الحملات لم تستقر في الجزيرة واكتفت بما حققته من فوز وكسبته من الغنائم والأسرى والعودة سالمة إلى قواعدها. وعلى الأرجح لم يستطع العرب المسلمون السيطرة نهائياً عليها بدليل تكرار الغارات والحملات عليها، ومن المرجح أن ذلك يعود لحصانة الجزيرة ومقاومة أهلها. وفي سنة 91هـ/709م، أرسل الوالي موسى بن نصير حملة أخرى إليها وكانت هذه الحملة قبل فتح العرب المسلمين للأندلس ويبدو أنها كانت تهدف إلى منع أهل الجزيرة من التعاون مع أهل الأندلس ضد القوات العربية الإسلامية، أو لاتخاذ الجزيرة قاعدة بحرية للقوات العربية الإسلامية تنطلق منها للسيطرة على الأماكن القريبة منها[٥]، وفي عهد موسى بن نصير قام العرب المسلمون كذلك باستخدام أسطولهم لفتح شبه جزيرة إيبيرية والانتقال إلى مرحلة جديدة من التوسع وإتمام سيادتهم على البحر المتوسط، ففي سنة 91هـ/709م،

---

[١]- عبد العليم. (1979م)، ص:82.

[٢]- علي. (2011م)، ص:447.

[٣]- ابن خياط. (1985م)، ص:300 .

قولة: لم يتم الوقوف على ترجمتها في الكتب المتوفرة.

[٤]- الجنابي. (2002م)، ص: 97؛ Picard. (2018 A.D), P:202.

[٥]- علي. (2011م)، ص:448.

فقد خرج أحد قادة موسى بن نصير ويدعى طريف على رأس حملة بحرية قوامها أربعمائة رجل، ومائة فارس، فنزل في مكان يقال له جزيرة الأندلس فيما يحاذي طنجة، وعرفت فيما بعد باسم جزيرة طريف إلى الآن كما تدعى أحياناً تاريفا، وعاد طريف من حملته محملاً بالغنائم الكثيرة والأسرى وبمعلومات هي أثمن من تلك الغنائم[١]. فمن الواضح أن هذه الحملة كان هدفها الأساس الاستطلاع وجمع المعلومات حول المكان ومدى قوة المقاومة التي سيتلقاها العرب المسلمون عند تجهيزهم حملة لفتح الأندلس.

لذا تمثلت النتائج الأولى لنشاط العرب في غرب البحر المتوسط، دافعاً مهماً لتوسيع جهودهم البحرية، حيث يُذكر أنه في سنة 92هـ/710م، سيَّر موسى بن نصير بعضاً من جنوده في البحر إلى جزيرة سردينيا فغزا هذه الجزيرة وعاد ببعض الغنائم[٢]. إلا أنهم لم يذكروا فيما إذا كان تاريخ هذه الحملة قبل فتح الأندلس أم بعدها؟ كما يذكر آخرون أن موسى بن نصير أمر طارق بن زياد[٣]، بتجهيز حملة لفتح الأندلس، فتوجه طارق بالحملة ونزل على الشاطئ الأندلسي سنة 92هـ/710م، عند رأس في أقصى الجنوب من جزيرة الأندلس أو جزيرة طريف في موضع عرف فيما بعد باسم جبل طارق[٤]، في حين تابع موسى بن نصير الاهتمام بالأسطول العربي الإسلامي في المغرب لنقل الإمدادات الحربية وغيرها إلى المقاتلين في الأندلس، حتى انتهى الأمر بانتصار العرب واستيلائهم على هذا الركن المهم من جنوب أوروبا[٥]. ومنذ سنة 92هـ/710م، لم تُذكر أي حملة أخرى وجهها الوالي موسى بن نصير إلى جزيرة سردينيا، ومن الممكن أن يعود سبب انقطاع الغارات العربية الإسلامية على الجزر الغربية للبحر المتوسط لمدة أكثر من عشر سنوات هو انشغال ولاة المغرب بفتح الأندلس وتوطيد حكمهم فيها. إلا أن ذلك

---

[١]- فروخ. (1959م)، ص:82.

[٢]- ابن الأثير. (د.ت)، ج:4. ص:657؛ الحموي. (1977م)، ج:3. ص:209.

[٣]- **طارق بن زياد:** أشهر قائد عسكري مسلم، اختلف المؤرخون حول أصوله أبربري أم عربي أم فارسي، قاد العديد من الفتوحات في ظل الدولة العربية الإسلامية كالأندلس منذ سنة 92هـ/710م، بأمر من موسى بن النصير والي إفريقية في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، ثم وقع خلاف بين موسى وطارق حتى استدعاهما الخليفة الوليد وعُزل كل منهما من منصبه، لذا أمضى طارق آخر أيامه في الشام، ومصيره غير معروف إلا أن بعض المصادر تذكر أنه توفي سنة 102هـ/ 720م. للمزيد ينظر: ابن قانع. (1998م)، ج:2. ص:47؛ ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:70؛ الذهبي. (2004م)، ص:2047؛ المقري. (1968م)، ص:230 وما بعد.

[٤]- Nicolle. (2009 A.D), P:65.

[٥]- العدوي. (1957م)، ص:72.

لا يعني أبداً أن ولاة المغرب لم يعد يهتموا بفتح جزر البحر المتوسط الغربي بعد توطيد أمورهم بل على العكس وجهوا اهتماماتٍ كبيرةً وجهوداً مضنية لفتح الجزر الغربية للبحر المتوسط ومنها جزيرة سردينيا. فقد تجددت الحملات العربية الإسلامية عليها عند تولي بشر بن صفوان[١] ولاية المغرب سنة 102-109هـ/720-727م، فطوال مدّة ولايته وجّه حملات بحرية عدّة نحوها، منها حملة بقياالودة يزيد بن مروان اليحصبي وذلك سنة 103هـ/721م، فغنم منها غنائم كثيرة وعادت القوات العربية الإسلامية سالمة[٢]. كما وجَّه حملة بقيادة محمد بن أبي بكر وذلك سنة 106هـ/724م[٣]، وأيضاً حملة أخرى سنة 109هـ/727م، بقيادة حسان بن محمد بن أبي بكر فغنم ما غنم وعاد سالماً[٤]. ويمكن الاستنتاج من هذه الحملات التي وجهها الوالي بشر بن صفوان أنها على الرغم من نجاحها وكسبها للغنائم، إلا أنها كانت دائماً تعود إلى قواعدها في إفريقية وعلى الأرجح إلى قاعدتها البحرية في تونس. ولكن لماذا لم تكن تستقر هذه الحملات في الجزيرة رغم نجاحها؟ ولماذا اقتصر حديث المؤرخين على هذه الحملات بذكر سنة الحملة وقائدها ونجاحه أو إخفاقه؟ ولماذا لم يذكروا تفاصيل تلك الحملات وما نوعُ الغنائمِ التي اكتسبوها، وما مدى مقاومة أهالي الجزيرة لهم، أو مساعدتهم أو أنهم لم يقاوموهم أبداً؟ فمن الممكن أن تكون الحوادث والمعلومات عن هذه السنوات قليلة، لذلك اكتفَوا بما ذكروه.

وعندما تولى ولاية المغرب فيما بعدُ عبيدة بن عبد الرحمن السلمي[٥] سنة 110-116هـ/728-734م، استأنفت الحملات البحرية ضد الجزر الغربية للبحر المتوسط، حيث وجه حملة بحرية في سنة 114هـ/732م، إلى جزيرة سردينيا، بقيادة عبد الله بن زياد الأنصاري وكانت حملة موفقة وناجحة استطاعت دخول الجزيرة والسيطرة

---

[١]- **بشر بن صفوان** بن تويل بن بشر بن حنطلة بن علقمة بن شرحبيل بن عُرين بن أبي جابر بن زهير الكلبي، أمير مصر وليها من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك بعد موت أيوب بن شرحبيل سنة 101هـ/719م، ولي أيضاً الأندلس وأفريقية وأبلى بلاءً حسناً في مدّة ولايته، توفي في القيروان. للمزيد ينظر: الكندي. (1908م)، ص:69؛ ابن القوطية. (1989م)، ص:38؛ ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص: 78؛ ابن تغري. (1929م)، ج:1. ص:244.

[٢]- ابن خياط. (1985م)، ص:328.

[٣]- العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص:38.

[٤]- ابن خياط. (1985م)، ص:339.

[٥]- **عبيدة بن عبد الرحمن السلمي** وهو ابن أخي أبي الأعور السلمي صاحب خيل معاوية في صفين، ولاه هشام بن عبد الملك على المغرب بعد بشر بن صفوان، ولي الأندلس سنة 110هـ/728م، وسيّر أمور المغرب والأندلس معاً. توفي سنة 114هـ/732م. للمزيد ينظر: ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:79؛ النويري. (د.ت)، ج:24. ص:30؛ المسعودي. (2012م)، ص:84.

على أجزاء منها، إلا أنها لم تستقر فيها وعادت محملة بالغنائم والأسرى بعد انسحابها منها[١]. وكما يُلاحظ أن كل الحملات التي سلف ذكرها كتب لها النجاح إذ غنمت وسبت وعادت سالمة، باستثناء حملة وجّهت إلى جزيرة سردينيا سنة 115هـ/733م، بقيادة بكر بن سويد الذي لقيه البيزنطيون فرمَوا مراكبه بالنار الإغريقية[٢]. وإن كانت هذه الحادثة غامضة بعض الشيء فليس هنالك معلومات إلى أي حد أثرت النار الإغريقية في الأسطول العربي، وكم عدد ضحايا هذه الحملة، وكيف حدثت الحادثة؟!

وفي سنة 116هـ/734م، تسلم ولاية إفريقية عبيد الله بن الحبحاب الذي انتهج سياسة قوية استهدفت تحقيق العديد من الأهداف منها تقوية سلطان العرب المسلمين في المغرب، والعمل على إخضاع الأقاليم أو القبائل في المغرب بشكل نهائي، وثانيها الاستمرار في سياسة الغزو البحري المنظم، وآخرها الاجتهاد في جمع الأموال اللازمة لإتمام عمل السيطرة، ولسد مطالب بيت المال وإرضاء حاجات الخلافة[٣]. فقد سيّر في سنة 117هـ/735م، حملة نحو جزيرة سردينيا بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري[٤]، الذي نجح في إصابة قرية منها وأنزل بأهلها هزيمة منكرة بالرغم من مقاومة الأسطول البيزنطي القائم فيها، وعاد منها سالماً بكثير من السبي والغنائم[٥]. وعلى الأرجح أن هذه الحملة لم تكن أكثر من غارة بحرية لم تحقق الهدف الذي خرجت من أجله بسبب صمود البيزنطيين، حتى وإن عدّت جزءاً من النشاط البحري للعرب المسلمين. وفي سنة 119هـ/737م، أمر ابن الحبحاب قثم بن عوانة[٦] بغزو جزيرة سردينيا، فهاجم بعض قلاع الجزيرة، ولكنه غرق أثناء عودته في ظروف غامضة، بناءً على ما أورده ابن خياط "وغرق قثم في مراكب من العرب المسلمين، وسلم بعضهم"[٧]. فهل اعترض الأسطول البيزنطي مراكب

---

[١]- عبد الحميد. (1993م)، ج:1. ص:277.

[٢]- (1985م)، ص:346.

[٣]- عبد الحميد. (1993م)، ج:1. ص:277.

[٤]- **حبيب بن أبي عبيدة الفهري**: حبيب بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، قائد مسلم، كان مع موسى بن نصير حين دخل الأندلس، ثم ولي إفريقية وقاد العساكر في قتال الخوارج من البربر وقتل سنة 124هـ/741م، الضبي. (1989م)، ج:1. ص:599.

[٥]- ابن الأثير. (د.ت)، ج:5. ص:714؛ ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:97؛ عثمان. (1966م)، ج:2. ص:106؛ العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص:39.

[٦]-**قثم بن عوانة**: لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

[٧]- (1985م)، ص:349.

العرب المسلمين، أم إن ظروفاً جويّة سيئة هي التي تسببت في غرقها؟ ومن الممكن اجتماع السببان معاً. وهكذا يتبين مما سلف أن تلك الحملاتِ جميعَها نحو جزيرة سردينيا لم تنجح في إخضاع الجزيرة لسيطرتهم بالكامل، إلا أن العرب المسلمين على ما يبدو أرادوا من غزو الجزيرة إشغال البيزنطيين في الدفاع عنها بدلاً من الهجوم على الساحل الإفريقي، وأن العرب المسلمين أرادوا من هذه الهجمات أيضاً أن يأمنوا عمليات السيطرة في الأندلس.

خامساً: فتح جزيرة قوصرة Qusra 88-130هـ/706-747م.

قَوْصرة جزيرة في البحر المتوسط بين المهدية[١] وجزيرة صقلية، وتعني وعاء التمر، ومنهم من يكتبها بالألف قوصرا[٢]. وكلمة قوصرة، اسم يوناني معناه السلة أو السفط، وهي بالمعنى نفسه في اللغة العربية وعاء التمر[٣].

وتعرف أيضاً باسم بنطلارية، Pantellaria، وهو الاسم الذي أطلقه الإسبان عليها، والتي تقع في منتصف الطريق بين صقلية وإفريقية، وتبلغ مساحتها نحو خمسة وثمانين ميلاً مربعاً، وهي بمثابة إحدى المدائن المتوسطة من البلاد التونسية[٤]. ويُذكر بأنها على ستين ميلاً من صقلية وأربعين من إفريقية وكانت تلك الجزيرة القنطرة التي قفزوا منها إلى صقلية[٥]. فهي تلي مدينة مازرا Mazara[٦] وتدعى أيضاً مزارة، من صقلية بينهما مجرى، وكذلك من قوصرة إلى بر إفريقية مجرى، وجزيرة قوصرة ترى من مدينة مازرا، وترى أيضاً من قليبية[٧]، لأن هذه الجزيرة جبل عال جداً وقد تنبه العرب المسلمون إلى أهمية هذه الجزيرة، وكيف أنها بمثابة مكمن للغزاة من العرب المسلمين

---

[١]- **المهديــة:** مدينــة صــغيرة فــي المغـرب أسسـها المهـدي، نسـبة إليـه، وهـي ذات موقـع اسـتراتيجي حيـث يحـيط بهـا البحـر مـن الجهـات كافـة، وذات عمـارة متينـة وأسـوار حصـينة، اشـتهرت بالتجـارة، وفيهـا الكثيـر مـن القصـور والحمامـات والخانـان والغـلات اللذيـذة. للمزيـد ينظر. ابن حوقل. (1992م)، ص:73؛ الحموي. (1977م)، ج:5. ص:230.

[٢]- الحموي. (1977م)، ج:4. ص:413.

[٣]- طرخان. (1966م)، ص:98.

[٤]- عبد الوهاب. (1949م)، مج:2. ص:55-56.

[٥]- فازيليف. (1900م)، ص:63.

[٦]- **مــازرا:** لـم يـتم الوقـوف عليهـا فـي المعـاجم، إلا أن النـويري ذكـر أنهـا فقـط مدينـة فـي صـقلية مطلـة علـى البحـر المتوسـط ينسـب إليهـا بعض شراح الصحيح إليها. (2004م)، ج:24. ص:207.

[٧]- **قليبيــة:** وهـي قلعـة علـى جبـل بناهـا الفينيقيـون الـذين اهتمـوا بهـا بشـكل واسـع. الكعـاك. (1965م)، ص:8-9. إلا أنهـا لـم تـذكر عنـد ابن حوقل والحموي وغيرهم.

والبيزنطيين للسيطرة منها على جزيرة صقلية، فاتجهت أنظارهم نحوها لحرمان البيزنطيين منها ويبدو أنهم قد أرادوا في الوقت نفسه أن يقطعوا عن صقلية أهم مصدر للخشب[١] إذ إنها مقطع للخشب الجيد التي كانت تستفيد منه صقلية، فهي جزيرة صغيرة خصبة فيها آثار وأشجار ولها من جهة الجنوب مرسى يحميها إذا هبت الرياح[٢]. فلا يُستبعد أن العرب المسلمون أرادوا الاستفادة من أخشاب هذه الجزيرة لإمداد دار الصناعة في تونس. فامتلاك العرب المسلمين لإفريقية وكذلك قرطاجة عاصمتها الكبرى من يد البيزنطيين، دعاهم بحكم الضرورة إلى توجيه أنظارهم إلى غزو الجزائر المتوسطة في البحر، فقد حملهم على ذلك إدراكهم لأهمية هذه الجزيرة لحماية سواحل المغرب من هجمات الأسطول البيزنطي، ولاسيَّما أن فيها العديد من البيزنطيين الذين هربوا من تونس أثناء دخول العرب المسلمين إليها وتوجهوا نحو قوصرة وتمَ إجلاؤُهم عنها إلا أن البيزنطيين بقيت لهم مطامعُ في الرجوع إليها[٣]. وقبل الحديث عن بداية غزو العرب المسلمين لهذه الجزيرة، من المناسب ذكر أن تفاعل التقاليد المصرية في صناعة الأساطيل البحرية مع الخبرات المكتسبة في إفريقية جيلاً بعد جيل، كانت حصيلة ازدهار صناعة الأساطيل والنشاط البحري في إفريقية وبلاد المغرب كافة. ويورد ابن خلدون مسوغات تفوق العرب المسلمين في النشاط البحري، وما كان لذلك من الشأن، حيث قال: "وكان المسلمون لعهدة الدولة الإسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه، فلم يكن للأمم المسيحية قبل بأساطيلهم بشيء من جوانبه، وامتطَوا ظهرهِ للفتح سائر أيامهم، فكانت لهم المقامات المعلومةُ من الفتح والغنائم، وملكوا سائرَ الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة ويابسة وسردينيا وصقلية وقوصرة مالطة[٤] وإقريطش وقبرس، وسائرَ ممالك الروم والإفرنج..، والمسلمون خلال ذلك كلّهِ قد تغلبوا على كثير من لُجَّة هذا البحر، وصارت أساطيلهم فيهم جائيةً وذاهبةً، والعساكر العربية الإسلامية تجيز البحر في الأساطيل من صقلية إلى البر الكبير المقابل لها من العدوة الشمالية، فتوقع

---

[١]- الحميري. (1975م)، ص:486.

[٢]- الحميري. (1975م)، ص:486؛ فازيليف. (1990م)، ص:62.

[٣]- الكعاك. (1965م)، ص:9.

[٤]- **مالطة:** جزيرة من جزر البحر المتوسط المشهورة والكبيرة تقع بين صقلية وكريت، إلى الشرق من جزيرة قوصرة طولها ثلاثون ميلاً وقيل سبعون، وهي كثيرة الخيرات، وفيها العديد من المدن والقرى والأشجار والثمار كالصنوبر والعرعر والزيتون، والحيوانات المتعددة، وهي تقابل مدينة مسينا وبينهما طريق بجري واحد كما يربطها طريق بحري آخر مع قلعة شكلة بصقلية التي يقصدها المسافرون والتجار من مالطة. ابن حوقل. (1992م)، ص:185؛ القزويني. (د.ت)، ص: 682؛ النويري. (2004م). ج:1. ص:221؛ الحميري. (1975م)، ص:520.

بملوك الإفرنج، وتئخن في ممالكهم.. وأساطيل العرب المسلمين قد ضربت عليهم ضِراء الأسد على فريسته، وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عُدّة وعدداً"[١]. فقد تمَّ توجيه أول حملة ضد هذه الجزيرة في ولاية موسى بن نصير، الذي أمر عبد الملك بن قطن الفهري[٢]، أن يخرج من القاعدة البحرية الجديدة في تونس، على رأس حملة بحرية نحوها سنة 88هـ/706م، ففتحها وخرب حصونها وعاد ظافراً[٣]. ثم غزاها حبيب بن أبي عبيدة الفهري زمن ولاية عبيد الله بن الحبحاب لإفريقية والمغرب في سنة 118م/736م[٤]. إلا أن استيلاء العرب المسلمين النهائي على هذه الجزيرة كان حوالي سنة 130هـ/747م، على يد عبد الرحمن بن حبيب الفهري حفيد عقبة بن نافع، وقد أفادت قوصرة بحكم موقعها الاستراتيجي المتوسط الجيش الفاتح فائدة كبيرة إذ إنها ساعدت العرب المسلمين على الاحتماء بقلعتها والتحصن بمرفئها المنيع[٥].

ورغم تعدد الحملات البحرية التي تمّ توجيهها نحو جزر البحر المتوسط الغربي والمقاومة التي لقوها من أهالي الجزر من جهة، ومن الأساطيل البيزنطية من جهة أخرى، إلا أن العرب المسلمين لم يستسلموا وأثبتوا براعتهم في إنشاء وتدعيم الأساطيل العربية الإسلامية، وقدرتهم على زعزعة كيان الإمبراطورية البيزنطية والاستيلاء على جزر البحر المتوسط التابعة لها.

---

[١] – (2001م)، ج:1. ص:314–315.

[٢]- **عبد الملك بن قطن** بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن جحوان بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب الفهري، تولى ولاية الأندلس مرتين بعد مقتل عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي سنة 115هـ/733م، والمرة الثانية بعد موت عقبة بن الحجاج السلولي سنة 123هـ/740م، في عهده ثارت عليه البربر، فاستعان بجند الشام المحاصرين في المغرب لمقاومة هذه الثورة، ثم انقلبوا عليه وقتلوه بعد أن هزموا البربر سنة 125هـ/742م. للمزيد ينظر: الحميدي. (2008م)، ص:413؛ ابن القوطية. (1989م)، ص:38–42؛ ابن حزم. (1982م)، ص:179؛ ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:86.

[٣] – البكري. (1857م)، ص:45؛ العدوي. (1957م)، ص:73.

[٤] – العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص:39.

[٥]– طرخان. (1966م)، ص:98؛ العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص:39؛ كيلاني. (1995م)، ص:39.

الفصل الثالث:

النزاع الحربي بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية 99-130هـ/717-747م.

أولاً: أسباب ركود الأسطول العربي الإسلامي خلال المدّة 49-99هـ/669-717م.

١- إخفاق العرب في حصار القسطنطينية الأول 49هـ/669م.

٢- بداية نشوء الثيمات.

٣- إخفاقات العرب المتكررة في حصار القسطنطينية وأثر سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز 54-99هـ/673-717م.

٤- الإصلاحات العسكرية للثيمات في عهد الإمبراطور ليو الثالث 99هـ/717م.

ثانياً: تجدد النزاع الحربي البحري بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية 100-125هـ/718-742م.

١- الغارات البيزنطية على السواحل العربية الإسلامية 100-107هـ/718-725م.

٢- استئناف الحملات البحرية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك 105-125هـ/723-742م.

ثالثاً: تجدد النزاع بين الدولة العربيَّة الإسلاميَّة والإمبراطوريَّة البيزنطيَّة على جزيرة قبرص 125-130هـ/742-747م.

إن إنشاء معاوية بن أبي سفيان للأسطول العربي الإسلامي وخوضه أرجاء البحر المتوسط بالتعاون مع الأسطول المصري في فتح جزره وسواحله، دفعه للتوسع أكثر فأكثر رغبةً في السيطرة على كامل جزر البحر المتوسط الغربية والشرقية، ولتحقيق ذلك كان لا بد من الاستيلاء على العاصمة البيزنطية القسطنطينية المحصنة والمحيطة بالبحر، فإن نجح العرب المسلمون في الاستيلاء عليها سيسهل عليهم فتح الجزر القريبة منها، وكذلك فتح باقي المدن الأخرى لنشر الدين الإسلامي. لذلك حاول العرب المسلمون مرات عدّةٍ محاصرة القسطنطينية إلا أن محاولاتهم باءت بالإخفاق لعوامل عدّةٍ أهمها حصانة المدينة وأسوارها العالية فضلاً عن استخدام البيزنطيين للنار الإغريقية الفتاكة آنذاك، ووصول بعض الأباطرة إلى سدّة الحكم حيث قاموا بأعمال عديدة لصالح الجيش والعاصمة والإدارة، كل ذلك أسهم في ركود الأسطول العربي الإسلامي لحقبة من الزمن.

إلا أن ذلك لم يمنع أبداً تجديد الهمة والعودة لشن الغارات العربية الإسلامية على جزر البحر المتوسط وسواحله واستعادة ما أخذه البيزنطيون، وبذلك عاد الاحتكاك الحربي البحري بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة العربية الإسلامية فكانت النتيجة تارة لصالح الأخيرة وتارة لصالح بيزنطة، إلى أن توقف نشاط القوة البحرية العربية الإسلامية في شرق البحر المتوسط.

أولاً: أسباب ركود الأسطول العربي الإسلامي خلال المدّة 49-99هـ/669-717م.

١- إخفاق العرب في حصار القسطنطينية الأول 49هـ/669م.

ذُكر أن من بين الدوافع التي دفعت العرب المسلمين لإنشاء الأسطول العربي الإسلامي سعيهم إلى الاستيلاء على القسطنطينية، وتمّ محاصرتها مراراً إلا أن الإخفاق لازم العرب المسلمين وذلك بسبب حصانة القسطنطينية ومناعة أسوارها وقوة المدافعين عنها وأيضاً استخدامهم للنار الإغريقية في الدفاع. ومن المرجح أيضاً أنه من بين العوامل وقوعها بين جبهتين آسيوية وأوربية فكان العرب المسلمين يحاصرونها من الجبهة الآسيوية،

لكن الإمدادات كانت تصلها من الجبهة الأوربية، مما جعلها محصنة أمام العرب المسلمين. إلا أن معاوية استمر في جهاده ضد البيزنطيين بعد أن اطمأن على حسن تدريب جيشه الحربي البحري، فقد أرسل عام 49-50هـ/669-670م، حملة بريّة استطلاعيّة بقيادة سفيان بن عوف مع يزيد بن معاوية واشترك معه أصحاب أجلاء مثل ابن عباس وابن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري، بينما قاد الحملة البحرية فضالة بن عبيد الله الأنصاري[١]. وقد حوصرت القسطنطينية التي كان يتولى الدفاع عنها آنذاك الإمبراطور قسطنطين الرابع، والذي يعدّ عهده بداية لمرحلة جديدة ومهمة من مراحل التاريخ البيزنطي، وقد أصبح الصراع العربي الإسلامي البيزنطي حاسماً في عهده[٢]. إذ أظهر الجنود العرب المسلمون في ذلك الحصار جهوداً مضنية وبسالة في القتال حتى توفي أبو أيوب الأنصاري[٣] ودفن بالقرب من أسوار القسطنطينية، ويعدّ قبره من أقدس المواقع العربية الإسلامية[٤]. وبعد ذلك رُفع الحصار عنها وعاد جيش العرب المسلمين إلى الشام في العام نفسه، بعد أن تبين أن خير سبيل للاستيلاء على العاصمة البيزنطية هو إعداد أسطول بحري قوي يساند القوات البرية ويساعدها في حصار تلك العاصمة المنيعة. مما يؤكد أن هذه الحملة كانت مجرد حملة استطلاع للطرق البريَّة والبحريَّة المؤدية إلى القسطنطينية، وكذلك لمعرفة ما يلزم لمواجهة العدو من خطط وأسلحة وقيادة وإلى ما هنالك تمهيداً لاقتحامها[٥].

٢- بداية نشوء الثيمات Themata[٦].

---

[١]- الطبري. (د.ت)، ج:5. ص:232؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج:3. ص: 480؛ ابن كثير. (1992م)، ج:8. ص:32.

[٢]- العريني. (1965م)، ص:148.

[٣]- **أبو أيوب الأنصاري:** خالد بن زيد بن كليب الخزرجي النجاري البدري، هو الذي خصه النبي ﷺ بالنزول عليه في بني النجار إلى أن بنيت له حجرة أم المؤمنين سودة وبنى المسجد الشريف، فقد شهد المشاهد كلها ولم يتخلف عن غزاة إلا عاماً، توفي عندما غزا العرب المسلمون القسطنطينية بقيادة يزيد بن معاوية. للمزيد ينظر: الذهبي. (2004م)، ص:1594

[٤]- ابن كثير. (1992م)، ج:8. ص: 32؛ عبد العليم. (1979م)، ص:80؛ Turnbull. (2004 A.D), P.48.

[٥]- بركات. (2007م)، ص:85.

[٦]- **الثيمات أو الثيما:** نظام عسكري أوجده البيزنطيون في القرن 1هـ/7م، للتصدي للعرب المسلمين في آسيا الصغرى، وبدأ النظام بأن أنزلت ألوية معينة في الجند بصفة دائمة في أقاليم معينة، وكان قائد اللواء يمنح سلطات مدنية لسكان الناحية ثم تحول الاسم رويداً رويداً فأصبحت الأقاليم نفسها تعرف في مجموعها باسم ثيمات أي الألوية بمعنى المناطق العسكرية وصارت كل منها تحمل اسم فرقتها الخاصة النازلة فيها، فالأصل في نظام الثيمات إنزال فرق معينة أي تجمعات نظامية من الكتائب للدفاع عن نواحي ثابتة ومعينة، ومن ثم سميت تلك النواحي باسم ألوية الثغور. وهو عبارة أيضاً عن دمج المجالات العسكرية والمدنية في مناطق إدارية مميزة كل منها يحكمها قائد يسمى استرايجوس، ويدفع لهذا الجيش بغية انخراط في هذا الثيم ووفائه قطعة أرض يعمل بها في أوقات

كانت الحملة العربية الإسلامية الأولى التي شنها معاوية بن أبي سفيان على القسطنطينية ذات أثر كبير جداً على سياسة الأباطرة البيزنطيين، إذ جعلتهم يدركون أن الجيوش العربية الإسلاميَّة قد وصلت إلى مشارف عاصمتهم، وأنهم على أتم الاستعداد لمواصلة حملاتهم على العاصمة بشكل أقوى من قبل، لذلك لابد من اِتباع سياسة حكيمة واتخاذ كافة الوسائل والإجراءات اللازمة لإنقاذ العاصمة، وجعلها بعيدة عن متناول يد العرب المسلمين. لذا بدأ الأباطرة البيزنطيون ينفذون سياستهم الجديدة في إقليم آسيا الصغرى الذي غدا بعد ضياع بلاد الشام ومصر منذ دخول العرب المسلمين إليهم سنة 18هـ/639م أهم مورد تستمد منه الإمبراطورية الجنود القادرين على القتال، وكذلك الأموال اللازمة للنهوض بمرافق الدولة والدفاع عن العاصمة، فوضعوا للدفاع عن هذا الإقليم الذي غدا خط الدفاع الأول عن القسطنطينية، نظاماً حربياً جديداً عرف باسم الثيمات. والذي بدأت نواته الأولى تترعرع منذ المحاولات الأولى للعرب المسلمين للدخول إلى بلاد الشام ومصر، ثم أخذ ينمو ويتطور وفق الحوادثِ ومقتضيات الظروف، وقد اهتم الأباطرة جميعاً بهذا النظام الجديد حتى اكتملت صورته وأوضاعه[١].

وقد ظهر الاهتمام الحقيقي بهذا النظام الحربي وتطور في عهد الإمبراطور هرقل لاسيَّما بعد المخاطر التي واجهته، فاتبع نظاماً إدارياً حربياً حيث قام بتقسيم المقاطعات البيزنطية إلى وحدات إدارية جديدة تختلف في الأسس عن تقسيم الإمبراطورين دقلديانوس Diocletianus 284-305م[٢]، وقسطنطين الأول الكبير Constantine I 306-337م[٣]، والذي كان ينادي بالفصل بين السلطتين الإدارية والعسكرية، فقد قسم آسيا الصغرى إلى مناطق عسكرية كبيرة تسمى ثيمات[٤]. حيث وُضع ذلك التقسيم بما يتلاءم مع ظروف الإمبراطورية

السلم ويجهز عدّة الحرب ليكون جاهزاً إذا قام أي اعتداء على الإمبراطورية البيزنطية. هارتمان، وباراكلاف. (1970م)، ص:99؛ Runciman. (1961 A.D), p:88-135 ؛Nicholson. (2018A.D), P: 1471-1472.

[١]- العدوي. (1953م)، ص:158.

[٢]- **دقلديانوس:** ولد عام 244م، تسلم عرش إمبراطورية روما عام 284م، وقام باضطهاد المسيحيين منذ بداية عام 286م، وقتل حوالي 6600 منهم، وهدم الكنائس المسيحية وكان من أعنف أباطرة الرومان قسوة على من اعتنق الديانة المسيحية، وخصوصاً مع مسيحيي أهل مصر. كواستن. (2017م)، ج:2. ص:441-442.

[٣]- **قسطنطين الأول الكبير:** ولد عام 272م، ابن كلوروس قسطنطيوس Constantius Cholors، الذي كان إمبراطوراً مشاركاً في القسم الغربي حيث تسلم الحكم من 305م إلى 306م، وبعد موت كلوروس قامت الحامية الرومانية بانتخاب قسطنطين خلفاً لأبيه، تميز بسماحة الخلق وجمال الشخصية وطول القامة، تفوق على أقرانه في مواهبه العقلية أكثر من قوته البدنية بنى مدينة القسطنطينية وجعلها عاصمة روما الجديدة. القيصري. (1975م)، ص:20-19؛ عبد الهادي. (2016م)، ص:101.

[٤]- توفيق. (1967م)، ص: 76؛ فرج. (1982م)، ص: 198؛ فرح. (1978م)، ج:1. ص: 225.

بحالتها الراهنة الجديدة، فكان يهدف من ذلك جمع كل من السلطات المدنية والعسكرية في أيدي القادة العسكريين، والقضاء على الحركات الانفصالية في أرجاء هذه الأقاليم، وتقوية الدفاع عن الحدود[١]. وأصبحت هذه الثيمات أساس نظام إدارة الأقاليم في الدولة البيزنطية لقرون طويلة. ووضعت هذه المناطق تحت إدارة قادة عسكريين لهم السلطة العليا في المنطقة الإدارية، ويطلق على كل منهم لقب استراتيجيوس Strategus[٢].

فما المسوغات التي دفعت هرقل إلى إنشاء هذا النظام، هل هي مخاطر داخلية تمثلت بالفتن والثورات ضده أم مخاطر خارجية تمثلت أهمها بسيطرة العرب المسلمين. أم اجتماع هذه الأخطار سويَّاً مما أضعف الإمبراطورية البيزنطية وقدرتها على حماية عاصمتها ومقاطعاتها؟

هناك العديد من المسوغات التي أدت إلى نشوء هذا النظام، فقد باتت بيزنطة في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي على شفير الهاوية، إذ اندلعت الحروب الأهلية في كل مكان وأطبق أعداؤها عليها من الشرق والغرب فأصبحت عاصمتها القسطنطينية مهددة بالسقوط، وكان إمبراطورها فوكاس Phocas 602-610م[٣]، ضعيفاً غير قادر على حماية العاصمة والصمود، فتآمر عليه الأهالي والفئات المعادية وأسقطوا حكمه ونادَوا برجل يدعى هرقل، ليساعدهم وسرعان ما لبى نداءهم واستغاثتهم في تخليص الإمبراطورية من الأخطار الخارجية. وبالفعل تبوأ هرقل عرش بيزنطة سنة 610-695م، وهي في انهيار تام حيث كانت تمر بأصعب الأزمات، وجهازها الإداري معطل وينخر فيه الفساد، وقواتها العسكرية عبارة عن خليط من المرتزقة كانت عاجزة عن حماية الحدود ومقاومة الغزاة الذين يهددون باحتلال المقاطعات البيزنطية في الشرق والغرب بعد هزيمته على أيدي العرب المسلمين مرات عدّة، فضلاً عن ذلك تناحر الطبقات وتطاحن الأحزاب وتصارع أنصار المذاهب المختلفة، وذلك بسبب تضارب المصالح الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ناهيك عن الأخطار الخارجية المتمثلة بجحافل الفرس التي وصلت

---

[١]- العريني. (1956م)، ص:5؛ Diehl. (1957 A.D), P:10

[٢]- فرح. (1978م)، ج:1. ص:224.

[٣]- **فوكاس:** تحول من ضابط إلى إمبراطور أثناء وجوده على تخوم الدانوب، وساعده العسكر المتمردون على موريس، وذلك عام 602م، وكان طاغية، حيث أعدم موريس وأولاده، كان قليل الذكاء ومتوسط القامة قبيحاً مخيف المنظر، ومدمناً على القتل والخمر والنساء، مات سنة 610م، نتيجة اغتياله على يد هرقل الذي تسلم الحكم بعده.

Simocatta. (1986A.D), P.259.

إلى ضواحي القسطنطينية والسلاف Slave[١]، والآفار Avars [٢] ثم العرب المسلمين إلى الأقاليم الشرقية[٣]. فضلاً عن معاناة الإمبراطورية البيزنطية من الخزينة الفارغة والاقتصاد المتدهور مما أصابها ضعفاً مالياً أعجزها عن الاعتماد على الجيوش المرتزقة وتمويلهم بالمال، واضطرت أمام الأخطار الخارجية أن تعتمد على أبناء أقاليمها وتجنيدهم في جيشها[٤]. لذلك أمام هذه المخاطر مجتمعة قدّر هرقل المسؤولية الملقاة على عاتقه واضطر أن يكون بمثابة المنقذ للإمبراطورية البيزنطية، ففكر بالقيام بإصلاحات إدارية وعسكرية داخلية، وإصلاح عيوب الإدارة وإنعاش الاقتصاد البيزنطي، وتنظيم الجيش والأسطول البحري، وقد ساعدته هذه الإصلاحات على تخطي الصعوبات الداخلية والأخطار الخارجية وحققت له الصمود أمام زحف العرب المسلمين وسد الطرق الرئيسة المؤدية إلى القسطنطينية. وبالكاد نجح هذا النظام الجديد في سائر الولايات حتى سار التجنيد وفق قواعد دقيقة متينة، فالجنود أصبحوا يجندون من سكان المنطقة نفسها مقابل إقطاعهم قطعاً من الأراضي الزراعية يستثمرونها في أوقات السلم ويستنفرون للقتال في أوقات الحرب دفاعاً عن المناطق المهددة إذا لزم الأمر. وإذا كانت بعض المناطق فقيرة بسكانها فالإمبراطورية تقوم بنقل بعض السكان إليها من المناطق المجاورة، وتوزع عليهم الأراضي الزراعية شريطة القيام بخدمات عسكرية في أوقات الحرب، وبذلك أصبح تحت تصرف حاكم كل إقليم جيش مدرب من أبناء البلاد. وهكذا فقد اتسمت التنظيمات الإدارية الجديدة بالطابع العسكري، وتحولت المقاطعات البيزنطية إلى معسكرات حربية دائمة. فما النتائج التي اكتسبتها الإمبراطورية البيزنطية من جراء أعمالها بتقوية حدود دولتها ورفع اقتصادها وزيادة أموال خزينتها والتخفيف من عبأ المصاريف للمرتزقة وغيرهم بالاستفادة من تجنيد أهالي السكان أنفسهم؟

---

[١]–**السلاف**: وتعني باللغة الأجنبية العبيد، وهم قبائل بربرية جرمانية اختلف المؤرخون في تحديد موطنهم الأصلي لكن يعتقد أنهم من منطقة بيلاروسيا وبولندا الحالية، هاجروا منها إلى أوروبا في القرن السادس الميلادي واصطدموا مع الامبراطورية البيزنطية في معارك عدّة. القزويني. (د.ت)، ص:614.

[٢]– **الآفار**: أو كما يسمونهم العرب الأوار، وهم شعوب بدوية في آسيا الوسطى –منغوليا حالياً–هاجروا في أواخر القرن السادس أمام ضربات الهون فعبروا نهر الفولغا ومنطقة القوقاز والمناطق الواقعة القادرة بالنهوض بإدارة الحكومة والدفاع عنها، كانت أعمالهم تتسم بالوحشية ضد المونوفيزيتين واليهود، فقد اصطدموا مع القبائل السلافية، وأقاموا دولة في شرق أوروبا واصطدموا مع البيزنطيين وحاولوا السيطرة على القسطنطينية إلا أنهم أخفقوا في ذلك. Curta. (2006 A.D), P: 13

[٣]– العريني. (1965م)، ص:5؛ فرح. (1978م)، ج:1. ص:224.

[٤]– أحمد. (د.ت)، ص:7–8؛ العدوي. (1953م)، ص: 160.

استطاعت الإمبراطورية البيزنطية نتيجة هذه التنظيمات الجديدة أن تستغنيَ عن الجنود المرتَزِقَةِ الذين يكبدون الدولة خسائر فادحة، كما أنهم كانوا غير مؤهلين للاعتماد عليهم في القتال الاعتماد الكامل، وقد حلَّ الجنود الوطنيون من سكان البلاد الأصليين محلهم وأصبحوا يقاتلون بحماس وحميّة دفاعاً عن الأرض التي امتلكوها، وارتبطت حياتهم بها وأصبحت مصدر رزق لهم. فقد خفف هذا الجيش المصاريف على الدولة التي كانت تدفعها للجنود المرتزقة، وثمن الأسلحة والخيول وغيرها. حارب الإمبراطور هرقل الفرس في حملاته المظفرة بجيش عبّأه على النمط السالف، –أي من أبناء أقاليم الإمبراطورية–، واستطاعت الإمبراطورية البيزنطية بفضل هذه التنظيمات زيادة قوتها العسكرية، فنجحوا في دحر الفرس والصمود في وجه العرب المسلمين والبلغار فيما بعد. من ناحية أخرى أدت التنظيمات الإدارية والعسكرية إلى ازدياد القوة الاقتصادية في بيزنطة، وازدياد الإنتاج الزراعي، عندما وزعت أراضي البور على الجنود فاستثمروها وقاموا بإصلاحها على أكمل وجه. وهنا يجدر القول أن التنظيمات الإدارية والعسكرية التي أسسها هرقل بقيت القاعدة التي ارتكزت عليها قوة بيزنطة العسكرية والاقتصادية خلال القرون اللاحقة[١]. كان معظم الجند من الفرق الأرمينية وفرق تراقيا thrace، والأقاليم الشرقية للدولة، إلى جانب فرق الإمبراطور الخاصة، والتي تعرف باسم الحرس الإمبراطوري. فقد ارتد جيش هرقل إلى آسيا الصغرى التي غدت عندئذٍ موضع عناية الأباطرة لمواجهتها لدولة العرب المسلمين الفتية لأنها أصبحت أهم مورد تعتمد عليه الدولة في تجنيد جيوشها وتعبئة أساطيلها ومن ثم اقتضى الدفاع عن الأراضي البيزنطية وضع آسيا الصغرى في حالة دفاع دائم. ولاسيَّما بعد سيطرة العرب المسلمين على بلاد الشام عام 18هـ/639م ومحاولتها حصار القسطنطينية والسيطرة عليها[٢]، فاتجه الأباطرة إلى تطبيق سياسة هذا النظام مع إدخال بعض التعديلات التي تتفق مع الدفاع عن العاصمة. كان النظام الجديد الذي طبقه الأباطرة البيزنطيون على آسيا الصغرى هو توزيع فيالق من الجيش على جهات منها تعسكر فيها بصفة دائمة، كما منح الأباطرة الجنود المقيمين في هذه الجهات قطعاً من الأرض يستغلونها ويتمتعون بخيراتها كما ذُكر، لترغيبهم في الاستقرار بأماكنهم وتشجيعهم على الاستمرار في الدفاع عنها. إلى جانب ذلك تم منح قائد الفيلق في الإقليم سلطات مدنية واسعة، وأصبحت آسيا الصغرى مقسمة

---

[١]– فرح. (1978م)، ج:1. ص: 224–225.

[٢]- رنسيمان. (1997م)، ص:97.

إلى أقاليمَ حربيةٍ يقيم في كل منها فيلقٌ من الجيش يجمع قائده بين مهام الإشراف على جنده وأعباء تيسير أمور وإدارة الدولة، وعرف هذا التقسيم الإداري الجديد باسم نظام الأجناد أو البنود أو حتى ما يسمى الثغور أو الثيمات حيث لكل فيلق أو جند بند خاص أو علم كبير يميز بعضها عن بعض[١].

٣- إخفاقات العرب المتكررة في حصار القسطنطينية وأثر سياسة الخليفة عمر بن العزيز 54-99هـ/673-717م.

خلال الوقت الذي جهدت فيه الإمبراطورية البيزنطية على إعادة تنظيم أحوالها الإدارية، وتدعيم نظام الثيمات، بعد أن شعرت بوصول يد العرب المسلمين القوية إلى أسوار عاصمتها، لصدهم ومحاولة منعهم من الاستيلاء عليها صمم الخليفة معاوية بن أبي سفيان على إعداد حملة ثانية لزعزعة دعائم البيزنطيين، حيث أرسل حملة في سنة 54هـ/673م، بقيادة عبد الرحمن بن خالد إلى القسطنطينية، يؤازرها أسطول بحري[٢]، إلا أن استخدام البيزنطيين للنار الإغريقية كوسيلة دفاع تسبب في حرق عدد كبير من سفن الأسطول العربي الإسلامي، وبث الرعب والهلع في نفوس المحاصرين وأدى ذلك إلى الاضطراب في صفوفهم. وفي الحقيقة كان لاختراع النار الإغريقية الفضل في صمود القسطنطينية وعدم سقوطها بيد العرب المسلمين، فاستعمالها منح الأسطول البيزنطي تفوقاً حاسماً على الأسطول العربي الإسلامي، مما اضطرت مراكب العرب المسلمين للانسحاب[٣]. وبعد سبع سنوات من حصار القسطنطينية شعر معاوية بن أبي سفيان بدنو أجله، وليؤمّن البيعة لابنه يزيد من بعده[٤]، جمع أعيان العرب المسلمين وأجبرهم على أداء قسم الولاء لابنه يزيد، ومن هنا بدأت فكرة الخلافة الوراثية وهي فكرة جديدة في الدولة العربية الإسلامية[٥]. لذلك كان لابد من سحب الأسطول العربي الإسلامي لضمان حماية الحكم الأموي من الفوضى والاضطراب، وفي طريق عودتهم هبّت موجة عاتية من الأعاصير حطمت بعض سفن العرب

---

[١]- العدوي. (1953م)، ص: 160-161؛ رنسيمان. (1997م)، ص:99-100.

[٢]- Turnbull. (2004 A.D), P. 48.

[٣]- توفيق. (1967م)، ص:73؛ Kontogiannis. (2022 A.D), P:86. ; Diehl. (2006A.D), P:50

[٤]- خماش. (2001م)، ص: 105.

[٥]- Foss. (2008 A.D), P: 56.

المسلمين، وهكذا اجتمعت النيران الإغريقية التي قذفها البيزنطيون مع العواصف التي حطمت عدداً كبيراً من قطع الأسطول العربي الإسلامي لتضع نهاية للحصار[١]. وقضت على ما تبقى من العرب المسلمين، فلم ينج منهم سوى القليل الذين عادوا إلى قواعدهم في بلاد الشام ومصر[٢]. وترتب على إخفاق العرب المسلمين في حصارهم للقسطنطينية نتائج بالغة الأهمية، حيث دخل معاوية في مفاوضات مع البيزنطيين سنة 59هـ/678م[٣]، وأُنهيت بإبرام اتفاقية فيما بينهما مدتها ثلاثين عاماً[٤]، تنص على أن يدفع معاوية ثلاث آلاف قطعة ذهبية، وأن يرسل إليه خمسين عبداً وخمسين حصاناً كل عام، وتعد هذه أول اتفاقية عملت على وقف تقدم العرب المسلمين[٥]. في حين ترتب على صمود القسطنطينية إزاء الهجوم العربي الإسلامي توقف زحف العرب المسلمين إلى أوروبا من جهة الشرق[٦]، أما بالنسبة للبيزنطيين فقد زادت هذه الحرب من هيبة الإمبراطور قسطنطين الرابع، فأذعنت له العناصر المشاغبة في شبه جزيرة البلقان من الآفار والصقالبة[٧]، وأعلنوا احترامهم وولائهم للإمبراطور البيزنطي، كما أرسلوا الرسل والهدايا له، والتمسوا إقامة علاقات سلام ومودة معه[٨]. ولعل الأضرار التي أصابت الأسطول العربي الإسلامي في حصار القسطنطينية الثاني هي التي أخرت النشاطات البحرية ضدها إلى زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك 97-99هـ/715-717م.

وبذلك توقفت الحملات العربية الإسلامية ضد القسطنطينية ما بين الحقبة 60هـ/679م، حتى سنة 99هـ/717م، إلا أن العرب المسلمين استغلوها في استكمال سيطرتهم على سواحل البحر المتوسط وإرسال قواتهم إلى جزره وفتح بعضها وإشغال الأخرى في الدفاع عن نفسها، ويبدو أن ذلك كان ضمن خطة بعيدة المدى حتى

١- العسلي. (1988م)، ج:1. ص: 204.

٢- الشيخ. (1994م)، ص: 99؛ Konstam. (N.D), P:96

٣- Diehl. (2006 A.D), P:50.

٤- Konstam. (N.D), P: 95.

٥- توفيق. (1967م)، ص:73؛ العريني. (1965م)، ص:151؛ Foss. (2008 A.D), p:38

٦- العريني. (1965)، ص:151.

٧- **الصقالبة:** يطلق على أمة مرجعها أصل واحد، وأصلهم مبهم لدى أكثر المؤرخين العرب واليونان والرومان فيذكر مجهول أن الصقالبة بلد في أرض بيزنطة أهلها صقالبة يؤمنون بالمسيحية ويعطون الخراج لإمبراطور بيزنطة، وهم أثرياء وبلدهم يسودها الأمان لهم عادات وتقاليد غريبه كحرق موتاهم، وحرق المرأة نفسها بعد موت زوجها. أما الحموي فيذكر أنهم "جيل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون بلاد الخور في أعالي جبال الروم"، والصقالبة بلاد بين البلغار والقسطنطينية. (1999م)، ص:138؛ (1977م)، ج:3. ص:416.

٨- الشيخ. (1994م)، ص: 102.

تسمح الظروف للوصول إلى القسطنطينية[١]. وأخذت الخلافات والنزاعات تنتشر في الدولة العربيَّة الإسلاميَّة لاسيَّما في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان[٢]، وظهر تأثير هذه الخلافات عندما تمكن الجيش البيزنطي من اجتياح بلاد الشام سنة 70هـ/689م، كما بدأت جماعات المردة تهدد قواعد الأسطول العربي الإسلامي في بلاد الشام، الأمر الذي جعل الخليفة عبد الملك بن مروان يعقد اتفاقية مع الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني Justinian II 65-76هـ/684-695م[٣]، على نقل المردة من جبل اللكام إلى داخل أراضي البيزنطيين، مقابل دفع مبلغ مقداره ألف دينار سنوياً، وحصاناً واحداً وعبداً واحداً في كل يوم من أيام السنة[٤]، وفعلاً وافق جستنيان على ذلك، وأمر بنقل 12000 من المردة من شمال بلاد الشام، بعضهم نقل إلى رومانيا، والبعض الآخر نقل إلى تراقيا، وفريق ثالث تبعثر في آسيا الصغرى[٥]. كما نصت على أن يكون نصف إيراد أرمينية وقبرص للإمبراطور، ومدة المعاهدة أربع سنوات، فلصالح من كانت بنود هذه المعاهدة؟ ومن المستفيد الأكبر منها؟ وما الذي دفع جستنيان للاستجابة لشرط الخليفة عبد الملك بإبعاد المردة عن الشام عِلماً أنهم كانوا يشكلون الحائط الحديدي والفولاذي للإمبراطورية البيزنطية، كما أنهم قدموا لها العديد من الخدمات؟ لم يوفق الإمبراطور البيزنطي بموافقته على نقل المردة فقد انكشف الحد الشرقي للإمبراطورية وحطم بذلك الستار الحديدي الذي وقف دائماً في وجه الجيوش العربية الإسلامية[٦]. وعلى الأرجح أنه قَبِل بشروط الخليفة عبد الملك بهدف التخفيف من وطأة هجمات العرب المسلمين على الأراضي البيزنطيَّة. وإن دلّت هذه الهدنة على شيء فإنها بالتأكيد تدل على براعة وحنكة، وسياسة عبد الملك بن مروان من

---

[١]- الخربوطلي. (1963م)، ص:22؛ العبادي، سالم. (1971م)، ج:1. ص: 37.

[٢]- ومن هذه الخلافات كالصراع بينه وبين مصعب وعبد الله بن الزبير على الخلافة التي انتهت بهزيمة الأخوين سنة 72-73هـ/691-692م، وكذلك مشكلات الخوارج وتهديها لأمن الدولة العربية الإسلامية التي دامت ما يقارب ثلاث سنوات 75-78هـ/694-697م للمزيد من حركات الخوارج والصراع بين مصعب وعبد الله ابن الزبير ينظر: خماش. (1987م)، ص:169؛ العش. (1985م)، ص:202-210.

[٣]- **جستنيان الثاني:** تسلم الحكم بعد أبيه قسطنطين الرابع، وكان عمره عند استلامه العرش ستة عشر عاماً، حكم بين سنتي 66هـ/685م، حتى عام 70هـ/695م، وتسلم مرة أخرى في عام 86هـ/705م، حتى عام 93هـ/711م، اتسم بسرعة تهوره، وبالقرارات الطائشة التي يتخذها .Zonarae. (1897.A.D), P:229

[٤]- Hill. (1940 A.D), V1. P: 286.

[٥]- أحمد. (د.ت)، ص: 17؛ الشيخ. (1994م)، ص: 103.

[٦]- عبد الله. (1990م)، ص: 73.

خلال هذا الاتفاق لصالح دولته، حيث سيقضي نهائياً على خطر المردة، والعمل على توطيد حكمه واستقرار أمن دولته.

وعندما وصل الوليد بن عبد الملك للخلافة في سنة 86-96هـ/705-714م، استلم دولة ثابتة الأركان فتابع سياسة تقوية الأسطول العربي الإسلامي، وخلق تعاون قوي بينه وبين القوات البريَّة[١]، وفي حملة عام 90هـ/708م، وقع أمير البحر خالد بن كيسان[٢] أسيراً في يد الأسطول البيزنطي[٣]، إلا أن الإمبراطورية البيزنطية عندما علمت بأنباء حملة ضخمة تُجهز لحصار العاصمة البيزنطية أعادت الأمير خالد إلى بلاده سالماً على أمل أن يعدل الوليد عن رأيه، إلا أن الوليد بقي مُصراً على الحملة التي جهزها سنة 94هـ/712م، بقيادة أخيه مسلمة ابن عبد الملك[٤]. فهل يعقل أن تكون بيزنطة في موقف الخائف من العرب المسلمين، وهي التي تملك كل الإمكانات الكبيرة لتقضي على أي حملة تتوجه نحوها وعلى أي استعداد من قبل العرب المسلمين؟ وعلى الأرجح أن الإمبراطورية البيزنطية كانت تمر في ظروف حرجة وصعوبات واضطرابات داخلية منعتها من تجهيز جيشها ومقاومة العرب المسلمين ورغبت في مفاوضتهم.

وعندما وصل خبر الحملة إلى الإمبراطور أناستاسيوس الثاني Anastasios II 95-97هـ/713-715م[٥]، ومدى استعدادات العرب المسلمين الضخمة، وأن وجهة هذه الحملة هي القسطنطينية براً وبحراً تحرك بسرعة، وبدأ يستعد لمواجهة العرب المسلمين، فأرسل في الحال سفارة إلى الشام على رأسها دانيال Daniel[٦]،

---

[١]- العبادي، سالم. (1971م)، ج:1. ص: 34.

[٢]- **خالد بن كيسان**: لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

[٣]- الطبري. (1964م)، ج:6. ص: 443؛ ماهر. (1967م)، ص: 88؛ Picard. (2018 A.D), P: 193

[٤]- بركات. (2007م)، ص: 91-92؛ عبد الله. (1990م)، ص: 80.

[٥]- **أناستاسيوس الثاني:** كان يدعى أولاً أرتيميوس Artimios، لم يكن فرداً في الجيش وإنما كان موظفاً في الدولة، غير اسمه إلى أناستاسيوس عندما استطاع جيش ثيم الأوبسيق إسقاط فيليبيكوس وعينوه إمبراطوراً على بيزنطة، شعر بخطر العرب المسلمين على العاصمة لذلك أمر بتحصين القسطنطينية، ولكن ما لبث أن تمردت عليه قوات آسيا الصغرى ثبم الأوبسيق، وعينوا بدلاً منه ثيودوسيوس الثالث، تم إلقاء القبض عليه في عهد ليو الثالث الذي قطع رأسه ودفن في كنيسة الرسل القديسين سنة 101هـ/719م. نيكول. (2003م)، ص:79-80؛ Kazhdan, and other. (1991 A.D), V1. P:87

[٦]- **دانيال**: لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

حاكم مدينة سينوب Sinope[١]، وكانت مهمتها اقتراح عقد سلام مع الخليفة الوليد، إلا أن الهدف الحقيقي لها هي معرفة نشاط الخليفة الأموي واستعدادات العرب المسلمين العسكرية ومدى صدق الأخبار بتوجه الحملة نحو القسطنطينية، وبذلك تكون قد حققت هدفين بهدف واحد. وعندما عادت السفارة إلى القسطنطينية تأكد الإمبراطور تماماً من أمر الحملة فأمر بتخزين المؤن والغلال، وعمل على تحصين وتجديد الأسوار البحرية للمدينة، وكذلك زود التحصينات الداخلية بالآلات الحربية من كل الأنواع[٢]. إلا أن الخليفة الوليد وافته المنية قبل أن يحقق هدفه مما أدى إلى تأجيل الحملة[٣]، فانتهز البيزنطيون فرصة موت الوليد فهاجموا مدينة اللاذقية ثم أحرقوها، فاشتد غضب الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي خلف أخيه وتسلّم الخلافة سنة 96-99هـ/714-717م[٤]. فأمر بمتابعة تجهيز الأسطول ومتابعة سير الحملة، وما إن علم الإمبراطور أناستاسيوس الثاني بأخبار نشاط العرب المسلمين وازدياد استعدادهم الحربي في عهد الخليفة سليمان، آثر أن يعرقل هذه الاستعدادات لاسيَّما البحرية منها، فعمد إلى مهاجمة الأسطول المصري وتخريب الأخشاب قبل وصولها إلى مصر، فعهد إلى جند إقليم الأوبسيق أو أوبسيكيون Opsikion[٥] بتنفيذ المهمة، وذلك لمنع صناعة السفن في مصر وإرسالها إلى بلاد الشام أي حاول قطع التنسيق القائم بين الدولتين، إلا أن مجهوداته باءت بالإخفاق، وذلك لعصيان الفرق لأوامره وكراهيتها له، فقتلت القائد الذي عينه الإمبراطور لإدارة عمليات الهجوم وعادت إلى القسطنطينية، وخلعت الإمبراطور ونصّبت بدلاً منه ثيودوسيوس الثالث Theodosius III 97-99هـ/715-717م[٦]، فرأى الخليفة سليمان أن الظروف مواتية لحصار

---

[١]- **سينوب:** ميناء رئيسي محصن لمدنية تدعى كان لبونتوس وتعد أضيق نقطة في البحر الأسود، ولها أهمية تجارية وعلاقات وثيقة مع جزيرة القرم، إلا أن تاريخها المبكر غامض وغير معروف. Kazhdan, and other. (1991 A.D), V3. P:1904.

[٢]- أبو زيد. (1996م)، ج:8. ص:30؛ فرج، ويوسف. (1981م)، ص:121-122؛

Kazhdan, and other. (1991 A.D), V1. P:87.

[٣]- عبد العليم. (1979م)، ص: 82.

[٤]- صايغ. (1956م)، ص: 127.

[٥]- **الأوبسيق:** أفراد مجتمعين مع بعضهم البعض أطلق عليهم لقب الأوبسيق وهي عبارة عن وحدة من وحدات الجيش البيزنطي، وهي إحدى الوحدات الميدانية الأكثر كفاءة طوال القرن الأول والثاني الهجريين/ السابع والثامن الميلاديين، وقد ظهرت أول مرة في بيثينيا بحلول عام 626م، للدفاع عن العاصمة من هجمات العرب المسلمين، ومع تطور نظام الثيمات تم تقسيم أوبسيق لثلاث أقسام. Nicolle. (2009 A.D), P:38.

[٦]- **ثيودوسيوس الثالث:** ابن تيبيريوس الثاني، كان يعمل في جمع للضرائب - جابياً - في آسيا الصغرى، لم يكن يطمح بالحكم أبداً وكان ينقصه الكثير من الكفاءة والقدرة لذلك، نصب إمبراطوراً من قبل جيش الأوبسيق المتمرد إلى أنستاسيوس الثاني سنة=

القسطنطينية ولاسيَّما بعد أن سرى الفساد في جميع مرافقها وإدارتها. فجهز حملة بحريَّة وبريَّة سنة 98هـ/716م[١]، زودها بالمؤن والأقوات والسلاح بقيادة أخيه مسلمة وأمره بأن يتوجه إلى القسطنطينية لمحاصرتها[٢]، وحشد لها قوات بلغت 180 ألف جندي[٣]، وكذلك بلغت القطع البحرية نحو 1800 سفينة[٤]، وقد عُدَّت هذه الحملة من أخطر الحملات التي تعرضت لها الدولة البيزنطية، كما عُدَّ هذا الحصار أشد حصار قام به العرب المسلمين على القسطنطينية[٥]. قبل الوصول إلى القسطنطينية حاولت الحملة أن تتوغل في إقليم الأناضول ومحاصرة عاصمته عمورية[٦] الذي كان يتولى إدارتها ليو Leo[٧]، فحاول الخليفة سليمان استمالة ليو وكسبه لصالح العرب المسلمين، والاستفادة من خبرته في فتح القسطنطينية. نجح سليمان في انضمام ليو لصفوف العرب المسلمين وأوهمهم بمساعدتهم وأنه سيسبقهم إلى القسطنطينية ليُهيِّئ لهم أمور السيطرة، إلا أنه كان يخطط لشيء آخر، وهو الوصول إلى العرش البيزنطي فما إن وصل إلى القسطنطينية حتى عمل على توطيد نفوذه وجلب المؤيدين إلى جانبه وأخبر الأهالي أنه سينقذهم من بطش الهجوم العربي الإسلامي الذي سيحاصر العاصمة[٨]. وقد استخدمت القوات العربية الإسلامية في هذا الحصار نوعاً جديداً من المجانيق الذي يشبه المدفعية، كما استخدمت لأول مرة النفط، بعد أن

=97-99هـ/715-717م، إلا أنه سرعان ما تآمر عليه أرتاباسدوس وليو وتم تعيين ليو إمبراطوراً بدلاً منه، توفي في أفسس عام 137هـ/ 754م تقريباً. نيكول. (2003م)، ص:100؛ Kazhdan, and other. (1991 A.D), V3. P:2052.

[١]- صايغ. (1956م)، ص: 127؛ منصور. (2003م)، ص:106-107.

[٢]- اليعقوبي. (2010م)، ج:2. ص:226؛ ابن العديم. (1951م)، ج:1. ص:46؛ ابن العماد. (1986م)، ج:1. ص:393.

[٣]- عبد الله. (1990م)، ص: 83؛ فرج، ويوسف. (1981م)، ص: 124.

[٤]- ابن العديم. (1951م)، ج:1. ص: 46؛ ابن العبري. (1983م)، ص: 196.

[٥]- حتي، وآخرون. (1950م)، ج:2. ص:267؛ توفيق. (1967م)، ص: 73.

[٦]- **عمورية:** مدينة فيها قلعة حصينة في ثيم الأناضول، فيها بساتين وعيون، تميزت بمناعتها بسبب تحصيناتها القوية، وتمّت السيطرة عليها في عهد المعتصم سنة 223هـ/837م. الحموي. (1977م)، ج:4. ص:158م

[٧]- **ليو:** ولد سنة 66هـ/685م.كان قائداً عسكرياً لثيم الأناضول منذ عهد جستنيان الثاني عام 95هـ/ 713م، أظهر في عهده البراعة والحنكة والذكاء وكافة الصفات المميزة في أعماله المهنية ومهامه فقد أثبت نفسه عندما بعثه الإمبراطور بمهمة إلى شمال القوقاز "الآلان" بأنه دبلوماسيّ حذر، كان ليو يمتلك من الطاقة والحيوية وحضور العقل والقوة ما لا يمتلكه أحد آنذاك، كان على دراية جيدة بالعالم العربي الإسلامي، توج إمبراطوراً سنة 99-123هـ/717-740، باسم ليو الثالث استمر حكمه ثلاثاً وعشرين عاماً أظهر خلالها رغبة في إعادة الأمن والاستقرار للإمبراطورية وتطويرها، رفع الضرائب من أجل تحصين القسطنطينية وحمايتها من السقوط بيد العرب المسلمين عام 99هـ/717م، ونجح في تحفيز جزء من المسيحيين المصريين الذين كانوا في خدمة الأسطول العربي الإسلامي للانضمام إليه، وعدّ منقذ للإمبراطورية البيزنطية في الشرق. للمزيد ينظر.
Bury. (1923 A.D), V4. p.2; Kazhdan, and other. (1991 A.D), V2. P:1208.

[٨]- منصور. (2003م)، ص: 109.

تمكنت من الوصول إلى هذه التقنية السرية واستخدامها[١]. وأبدى الجنود من ضروب الشجاعة ما شهد لهم بعلو روحهم المعنوية، وحبهم للجهاد ورفع راية الإسلام. استمر الحصار الثاني للقسطنطينية اثني عشر شهراً[٢]، إلى أن توفي الخليفة سليمان بن عبد الملك في 99هـ/717م، فلم يكن لهذا الحصار أي نتائج إيجابية، ولم تحقق القوات العربية الإسلامية أيّ انتصار على الإمبراطورية البيزنطية وسكانها، وذلك لأسباب عدّة منها: قسوة الظروف الطبيعية والرياح القوية التي أخذت تتأرجح في اتجاهاتها مما أدى إلى خلل في سير السفن، وحلول فصل الشتاء ببرده وثلجه مما أدى إلى هلاك عدد كبير من عسكر العرب المسلمين نتيجة البرد، كما أن موت الخليفة سليمان أدى إلى حدوث اضطراب في صفوف العرب المسلمين[٣]. أما أهم هذه العوامل التي أسهمت بدورٍ كبيرٍ في هزيمة العرب المسلمين، انحياز بعض البحارة المسيحيين المصريين الذين كانوا يعملون في الأسطول العربي الإسلامي إلى الجانب البيزنطي بسبب تحريض ليو الذي قلب الموازين رأساً على عقب[٤]، فضلاً عن دهاء وحنكة ليو في خديعة مسلمة بحجة إعانته في الاستيلاء على القسطنطينية، والذي كان طامعاً بالعرش البيزنطي وعند دخوله القسطنطينية سرعان ما أخبر أهلها أنه سينقذ عاصمتهم من الحصار العربي الإسلامي، فأخذ يعدّ العدّة ليحول دون دخول العرب المسلمين العاصمة[٥]. وتحقق ما كان يصبو إليه ليو وتوّج إمبراطوراً للعرش البيزنطي باسم ليو الثالث الأيسوري 99-123هـ/717-740م، ونتيجة لذلك عدّ ليو الثالث بمواهبه الحربية المنقذ للعرش والعاصمة البيزنطية من قبضة العرب المسلمين[٦]. فضلاً عمّا سلف تسلّم الخلافة خليفة جديد وهو عمر بن عبد العزيز 99-101هـ/717-719م. الذي رأى أنه لا فائدة من استمرار الحصار، سوى ازدياد الخسائر المادية والبشرية وفقدان الأمل عند الجنود، فأصدر أوامره إلى مسلمة 99هـ/717م، للانسحاب والعودة إلى قواعدهم، وأرسل إليه المدد من

١- حتي وآخرون. (1950م)، ج:2. ص:267؛ Konstam. (N.D), P.54.

٢- أحمد. (د.ت)، ص: 18.

٣- عبد الله. (1990م)، ص: 90؛ Diehl. (2006 A.D), P: 64

٤- Bury. (1923 A.D), V4. P. 2.

٥- سرهنك. (1894م). ج:1. ص:141؛ لويس. (د.ت)، ص:104.

٦- ابن العبري. (1983م). ص:197؛ العريني. (1965م). ص:188؛ توفيق. (1967م)، ص:80 -81؛

Lemerle. (N.D), P:100.

خيلٍ وطعامٍ لمساعدتهم في العودة[١]. فانصاع مسلمة لأوامر الخليفة وعاد بأسطوله وقواته إلى بلاد الشام دون إتمام الهدف من الحملة. وهكذا أخفق المسلمون للمرة الثالثة في الاستيلاء على القسطنطينية، فلابدّ أن هذا الإخفاق، له العديد من الآثار على الدولتين؟ فما طبيعة هذه الآثار؟ ولصالح من كانت؟

فقد اغتنم البيزنطيون حالَ الضعف التي وصل إليها الأمويون وانشغالهم بالانسحاب فلحقوهم بأسطولهم وطاردوهم مطاردة عنيفة باستخدام النار الإغريقية مرّة أخرى، كما أسهمت الطبيعة القاسية في إزعاج المنسحبين، فهبت عواصف ورياح قوية عليهم في تلك المنطقة المعروفة بطبيعتها القاسية[٢]، وهكذا تشتت شمل الأسطول الأموي، وأغرقت النيران والعواصف معظم سفنه، ولم يصل منها سالماً إلى الشواطئ الأموية سوى خمسة سفن[٣]. في حين يذكر بوري أن عشرة سفن فقط نجت من الدمار[٤]. ومما سبق يتضح أن العواصف أسهمت بدور فعال في تاريخ البحرية الأموية فيلاحظ أن العواصف القوية أثّرت على السفن وتغلبت عليها وأغرقتها، مما يدل على أن السفن الأموية لم تكن ذات بنية قاسية تحميها من عواصف الطبيعة، وكذلك القادة العرب المسلمين لم يكونوا مهرة بقيادة البحر مقارنة بالقادة البيزنطيين. أدى إخفاق العرب المسلمين في حصار القسطنطينية إلى تغيير ميزان القوى في الصراع بين القوتين المتحاربتين لصالح بيزنطة، وهدوء النشاط العربي الإسلامي لمدة من الزمن[٥]، كما قلّل النصر البيزنطي من فرص وقوع خطر عربي إسلامي، وبذلك تمكّن ليو الثالث من وضع بصمته السياسة والإدارية في الإمبراطورية البيزنطية من خلال إصلاحاته[٦]. وأهمها في مجال إعادة تنظيم الثيمات البحرية والبرية وترتيبها وذلك حرصاً منه على دعم وحماية حدود دولته وكذلك دعم سلطته. فضلاً عن وضعه القوانين العسكرية والاقتصادية التي أصدرها بمساعدة ابنه قسطنطين[٧]. إلا أن هذا الانتقال كان جزيئاً إذ لم تدم السيادة البيزنطية على البحر

---

[١]- الطبري. (1964م)، ج:6. ص:553؛ الذهبي. (2003م)، ج:2. ص:1048؛ عبد الله. (1990م)، ص:92؛ صايغ. (1956م)، ص:129.

[٢]- Theophanes. (1997 A.D), P: 545.

[٣]- عبد الله. (1990م)، ص:169؛ صايغ. (1956م)، ص:129.

[٤]- (1923 A.D), V4. P. 2.

[٥]- عاقل. (1969م)، ص: 144.

[٦]- أبو زيد. (1996م)، ج:8. ص:30؛ عبد الله. (1990م)، ص:174.

[٧]- منصور. (2003م)، ص:113.=

المتوسط أكثر من عشر سنوات، وكذلك فإن انسحاب العرب المسلمين بعد محاولة حصار القسطنطينية لا يعني توقف الحروب البرية أو البحرية بين الطرفين نهائياً بل استمرت الحرب بينهما، فمن ناحية البر تجدد القتال بعنف، ولاسيَّما في عهد هشام بن عبد الملك 105-125هـ/723-742م، كما تمَّ استعادة النشاط البحري الأموي ومتابعة غزواتهم، حتى ولو لم تكن لها أي آثار خطيرة على الإمبراطورية، ولم تسجل أيّ نتائج مهمة ولاسيَّما أن النشاط البيزنطي لم يتعدَّ الأنحاء الشرقية من البحر المتوسط[١]. حيث كانت نتيجة هذه الهزيمة ضياع البحرية العربية الإسلامية، وعدّ مؤسس الأسرة الأيسورية مخلّصاً لأوروبا من الخطر العربي الإسلامي، كما كان الإمبراطور هرقل مؤسس الأسرة الهرقلية قبله قد أنقذ المسيحية من خطر فارس الوثنية[٢]. كما أثّر هذا الإخفاق في تكتيك الحركات العربية الإسلامية الحربية في مواجهة الإمبراطورية البيزنطية وتحولها من أسلوب الهجوم والاستيلاء، إلى أسلوب الاشتباكات والمناوشات التي لم تهدد كيان الإمبراطورية، وقد أكَّد هذه النتيجة أيضاً اعتلاء الخلافة عمر بن عبد

=ارتبط تاريخ **الأسرة الأيسورية** بظهور العديد من القوانين في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، ولاسيَّما في عهد الإمبراطورين ليو الثالث وقسطنطين الخامس اللذين وقع على عاتقهما إصدارها بما يناسب تطورات العصر وهي ١- الأكلوغا Ecloga: وتسمى المختارات القانونية، تم إصداره عام 739م، ومن المسوغات التي دفعت ليو الثالث إلى إصدار هذا القانون أن الإمبراطورية البيزنطية في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي تقلصت نتيجة السيطرة العربية الإسلامية وسيطرتهم على معظم المقاطعات الشرقية، واستيلاء السلاف على قسم كبير من شبه جزيرة البلقان، فضلاً عن حدوث بعض التطورات الاقتصادية والاجتماعية منذ= عهد جستنيانوس الأول الكبير حتى القرن الثامن، ولذا لا بد من إصدار قوانين جديدة تناسب تطورات العصر ولإدخال روح التطور والإنسانية وإقامة العدل والمساواة في الإمبراطورية. والإكلوغا هي عبارة عن المختارات الموجزة من القوانين التي قام ليو الثالث وقسطنطين الخامس على إعدادها من قوانين جستنيانوس الأول الكبير، وعَمِلا على أن يجريا بها من الإصلاح ما يتفق مع التقدم، وتتألف الإكلوغا من ثمانية عشر فصلاً تعالج الحقوق المدنية والأحوال الشخصية كما تبحث بشكل قليل في القضايا الجزائية والعقوبات.

٢- قانون العمل الزراعي: ويتألف من خمس وثمانين مادة قانونية تعالج ما كان يقع بين العاملين في الزراعة والرعي من خلافات حول حدود الأراضي واتفاقيات المزارعة المختلفة، كما تتناول عقوبات السرقات مثل سرقة أخشاب الغابات، وعقوبات الرعاة من إهمال مراقبة قطيعهم.

٣- القانون البحري الرودوسي أو ما يسمى قانون التجارة البحرية: وهو قانون ينظم التجارة البحرية ويعد دليلاً لأي شخص يريد أن يعمل في التجارة عن طريق البحر، وهو في الواقع عبارة عن سجل للعادات والتقاليد المرعية في الملاحة في حوض البحر المتوسط الشرقي التي اتخذت صفة شرعية قانونية، ويشمل موضوعات عدّة أهمها: تنظيم العلاقة بين التجار وأصحاب السفن وطاقمها والركاب، كذلك يتحدث عن أنواع البضائع المنقولة على السفن وأسعارها وعن أحوال الملاحة.

٤- القانون العسكري: ويتناول ذكر العقوبات التي تفرض على الجنود عند ارتكاب جريمة التمرد أو عدم الطاعة أو الفرار أو الزنا وغيرها، يتميز هذا القانون بالشدّة والصرامة للمزيد عن تفاصيل هذه القوانين ينظر. فرح. (2003م)، ص:134 وما بعد؛
Ashburner. (1909A.D), p: 176; Bury. (1923 A.D), v4. p. 5.

[١]- صايغ. (1956م)، ص:130.

[٢]- حتي، وآخرون. (1950م)، ج:2. ص: 268.

العزيز، فخلال مدّة حكمه طرأت العديد من التغيرات التي أحاطت بكل من الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية إذ توقف المد العربي الإسلامي فيها، مما سمح للإمبراطورية البيزنطية بأن تعيد تنظيم ولاياتها وجيشها بحيث تكون أكثر فعالية وقوة في صد أي هجوم عربي إسلامي مرتقب[١].

على أيّ حال فقد كانت القوتان المتصارعتان تتعرضان لظروف داخلية صعبة واضطرابات شغلتهما عن النشاط العسكري شيئاً ما، فكانت هذه المدّة تتسم بالإهمال والخمول والركود العسكري، ولاسيَّما أن الخلافة الأموية لم تحسن الاستغلال والاستفادة من ظروف بيزنطة لصالحها[٢]، كما عانت من انحسار نشاط الأسطول العربي في حوض البحر المتوسط الشرقي. فما العوامل التي أدت إلى توقف النشاط البحري الأموي؟ هل كانت الظروف الداخلية التي عانت منها الدولة الأموية والقلاقل والثورات عاملاً من العوامل التي منعتها من متابعة نشاطها البحري ضد البيزنطيين؟ أم وصول خلفاء ضعفاء إلى الحكم لم يعيروا أي اهتمام بنشاط الأسطول، ومتابعة غاراته سواءً على العاصمة القسطنطينية أو على جزر وسواحل البحر المتوسط؟؟ واهتموا بأمور اللهو والمجون وغيرها؟ أم أن حركات التمرد والثورات منعتهم من ذلك؟ وفي الحقيقة أنه من العوامل التي أدت إلى هذا الانحسار تخلي الخلفاء عن فكرة الاستيلاء على القسطنطينية، لاسيَّما بعد الإخفاق الذي لقاه العرب المسلمين في آخر حملة لهم على القسطنطينية 99-100هـ/ 717-718م، ونتيجة هذا الإخفاق لم يعدّ هؤلاء الخلفاء يوجّهون اهتمامهم لتطوير القوات البحرية، بل انصرف بعضهم إلى اللهو، ومن جهة ثانية انشغل بعض الخلفاء الأمويين المتأخرين بإخماد حركات التمرد وتثبيت سلطتهم داخل البلاد[٣].

٤- الإصلاحات العسكرية للثيمات في عهد الإمبراطور ليو الثالث 99هـ/717م.

بعد انصراف العرب المسلمين عن حصار القسطنطينية والإخفاق الذي واجهوه وتفرغهم في حل أمورهم الداخلية سنة 99هـ/717م، أدركت بيزنطة ضرورة وضع حد لانطلاق العرب المسلمين إلى عمق آسيا الصغرى

---

[١]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص: 179.

[٢]- عبد الله. (1990م)، ص:98-99.

[٣]- فرح. (1983م)، ص:35.

ومحاولاتهم في الاستيلاء على العاصمة البيزنطية، لهذا اتبع الإمبراطور ليو الثالث استراتيجية جديدة لتأمين آسيا الصغرى التي كانت تعد مركز الثقل السياسي والاقتصادي بالنسبة لبيزنطة، فبعد أن انتصرت في معركة القسطنطينية 100هـ/718م، استفاد ليو الثالث من ظروف الدولة الأموية المضطربة في أواخر عهدها، وهدوء النشاط العسكري فيها، لذلك رأى أن الاضطرابات التي قد تعرضت لها بيزنطة منذ منتصف القرن السادس الميلادي، والتي استنفذت إمكانيات الإمبراطورية المادية والبشرية، يجب أن تكون بيزنطة أكثر إصراراً على الإصلاح وتنظيم شؤونها وإعادة بناء قوتها، لذلك كان أول مجال امتدت إليه يد الإصلاح وعدّه شغله الشاغل والمهمة الأولى التي عليه إتمامها وإصلاحها هو إكمال إصلاح هرقل في مجال تنظيم ثيمات آسيا الصغرى، وإدخال الإصلاح على الجيش البيزنطي من حيث العدد والتدريب والتسليح. لِما لهذا العمل من أهميته الكبرى في تحقيق مصالحه، وكذلك حاول أن يستثمر هذا النصر الذي أحرزه على العرب المسلمين في أرمينية، فعمل على تدعيم النفوذ البيزنطي فيها والتمركز في عدد من مراكزها، لذلك اهتم بشكل كبير بالقوى السياسية والعسكرية الموجودة في منطقة الصراع العربي الإسلامي البيزنطي، ولاسيَّما الخزر[١] وأرمينية، الذي سيُلاحظ مدى مساعدتهم له في تخفيف ضغط هجمات العرب المسلمين عن الإمبراطورية البيزنطية[٢]. واستلزمت الظروف التي مرّت بها الإمبراطورية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين، وجود الثيمات البيزنطية، وبصفة خاصة الثيمات في القطاع الأسيوي من الإمبراطورية. والهدف الرئيسي الذي دفع ليو الثالث لإعادة تنظيم الثيمات هو الأخطار الخارجية ولاسيَّما هجمات العرب المسلمين، الذين اخترقوا بأساطيلهم بحر مرمرة مرتين، وحاصروا العاصمة البيزنطية القسطنطينية مراراً، ولم تكن هناك منطقة أو جزيرة ساحلية قد سلمت آنذاك من غزواتهم[٣]. وكذلك الثورات الداخلية العديدة التي اندلعت في السنوات الأولى من

---

[١]–**الخـزر**: أمـة تركيـة تعـدَّ أكثـر حضـارة مـن الأمـم التركيـة التـي قامـت فـي العصـور الوسـطى، وتمركـزت دولـتهم فـي إقلـيم يقـع بـين الحـوض الأدنـى لنهـر الفولجـا وشـمال جبـال القوقـاز وبحـر أزوف Azov، وعاصـمتهم اتيـل Atl، وتقـع فـي دلتـا نهـر الفولجـا. وبـدأت هـذه الدولـة تهـدد شـبه جزيـرة القـرم، ونجحـت فـي الاسـتيلاء علـى مدينـة بوسـبوروس Bosporus، فـي سـنة 476م، ولكـن فـي نهايـة القـرن السـادس المـيلادي اسـتعادت الإمبراطوريـة البيزنطيـة تلـك المدينـة. حيـث تمكـن هرقـل مـن إقامـة روابـط اجتماعيـة وزواج بـين الخـزر والبيـزنطيين، علمـاً أن الخـزر كـانوا يـدينون باليهوديـة، إلا أن المصـالح المشـتركة فـي الوقـوف ضـد الإمبراطوريـة الساسـانية طغـت علـى فـارق الـدين. للمزيـد عـن الخـزر وتوسـعاتهم وتحـالفهم وحـروبهم مـع بيزنطـة مـن القـرن الأول حتـى القـرن الخـامس الهجري/السـابع الميلادي حتى القرن الحادي عشر الميلادي ينظر: مجهول. (1999م)، ص:143؛

Nicolle. (N.D), P:3–5.

[٢]– العبد الغني. (1989م)، ص:74–75؛ فرج، ويوسف. (1981م)، ص:179.

[٣]– Lilie. (1970A.D), P:183.

حكمه، فهناك ثورة اندلعت أثناء الحصار العربي الإسلامي للقسطنطينية، كثورة عام 98هـ/716م، في ثيم صقلية بقيادة سرجيوس Sergius الذي أراد أن يجعل طيبريوس إمبراطوراً منافساً لليو الثالث على العرش، إلا أن ليو الثالث تمكّن من قمعها في عام 100هـ/718م، كما اندلعت ثورة أخرى بعد تراجع القوات العربية الإسلامية ونهاية الحصار، بقيادة نيكيتاس اكسيلينيس Nicetas Xylinites[١]، الذي أيده الإمبراطور السالف أناستاسيوس الثاني، إلا أن الإمبراطور أيضاً استطاع قمعها بسرعة قبل أن تصل إلى أوجّها[٢]. أما عن طبيعة تقسيم الثيمات فقد اختلف المؤرخون في تقديرهم لحجم هذا العمل. حيث يبين فنلايFinlay ، أنه ترتيب جغرافي جديد في الثيمات، تمّ إنشاؤه من قبل الإمبراطور هرقل عندما استعاد المقاطعات الآسيوية من الفرس، وأعاد ليو الثالث تنظيمها واستمرت طوال عهد الإمبراطورية البيزنطية واختلفت أعداد وتقسيمات الثيمات من حقبة إلى أخرى[٣].

وقد أكد المؤرخ جلذر Gelzer أن ليو الثالث أزال نهائياً الموظفين المدنيين، وحول السلطة المدنيّة في الولايات إلى أيدي نواب عسكريين[٤]. بينما وضح فازيليف Vasiliev بناءً على قول يوسبنكي Uspenski، أنه حدث في عهد ليو الثالث الأيسوري منعطفاً مفاجئاً في اتجاه تدعيم سلطة ستراتيجوس Strategos[٥] – القائد العسكري– الثيم على حساب الإدارة المدنية للإقليم[٦]. والحقيقة أنه رغم إشارة معظم المؤرخين المعنيين بالتاريخ البيزنطي إلى إعادة تنظيم الثيمات، إلا أن إنجازات هذا الإمبراطور في هذا الميدان تفتقر إلى المزيد من المعلومات، فضلاً عن أن المؤرخين اكتفوا بذكر المعلومات القليلة والمتفرقة عن كل ما يخص الثيمات، وكذلك فإن دور ليو

١- **نيكيتاس اكسيلينيس:** شقيق ميخائيل حاجب الإمبراطور كان الإمبراطور نقفور قد أرسله إلى غزو جزيرة صقلية وولاه قيادة الأسطول البحري، إلا أن نقفور لم يكن موفقاً في اختياره لأن شهرة نيكيتاس بالتقوى الشديدة والثقافة الواسعة في أمور الكنيسة إلا أنه لم يكن أهلاً لتولي القيادة العسكرية أياً كانت صفتها. إلا أن المصادر والمراجع البيزنطية لم تذكره بشيء ولم تذكر تفاصيل عن ثورته. العريني. (1965م)، ص:492.

٢- عبد الله. (1990م)، ص:98-99.

٣- (1852A.D), P: 13-14.

٤- (1899A.D), p:75.

٥- **ستراتيجيوس:** لفظة يونانية، تطلق على قائد بيزنطي منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، ثم أصبح بعد ذلك لقباً يطلق على قادة الثيمات والمناطق العسكرية، ويتم تعيينه وعزله من قبل الإمبراطور، وهو مسؤول عن قيادة الجيش أثناء الحرب، يحصل على راتبه من الذهب، إلا أنه يحرم عليه الحصول على الأراضي الزراعية أو الزواج خلال مدّة حكمه. وخلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أصبح قائد القوات العسكرية المحلية يطلق عليه لقب كتبانو Katepno، أو دوق Dux.

Strayer. (1988A.D), P:489.

٦- (1952 A.D), V1. P: 149.

الثالث الحاسم في تنظيم الثيمات وامتدادها في عهد الأسرة الأيسورية وثيق الصلة بالأخطار الخارجية والداخلية التي هددت الإمبراطورية، وأن تكوين ثيمات جديدة من خلال تقسيم الثيمات الكبرى أملته الاعتبارات والظروف السياسية للدولة. وهكذا فقد شرع ليو الثالث في الحقبة ما بين عامي 92-114هـ /710-732م، بالتنظيم البحري البيزنطي إذ أدرك البيزنطيون أن قوة العرب المسلمين البحرية النامية تستلزم إجراءً مضاداً لذا قام بإصلاح الأسطول وتقسيم الثيم البحري الكبير الكارابيزياني إلى ثيمين أو لواءين، أحدهما ثيم كبيرهيوت البحري Cibyrrhaeot[١]، ويضم الأسطول البيزنطي المتمركز في شواطئ جنوب غرب آسيا الصغرى، والثاني ثيم درنجاريات Drungariate، ويضم الأسطول البيزنطي العامل في البحر الإيجي[٢]. الجزر وأجزاء من الساحل الغربي من آسيا الصغرى، وكان كل ثيم منهما تحت حكم نائب أمير البحر درانجاريوس Drungarius، وكان نائبا أمير البحر هذان تحت إمرة القيادة العليا للقائد العام ستراتيجوس الكارابيزياني Strategus of the Carabaisan، وهذان الثيمان هما اللذان تصديا للعرب المسلمين أثناء حصارهم للقسطنطينية[٣]. وفُسر على أن المسوغ الأساسي لقيام ليو الثالث بكل ذلك أن الأسطول نادى بنائب الأميرال ويدعى أبسيمار Apsimar إمبراطوراً في سنة 79-86هـ/ 698-705م، تحت اسم تيبيريوس الثاني Tiberius II[٤]، ربما هذا السبب الذي خوّف ليو الثالث من قيام أحد آخر بمكانة أبسيمار بفعلته مرة أخرى ويطيح به كإمبراطور. لذا أقام ليو بعد ذلك العديد من الثيمات البحرية المستقلة وجميعها كانت تابعة للقسطنطينية، وقد تمّ تشكيلها في المناطق التي يهددها العرب المسلمون. ثم تحولت فيما بعد إلى مناطق عسكرية بحرية لها إدارتها المحلية، وقد تكونت أساطيلها من سكان المقاطعات التابعة لها، وأصبح ذلك الأسطول يعرف بأسطول الثيمات[٥]، كما أن القائد العسكري في كل ثيم أصبح يجمع بيده كلتا السلطتين العسكرية والمدنية.

---

[١] – **الكيبورهيوت:** أحد الأساطيل البحرية الأولى الدائمة لبيزنطة، ذكر أول مرة في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، كان مركزها الإداري أطاليا، ولعل الكلمة مشتقة من كيبيرا Kibyrra، وهي منطقة ساحلية صغيرة في بامفيليا، وكانت مهمة هذا الأسطول حماية الجزء الجنوبي من آسيا الصغرى من هجمات العرب المسلمين البحرية. للمزيد ينظر: Rosser. (2001A.D), P: 231.

[٢] – Ostrogorsky. (1968A.D), P: 158.

[٣] – رنسيمان. (1997م)، ص:176-177؛ Theotokis. (2018A.D), P:24-25

[٤] – **تيبيريوس الثاني:** ويدعى أبسيمار وهو من أصول قوطية أو إيرانية وربما أرمنية، أعلن إمبراطوراً باسم تيبريوس الثاني بعد حصار طويل للقسطنطينية، وعمل على تقوية الإمبراطورية عسكرياً، وقام بإصلاح أسوار القسطنطينية البحرية وعمل على إعادة القبارصة الذي أسرهم عبد الملك بن مروان إلى قبرص وأعاد تنظيم إدارتها ودفاعاتها، توفي في القسطنطينية سنة 88هـ/ 706م.

Kazhdan, and other. (1991 A.D), V3. P: 2084.

[٥] – Ahrweiler. (1966 A.D), P: 31

مما جعله يشكل قوة خطيرة تستطيع منافسة الإمبراطور على العرش، وكان ليو الثالث يعرف جيداً نتيجة خبرته الشخصية مدى خطورة ترك إقليم كبير في يد قائد عسكري واحد، يستطيع أن يثورَ ويطالبَ باللقب الإمبراطوري، ولا أحدَ أعلمُ من ذلك أكثر من الإمبراطور ليو الثالث نفسه، الذي كان ستراتيجوساً في ثغر الأناتوليك Anatolic[١] قبل أن يصبح إمبراطوراً، ومن أجل تجزئة قوة الثغر الكبير وتخفيف خطر قادته العسكريين على الإمبراطورية، لهذا قسم الثيمات الكبيرة إلى ثيماتٍ صغرى وعين قائداً عسكرياً لكل ثيم، وقام بتجميع الكتائب المختلفة من المجندين من الرعايا أبناء الدولة والمرتزقة المستأجرين، وتابع أباطرة الأسرة الأيسورية ذلك العمل بتقسيم الثغر الواحد إلى ثغرين أو عدّة ثغور. فإن ليو الثالث قسم ثغر الأناتوليك أو مايسمى الأناضول إلى ثغرين هما ثيم التراقيساني Thracian أو تراقيا[٢]. وثيم البقلار Buccellari[٣]، إلا أن البعض ينسب إقليم البقلار إلى عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس Constantine V[٤] 124-159هـ/741-775م بعد إخماد ثورة حاكم إقليم الأوبسيق[٥]. ولم يكتفِ ليو الثالث بهذا الجهد بل انتقل بعد ذلك إلى الأداة الهجومية وهو الجيش، فقد قام بإصلاح عسكري واسع شمل الجيش البيزنطي من حيث العدد والتدريب والتسليح، حيث وضع القانون العسكري والعقوبات العسكرية الصارمة التي تفرض على الجيش في حال التمرد والعصيان والهرب والزنا. وليس من السهل الجزم إن كان هذا القانون من

١- **ثيم الأناتوليك:** هو أحد الثيمات الأساسية في آسيا الصغرى، وأول إشارة موثقة له تعود لعام 49هـ/ 669م، وهو ثيم يمتد من بحر إيجة إلى ليكونيا وأيسوريا وكان يحتل المرتبة الأولى بين جميع الثيمات. وقد تمردت قوات الثيم ضد الإمبراطور قسطنطين الرابع Constantine IV عام 62هـ/ 681م، وكذلك تمرد مرة أخرى ستراتيجوس الثيم في عام 96هـ/ 714م، ونجح في ذلك وأصبح إمبراطوراً باسم ليو الثالث، الذي أدرك خطورة الثيم الكبرى فقام بفصل المناطق الغربية منه ليشكل به ثيم التراقسياني. وفي عام 125هـ/742م، دعمت قوات الثيم قسطنطين الخامس Constantine V، ضد ارتاباسدوس، وفي عام 188هـ/ 803م، قام باردانس توركوس بتمرد آخر. وفي أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي تم نزع المنطقة الشرقية من الثيم لتكون منطقة مستقلة تدعى كبادوكيا. للمزيد ينظر Kazhdan, and other. (1991 A.D), V1. P: 89-90.

٢- **ثيم تراقيا**: اقتطع أراضيه من الجزء الغربي من إقليم الأناضول، وسمي هذا الثيم بالتراقي نسبة إلى القوات التراقية التي ترابط فيه. للمزيد منه ينظر: Kazhdan, and other. (1991 A.D), V3. P: 2080; Ostrogorsky. (1968A.D),p:157

٣- **ثيم البقلار**: اقتطع أراضيه من الجزء الشرقي من إقليم الأوبسيق، ولقد اشتق هذا الثيم اسمه من البوكلاريانين Buccellarians، الذين يرابطون فيه، وهم عبارة عن فرقة البقلار التي كانت تتلقى خبزاً جافاً يسمى البقلا. للمزيد عن هذا الثيم ينظر: رستم. (2017م)، ص:271؛ Ostrogorsky. (1968A.D), P: 158.

٤- **قسطنطين الخامس:** ابن ليو الثالث، شاركه والده بالحكم منذ طفولته، حتى تربع على عرش بيزنطة بعد وفاة والده عام124هـ/741م، وعارضه القائد أرتاباستوس إلا أنه تمكن من القضاء عليه والانفراد بالحكم، كان شديد الحماس للحركة الأيقونية، وتميز بالبطش والشدة في سبيل تحقيق ما يريد، ولمن يعارضه بأفكاره ومعتقداته، اشتهر بحملاته الحربية الناجحة ضد العرب والبلغار، وتزوج من إحدى أميرات الخزر وأنجبت ليو الرابع خلفه بعد موته سنة 775م. نيكول. (2003م)، ص:133-134.

٥- منصور. (2002م)، ج:1. ص:164-165؛ Ostrogorsky. (1968A.D), P: 185.

وضع ليو الثالث أم لا، فإذا كان هو الذي وضعه فإنه يعطي دليلاً ممتازاً على دقة النظام العسكري الذي أدخله هذا الإمبراطور[١]. لقد أسس هذا الإمبراطور أسرة جديدة وأنقذ القسطنطينية، وأصلح الكنيسة والدولة كما كان أول إمبراطور بيزنطي استطاع أن يوقف سيل السيطرة العربية الإسلامية بخطوات عملية مدروسة ومنظمة تعكس عبقرية عسكرية وكفاءة إدارية. وكان عمله الخاص بتقسيم الثيمات رائعاً لأنه أعطى الجهاز الإداري المرونة وبعث الروح من جديد في دفاعات بيزنطة الشرقية التي تعدّ مكمن الخطر[٢].

ثانياً: تجدد النزاع الحربي البحري بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية 100-125هـ/718-742م.

١- الغارات البيزنطية على السواحل العربية الإسلامية 100-107هـ/718-725م.

نتيجةً للسياسة الخارجية التي اتبعها الخليفة عمر بن عبد العزيز التي تقوم على نشر الإسلام بالطرق السلمية[٣]. فقد استغلت الإمبراطورية البيزنطية هذا الأمر لصالحها وبدأت بالإصلاحات داخل أركانها، وعلى الرغم من تعدد الصوائف التي انطلقت من شمال الشام إلى داخل حدود الإمبراطورية البيزنطية[٤]، إلا أنها كانت محدودةً الحجم والأهداف والنتائج أيضاً. لذلك استغلت الدولة البيزنطية هذه الأوضاع، والنهج الذي اتبعه الخليفة عمر بن عبد العزيز في سياسته الخارجية التي لم تكن لها أي تأثير على بيزنطة، لتعيد السفن البيزنطية نشاطها في شرقي البحر المتوسط من جديد، فبدأت تشن غاراتها على السواحل العربية الإسلامية وتحاربهم في عقر دارهم من وقت لآخر[٥]. فأغار الأسطول البيزنطي في عهد عمر بن عبد العزيز على ساحل اللاذقية سنة 100هـ/718م، وفيها تمّ هدم تحصينات اللاذقية وسبوا أهلها، كما أُسر عددٌ كبيرٌ من سكانها. مما دفع عمر بن عبد العزيز إلى تعمير وترميم الحصون والمدن العربية الإسلامية، كما كان يدعو من في حصن البيزنطيين التي يتم فتحها إلى الإسلام

١- رستم. (2017م)، ص:271.
٢- منصور. (2003م)، ص:115.
٣- ابن تغري. (د.ت)، ج:1. ص:243.
٤- للاطلاع على هذه الصوائف ينظر: ابن كثير. (1990م)، ج:9. ص:188؛ خطاب. (2003م)، ج:2. ص:8.
٥- لويس. (د.ت)، ص:104.

أو الجزية وإما القتال[١]. وهكذا انصب اهتمام عمر على جانب مختلف عن أسلافه فلم يتعمد الرد أو الانتقام من البيزنطيين على هذه الإغارة، على العكس فقد اهتم بقضية الأسرى الذين وقعوا بيد البيزنطيين جراءها، والعمل على فدائهم[٢]. ولم يهتم بأن تكون له الفتوح العظيمة كسالفيه، بل اقتنع بما وصلت إليه الدولة العربية الإسلامية من رقعة جغرافية واسعة، لذا يُلاحظ أن مدة حكمه القصيرة خاليةٌ من الغزوات الكبيرة، واقتصر الجهاد على الدفاع عن حدود الدولة وعن سلامة الأمة إذا هُوجمت وتعرضت للأخطار[٣]. وتابع البيزنطيون غاراتهم على السواحل العربية الإسلامية فأغاروا على شواطئ مصر، فهاجموا تنس عام 101هـ/719م[٤]، وكان الهدف من هذه الإغارة التي توفي فيها حاكم المدينة، وأميرهم مزاحم بن مسلمة المرادي مع بعض أعوانه، إضعاف القوة البحرية العربية الإسلامية في شرق البحر المتوسط منع إحياء هذه القوى مرّة أخرى[٥]. كما تابع الأسطول البيزنطي غاراته البحرية فأغار على دلتا النيل سنة 101هـ/719م، هذه الغارات البيزنطية المتكررة على سواحل مصر وبلاد الشام، دفعت الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى أن يخفض الجزية المقررة على أهل قبرص إلى ما كانت عليه في السنوات الأولى أيام معاوية بن أبي سفيان، بعد أن زاد عليها عبد الملك بن مروان ألف دينار عن صلح معاوية[٦]. وعلى الأرجح أن الذي دفع الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى أن يخفض الجزية عن أهل قبرص، خوفه من أن ينقلبوا إلى جانب البيزنطيين، أو أن يعلنوا الثورات في وجه الخليفة الذي لم يكن ميّالاً للحروب، ولم يكن يملك القوة البحرية الكافية للدفاع عن هذه الجزيرة، وإبقائها تحت السيادة العربيّة الإسلامية. كما تم الإغارة عليها مرة أخرى سنة 107هـ/725م[٧]. والملاحظ أن الأعمال البحرية بين الأمويين والبيزنطيين في شرق المتوسط في هذه المرحلة لم تسجل نتائج واضحة بل بقيت في إطار الغارات الخاطفة دون المحافظة على ما تحققه من نتائج. فما المسوغات التي حالت دون تحقيق أيّ نتائج تذكر لأحد الطرفين؟

١- عبد الله. (1990م)، ص:100؛ فرح. (1983م)، ص:35.

٢- الشيخ. (1996م)، ص:324؛ فرج، ويوسف. (1981م)، ص:190.

٣- خالد. (1970م)، ص: 396.

٤- الجنزوري. (1985م)، ص: 49؛ منصور. (2003م)، ص:115.

٥- عبد الله. (1990م)، ص:100.

٦- فرح. (1983م)، ص:35؛ لويس. (د.ت)، ص: 105.

٧- أحمد. (د.ت)، ص:18.

لعل المسوغ في ذلك يعود إلى الضعف والإهمال الذي عانى منه أسطول بلاد الشام بعد إخفاقه في السيطرة على القسطنطينية، وإخفاق بيزنطة أيضاً في الاستفادة من ضعف الأسطول العربي الإسلامي والذي يعود إلى الاضطرابات التي عصفت بالإمبراطورية البيزنطية والناتجة عن تحيز الإمبراطور ليو الثالث للحركة اللاأيقونية الجديدة[١]، ومحاولته فرضها بالقوة على العناصر الرافضة لها سنة 107هـ/725م، الأمر الذي ترك أثراً سيئاً على الأوضاع الداخلية للإمبراطورية البيزنطية، وعلى موقف بابوية روما وكنيستها اللاتينية الكاثولوكية من أباطرة بيزنطة، وكذلك غضب معظم الأقاليم التي تؤمن وتعظم الصور والأيقونات[٢] إيماناً عميقاً[٣]. فهذه الحوادث شغلت الإمبراطورية البيزنطية شيئاً ما عن حروبها مع الدولة الأموية وجعلتها بموقف المدافع لا المهاجم. وبقيت الأوضاع هكذا حتى سنة 120هـ/738م، حتى استطاعت الرد على هجمات الأمويين. فنتيجة لسياسة عمر بن عبد العزيز المسالمة وانشغال بيزنطة بأمورها الداخلية، سيُلاحظ أن مجرياتِ الحوادث لم تتغير بعد وفاة عمر، فقد وصل إلى سدّة الحكم يزيد بن عبد الملك 101-105هـ/719-723م، الذي لم يكن كأبيه بل كان شاباً يحب اللهو لا يُحسن التمييز بين الصواب والخطأ، ولا يهتم بمصلحة الرعية بقدر اهتمامه بمصلحته الشخصية وملذاته[٤]، فلم تكن هذه الصفات تؤهل صاحبها ليقود الدولة العربية الإسلامية إلى آفاق جديدة، لذلك لم يحدث في عهد يزيد تلك السيطرة والوقائع التي تحسن سيرته، وكان يُعرف في بعض الأحيان بخليع بني أمية[٥]. وابتداءً من عهده عادت العلاقات

---

[١] - **اللاأيقونيـــة Iconoclasm**: هـذه الكلمـة مصـدر للفعـل اليونـاني القـديم Eiko، بمعنـى أنـا أشـبه أو أماثـل، والاسـم Eikon ومعنـاه صـورة أو صـورة مقدسـة، ومـن المشـتقات المعروفـة فـي التـاريخ البيزنطـي later iconoc ,Icondule، بمعنـى عابـد الصـور، وIconoclast، بمعنـى محطـم الصـور، وهـي تعـد حركـة إصـلاح داخليـة قـام بهـا الإمبراطـور ليـو الأيسـوري، لتحطـيم الصـور والإيقونـات وكسـر التماثيـل الدينيـة التـي تمثـل صـور المسـيح ومـريم العـذراء والرسـل والقديسـين فـي شـتى أنحـاء الإمبراطوريـة، والامتنـاع عـن تبجيلهـا، فقـد لقـب بكاسـر الصـورة، كمـا أنـه أصـدر مرسـوماً بتحـريم عبـادة الصـور والأيقونـات فـي الإمبراطوريـة البيزنطيـة سـنة 107هـ/726م. واسـتمر العمـل بـذلك المرسـوم حتـى عـام 229هـ/ 843م، باسـتثناء مـدة قصـير عـادت فيـه عبـادة الصـور بشـكل مؤقـت. فـرج. (1982م)، ص:172؛ محمد. (2010م)، ص:39؛ Diehl. (2006 A.D), P: 68

[٢] - **الأيقونيـــة:** أو الأيقونـة Icon أي صـورة رمزيـة مقدسـة، حيـث تبجـل الأيقونـات وتسـتخدم فـي الاحتفـالات الدينيـة مـن قبـل المسـيحيين الأرثـوذكس، وقـد أقـرّ المجمـع الثـاني فـي نيقيـة تبجيـل الأيقونـات كعلامـة علـى الإيمـان، ويـرى علـم الـدين الأرثوذكسـي أن الخـلاص يشـمل الخليقـة كلهـا، والصـور تجسـيد مـادي للمعنـى الروحـي، والقـوة الروحيـة. ويطلـق علـى مـن يـؤمن بهـا عبّـاد الصـور. زكّـار. (1997م)، ج:1. ص:154

[٣] - يوسف. (2005م)، ص:123.

[٤] - المسعودي. (1938م)، ص:330.

[٥] - المسعودي. (1989م)، ج:3. ص:196.

البيزنطية العربية الإسلامية إلى سالف عهدها، حيث أخذت طابعاً جديداً إذ تجددت الاحتكاكات الحربية بعد توقفها، ونشط البيزنطيون في حروبهم ضد العرب المسلمين[١]. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ما العوامل التي أدت إلى تجدد هذه الاحتكاكات بعد أن توقفت مدّةً من الزمن؟ أهي الظروف المحلية أم الظروف الدولية أم الإقليمية؟ أم الطبيعة التي تميز بها كل خليفة أثناء حكمه؟ لذا يُرى على الجانب العربي الإسلامي، أن سياسة كل خليفة كانت تتأثر بطابعه الخاص وشخصيته وطموحه، فضلاً عن الظروف الداخلية للدولة العربية الإسلامية، وظهور قوة جديدة لها أهميتها وأثرها أثناء الصراع بين العرب المسلمين والبيزنطيين، وأسهمت بدور بارز بين الطرفين، وأهمّها كانت دولة الخزر وأرمينية. أما على الجانب البيزنطي يُلاحظ نشاطٌ توسعيٌ في البحر والبر[٢]، لاسيَّما بعد أن استقرت أحوال الإمبراطورية البيزنطية في ظل الأسرة الأيسورية وإمبراطورها ليو الثالث، وبعد أن هيأت لها الظروف فرصة مناسبة لإصلاح أحوالها. فالإصلاح العسكري الذي قام به ليو الثالث الذي شمل دفاعات بيزنطة ممثلة في ثيمات آسيا الصغرى، وتحسين أحوال الجيش والأسطول، أسهم بإعادة الثقة في نفوس الجيش والأسطول البيزنطي الذي عاد لأخذ دور المهاجم لا المدافع، وبدأ بالتوجه من بحر إيجة إلى شرق البحر المتوسط يلاحق العرب المسلمين لمحاربتهم في عقر دارهم. لذا أغار الأسطول البيزنطي على العديد من السواحل العربية الإسلامية كدلتا النيل سنة 101هـ/719م، وأغار عليها مرة أخرى سنة 107هـ/725م، إلا أن تلك الهجمات البحرية لم تكن أكثر من غارات، لا نتائج لها، إلا أنها من ناحية أخرى عكست مدّاً بيزنطياً في شرق البحر المتوسط، وعجزاً عربياً إسلامياً في هذا المجال[٣]. ويُلاحظ مما سلف أن ليو الثالث في سياسته الخارجية تجاه العرب المسلمين يسير وفق منطق عسكري مميز، فكانت في تناسق مع سياسته الداخلية، لهذا تجنب الدخول مع العرب المسلمين في معركة كبيرة فاصلة، رغم أنه كان بإمكانه الاستفادة من انتصاره الكبير سنة 99هـ/717م، وما أعقبه من ركود عربي إسلامي امتد من سنة 99-101هـ/717-719م، وربما كان دافع ليو الثالث إلى ذلك يرجع إلى استراتيجية معينة

١- منصور. (2003م)، ص:115.

٢- عثمان. (1966م)، ج:2. ص:98.

٣- لويس. (د.ت)، ص:105.

كان يتبعها، وربما وجد حتى ذلك الوقت أن الخطر العربي الإسلامي، وإن كان موجوداً إلا أنه غير مؤثر إلى الحد الذي يستلزم القيام بعمل حاسم ضدها.

ويُلاحظ أن جبهة آسيا الصغرى كانت هي الجبهةَ الوحيدةَ المهمةَ في تلك المدة وأكثر الجبهات حساسية بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية لذا أولاها الأباطرة جلَّ اهتمامهم[١]. فقد تجددت الاشتباكات والغارات البريّة والبحرية أحياناً لسنوات عدّة في عهد يزيد بن عبد الملك بين البيزنطيين والعرب المسلمين[٢]، فكانت آسيا الصغرى مكشوفة للغارات العربية الإسلامية التي كانت تدخل عن طريق بوابات كيليكيا[٣]. إلا أن الخطر الأكبر الذي هدد العرب المسلمين جاء من الشمال الشرقي لآسيا الصغرى، لهذا يُلاحظ أن معظم الحملات العربية الإسلامية التي خرجت كانت تتجه إلى هذا الجزء. ولاسيَّما بعد أن أسهمت أرمينية بدورٍ كبيرٍ إلى جانب البيزنطيين، لأن الكثير من الحملات العربية الإسلامية كانت تخرج إلى أرمينية لقتال البيزنطيين. فموقع أرمينية الجغرافي على الحدود الشرقية الشمالية لبيزنطة، شكّل دولة فاصلة بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، وكانت هذه الدولة منهارة سياسياً بحكم موقعها الذي جعلها هدف الجيوش الفارسية في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، فضلاً عن الجيوش العربية الإسلامية، فضلاً عن أن الكثير من المعارك التي دارت بين الإمبراطورية البيزنطية وأعدائها الشرقيين – العرب المسلمين– دارت في أرمينية. لهذا كانت أرمينية دائماً موزعة الولاء، قلقة غير مستقرة فإذا رجحت كفة الإمبراطورية البيزنطية في صراعها ضد الأمويين انقلبت أرمينية إلى جانب المنتصر والعكس صحيح[٤]. على أيّ حال، أصبحت أرمينية منذ الثلث الأول من القرن الأول الهجري/ بداية النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، ميداناً للصراع بين النفوذين البيزنطي والعربي الإسلامي، فقد حرص البيزنطيون على استغلال متاعب الأمويين، وإثارة القلاقل في أرمينية، لإضعاف النفوذ العربي الإسلامي فيها. ومهما يكن فسواءً تمركزت في أرمينية جيوش بيزنطة أو ظهور قوى جديدة أخذت تناصب العداء معها للعرب المسلمين كالخزر، إلا أن الحقيقة الثابتة هي أن

---

[١]– عثمان. (1966م)، ج:2. ص:98؛ فرج، ويوسف. (1981م)، ص:199.

[٢]– Finlay. (1877A.D), V2. P: 19.

[٣]–Burry. (1923A.D), II. P: 105.

[٤]– فرج، ويوسف. (1981م)، ص:199.

ليو الثالث كان المستفيد الأكبر من جيرانه الأرمن[١]. الذي حرص على أن يكون مسرح القتال فيما بينه وبين العرب المسلمين بعيداً قدر الإمكان عن قلب آسيا الصغرى. وعلى الأرجح أن ليو الثالث هدف من جراء ذلك حماية القسطنطينية من هجمات العرب المسلمين، أو من أي حصار آخر قد يفرض عليها كونها تعدّ مركز الثقل السياسي والعسكري والاقتصادي للإمبراطورية البيزنطية. وكذلك استفاد ليو الثالث من إشغال أرمينية والخزر وغاراتهم للخلافة العربية الإسلامية والمنافسات الداخلية بين الأسر الأرمينية الكبيرة التي كان بعضها يوالي العرب المسلمين، ابتداءً من عهد يزيد من عبد الملك، وطوال عهد هشام بن عبد الملك، الذي يعدّ ظهورهم على مسرح الحوادث السياسية بين البيزنطيين والعرب المسلمين منذ أواخر عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك، حدثاً جديراً بالاهتمام، لما لهم من دور كبير في مساعدة البيزنطيين في صراعهم مع العرب المسلمين[٢]. لذا كان اتخاذ ليو الثالث من الخزر حلفاء أقوياء لصالحه فقد استنفذ هؤلاء – الخزر – كل الطاقات العسكرية العربية الإسلامية المحتملة إلى آسيا الصغرى، كما جعلت من إقليم أرمينية ميداناً لذلك الصراع، وهذا لا يعني أن آسيا الصغرى قد تم تطهيرها من هجمات الدولة العربية الإسلامية نهائياً، إلا أنها في هذه المدة قطعت كل مد عربي إسلامي محتمل، وطهرت غربي آسيا الصغرى من الأمويين[٣]. وخلال هذه المدّة هل توقف الصراع بين الطرفين أم استمر؟ ولصالح من كانت النتائج الإيجابية؟ هذا ما سيُلاحظ في الفقرة اللاحقة.

٢- استئناف الحملات البحرية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك 105-125هـ/718-742م.

إن الصراعات والحروب البرية بين أرمينية والخزر من جهة والدولة العربية الإسلامية من جهة أخرى إضافة لظروف أخرى عانت منها الأخيرة كالثورات والفتن كفتنة يزيد بن المهلب في العراق وخراسان سنة 101-102هـ/719-720م[٤]، وإعادة الصراع بين القبائل اليمنية والقيسية في عهد يزيد بن عبد الملك الذي اتصف

---

[١]- هسي. (1997م)، ص:110-115.

[٢]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:203؛ Ostrogorsky. (1968 A.D), P: 139

[٣]- العبد الغني. (1989م)، ص:77؛ العريني. (1965م)، ص: 190؛ فرج، ويوسف. (1981م)، ص:206.

[٤]- **خراسان:** بلاد واسعة ومنطقة طبيعية أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، تحيط بها الجبال من الجنوب، تشمل خراسان أراضي منخفضة يقل ارتفاعها عن 1000م، وهي المنطقة التي تخضع اليوم لحكم الروس وتعرف باسم بلاد التركمانستان. للمزيد ينظر: الحموي. (1977م)، ج:2. ص:350؛ البغدادي. (1992م)، ج:1. ص: 455؛ شاكر. (1978م)، ص: 6.

بضعف شخصيته وانصياعه للهو فضلاً عن سياسته الخارجية التي اتصفت بالبرود تجاه البيزنطيين والجهاد ضدهم لم يكن له أيّ نتائج تذكر. كل ذلك حال دون تفوق العرب المسلمين على البيزنطيين، وعدم بروز نتائج مهمة على الصعيد العربي الإسلامي ولاسيَّما في المجال البحري، حتى تسلم الخليفة هشام بن عبد الملك، الذي كان يخالف أخيه في كافة صفاته، فقد عدّل هشام نهج الخلفاء الأمويين الذين سبقوه، ونقل مقره من الشام إلى الرصافة خوفاً من الطاعون الذي كان يغزو الشام، كما أنه كان يحاول نشر الأمن والاستقرار في أرجاء الدولة الأموية، بعد أن تسلّم خلافة متدهورة نسبياً، ليتحرك فيما بعد إلى سياسته الخارجية، لاسيَّما ضد البيزنطيين[١]. إلا أن هنالك مجموعة من العوامل وقفت في وجه الخليفة هشام عن متابعة سياسته الخارجية ضد البيزنطيين وإرسال الحملات البحرية ضدها، أهمها الاضطرابات الداخلية، والفتن والصراع المتجدد بين القيسيين واليمنيين والثورات التي عمّت أرجاء المدن ضده على الرغم من نجاح هشام في حماية دولته والقضاء على الثورات التي قامت في وجهه إلا أنه لا يغيب عن الأذهان أن تَكرار هذه الثورات في النهاية ستكون سبباً في ضعف الدولة الأموية وانهيارها[٢]. بقي أمام هشام بعد أن وطّد أموره الداخلية، أن يلتفت نحو سياسته الخارجية وأن يبعث روح الجهاد من جديد، وحاول قدْر الإمكان أن يجهز جيشاً كامل العتاد والعدّة، فهو لا يقاتل على جبهة واحدة فهناك الخزر إلى جانب البيزنطيين الذين أخذوا يهددون حدوده الشمالية والشمالية الشرقية، لذا كان على جيوش الخليفة أن تقاتل في الشرق والغرب[٣]. فقد أمر ببناء الحصون وإرسال الصوائف المتكررة إلى الأراضي البيزنطية[٤]. وفي سنة 107هـ/725م، خرج من الشام جيش بقيادة ميمون بن مهران وصل إلى قبرص، كما غزا البر مسلمة بن عبد الملك[٥]، فهذه الحملة لم تقتصر فقط على البر بل امتدت إلى البحر، لذلك أسهمت البحرية الأموية بشكل كبير في الحرب بالرغم من محدوديتها، كما أن قبرص برزت من جديد كميدانٍ للصراع البيزنطي العربي الإسلامي، بعد انقطاع طويل منذ أيام

---

[١]- العش. (1985م)، ص: 285.

[٢]- للتفاصيل عن الفتن والثورات التي قامت في خلافة هشام بن عبد الملك. ينظر: الطبري. (1965م)، ج:7. ص: 180؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج:5. ص: 728؛ العمرو. (1992م)، ص: 130 وما بعد.

[٣]- فلهوزن. (1968م)، ص:325-327.

[٤]- للتعرف على الحملات البرية والصوائف التي أُرسلت في عهد هشام بن عبد الملك ضد البيزنطيين ينظر: البلاذري. (1900م). ص:165-174؛ ابن العماد. (1986م)، ج:1. ص: 134؛ عثمان. (1966م)، ج:2. ص: 101؛ فرج، ويوسف. (1981م)، ص: 214؛ فلهوزن. (1968م)، ص: 327.

[٥]- الطبري. (1965م)، ج:7. ص: 40.

عبد الملك بن مروان وجستنيان الثاني. وكما هو معروف فإن النشاط العربي الإسلامي في ميدان البحر لم يكن جديداً، فصحيح أن الأسطول العربي تدهور سنة 99هـ/717م، إلا أنه استأنف نشاطه في غربي البحر المتوسط، ومن المعروف أن بعض أساطيلهم أغارات من شمال إفريقية على جزيرة صقلية سنة 102هـ/720م [١]. فاستأنف هشام قتاله ضد البيزنطيين، وأبدى اهتماماً كبيراً في البحر حيث نقل دار صناعة السفن من عكا إلى صور[٢]. وتزامناً لحملات هشام بن عبد الملك، وفي تلك المدة عانت الإمبراطورية البيزنطية من الصراعات الداخلية على الحكم في بيزنطة، مما أجبر البيزنطيين على إيقاف الغارات البحرية على السواحل العربية الإسلامية لمدّة وجيزة، وذلك لأن الأسطول البيزنطي الذي يقود الحملات البحرية ضد الدولة العربية الإسلامية شارك في هذا الصراع، فقد عارض سكان هيلاس Hellas[٣]، والكيكلادس Cyclades[٤]، سياسة ليو الثالث ومحاربته للإيقونات وجحوده في معاملتهم، لذا تمردوا عليه وجمعوا أسطولاً كبيراً لمهاجمة القسطنطينية، ونادوا بشخص يدعى كوزماس Kosmas[٥]، إمبراطوراً عليهم، فساروا بأسطولهم حتى وصلوا إلى أسوار العاصمة واشتبكوا مع جنودها بمعركة شرسة وأحرقت العديد من سفنهم، وبذلك تمكّن أسطول القسطنطينية من تحطيم الأسطول المهاجم وبذلك أُخفقت محاولتهم في التمرد على الإمبراطور وقد تمَّ إلقاء القبض على كوزماس وبعض القادة الآخرين وقطعت رؤوسهم[٦]. انتهز هشام ابن عبد الملك الأوضاع المضطربة في بيزنطة، فأرسل أسطولاً من بلاد الشام إلى قبرص بقيادة ابنه معاوية سنة 108هـ/726م[٧]، وفرض على أهلها دفع الجزية بمقدار ما كانت عليه قبل أن يخفضها عنهم عمر بن عبد

---

[١]- لويس. (د.ت)، ص:105.

[٢]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:216؛ عثمان. (1966م)، ج:2. 100.

[٣]- **هيلاس:** مصطلح يطلق على وسط اليونان، وكان يطلق على سكانها اسم هيلاديكوي، كما أنشا ثيم بالاسم ذاته وهناك جدل كبير حول متى أسس بالضبط، والظن الراجح أنه أسس فيما بين عامي 68-76هـ/687-695م، لأن ليونتيوس تم تعيينه كاستراتيجوس هيلاس قبل خلع الإمبراطور جستنيان الثاني 66-76هـ/685-695موكانت ثيم هيلاس مقر إقامة جيدة للستراتيجوس، واحتل ستراتيجوس هذا الثيم مرتبة أقل من ستراتيجوس ثيم كبيرهيوت والبيلوبونيز وغيره، ثم وقع هيلاس في يد دوق أثينا.

Kazhdan, and other. (1991 A.D), V2. P:911.

[٤]- **كيكلادس:** مجموعة مكونة من أكثر 200 جزيرة في بحر إيجة، تشكل معاً هذا الاسم، ومعظم جزرها مشهورة بالتجارة وإنتاج النبيذ والتبغ والزيتون وبعض المعادن وغيرها.

Moore. (1978A.D), P:211.

[٥]- **كوزماس:** لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

[٦]- Nikephoros. (1990A.D), P: 129-130.

[٧]- Hill. (1940 A.D), V1. P: 290.

العزيز[١]، فضلاً عن ذلك أرسل هشام جيشين لغزو آسيا الصغرى، أحدهما بقيادة مسلمة الذي استطاع أن يستولي على قيسارية Caesarea[٢]، والآخر بقيادة ابنه معاوية الذي ضرب الحصار على نيقية Nicea[٣]، إلا أنه لم يستطع دخولها نتيجة المقاومة التي تلقاها، وعاد العرب المسلمون دون تحقيق أيّ أهداف[٤]، ودون خسائر جسيمة معوضين عن ذلك بغنائم عديدة[٥]. رغم أن الحملات التي أرسلها هشام لم تؤدِ إلى نتائج إيجابية جديرة بالذكر، إلا أن استمرارها سنوياً يؤكد على مدى حرص هشام على أن يحقق نتائج سياسة على الصعيد الخارجي، ولاسيَّما ضد البيزنطيين، وعلى الرغم من الحملات البرية وتوقف النشاط البحري في شرق البحر المتوسط إلا أن الحملات استمرت في غرب البحر المتوسط، حيث قاد عقبة بن نافع الفهري سنة 109–110هـ/727–728م، جيشاً في البحر لغزو بعض جزر البحر المتوسط الغربية، رغم انشغالهم بالسيطرة على المغرب والأندلس ونشر الإسلام فيه[٦]. وفي سنة 115هـ/733م، وقعت غارة بحرية عربية إسلامية مهمة على جزيرة صقلية، وانتهت بهزيمة العرب المسلمين أمام القوات البيزنطية المدافعة بفضل استخدام النار الإغريقية مما أدى إلى هلاك كثير من قوات العرب المسلمين[٧]. ورغم ذلك تابع معاوية بن هشام في سنة 116–117هـ/734–735م، بإرسال الحملات لغزو آسيا الصغرى والتي توغلت في الأراضي البيزنطية، إلا أن هذه الحملات لم تحقق أيّ نتائج تذكر[٨]. وبعد ذلك استأنف مروان بن محمد نشاطه العسكري في أرمينية وأذربيجان باستيلائه على عدد من الحصون ففي سنة 118هـ/736م، تابع مروان بن محمد تعقب الخزر، في حين أغار الأسطول البيزنطي في العام نفسه على مصر وأسر الكثير من

١- فرح. (1983م)، ص:36.

٢- **قيسارية:** عاصمة كابادوكيا، كانت مدينة كنسية في القرن الرابع قبل الميلاد، وعندما تمَّ تأسيس بطريركية القسطنطينية بشكل نهائي أصبحت قيسارية عاصمة لها، وتحمل لقب بروتوثرونوس، ثم أصبحت قاعدة عسكرية فيها مصانع للأسلحة والمنسوجات لتأمين حدودها، حاول جستنيان الأول حمايتها فاستبدل أسوارها القديمة التي تضمنت حقول وحدائق ومراعي بأسوار أكثر متانة وأكثر قابلية للدفاع، وكانت قيسارية جزءاً من ثيم أرمينياكون ثم أصبحت تابعة لكابادوكيا.
Kazhdan, and other. (1991 A.D), V1. P:363-364. .

٣- **نيقية**: يقول الحموي بناءً على قول الهروي أنها مدينة من أعمال القسطنطينية على البر الشرقي، وهي المدينة التي اجتمع فيها أباء الملة المسيحية، وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر أباً، ويزعمون أن المسيح عليه السلام كان معهم في هذا المجمع، وهو أول المجامع لهذه الملة، وبه أظهروا الأمانة التي هي أصل دينهم. الحموي. (1977م)، ج:5. ص:333.

٤- Nikephoros. (1990 A.D), P:129; Finlay. (1877A.D), v1. P: 19 .

٥- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:218.

٦- الطبري. (1965م)، ج:7. ص:46؛ فرج، ويوسف. (1981م)، ص:218.

٧- عبد الله. (1990م)، ص: 110؛ فرج، ويوسف. (1981م)، ص:214.

٨- ابن خياط. (1985م)، ص:541؛ عبد الله. (1990م)، ص: 111.

أهلها كنعيم بن العجلان وعبد العزيز بن مروان[١]، إلا أنه لا يوجد أيّ تفاصيلَ عن هذه الحملات، وهكذا مضت أربع سنوات من التوقف بالنسبة للأمويين، واليقظة بالنسبة للبيزنطيين، ويتضح أن النتائج الإيجابية كانت دائماً لصالح الإمبراطورية البيزنطية، في حين لم يحقق العرب المسلمون أيّ نتائج واسعة جراء حملاتهم. استمرت حلْقة الصراع الحربي بين البيزنطيين والعرب المسلمين، حيث عاود العرب المسلمون نشاطهم سنة 119هـ/737م، باندفاعهم إلى أماكن بعيدةٍ في عمق آسيا الصغرى، وأهمها كانت بقيادة سليمان بن هشام وكانت قد قصدت برجامة Pergamun[٢]، غربي آسيا الصغرى. وأمام هذا الحملات والغارات التي قام بها العرب المسلمون، أيعقل أن يقف البيزنطيون مكتوفي الأيدي إزاءها دون الرّد عليهم؟ بالطبع لا فإن البيزنطيين لم يقفوا مكتوفي الأيدي، وبلا حركة إزاء المد العربي الإسلامي والحملات التي قاموا بشنها طوال هذه المدة، فكرد فعل على ذلك قام البيزنطيون بإرسال عدّة حملات بحرية هاجموا من خلالها ميناء بيروت سنة 120هـ/737م، ونهبوا الأهالي وأخذوا السفن التجارية، وأسروا وسبَوا العديد من السكان، وقد تعقبهم والي بيروت فاضطروا إلى ترك أسلابهم[٣].

واصل البيزنطيون حملاتهم البحرية في سنة 121هـ/738م، بشن هجوم بحري على الشواطئ المصرية حيث نزلوا في مدينة دمياط، في عهد الخليفة هشام بأسطول مؤلف من 360 مركباً، فقتلوا العديد من أهالي المدينة، فضلاً عن أسر الكثير منهم، ومن المرجح أن ذلك الهجوم أحرز نجاحاً جزئياً، نتيجة للظروف التي كانت تمر بها مصر آنذاك، عندما قام الأقباط بثورة عنيفة في ولاية حنظلة بن صفوان، في الوقت ذاته قام أقباط النوبة بالهجوم على حدود مصر الجنوبية، بينما كانت القوة الرئيسة للأسطول في مُهمة في بلاد الشام[٤]، ويبدو أن البيزنطيين استغلوا هذه الحوادث المتوترة في مصر وغياب الأسطول فأتموا هجومهم على السواحل المصرية كدلتا النيل في العام نفسه، وعلى الرغم من ذلك تمكن الخليفة هشام من إخماد الثورات بصعوبة كبيرة[٥]. وكذلك استمر البيزنطيون

١- الكندي. (1908م)، ص:79-80؛ فرح. (1983م)، ص:35.

٢- **برجامة:** مدنية يونانية تقع شمال غرب آسيا الصغرى، كانت مركزاً فكرياً مهماً، فيها جالية أرمنية وعدّت موطناً للإمبراطور فيليبيكوس تعرضت للهجوم من قبل العرب المسلمين في عام 98هـ/ 716م، حتى سقطت في يد الأتراك.

Kazhdan, and other. (1991 A.D), V3. P:1628; Moore. (1978A.D), P:608.

٣- منصور. (2003م)، ص: 115.

٤- أحمد. (د.ت)، ص:21.

٥- لويس. (د.ت)، ص: 143.

سنة 123هـ/740م، في مهاجمة السواحل المصرية مجدداً إلا أنهم لم يصيبوا النجاح الكبير[١]. مما سبق يسُتخلص تعدّد الغارات البيزنطية على السواحل المصرية، فما هدف بيزنطة من تكرار هجومها على مصر وشواطئها بالتحديد؟ ليتضح أن هدف بيزنطة الأساسي من وراء تلك الهجمات هو عدم إفساح المجال لتطوير الأسطول المصري، فضلاً عن انتهاز الدولة البيزنطية حالة الضعف التي وصلت إليها الدولة الأموية في آخر أيامها[٢]. وهو تعليل مقبول، لأن مصر كانت تعدّ المركز الأول في صناعة الأساطيل البحرية، فضلاً عن اعتماد العرب المسلمين عليها وعلى بحارتها وأساطيلها. وعلى ما يبدو أيضاً أن هذه الهجمات البيزنطية البحرية كانت رداً على الانتفاضات الإسلامية المتوغلة داخل آسيا الصغرى، فقد كان ردها عنيفاً وسريعاً، وأكد البيزنطيون تفوقهم على العرب المسلمين، وبالرغم من كل هذا النشاط الذي بذله الخليفة هشام في ميدان السياسة الخارجية ورغم كل تلك الحملات التي حاول أن يبعثها في الجهاد ضد البيزنطيين، إلا أنه لم يستطع أن يركز كل جهوده في ذلك الاتجاه لأن المشكلات الداخلية فرضت نفسها عليه فرضاً وامتصت من طاقاته الإدارية والعسكرية الكثير. فقد كانت الأرض تميل تحت أقدام الأمويين، وكان هشام آخر خليفة أموي مقتدر أراد أن يؤخر النهاية المحتومة قدر المستطاع.

فابتداءً من النصف الثاني لعهد هشام بن عبد الملك بدأت الأمور تضطرب في الغرب وكان البربر وراء ذلك الاضطراب الذي زلزل كيان الدولة الأموية بعنف، فقد تذمر البربر من الامتيازات الاجتماعية والسياسية الممنوحة للحكام العرب المسلمين وإصرار هؤلاء الحكام على عدم مساواة البربر بهم وإعطائهم حقوقهم على أكمل وجه[٣]، أو على الأقل معاملتهم معاملة طيبة، حيث إن عمّال العرب المسلمين بعد موت الخليفة عمر بن عبد العزيز أصبحوا يعاملونهم معاملة الخدم الذين يلزمونهم بأداء الجزية رغم أنهم مسلمون، ويشتركون في الجهاد بكل حماس، وقد أدت هذه الأوضاع إلى أن أصبحت نفوس البربر تربة خصبة لبعض دعاة الخوارج [٤]. وبالرغم من تلك الثورات والاضطرابات في الدولة العربية الإسلامية إلا أنها لم تكن عائقاً أمام مواصلة العرب المسلمين لهجماتهم

---

[١]- عبد الله. (1990م)، ص: 113؛ عثمان. (1966م)، ج:2. ص: 106؛ منصور. (2003م)، ص: 115.

[٢]- أحمد. (د.ت)، ص:21؛ فرح. (1983م)، ص: 36.

[٣]- لويس. (د.ت)، ص: 144.

[٤]- للمزيد عن ثورات البربر ينظر: عبد الله. (1990م)، ص: 233؛ فلهوزن. (1968م)، ص:331.

المتكررة على آسيا الصغرى محاولين زعزعة أمن بيزنطة واستقرارها، واضطراب أحوالها، على الرغم من الظروف الصعبة والثورات التي كانت تعاني منها الدولة العربية الإسلامية، محاولين تعويض توقف نشاطهم البحري أواخر العصر الأموي بتنشيط الحملات البرية نحو آسيا الصغرى[١]. وهذا ما لوحظ في عهد هشام بن عبد الملك، بكثرة الغارات والحملات التي تم توجيهها نحو آسيا الصغرى. بينما يعلق آخر على ذلك، بأن العرب المسلمين أرادوا الانتقام من البيزنطيين لهجومهم على السواحل المصرية[٢]. وكانت أضخمُ هذه الحملات وآخرها التي تم توجيهها نحو آسيا الصغرى وكانت ذات أثر كبير جداً على مسرح الحوادث بالنسبة للطرفين حملة سنة 123-740/124-741م، وبنتيجتها حدثت معركة أكروينون Acroinon[٣]، وقد بالغ بعض المؤرخين في تقدير أهميتها وعدّت من المعارك الحاسمة في التاريخ، حيث إن هزيمة العرب المسلمين طهرت الجزء الغربي من آسيا الصغرى، وجعلتهم يتراجعون نحو الشرق[٤]. في حين يعلق آخر أن انتصار ليو الثالث وهزيمة العرب المسلمين أدت إلى توقف القوة العربية الإسلامية وإنهاء خطرها على الإمبراطورية البيزنطية[٥]. إلا أن هذه المعركة لا تخرج عن دائرة صراعهما الذي ينتقل فيه زمام المبادرة من يد إلى أخرى[٦]. وهو الرأي الأقرب إلى الواقع والمنطق، لأن النزاع بين العرب المسلمين والبيزنطيين استمر لسنوات طويلة وربما لقرون، وتأرجح هذا النزاع بين النصر والهزيمة بين الطرفين، فهذه المعركة وبالرغم من خسارة العرب المسلمين، إلا أنها لم يكن فيها أي حدث يستحق لعدّها من المعارك الحاسمة، لأنه ليس من المعقول أن العرب المسلمين بعد هزيمتهم في آسيا الصغرى أنهم ابتعدوا عنها تماماً، فإنهم وكما يفعلون في كل مرة وبذات الإصرار سيعودون بعد ترتيب أمورهم وجيشهم وإصلاح أوضاعهم. ويمكن الاستنتاج أن بيزنطة غدت أكثر ثقة بجيوشها، وغدت حريصة على الاحتفاظ بميزاتها على حساب متاعب العرب المسلمين

١- فرح. (1983م)، ص: 35.

٢- منصور. (2003م)، ص: 119.

٣- **معركة أكروينون:** دارت على الحافة الغربية لهضبة الأناضول عام 123هـ/740م، بين الأمويين والبيزنطيين، وفيها بلغ الجيش العربي الإسلامي ما يقارب تسعين ألف مقاتلٍ، وأبرز قوادهم عبد الله البطال ومالك بن شبيب، قام الإمبراطور ليو الثالث وابنه قسطنطين بالدفاع عن المدينة بكل قوتهم مما أدى إلى هزيمة العرب المسلمين هزيمة كبيرة بفضل دعم الخزر للبيزنطيين، إضافة لإصلاحات ليو العسكرية. للمزيد ينظر: مصطفى. (1996م)، ص:61؛ منصور. (2003م)، ص:119؛

Bury. (1923 A.D), V4. P:3.

٤- Vasiliev. (1952 A.D), P: 238.

٥- Finlay. (1877A.D), v1. P: 20.

٦- فتحي. (1966م)، ج:2. ص: 104.

بعد هذه المعركة. أما بالنسبة للعرب المسلمين فإنهم بعد هذه المعركة خفت هجماتهم على قلب آسيا الصغرى نسبياً، وانتزعت بيزنطة زمام المبادرة بعد وفاة ليو الثالث واعتلاء ابنه قسطنطين الخامس، كما أن الأحوال المضطربة التي أخذت تعصف بالدولة الأموية، وأهمها المتمثلة بالحركات العباسية والتي أدت في النهاية إلى سقوطها والقضاء عليها، ساعدت الدولة البيزنطية لمتابعة تفوقها على الدولة الأموية.

ثالثاً: تجدد النزاع بين الدولة العربيَّة الإسلاميَّة والإمبراطوريَّة البيزنطيَّة على جزيرة قبرص 125-130هـ/742-747م.

توفي هشام بن عبد الملك سنة 125هـ/742م، وبموته تنتهي مدّة ازدهار الأسطول الأموي، فكل الخلفاء الذين أتَوا بعده كالوليد بن يزيد 125هـ/742م، ويزيد بن الوليد 126هـ/743م، وإبراهيم بن الوليد 127هـ/744م، ومروان بن محمد، الذين كانوا في غاية الضعف والانحلال والإهمال، فانصرفوا عن العناية بشؤون الدولة بكافة مرافقها، بما فيها شؤون الأسطول وأعمال السيطرة البحرية، فحصروا اهتمامهم ووقتهم بأمور الخلافة واللهو والمجون، إذ لم يذكر المؤرخون أخبار الأسطول في عهدهم، وذلك لأنهم لم يخدموا الأسطول، ولم يعيروه أي اهتمام، ولم يُعطَ له مجالٌ ليقدم شيئاً يستحق التسجيل[١].

أما مروان بن محمد 127-130م/744-747م، فكان خيراً من أسلافه الثلاثة، إلا أنه لم يحكم طويلاً، ولم يتمكن بوقته القصير من إصلاح ما أفسده هؤلاء، ولو لم تقضِ الفتن الداخلية والثورة العباسية على دولته لكان من المأمول أن يجدد حيوية الأسطول ويتابع رعايته له، إلا أنه وضع بصمته في تنظيم الجيش بشكل يمكّنه من مواجهة أي تمرد، فقد أنشأ من المتطوعة المرتَزِقَةِ ظهراً حامياً للوحدات النظامية للقوات المسلحة، ويقود المتطوعة ضباط محترفون يتمتعون بمحبة عناصرهم وإخلاصهم، كما غيّر النمط القديم لتشكيل القوات في المعركة حيث جزأ الوحدات الكبرى إلى فصائلَ صغيرةٍ تكون أكثر مرونة وقدرة على الحركة، إضافة لذلك حاول ألا يوقف جبهة القتال

---

[١]- صايغ. (1956م)، ص:136.

والجهاد ضد البيزنطيين فقد أمر الأسطول بالقيام ببعض الحملات البحرية ضدهم[١]. ففي القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي ازدادت حدّة الصراع بين البيزنطيين والعرب المسلمين من أجل السيطرة على جزيرة قبرص، لما لها من أهمية استراتيجية بالنسبة لكلا الطرفين، ومن أهم تلك الحملات حملة عام 125هـ/742م، قبل وفاة هشام ابن عبد الملك، وذلك حين أرسل أحد قادته لغزو جزيرة قبرص ومعاقبة أهلها على مساعدتهم للبيزنطيين في هجماتهم المتكررة على الثغور البحرية العربية الإسلامية[٢]، وأمره أن يخيرهم بالرحيل إما إلى بلاد الشام وإما إلى بيزنطة، فاختار قسم منهم البقاء إلى جوار العرب المسلمين فنقلوا إلى بلاد الشام، واختار آخرون البقاء إلى جوار البيزنطيين فرحلوا إليهم[٣]. أما الحملة الأخرى، فكانت على ما يبدو بسبب تحريض البيزنطيين لأهالي قبرص على قطع الجزية السّنوية التي كانوا يؤدونها للعرب المسلمين، هذا ما دفع الخليفة الوليد بن يزيد إلى أن يبعث بحملة عسكرية إلى قبرص بقيادة الأسود بن بلال المحاربي لتأكيد سيادتهم عليها، ولكي يرغم أهلها على دفع الجزية المفروضة عليهم، إلا أن أهل قبرص رفضوا تلك المعاهدة ونقضوها[٤]. وعلى إثر هذه الحملة تمَّ جلب عدد من القبارصة كرهائنَ إلى داخل أراضي الدولة العربيّة الإسلاميّة، وبالأخص إلى بلاد الشام ضماناً لاستمرار القبارصة في دفع الجزية[٥]، إلا أنهم أعيدوا إلى موطنهم بعد عام من احتجازهم في عام 127هـ/744م، في عهد الخليفة يزيد بن الوليد[٦]. كما أمر قائد الحملة بتخيير أهالي قبرص الباقيين بين اللجوء إلى بلاد الشام والإقامة فيها، أو الإقامة في الدولة البيزنطية. وبالفعل توجّه قسم منهم للإقامة في كنفي الدولة العربية الإسلامية، وقسم آخر فضّل التوجّه نحو بيزنطة[٧]. وهكذا يلاحظ إخلاء جزيرة قبرص من سكانها ليأمنوا جانبهم، وكسر شوكتهم وألا يساعدوا البيزنطيين

١- ايليسيف. (1986م)، ص: 180.

٢- الجبوري. (2014م). ص:190.

٣- يبدو أن هناك التباساً بين المؤرخين حول العام وحول الخليفة الذي كان ففي 125هـ/742م، توفي هشام بن عبد الملك الذي يوضح الجبوري أنه في هذا العام تم إرسال حملة إلى قبرص مستشهداً بقوله أنّه من الطبري وابن الأثير وغيرهم، علماً أن هؤلاء المؤرخين صحيح ذكروا العام ذاته إلا أنهم حددوا أن الخليفة كان الوليد بن يزيد وليس هشام بن عبد الملك وأنه أرسل الأسود بن بلال المحاربي، أي الرواية الثانية. ولكنهم لم يذكروا السبب الذي جعلهم يرسلون الحملة، مما يجعل هذه الرواية موضوع الشك وعدم الدقة، لأن الروايتين متشابهتان ومضمونها نقل أهل قبرص إلى بيزنطة أو الشام، هذا لا يعني أن الجبوري أغفل الرواية الثانية بل ذكر أنه في عهد الوليد أيضاً تم إرسال حملة أخرى إلى قبرص. (1965م)، ج:7. ص: 227؛ (د.ت)، ج:5. ص: 737.

٤- الصريفي. (د.ت)، ص:246.

٥- عبيد. (1999م)، ص:82؛ فرح. (1983م)، ص:35؛ منصور. (2003م)، ص: 119.

٦- الجبوري. (2014م)، ص: 190؛ فرح. (1983م)، ص:35.

٧- عاشور. (2002م)، ص: 11-12.

في شيء ضد العرب المسلمين، لاسيَّما بعد أن أظهر أهل قبرص مرات عديدة تذبذب ولائهم السياسي للعرب المسلمين، هذا ما دفع الأمويين لقصدهم أكثر من مرّة وزيادة الجزية المفروضة عليهم تارةً، أو إعادتها إلى ما كانت عليه بداية الأمر تارة أخرى.

وفي ظل هذه الحوادث تُلاحظ الأهمية الكبيرة لهذه الجزيرة سواءً بالنسبة للعرب المسلمين، أو للبيزنطيين الذين سعَوا بكل الوسائل والأدوات ولأكثر من مرّة لمعاودة السيطرة عليها، بُغية ضرب القواعد الساحليّة، والحد من نشاط العرب المسلمين البحري، ولاسيَّما بعد أن غدت بحريتهم تهدد معاقل البيزنطيين، وعاصمتهم القسطنطينية، والسواحل والجزر القريبة منها[١]. فقد تكررت الحملات مرّة تلو الأخرى على جزيرة قبرص، إلا أن آخر حملة تمَّ توجيهيها إليها من قبل العرب المسلمين، خلال العصر الأموي كانت سنة 129هـ/746م[٢]، والبعض يذكر أنها سنة 130هـ/747م[٣]، والتي حسمت النزاع بين كل من القوات البيزنطية والأمويّة في البحر، فقد توجهت حملة كبيرة من الإسكندرية إلى جزيرة قبرص، مستغلة الوباء الذي تفشى في صقلية في عهد قسطنطين الخامس[٤]، وبلغ عددها 1000 سفينة تُمثل كل ما بلغته بلاد الشام ومصر من القوة والازدهار في المجال البحري[٥]، تمكّنت الحملة من الاستيلاء على أحد الموانئ القبرصية، وأقامت فيها لتجهز عدتها وتهيأ نفسها لغزو الجزيرة بأكملها، إلا أن الأسطول البيزنطي أفسد عليها مشروعها، إذ غافلها وسدّ مدخل الميناء، فقطع الاتصال بين القواعد الشاميّة والمصريّة، وبالرغم من أن الأسطول البيزنطي كان أقل عدداً، حيث تكون من قرابة 30 سفينة، بقيادة ستراتيجوس

١- الجبوري. (2014م)، ص: 190.

٢- منصور. (2003م)، ص: 119؛ أحمد. (د.ت)، ص:18؛ Hill. (1940 A.D), V1. P: 291

٣- صايغ. (1956م)، ص:121؛ الصريفي. (د.ت)، ص:246؛ عاشور. (2002م)، ص:12؛ العريني. (1965م)، ص: 211. إلا أن نعيم فرح يذكر أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس بعد أن أنهى صراعه الداخلي مع القائد المتمرد عليه أرتاباسدوس، حتى بعث بحملة إلى قبرص جهز سفنها بالنار الإغريقية المحرقة، ورداً على ذلك أبحرت بعض السفن من الشام إلى الإسكندرية، ومنها انطلقت مع السفن المصرية إلى قبرص سنة 130هـ/747م، لطرد الأسطول البيزنطي من هذه الجزيرة، على أن القائد الأسطول البيزنطي نصب كميناً للسفن العربية الإسلامية فطوقوها في ميناء كيرامس، أو ما يدعى كيرامايا، وأحرق معظمها. فهل كان قائد الأسطول البيزنطي على علم أن العرب المسلمين ستنطلق نحو قبرص لوقف هذا الهجوم، حتى نصب هذا الكمين؟ أم أن نصبه من باب الحيطة والحذر؟ إلا أنه نجح بالفعل في نصب هذا الكمين لأن العرب لم يكونوا ليقفوا مكتوفي الأيدي إزاء هذا الهجوم البيزنطي على قبرص، والتي تعدّ جزيرة هامة جدا بالنسبة للعرب المسلمين في شن غاراتهم البحرية على القسطنطينية أو على سواحل وجزر البحر المتوسط. (1983م)، ص:35.

٤- عاشور. (2002م)، ص:12؛ العريني. (1965م)، ص: 211.

٥- لويس. (د.ت)، ص: 108.

ثيم كبيرهيوت. فقد استطاع أن ينقض على الأسطول العربي الإسلامي عند ميناء سيرامي Ceramee[١]، ويصدّ الهجوم الأموي بفضل استخدامهم للنار الإغريقية[٢]، وأن يوقع الهزيمة بالعرب المسلمين ويقضيَ على أسطولهم، الذي لم يستطع النجاةَ منه سوى ثلاث سفن لاذت بالفرار[٣]. ومما لا شك فيه أن البيزنطيين استفادوا من متاعب العرب المسلمين الداخلية وظروفهم في أواخر العصر الأموي فاسترجعوا قبرص ويقيت في أيديهم سنين طويلة حتى استعادها العباسيون. إلا أن ما يلفت الانتباه قبل التطرق إلى النتائج المترتبة لهذا النصر والهزيمة على كلا الطرفين، عدد سفن كلا الطرفين ألم يكن هناك نوعٌ من المبالغة في ذكر عدد السفن العربية الإسلامية، مقارنة بعدد السفن البيزنطية، بالرغم من أن البحرية البيزنطية كانت معروفة بقوتها، وأنها كانت سيّدة البحر، أم إنها كانت تثق بأن السفن العربية مهما كثر عددها لن تضاهيَها أو تكونَ ندّاً لها بفضل احتكارها للنار الإغريقية؟ ولا يُنسى أن السفن العربية تعرضت للعديد من الكوارث التي أدت إلى خسارة العديد منها؟ أم إنها قامت بتجديد هذه السفن وإعادة إصلاحها أو بناء أخرى جديدة؟ أيعقل أن المؤرخ الذي ذكر عدد السفن كان متحيزاً لطرف معين، فأراد أن يوضح أن القوة العربية الإسلامية مهما كانت في عددها وعِدادها كبيرة إلا أنها لن تكون نِداً للإمبراطورية البيزنطية أم إنها معلومات وصلته أو شهدها كما ذكرها؟ تساؤلات عدّة لم تُلقَ لها أيّ إجابة.

وبإخفاق تلك الحملة الأخيرة من تاريخ الأمويين التي جرت في السنوات الأخيرة من حكم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أميّة، يكون الأسطول البيزنطي قد نجح في الانتقام من الأسطول الأموي الذي طالما أذاقه المذلة والهزيمة، وأنزل به العار والانكسار[٤]. إن هذا الانتصار البيزنطي، وضع حداً ونهاية للصراع البحري الطويل الأمد بين البيزنطيين والأمويين، وأنهى السّيادة العربيّة الإسلامية البحريّة على حوض البحر المتوسط الشرقي، إلى ما بعد العصر الأموي، ولم يستطع العرب المسلمين في مصر وبلاد الشام أن يعوضوا ما فقدوه أبداً بتلك الخسارة، وهكذا توقفت عمليات الأسطول المصري، وفقد قدرته القتالية في البحر المتوسط لأكثر من قرن من الزمن، ولم يعد هناك ذكر لأخبار البحرية الشامية لمدة ربع قرن، وأصاب الجنود البيزنطيون أيضاً القاعدة البحرية العربية الإسلامية

---

[١]- **سيرامي**: لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

[٢]- منصور. (2003م)، ص: 119؛ الصريفي. (د.ت)، ص:246.

[٣]- Theophanes. (1997 A.D), P: 586.

[٤]- صايغ. (1956م)، ص: 136.

في شمال إفريقية، وقلمت أظافرها هي أيضاً، كما توقفت غارات أسطول شمال إفريقية الأموي لمدة نصف قرن[١]. ولم يبقَ من الأسطول الأموي بعد انهزامه في قبرص إلا القليل من السّفن الشاميّة والمصّريّة التي لا تتجاوز ثلاثة سفن[٢]. كما لحقت أيدي الأذى بالسفن النيلية الصغيرة، والقوارب النهرية، إذ أمر مروان بتدميرها في الأيام الأخيرة من حكمه. إلا أن الغريب في الأمر، ما المسوغات التي دفعته لتدميرها؟ أخوفاً من أن يستفيد منها البيزنطيون؟ أو منافسوه من العباسيين؟ ولمّا لم يكن لديه بعد نظر أنه قد يستفيد من هذه السفن من يأتي بعده ليتابع عملية السيطرة البحرية ضد البيزنطيين؟

ويُفسَر أن ما فعله مروان بن محمد خوفاً من أن يستعمل العباسيون هذه السفن في مطاردتهم له ولجيشه[٣]. وهكذا فقد زالت الخلافة الأمويّة دون أن تترك للخلافة اللاحقة سفناً بمقدار ما تركت من نشاطات وأعمال جهادية، ومنافسة لأعظم قوة بحريّة آنذاك وهي القوة البحريّة البيزنطيّة. وكذلك استطاعت بيزنطة بعد قرن من الجهود الكبيرة أن تستعيد سياتها البحرية على مياه البحر المتوسط مرة أخرى. إلا أن السؤال الأهم الذي يفرض نفسه، كيف استطاعت بيزنطة رغم كل ما فقدته من أملاك ومناطق، وكل ما عانته من اضطرابات وثورات داخلية، والحروب التي كبّدتها خسائر عديدة سواء مادية أو معنوية أن تسترد سيادتها على البحر؟؟ وكيف خسر الأمويون كفاحهم البحري ولم يستمر رغم نشاطهم الكبير الذي بذلوه في هذا المجال وقد أصبحوا سادة البحر في مدة من الزمن، ورغم ما بذله الخلفاء في محاولة توسيع الأسطول العربي الإسلامي وتوطيده؟؟ ويمكن استنتاج الإجابة عن ذلك من خلال البحث والتقصي بعدّة نقاط أهمها الموقع الجغرافي لبيزنطة أسهم بدورٍ مهمٍ في انتصار القسطنطينية النهائي. ففي الوقت الذي كانت فيه مراكز القوة البحرية العربية الإسلامية في مصر وبلاد الشام وشمال إفريقية بعد سنة 75هـ/694م، في جهات مكشوفة يسهل الوصول إليها بحراً، الأمر الذي استلزم استخدام نهر النيل والقناة الداخلية لتونس لحماية الترسانات ودور الصناعة الخاصة ببناء السفن ومراسي الأساطيل، في هذا الوقت تمتعت القسطنطينية بموقع مثالي ممتاز، صالح لحماية سفنها ومنشأتها البحرية. فكان لها من بحر إيجة حتى مضيق

---

[١]- فرح. (1983م)، ص: 35؛ لويس. (د.ت)، ص: 108.

[٢]- لويس. (د.ت)، ص: 108.

[٣]- صايغ. (1956م)، ص: 138.

الدردنيل بما فيه من جزر وخلجان نطاقٌ يحميها من هجمات العدو، كذلك كان لها من بحر مرمرة حاجزٌ مائيٌ منيعٌ، ثم يأتي في النهاية البحر الأسود، وهو منطقة خلفية لم يهددها العرب المسلمون[١]. فضلاً عن مناعة القسطنطينية الطبيعية التي أسهمت أيضاً في إخفاق الهجوم العربي الإسلامي الكبير عليها بداية عهد ليو الثالث الأيسوري[٢]. وشجاعة البيزنطيين في الدفاع عن عاصمتهم وابتكارهم سلاحاً سرّياً هو النار الإغريقية في صدّ هجمات العرب المسلمين عن أسوار القسطنطينية، كما ساعد بيزنطة لتكسب جولة الصراع البري البحري، فلم يستطع الأسطول العربي الإسلامي رغم تدرّب رجاله وقوتهم، مقاومة النار الإغريقية في ذلك الوقت[٣]. كما أن توفر الأخشاب وأدوات السفن والحديد، وكل ما هو ضروري لبناء الأساطيل البحرية في يد الإمبراطورية البيزنطية، وغير المتوفر منها كانت بيزنطة تحصل عليه بسهولة لبناء السفن بأنواعها، في حين حالت دون حصول أعدائها الأمويين على الكثير من احتياجاتهم، فلم يكن الحديد متوفراً في بلاد الشام ومصر، ولم يكن الخشب في وادي النيل اللازم للسفن والصواري، يضاف إلى ذلك أن محصول بلاد الشام من خشب الصواري كان ضئيلاً جداً في ذلك الوقت، صحيح أن الخشب والحديد معاً كانوا متوفرين في شمال إفريقية والأندلس، إلا أن مناجم الحديد في شمال إفريقية توقفت عن العمل في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، كما أن الأندلس لم تسهم بشيء في مجال القوى البحرية وقتذاك[٤]. فالتنظيمات الإدارية والإصلاحات العسكرية وكذلك الاقتصادية التي طرأت على الإمبراطورية البيزنطية نتيجة ضغط الفرس والعرب المسلمين في نهاية القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجري/ نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلادي أسهمت مساهمة فعالة في استرداد بيزنطة لسيادتها البحرية، حيث أتاح تطور النظام الإداري للأقاليم بأن وضع على رأس كل إقليم قائد بحري ستراتيجوس له السلطات الحربية والمدنية معاً وسائل فعالة للدفاع. أما تنظيمات الأمويين البحرية فإن المعلومات عنها قليلة مقارنة بالمعلومات عن الأساطيل البيزنطية[٥].

---

[١]- لويس. (د.ت)، ص:110-111.

[٢]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:245.

[٣]- سرور. (1960م)، ص:11.

[٤]- لويس. (د.ت)، ص:111-112.

[٥]- لويس. (د.ت)، ص:112؛ محمد. (2010م)، ص: 21.

يُستخلص من هذه المسوغات تفوق البيزنطيين على الأمويين في ميدان البحر، وإن كان العرب المسلمين في عملياتهم البرية قد أثبتوا مهاراتهم القتالية، وساروا قدماً أكثر من عملياتهم البحرية. ومهما يكن أيضاً فإن الدولة الأموية بدأت سياستها الخارجية دفعة واحدة، دون تدرج لهذا أخفقت في تحقيق الهدف الذي طالما حاولت تحقيقه، وهو الاستيلاء على القسطنطينية واستطاع ليو الثالث بما استعمله من وسائل دفاعية في آسيا الصغرى أن يحطم القوة العسكرية الأموية الضاربة والمندفعة إلى قلب آسيا الصغرى مهددة العاصمة، وإن كانت معركة القسطنطينية سنة 99هـ/717م، قُدر لها أن تكون آخر محاولات الأمويين للاستيلاء على العاصمة، فإن معركة أكروينون سنة 122هـ/739م، قضت على كل مد أموي مؤثر ضد الدولة البيزنطية، وتحول البيزنطيون بعد هذه المعركة إلى أخذ زمام المبادرة في البر والبحر، وأصبح مركز الثقل يميل إلى جانبهم. وحين توفي ليو الثالث الأيسوري سنة 122هـ/739م، خلفه ابنه قسطنطين الخامس الذي استطاع أن يواصل جهود أبيه ويستفيد من نتائج أعماله، مستغلاً القلاقلَ في الدولة الأموية في نهاية عهدها، ومستفيداً من سقوطها النهائي سنة 132هـ/749م، على يد العباسيين، الذين نقلوا عاصمة الخلافة بعيداً إلى المشرق، وأصبحت بغداد هي عاصمةَ الخلافة العربية الإسلامية بدلاً من دمشق. هذا التحول أثّر على العلاقات بين العالمين العربي الإسلامي والبيزنطي، ومهما يكن من أمر فإن العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية لم تقتصر على الاحتكاك الحربي المتواصل منذ بداية السيطرة العربية الإسلامية، وأنه من غير المعقول ألا تكون بين هذين العالمين البيزنطي والعربي الإسلامي علاقاتٌ تربطهما سوى الحروب والمعارك. لذا سيُلاحظ أن هناك علاقات من نوع آخر رغماً عن صليل السّيوف، هي العلاقات الاقتصادية والثقافية والدينية، هذه العلاقات السلمية لم تكن تقل في تأثيرها ونتائجها وأهميتها عن الصراع السياسي، لاسيَّما وأنها قامت في ظل هذا الصراع فتأثرت به وتأثر بها. وهذا ما سيُلاحظ في الفصل اللاحق.

الفصل الرابع:

تغير الخطط العربية الإسلاميّة البحريّة ضد الإمبراطورية البيزنطية في العصر العباسي الأول 132-246هـ/748-860م.

أولاً: أسباب توقف النشاط البحري بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية في شرق البحر المتوسط.

ثانياً: تجدد الغارات على جزيرة قبرص وسردينيا وكريت 146-200هـ/763-815م.

ثالثاً: غزو جزيرة كريت، وأثر الاستيلاء عليها في إعادة السيادة البحرية العربية الإسلامية في البحر المتوسط الشرقي 212هـ/827م

رابعاً: فتح جزيرة صقلية 212-246هـ/827-860م.

بعد انهيار دولة بني أميّة، وقيام الدولة العباسية 132هـ/749م مكانها تغيرت الخطط القتال العربية الإسلامية تماماً ضد البيزنطيين عمّا كان عليه في العصر الأموي، مما سمح للبيزنطيين بشن بعض غاراتهم على الدولة العربيّة الإسلاميّة وحدودها. فمن المعروف أنّ بداية أي دولة تكون مشغولة بتوطيد أمورها ودعائم حكمها، لذلك لن تسمح لها الظروف في القضاء على المخاطر الخارجية قبل أن تقضي على المخاطر والاضطرابات الداخلية. لهذا يُلاحظ أن الدولة العباسية توقف نشاطها نسبياً ولاسيَّما نشاطها البحري ضد البيزنطيين قرابة الخمسين عاماً، وبالمقابل سيُلاحظ أن الإمبراطورية البيزنطية أيضاً تعرضت لبعض المشكلات والصعوبات أوقفت أو بالأحرى تراجع نشاطها البحري ضد أعدائها من العرب المسلمين، فقد اقتصرت الغارات بين الطرفين على استغلال أحدهما لأوضاع الأخرى وشن هجوم عليها، كما اتسمت هذه الغارات بالصّد والرّد فلم يكن هدفها الاستغلال أو السيطرة، ولم تكن لها أيّ نتائج تذكر. فعلى ما يبدو أن كلا الطرفين كان يحاول إبعاد الطرف الآخر عنها وعن دولته بهذه الغارات البسيطة لتظهر نفسها أمام الدولة الأخرى بمظهر القادر على المهاجمة في ظل الظروف الصعبة، ريثما تسمح لهم الظروف بالمناورات الحقيقية التي يرجى لها نتائج حقيقية. وبعد أن وطّدت الدولة العباسية أمورها الداخلية بدأت توجه حملاتها نحو بيزنطة وجزر البحر المتوسط بهدف استعادة السيادة البحرية للدولة العربيّة الإسلاميّة.

أولاً: أسباب توقف النشاط البحري بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية في شرق البحر المتوسط.

امتلكت بيزنطة أكبر قوة بحريّة لمدّة نصف قرن تقريباً، حيث احتفظت بسيادتها البحرية التي اكتسبتها بعد عام 129هـ/746م. وبعد انهيار الخلافة الأموية عقب انكسارهم البحري والاقتصادي على أيدي البيزنطيين، واختفت قوتهم البحرية نهائياً سنة 134هـ/751م، انتقلت الخلافة إلى العباسيين، الذين تغير نشاطهم ضد البيزنطيين عمّا كان الأمويون يقومون به. فنشاط الأمويون كان يهدف إلى الغزو والتوسع ومحاولة احتلال القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، أما العباسيون فقد غيروا هذه السياسة وجعلوا نشاطهم الحربي عبارة عن غارات الغرض

منها إظهار القوة وتخويف العدو والرّد على ما يقوم به من نشاط مماثل، وربما كان السبب في ذلك بداية حكمهم واحتياجهم لتوحيد أركان الحكم، وتقوية سلطانهم وانشغالهم بالأمور الداخلية. وعلى أثر ذلك توقف النشاط البحري للعرب المسلمين في مصر وبلاد الشام، مدّة من الزمن تقارب الخمسين عاماً، والسؤال الذي يجدر الإجابة عليه لماذا لم يَسِر العباسيون على سياسة الأمويين في الغزو والتوسع؟ وما الذي أقعدهم مدّة لا تقل عن خمسين عاماً دون العمل على توسيع نشاطهم البحري وإسقاط القسطنطينية؟

بعد البحث والتقصّي، يعود ذلك لمسوغات عدّة منها يتعلق بالخلافة العباسية ومنها بالإمبراطورية البيزنطية: أما فيما يخص الخلافة العباسية فأهم أسبابها مناوأة أهالي بلاد الشام للعباسيين، حيث كانوا لا يزالون على ولائهم للأمويين وأن التوجّه نحو القسطنطينية يحتاج لتكون بلاد الشام قاعدة لهم، فإذا لم تكن هذه القاعدة مأمونة الجانب وتحت سيادتهم، ومؤيدة للجيوش المعسكرة فيها والمتحركة منها ومساعدة لها فإن النصر حتماً سيكون صعباً حينها، فضلاً عن ذلك عدم اهتمام العباسيين بإنشاء أسطول قوي في البحر المتوسط يضاهي أسطول الأمويين من قبل واعتمادهم على الجيوش البرية أكثر من القوات البحرية[١]. فضلاً عن انتقال الخلافة العربيّة الإسلاميّة من إقليمي البحر المتوسط وهما بلاد الشام ومصر قاعدتي الدولة الأموية إلى إقليم داخلي في غربي آسيا[٢]. إذ أصبحت بغداد العاصمة الجديدة، التي تتجه نحو وسط آسيا والمحيط الهندي لا صوب البحر المتوسط[٣]. كذلك انصراف الدولة العباسية التي انتهجت منذ قيامها سياسة مشرقيّة، وتطلعت بوجهها نحو خراسان عن شؤون البحر، ونفض يدها عن محاربة البيزنطيين في البحر المتوسط لتفرغها لمشكلاتها الإقليمية والداخلية[٤].

كما أن مصر وشمال إفريقية بقيتا عاجزتين بحرياً خلال خمسين سنة تقريباً بعد آخر هزيمة تلقاها الأمويين سنة 129هـ/746م، والتي أثّرت عليهم وعلى بحريتهم بشكل ملحوظ، في حين تخلت مصر نهائياً عن قوتها البحرية. وسيُلاحظ فيما بعد بأن إقليمين فقط هما اللذان وجدت بهما قوة بحرية غير قوة بيزنطة وهما الأندلس وبلاد

---

[١]- حسن. (1996م)، ص:197.

[٢]- عثمان. (1966م)، ص:346.

[٣]- الخربوطلي. (1970م)، ص:64؛ لويس. (د.ت)، ص:157.

[٤]- العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص: 40؛ عثمان. (1966م)، ص:347.

الشام، واللذان سيوجهان نشاطهما المحلي لاستعادة الجزر من بيزنطة وإعادة إحياء السيادة البحرية العربيّة الإسلاميّة[١]. كما أن اتساع الدولة العربية اتساعاً كبيراً، هذا الاتساع استلزم جهداً عظيماً للسيطرة والحفاظ عليها، وتأمين حدودها. فإن تمرد أي منطقة وفقدانها سيسبب لها الكثير من المتاعب، فأدركوا أنه من الأفضل أن يتجهوا إلى السيطرة وإحكام القبضة عمّا في أيديهم والمحافظة عليها، بدل أن يوجهوا قوتهم إلى التوسع فتضعف قدراتهم وشوكتهم في الداخل، مما يعرضهم إلى فقدان أجزاء من دولتهم. فضلاً عن حركات التمرد الداخلية التي استنزفت وقت العباسيين وشغلتهم مدّة طويلة عن السيطرة[٢]. كما أن انفصال المغرب والأندلس عن المشرق سياسياً، أسهم في تشجيعهما على تبني دور بحري هام، استناداً إلى قدراتهم الذاتية، واستغلال الظروف السيئة التي كانت تمر بها الإمبراطورية البيزنطيّة[٣]. فبعد أن كانت الحملات العربية الإسلامية خلال العصر الأموي تهدف إلى السيطرة والاستيلاء على المدن، تحولت تلك الحملات في العصر العباسي إلى الانتقام السريع والسلب والنهب وتدمير المدن والحصون، هذا أدى إلى تحصين الحدود والموانئ، وظهر ما يعرف بالعواصم والثغور في الدولة العربية الإسلامية[٤].

في حين ساعد على تجميد النشاط البحري في شرق البحر المتوسط، أوضاع الإمبراطورية البيزنطية آنذاك ومنها انصرافها هي الأخرى عن المصادمات البحرية مع العرب المسلمين بسبب الفتن الداخلية والمشكلات الخارجية التي عصفت بها كالنزاع اللاأيقوني الذي تجدد منذ أن اعتلى قسطنطين الخامس العرش البيزنطي، وتعرضت بيزنطة لثورة ضده بقيادة صهره أرتاباسدوس Artabastos[٥].

---

[١]- لويس. (د.ت)، ص:158-159.

[٢]- شلبي. (1985م)، ج:3. ص:251-252.

[٣]- العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص:40.

[٤]- الخربوطلي. (1970م)، ص:64.

[٥]- عاقل. (1969م)، ص: 153.

ارتاباسدوس: أرمني الأصل، وكان قائداً لثغر الأرمناق، وكان ممن ساعد الإمبراطور ليو في الوصول إلى العرش، فكان أن زوجه ابنته وعينه قائد لثيم الأوبسيق وتسميه المصادر الأرمنية ارطباذ. عبد الله. (1990م). ص:127.

فضلاً عن أن العرب المسلمين استفادوا من ثورة توماس الصقلبي[١] والحروب الأهلية التي احتدمت نارها بالتحالف مع الخليفة العباسي المأمون 198-218هـ/813-833م، وأجهدت الإمبراطورية البيزنطية حتى تمكّن مؤسس الأسرة العمورية[٢] الإمبراطور ميخائيل الثاني العموري 205-214هـ/820-829م[٣] من القضاء عليها عام 208هـ/ 823م للاستقرار في كل من جزيرتي كريت وصقلية[٤]. وانشغلت بيزنطة أيضاً في صراعها مع البلغار، الذي هدد القسطنطينية وامتص من قوتها الكثير[٥]. فضلاً عن انفصال الكنيسة الكاثوليكية البابوية، وتعاظم قوة دولة الفرنجة في عهد ملكها شارلمان[٦]، حيث قامت علاقة صداقة بينه وبين الدولة العباسية، فقد التقت مصالحهما في تضييق الخناق على الخلافة الأموية في الأندلس، وضد مصالح الإمبراطورية في المشرق، والضغط عليها للاعتراف بشارلمان إمبراطوراً على الغرب اللاتيني مما أقلق الإمبراطورية البيزنطية[٧].

---

[١]- **ثورة توماس الصقلبي:** اندلعت ثورة عارمة في آسيا الصغرى بقيادة جندي يدعى توماس الصقلبي من زملاء الإمبراطور ميخائيل الثاني القدامى، كانت ثورته مزيجاً من الثورات الدينية والاجتماعية، فقد أعلن أنه زعيم عبادة الصور المقدسة، وأنه المدافع الأول عن الفقراء والمساكين، وألبس ثورته رداءً اجتماعياً خطيراً، فالتف حوله جموع من الكادحين والفقراء، واتجه أكثر من مرة إلى بلاد الشام محتمياً بالعرب المسلمين من بطش الإمبراطورية البيزنطية، وامتدت إقامته الأخيرة بين العرب المسلمين ما يقارب عشر سنوات 188-198هـ/ 803-813م. زمن الإمبراطورين نقفور الأول وميخائيل الثاني. للمزيد ينظر: فازيليف. (1990م)، ص:51؛ Bury. (1912A.D), P:48-50

[٢]- **الأسرة العمورية:** حكمت بيزنطة في مطلع القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، من قبل الإمبراطور ميخائيل الثاني 205-214هـ/ 820-829م، وهي الأسرة التي تنتسب إلى عمورية في قلب آسيا الصغرى، وأعظم مدنها ثغر أنا توليا. للمزيد ينظر:
Bury. (1912 A.D), P:79-221; Ostrogorski. (1968 A.D), P:185.

[٣]- **ميخائيل الثاني:** ولد من أبوين بسطاء في إقليم فريجيا Phrygia، ومن ثم عرف بمخائيل العموري، مؤسس الأسرة العمورية، التي استمرت حتى 253هـ/ 867م، وكان صديق السلاح للإمبراطور ليو الخامس الذي تآمر لاغتياله واعتلاء العرش بدلاً منه، ونجح في ذلك وتوج إمبراطوراً من قبل البطريرك تيودوسيوس، ونافسه صديق الجيش توماس الصقلبي وأضرم الفتنة ضده الذي استطاع ميخائيل إخمادها سنة 207هـ/ 822م. نيكول. (2003م)، ص:151-152.

[٤]- عوض. (2007م)، ص: 239؛ Brehier. (1946A.D), P:103

[٥]- هسي. (1997م)، ص:111.

[٦]- **شارلمان:** من أشهر ملوك الفرنجة ولد عام 126هـ/ 743م، نشأ نشأة الملوك منذ الصغر اتصف بطول القامة وقوة البنية والهيئة الملوكية، تمتع برجاحة العقل والصبر وهدوء النفس، تزوج مرات عدّة إحداهم ابنة ملك اللومبارد ديسيدريوس، وله العديد من الإناث والذكور، توج إمبراطوراً عام 184هـ/800م، بنى عاصمته الجديدة في آخت Aacken، حاول إقامة علاقات صداقة مع الدولة العربية الإسلامية ولاسيَّما في العصر العباسي، توفي عام 198هـ/814م، عن عمر يناهز السبعين عاماً. للمزيد ينظر: اينهارد. (1989م)، ص:115-116؛ صبرة. (1982م)، ص:47.

[٧]- الناصري. (1993م)، ص:268؛ الخضري بك. (2003م)، ص:91.

ثانياً: تجدد الغارات على جزيرة قبرص وسردينيا وكريت 146-200هـ/763-815م.

كان النظام الدفاعي المعمول به على الجبهة البحرية هو أن تأتي الأجناد المسلمة من المناطق الداخلية إلى الساحل، فتستقر مدّة قصيرة في المدن والثغور، ثم لا تلبث أن تعود إلى قواعدها في دمشق أو حمص أو بعلبك أو تخرج للغزو في الأراضي البيزنطية، ولا يبقَ في الحصون الساحلية سوى العدد القليل من المرابطين من أهل تلك البلاد، الذين كانوا على الرغم من قلتهم وضعف إمكاناتهم يتناوبون الحراسة على الساحل رجالاً وركباناً، هذا الوضع جعل الساحل الشامي عرضة للغزوات البيزنطية البحرية. ففي عهد الخليفة العباسي أبي العباس عبد الله ابن محمد الملقب بالسّفاح[١] 132-136هـ/749-753م، لم يشهد أي حوادث على الجبهة البيزنطية، فقد كان مشغولاً بتوطيد أركان حكمه وتأمين أحواله الداخلية وإخماد الثورات التي نشبت رفضاً لحكم بني العباس. فاستغل البيزنطيون انشغال المسلمين ببعضهم، فهاجموا حدود الدولة الشمالية فخربوا المدن والثغور، ونهبوها وقتلوا من وجدوا من سكانها. واستولوا على ملطية بعد حصار طويل، ولم يتمكن العرب المسلمون من إيقاف البيزنطيين وردهم على أعقابهم إلا حين تسلّم الخلافة من بعده أخوه أبو جعفر المنصور 136-158هـ/753-774م[٢]، ولم تكن قد توطدت دعائمها بعد، ففي عهده هرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك إلى بلاد الأندلس، وأسس

---

[١]- **أبو العباس عبد الله بن محمد:** بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ولد في الحميمة -وهي قرية موجودة في الأردن حالياً- سنة 104هـ/721م، أول الخلفاء العباسيين، كان طويلاً جميلاً، فصيح الكلام وحسن الرأي، وجيد البديهة، ولقب السفاح لكثرة ما أراقه من دم الأمويين، وقيل أنه لقب بذلك بسبب كرمه في العطاء، فقد تولى حكم الدولة العربية الإسلامية وهو في السادسة والعشرين من عمره، كان أول أهدافه القضاء على الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد، ثم استطاع قتله في مصر، وبدأ بوضع ولاة جدد على البلدان وكان معظمهم من أقربائه، واتسم عهده بتعدد الثورات التي قامت ضده، توفي سنة 136هـ/754م. ابن الأثير. (د.ت)، ج:5. ص:775؛ ابن عساكر. (1995م)، ج:32. ص:276؛ الذهبي. (2004م)، ص:2505.

[٢]- ابن الأثير. (د.ت)، ج:5. ص:790؛ ابن الآبار. (1963م)، ج:1 ص:298؛ المهايني. (1946م)، ص: 113-114.

أبو جعفر المنصور: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولد في الحُميمة سنة 95هـ/713م، كان طويلاً أسمرَ، نحيفاً وخفيف العارضين، فقد تعلم منذ صغره تعليماً كثيفاً لذا نشأ فصيحاً بليغاً صحيح اللسان، وهو ثاني خلفاء بني العباس استخلف بعد وفاة أخيه السفاح، وكان في الحج عند وفاته فقعد له البيعة عمه عيسى بن علي وكان عمر المنصور آنذاك إحدى وأربعين عاماً، واجه العديد من التحديات والثورات أهمها ثورة عمه عبد الله بن علي، كان يشرف على أمور الحكم والرعية بنفسه توفي سنة 158هـ/775م. للمزيد ينظر: ابن الأثير. (د.ت)، ج:5. ص:790؛ ابن الآبار. (1963م)، ج:1 ص:33؛ ابن عساكر. (1995)، ج:32. ص:298؛ السيوطي. (2003م)، ص:206.

فيها دولة أموية سنة 138هـ/755م، في حين عاصر خلافة المنصور من الأباطرة البيزنطيين قسطنطين الخامس، وكما تمت الإشارة سالفاً إلى أن العلاقة بين الطرفين كانت منقطعة تارة وبارزة تارة أخرى، فلا تترك أحدهما قتال الأخرى متى سنحت لها الفرصة، وكان من النظام المتبع في الخلافة إرسال جيوش تغزو الأراضي البيزنطية في الصّيف وتسمى بالصّوائف، ولم تكن هذه الصّوائف تتوقف إلا عند حدوث ما يمنع قيامها[١]. كان الخليفة المنصور حريصاً على استعادة هيبة الدولة العربية الإسلامية، لذلك اهتم بشكل كبير في الرّد دائماً على المحاولات البيزنطية، وذلك من خلال الغارات[٢]، وإصلاح الحصون وترميمها لاسيَّما في ملطية التي كانت هدفاً مستمراً للبيزنطيين، لما تتمتع به من موقع استراتيجي كخط دفاعي أمامي للحدود العربية الإسلامية، وكمركز هام لتموين الحملات العربية الإسلامية إلى الحدود البيزنطية[٣].

كما أغار الأسطول البيزنطي في عام 140هـ/757م، على ساحل بلاد الشام ودخل اللاذقية وأحرقها وواصل هجومه على الساحل حتى دخل طرابلس. وقد دفعت هذه الاعتداءات بالإمام الأوزاعي الذي كان مرابطاً في بيروت إلى أن يرسل إلى الخليفة المنصور يعلمه بخطورة الأمر في الساحل، ويطلب منه تخصيص أُعطيات سنويّة لأهل الساحل حتى يقوموا بالمرابطة وحراسة الأبراج والحصون الساحلية. فاستجاب الخليفة لطلب الإمام، واتخذ بعض التدابير لدعم الساحل وحمايته، فاستقدم العشائر التنوخية اللخمية[٤] المنتشرة في مناطق معرّة النعمان، بعدما سمع بشجاعتهم، وطلب منهم أن يسكنوا في الجبال الساحلية الخالية القريبة من بيروت، ورغّبهم بالإقامة هناك بأن أنعم عليهم بإقطاعات معلومة من أراضي لبنان، وبالكاد تفرق التنوخيون في الجبال الغربية من بيروت،

---

[١]- الخضري بك. (2003م)، ص: 79.

[٢]- للمزيد والتفاصيل عن الغزوات التي أرسلتها بيزنطة إلى ملطية ينظر: ابن الأثير. (د.ت)، ج:5. ص:790 وما بعد؛ ابن كثير. (1998م)، ج:13. ص:332؛ الخضري بك. (2003م)، ص:79.

[٣]- عبد الله. (1990م)، ص: 149.

[٤]- **التنوخية اللخمية:** عبارة عن حلف عقد قبل الإسلام في تهامة بين عدد من القبائل العربية، كقبيلة الأزد وقضاعة وكهلان، انتقلت هذه القبائل نحو البحرين ومنها هاجرت نحو المنطقة الواقعة بين الحيرة والأنبار معلنة ولاءها لملوك الدولة الفارسية، ومن أبرز الملوك التنوخيين في الحيرة امرؤ القيس والمنذر بن النعمان، وقد عرفوا بالمناذرة اللخميين. ومع دخول العرب المسلمين لمصر وبلاد الشام وغيرها دخل بعض التنوخيين في الإسلام، وانتشروا في مناطق عدّة كالرقة وقنسرين ومعرة النعمان ومنها امتدوا نحو لبنان، وقد أسسوا لأنفسهم مملكة تعد أول إمارة تتمتع بالحكم الذاتي في لبنان أثناء حكم الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي أرسلهم إلى ساحل بيروت بقيادة الأمير منذر بن بركات بن النعمان أبي قابوس اللخمي التنوخي، استمر ولاؤهم للدولة العباسية حتى قضى عليهم العثمانيون. للمزيد ينظر شمس. (2021م)، ص:1-3.

وفي المناطق الواقعة بين بيروت وصيدا. لم يكتفِ الخلفاءُ العباسيون بتدعيم النظام الدفاعي في الساحل الشامي، بل عملوا على تنظيم حملات بحرية في البحر المتوسط ضد الممتلكات البيزنطية في آسيا الصغرى، وشرقي البحر المتوسط وغربه حتى جزيرة صقلية. ففي عهد الخليفة المنصور خرجت حملة بحرية بقيادة أمير البحر الشامي العباس بن سفيان الخثعمي[١] إلى قبرص في سنة 146هـ/763م، فكان أول جيش يغزوها منذ قيام الدولة العباسية[٢]. مما يدل على استمرار نشاط البحريَّة العربيَّة الإسلاميَّة وعدم توقفها بعد تأسيس الخلافة العباسية واستمرار الصوائف في غزو البيزنطيين إلى سنة 155هـ/771م، وفيها طلب إمبراطور بيزنطة قسطنطين الرابع الصلح من الخليفة فتّم عقد هدنة معه مدتها سبع سنوات على أن يؤدي لهم الجزية[٣]، ومن شروط الصلح تبادل الأسرى بين البيزنطيين والعرب المسلمين[٤].

ولكن إذا ما نُظر إلى الحوادث القادمة يُلاحظ أن تلك الهدنة لم تستمر، أو أنها لم تكن سوى هدنة مؤقتة في العام نفسه، بدليل حدوث الصوائف والغارات فيما بعد، كما لم تذكر المصادر البيزنطية هذه الهدنة[٥]. على أيّ حال استمرت علاقات الصلح بين الطرفين من وقت لآخر، وقد رغبا في ذلك حتى يتمكنا من ترتيب أوضاعهما، وإنهاء مشكلاتهم، فالإمبراطور البيزنطي كان مشغولاً بمشكلة الحركة الأيقونية وعبادها، والتجهيز لحرب البلغار، في الوقت الذي كان يأمل به الخليفة العباسي ببناء وترميم حصون دولته، فحصّن مناطق الثغور الجزرية والشامية، وشحنها بالمرابطين حتى لا يطمع فيها البيزنطيين وتكون جاهزة لمواجهة أيّ عدو، كما فعل في ملطية. وهكذا استمرت العديد من الصوائف على الحدود البيزنطية، حين تسمح الفرصة بذلك، إلا أن السّمة التي كانت سائدة طوال تلك السنوات هي الهدوء العام، وإن غلبت على النشاط صفة المناوشات والغارات في شكل صوائف مستمرة، إلا أنها لم تكن لها صفة التوسع، ولم تصادف مواجهات قوية أو معارك كبرى. لهذا استمرت حركة الصوائف التي

---

[١]- **العباس بن سفيان الخثعمي**: قائد بحري، كان أميراً على غازية البحر في خلافة الخليفة العباسي المنصور، كان أول من غزا جزيرة قبرص سنة 146هـ/763م في عهد العباسيين، توفي سنة 150هـ/767م. لم يُذكر أيُّ تفاصيل أخرى عن مولده وحياته. ابن عساكر. (1995م)، ج:26. ص:252.

[٢]- أبو الذهب. (2010م)، ج:1. ص:482-483.

[٣]- حسن. (1996م)، ج:2. ص: 198؛ المهايني. (1946م)، ص: 128.

[٤]- الطبري. (1965م)، ج:7. ص: 500؛ عبد الله. (1990م)، ص:150.

[٥]- للمزيد عن هذه الغارات والصوائف ينظر: الطبري. (1965م)، ج:7. ص:500؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج:5. ص: 801.

لم تكن لها أيّ نتائج حتى عام 148هـ/765م. ولا يمكن النسيان أن كل طرف من أطراف النزاع كان مشغولاً بأحوال دولته، فبيزنطة مشغولة بحربها ضد البلغار لذلك أعطت الأولوية في الدفاع عن حدودها ضد البلغار، بعيداً عن عدوها التقليدي وهم العرب المسلمون، كما أن العرب المسلمين كانوا مشغولين بالثورات والحركات المعارضة لهم، حتى عام 148هـ/765م، الذي شهد نشاطاً عربياً إسلامياً بحرياً ضد جزيرة صقلية[١]، إلا أن الحراس الموجودين على سواحل الجزيرة قاوموا الهجوم مقاومة عنيفة، فعادت الحملة دون أن تحقق هدفها[٢]. ثم شهد عام 157هـ/773م، نشاط عسكري يعدّ من أشد النشاطات التي شهدته العلاقات البيزنطية العربية الإسلامية قبل نهاية عهد كل من الإمبراطور قسطنطين الخامس والخليفة المنصور، فقد خرجت حملة بحريَّة وبريَّة عربية إسلاميَّة إلى قبرص لاستردادها من البيزنطيين، وقد خرجت الحملة من موانئ بلاد الشام بقيادة ثمامة بن وقاص، توجهت الحملة بدايةً نحو إقليم أيسوريا Isoria في آسيا الصغرى لمهاجمة بعض المدن الساحلية المهمة، وقد نجح ثمامة في الوصول إلى مدينة سيك Syke، ومحاصرتها، لذا سارع الإمبراطور قسطنطين الخامس بإرسال جيشاً بريَّاً وبحريَّاً عندما علم بالأمر[٣]. حيث كانت القوات البريَّة تتألف من ثيمات الأناضول وأرمينية والبوكلاري، كما ضمت عدداً من مشاهير قادة هذه الثيمات مثل ميخائيل قائد ثيم الأناضول، وبارادنيس قائد الثيم الأرميني، وبانيس قائد الثيم البوكلاري، وقد توجهت هذه القوات إلى إقليم إيسوريا واحتلت الطرق التي سيعبرها العرب المسلمون في عودتهم، أما الثيمات البحرية فكانت تتألف من ثيم كبيرهايوت الذي تولى قيادته قائد الثيم نفسه وهو بطرس الوزير الأول[٤]، التي توجّهت إلى ميناء قبرص للدفاع عنها فيما لو وصل إليها العرب المسلمون، وبذلك ضرب حصاراً برياً وبحرياً على ثمامة وقواته أدى إلى قطع الاتصال بينه وبين سفن أسطول بلاد الشام. ولكن على الرغم من الموقف الصعب أخذ يبث روح الشجاعة والقوة في قلوب رجاله، وانطلق يهاجم الفرسان البيزنطيين مطلقاً التكبير وصيحات الحرب، فتفرق شمل الفرسان، وخرّب مواقع متعددة وسيطر عليها وتمكن من العودة سالماً بغنائم كثيرة[٥]. واستطاع دخول

---

[١]- طرخان. (1966م)، ص:89.

[٢]- عبد الله. (1990م)، ص:157.

[٣]- رمضان. (1983م)، ص:180.

[٤]- **بطرس الوزير الأول**: لم يتم العثور على تعريف له في المصادر البيزنطية المتوفرة.

[٥]- عبد الله. (1990م)، ص:166-167؛ رمضان. (1983م)، ص:180؛

Theophanes. (1997A.D), P: 615.

قبرص وأسر حاكمها الذي يدعى بروسوبو Prosoppo[١]. ورأف الخليفة في القبارصة فلم يريد أن يرهقهم بجزية جديدة، بل ألغى أتاوة إضافية كان الخليفة هشام قد فرضها عليهم، وعاد المنصور إلى الشروط نفسها التي كان قد وضعها معاوية[٢]. وعلى أثر هذه الحملة حاول الإمبراطور البيزنطي طلب السَّلام من الخليفة المنصور، عندما وجد أن أموره ومشكلاته الداخلية، وحربه المستمرة مع البلغار لا تسمح له بقتالهم، إلا أن المنصور رفض عرض السلام[٣]. ويبدو أن الخليفة شعر بأنه الطرف الأقوى وأنه يستطيع أن يتحكم بالأمر لصالحه وصالح دولته، إلا أن المنيّة عالجته وفارق الحياة سنة 158هـ/774م.

تولى الخلافة بعد وفاة المنصور المهدي[٤] سنة 158–169هـ/774–785م، فكانت العلاقات بين الخلافة العباسية في عهده والإمبراطورية البيزنطية سيئة، فسياسة المهدي إزاء بيزنطة كالسياسة التقليدية للدولة العربيّة الإسلاميّة، فقد شهد عهده إرسال غارات قوية نحو بيزنطة إلا أنها لم تحظَ بأيّ نتيجة[٥]، واستمرت الغارات براً وبحراً ولم تتوقف بين الطرفين، فتابعت الدولة العربية الإسلامية إرسال الصوائف في عهد المهدي، واستمرت كذلك الغارات من قبل الإمبراطورية البيزنطية[٦]. فقد قاد هارون الرشيد سنة 164هـ/780م، حملة ضد الأراضي البيزنطية توغلت حتى وصلت إلى خليج البوسفور وكادت تسيطر عليه[٧]، ويذكر ثيوفانس أن الحملة وصلت مدينة خرسوبوليس Chersopolis[٨]، وبلغ عدد جيشه ما يقارب ستة وتسعين ألف، وشارف الجيش على الوصول إلى القسطنطينية، وكانت القائمة على أمر الإمبراطورية البيزنطية الإمبراطورة إيرين Irene 181–188هـ/797–

١- **بروسوبو**: لم يتم العثور على تعريف له في المصادر البيزنطية المتوفرة.

٢- عبد الله. (1990م)، ص:166–167.

٣- الطبري. (1966م)، ج:8. ص: 46.

٤- **المهدي**: أبو عبد الله محمد بن المنصور، ولد في إيذج وهي بلد في بلاد فارس سنة 127هـ/744م، وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية، كان أبيضَ طويلاً، وحسن الخلق، محبوباً في الرعية، تولى الخلافة بعد وفاة أبي جعفر المنصور، وقد أفنى الكثير من الزنادقة، قام بالعديد من الإصلاحات كعمارة طريق مكة، وبنى بها قصوراً، وأمر بترك المقاصير التي في جوامع الإسلام وقصر المنابر، وهو أول من عمل البريد من الحجاز إلى العراق. توفي سنة 169هـ/785م ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص:840؛ ابن عساكر. (1995)، ج:53. ص:411 وما بعد؛ السيوطي. (2003م)، ص:206.
السيوطي. (2003.)، ص:216؛

٥- محمد. (1993م)، ص: 146.

٦- الخضري بك. (2003م)، ص:91.

٧- الطبري. (1966م)، ج:8. ص:152؛ المهايني. (1946م)، ص:136.

٨- **خرسوبوليس**: أي مدينة الذهب على مدخل البحر الأسود على الجانب الأوروبي للبوسفور. (1997 A.D), P: 545

803م[١]، نيابةً عن ابنها الذي لم يبلغ من العمر السادسة عشر، فقد وقفت عاجزة عن رد هذه الحملة العباسية، فالجنود عازفون على القتال، وحركات التمرد تنتشر في كافة ثغور آسيا الصغرى مركز الحركة اللايقونية[٢]، مما دفعها إلى طلب الصلح وعقد معاهدة مع هارون الرشيد الذي سرعان ما وافق، ومن شروط هذا الصلح دفع الإمبراطورة جزيَّة كبيرة للدولة العباسية[٣]، مقدارها تسعون ألف دينار[٤]، تؤديها في نيسان وحزيران من كل سنة، وأن تقيم الأدلاء والخبراء في طريقه، لأنه قد دخل مدخلاً صعباً فتخوف على العرب المسلمين، فتمّ الاتفاق على ذلك بينهما لمدّة ثلاث سنوات، وأرسلت معه للخليفة المهدي رسولاً محملاً بالذهب والفضة والهدايا[٥].

عَظُمت هيبة الدولة العربية الإسلامية في عهد هارون الرشيد الذي تسلم الخلافة سنة 170-193هـ/786-808م، في الداخل والخارج، وازداد نفوذه في البر والبحر نتيجة قوة جيشه وأساطيله وتغلّبه على البيزنطيين في كثير من المواجهات، فقد ترك الرشيد عاصمة آبائه وانتقل إلى الرقَّة ليكون قريباً من البيزنطيين. ومنذ السنة الأولى لحكمه نظّم حدود مملكته الواقعة بالقرب من البيزنطيين. وكما ورد سالفاً فإن الحروب بقيت متواصلة بين العرب المسلمين والبيزنطيين في البر والبحر[٦]. ففي عهده غزا البيزنطيين ساحل بلاد الشام سنة 174هـ/790م، فردّ عليهم العرب المسلمون بغزوة مماثلة في البحر وباستعادة جزيرة قبرص، في حين دعمت إيرين قوادها بأسطول بيزنطي لنجدة الحملة، إلا أن الأسطول العربي الإسلامي أوقع به الهزيمة وأسر العرب المسلمون القائد البيزنطي وأمر الرشيد بقتله[٧]. إلا أن المعلومات كانت بسيطة ولم تتوغل المصادر والمراجع بالتفاصيل أكثر، أما الانتصارات

---

[١]- **إيـرين:** أول إمبراطـورة تتـولى عـرش الإمبراطوريـة البيزنطيـة 181هـ/797م، تميـزت بعنادهـا فـي إعـادة الأيقونـات والصـور المقدسـة إلـى مكانتهـا التقليديـة، وكانـت تميـل فـي طبيعتهـا إلـى الاسـتيلاء علـى السـلطة والانفـراد بـالحكم، وتعـود بأصـلها إلـى أثينـا، وقـد جـاءت إلـى القسـطنطينية بثيـاب حريريـة وتزوجـت مـن ليـو الرابـع، وأنجبـت منـه ابنـاً عـرف باسـم قسـطنطين السـادس، وبعـد موتـه أصـبحت وصـيه علـى ابنهـا، وتـم خلعهـا علـى يـد نقفـور بطريـرك القسـطنطينية ونفاهـا إلـى ليسـيبوس lesbos عـام 188هـ/803م. نيكـول. (2003م)، ص:85؛ Theophanes. (1997A.D), P:613-614.

[٢]- الناصري. (1993م)، ص:268.

[٣]- Brehier. (1946A.D), P: 88.

[٤]- في حين يذكر الطبري أن مقدار الجزية تسعون أو سبعون. (1966م)، ج:8. ص:152.

[٥]- الطبري. (1966م)، ج:8. ص:152؛ المهايني. (1946م)، ص: 136؛ الشريف، ومحمود. (1980م)، ص: 159.

[٦]- المهايني. (1946م)، ص: 151.

[٧]- أبو الذهب. (2010م)، ج:1. ص:483؛ رمضان. (1983م)، ص:180.

في الحوض الغربي من البحر المتوسط فكانت من نصيب الأغالبة[١] والأندلسيين، كما ستتوضح في الصفحات القادمة.

استمرت الإمبراطورة إيرين بطلب الصلح ودفع الجزية للخليفة هارون الرشيد حتى تستطيع إخماد الثورات الداخلية والاضطرابات التي قامت ضدها[٢]، فضلاً عن مواجهة هجمات شارلمان، والتي استغرقت خمس سنوات إلى أن انتهى حكمها، نتيجة قيام فتنة ضدها من قبل البيزنطيين فتسلّم مكانها نقفور Nichephorus 186-196هـ/802-811م[٣]، الذي عقد معاهدة صلح مع شارلمان، وبذلك تفرغ للعرب المسلمين ولصدّ هجماتهم. فنقض الهدنة التي كانت بين إيرين وهارون الرشيد وقطع الجزية التي كانت تدفعها الإمبراطورة السالفة[٤]. لذلك أرسل الرشيد الحملات البريّة والبحريّة إلى بيزنطة، ومنها إلى جزيرة قبرص سنة 190هـ/805م، التي نقضت عهدها على يد حميد بن معيوف الذي أوكله سواحل بحر الشام ومصر[٥]. فهدم وحرق بعض قلاعها وفتح بعض حصونها وسبى من أهلها ستة عشر ألفاً ومن بينهم أسقف قبرص، حيث تمّ جلبهم إلى الرقة فتولى بيعهم القاضي أبو البختري، الذي تمّ فداء أسقف الجزيرة بألفي دينار[٦]، وعلى الأرجح أن حميد قد عقد معاهدة صلح مع أهل قبرص، لأنه عندما نقض أهل قبرص الصلح غزاها في العام التالي أي سنة 191هـ/806م[٧]، كما غزا جزيرة كريت وفتح

١- **دولة الأغالبة** أو الدولة الأغلبية: أسسها الأغلب بن سالم التميمي سنة 184هـ800/م، الذي استطاع تأسيس سلالة حاكمة توارثت الحكم من بعده. وعند قدوم الداعي الفاطمي أبو عبد الله إليها ستكون تحت حكم الأمير الأغلبي زيادة الله الثالث 292-296هـ/ 904-908م، وقد بلغت الدولة في عهده مبلغاً من الضعف والانحطاط لأنه كان يعيش حياة ترف ولهو. دبوز. (2010م)، ص: 84.

٢- Theophanes. (1997A.D), P:629.

٣- **الإمبراطور نقفور**: كان وزيراً للخزانة زمن الإمبراطورة إيرين، تربع على العرش أثناء الفتنة التي أطاحت بإيرين سنة 188/ 803م، كان مؤمناً بالمذهب الأرثوذكسي، وقد ألغى الإجراءات التي قامت بها الإمبراطورة إيرين تحبباً للعامة كتخفيض الضرائب، وإعفاء بعض الأشخاص منها، كما امتنع عن دفع الجزية التي استمرت بدفعها الإمبراطورية البيزنطية للدولة العربية الإسلامية. نيكول. (2003م)، ص:161.

٤- المدني. (1977م)، ص: 97.

٥- Theophanes. (1997A.D), P:661-662.

٦- السيوطي. (2003م)، ص:229؛ ابن العماد. (1986م)، ج:1. ص:325-326؛ مجهول. (د.ت)، ج:3. ص:312؛ الحميدي. (1998م)، ج:1. ص:75. في حين ذكر آخرون أن السبي بلغ سبعة عشر ألفاً. ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص:883.

٧- أبو الذهب. (2010م)، ج:1. ص:482.

بعضها[١]. واستطاعوا أسر أمير البحر البيزنطي، وكانت كفة العرب المسلمين هي الراجحة على البيزنطيين[٢]. كما وجّه الرشيد في العام نفسه حملة إلى جزيرة رودوس فعادت محملة بالغنائم والأسرى، دون أيّ تفاصيل أخرى وأوضح. كما يُذكر أن والي الثغور أيام الرشيد هو عبد الملك بن صالح العباسي[٣] أراد إجلاء أهل قبرص عن الجزيرة، وإحلال العرب المسلمين محلّهم، وذلك لنقضهم الدائم للعهد مع العرب المسلمين وتحالفهم مع البيزنطيين. إلا أن مشروع الإجلاء لم يتم. وبقيت الأساطيل العباسية تجوب البحر المتوسط وتحمي سواحل بلاد الشام ومصر من أي هجوم يتهددها[٤]. مما يؤكد أن العباسيين أدركوا قيمة البحر وجزره ومدى أهمية أن يكون البحر تحت سيادتهم، فأخذوا يسعون لاستعادة السيادة البحرية العربية الإسلامية في البحر المتوسط. إلا أنها اقتصرت على الغارات دون أن يكون لها ذلك التأثير الكبير ومعظم الأحيان كانت الظروف تقتضي عقد هدنة بين الطرفين، حتى يقوم بنقضها أحد الطرفين فتعود الغارات من جديد. وبالمجمل أخذت الأوضاع في البحر المتوسط الشرقي والغربي تتغير تدريجياً لصالح العرب المسلمين، ليس بفضل الجهود التي بذلها الخليفة الرشيد ومن بعده فحسب بل بفضل جهاد غزاة البحر الأندلسيين ونشاط البحرية الأغلبية. ففي الأندلس التي كانت تحت حكم عبد الرحمن الأول[٥] الذي استطاع الهرب من العباسيين في بلاد الشام إلى الأندلس وإقامة حكم أموي وتمكّن أيضاً من إعادة نشاط الأسطول الأندلسي. إلا أن العباسيين حاولوا القضاء على حكم عبد الرحمن، إلا أن عبد الرحمن استطاع هزيمة القوات العباسية والاحتفاظ بسلطانه. نتيجة ذلك أدرك عبد الرحمن أن العباسيين لن يستسلموا في إزعاجه وإرسال الحملات للقضاء على سلطانه، فرأى أنه من الضروري إنشاء أسطول لدولته يقف في وجّه قوة العباسيين البحرية[٦].

---

[١]- البلاذري. (1900م)، ص:245؛ الحموي. (1977م)، ج:1. ص:236.

[٢]- المهايني. (1946م)، ص:151.

[٣]- **عبد الملك بن صالح** بن علي بن عبد الله بن عباس الأمير أبو عبد الرحمن العباسي ولي المدينة وغزو الصوائف في عهد الخليفة هارون الرشيد، ثم ولي الشام والجزيرة في عهد الخليفة الأمين، كان فصيحاً بليغاً، شجاعاً ذا خلق رفيع توفي في الرقة سنة 196م. الذهبي. (2004م)، ص:2568.

[٤]- أبو الذهب. (2010م)، ج:1. ص:484.

[٥]- **عبد الرحمن الأول:** بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي القرشي ولد عام 113هـ/731م، لقب بصقر قريش وعبد الرحمن الداخل، أسس الدولة الأموية في الأندلس سنة 132هـ/ 749م، بعد أن فر هارباً من الشام إليها إثر سقوط الخلافة الأموية بيد العباسيين، وتتبعهم لأمراء بني أمية والتخلص منهم، استمر حكمه للأندلس ما يقارب 33 سنة استطاع من خلالها إخماد الثورات المتكررة وأسس حضارة عظيمة استمرت لخلفائه ما يقارب ثلاثة قرون. ابن القوطية. (1989م)، ص:56؛ ابن الآبار. (1963م)، ج:1. ص:35؛ الذهبي. (2004م)، ص:2238؛ المقري. (1968م)، ص:332-333.

[٦]- أرسلان. (1934م)، ص: 181.

وفي سنة 175هـ/791م، أعاد الحياة إلى موانئ الأندلس ودور الصناعة فيها حين أمر ببناء سفن حربية في مراسي طركونة[١] وطرطوشة[٢] وقرطاجنة وإشبيلية[٣] والمريّة وغيرها[٤]، وجميعها تطل على البحر المتوسط الغربي[٥]، وبذلك أضحى للإمارة الأمويّة في الأندلس أسطول عربي قوي أسهم مع سائر الأساطيل الأخرى في السّيطرة على مياه البحر المتوسط.

اتّجه نشاط الأسطول الأندلسي في بداية إقامة الإمارة الأمويّة إلى جزر البليار وجزيرتا سردينيا وكورسيكا بسبب اقترابها من شاطئ الأندلس الشرقي، التي سبق وأن حاولت الأساطيل المغربية مهاجمتها دون الاستيلاء عليها، إلا أن الأندلسيين كانوا يهدفون للاستيلاء على تلك الجزر واتخاذها قواعد لهم، هذا الهدف أدى إلى اصطدامها مع قوة بحرية أوربية وهي الأساطيل الفرنجية، والتي يرجع ظهورها إلى الإمبراطور شارلمان الذي تربع على عرش فرنجة في بلاد الغال – فرنسا حالياً – سنة 185م/801م، ولاسيَّما أن أهالي هذه الجزر وضعوا أنفسهم تحت حماية شارلمان، حيث تطلع الأخير إلى تكوين قوة بحرية تكفل له منافسة أعدائه في شرق أوربا، وهم البيزنطيين، كما تساعده على الوقوف في وجه الأساطيل الأندلسيّة التي أخذت تهدد ممتلكاته في جنوب فرنسا[٦].

وهكذا بدأ الاصطدام بين هاتين القوتين البحرتين في غرب البحر المتوسط حين اتجه أسطول الأندلس سنة 191هـ/806م، لمهاجمة جزيرة كورسيكا، إذ أرسل الإمبراطور شارلمان ابنه ويدعى بيبن[٧] وكان ملكاً على

---

[١]- **طركونة:** مدينة قديمة في الأندلس، نقع على البحر المتوسط، وهي بين طرطوشة وبرشلونة وبينها وبين كل واحدة منهما سبعة عشر فرسخاً، وكركونة موضع آخر في الأندلس من أعمال لَبْلَة. الحموي. (1977م)، ج:4. ص:32.

[٢]- **طرطوشة:** مدينة في الأندلس قريبة من البحر ذات بناء متقن تشتهر بالتجارة حيث يأتي إليها التجار من سائر البلدان. الحموي. (1977م)، ج:4. ص:30.

[٣]- **إشبيلية:** مدينة كبيرة وعظيمة في الأندلس، يطلق عليها أيضاً حمص، وهي قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف، وينسب إليها الكثير من أهل العلم كعبد الله بن عمر بن الخطاب الإشبيلي. الحموي. (1977م)، ج:1. ص:195.

[٤]- **المريــة:** يذكر الإدريسي: "وموضع المرية من كل جهة استدارت به صخور مكدسة، وأحجار صلبة مضرسة، لا تراب عليها، كأنما غربلت أرضها من التراب، وقصد موضعها بالحجر". وهي تقع على شاطئ خليج واسع عميق يحميه من الرياح ويعرف اليوم باسم خليج المرية، ويعد مرفئً ممتازاً، ويحيط بها الجبال من الجهات كافة، ماعدا الجهة الجنوبية وكلها جبال صخرية. (1863م)، ص: 198. سالم. (1969م)، ص: 14.

[٥]- سالم. (1969م)، ص: 33.

[٦]- أرسلان. (1934م)، ص:182؛ الشريف، ومحمود. (1980م)، ص:164.

[٧]- **بيبن:** أحد أولاد شارلمان ملك الفرنجة، ساعد البابا غرغوري الثالث في الاعتراف بسيادته، وواجه العديد من الهجمات اللومباردية إلا أنه تغلب عليهم، وتمّ الاعتراف به ملكاً على اللومبارد، حاول الإمبراطور قسطنطين الخامس التقرب منه بعد انتصاراته، وذلك=

إيطاليا، أسطولاً لمطاردة السفن الأندلسية، وقد آثر الأندلسيون الانسحاب وفق خطة رسموها لأنفسهم، إلا أن كونت جنوه Genoa[١] التابع للفرنجة ويدعى آدمير Admer[٢]، طمع في مطاردة السفن الأندلسية والاستيلاء عليها، فعاد الأسطول الأندلسي إلى مهاجمة سفن جنوه واستطاعوا هزيمته وأسر عدد كبير من جنوده حيث توجهوا بهم إلى الأندلس. فاضطر الإمبراطور شارلمان إلى التدخل وإطلاق سراح الأسرى من أهل جنوه مقابل دفع فدية كبيرة[٣]. مما يدل على اهتمام الأندلسيين جيداً بأسطولهم وقوتهم البحرية. وبذلك سجل الأسطول الأندلسي أول نصر له في مياه البحر المتوسط الغربي. وتوالت الحملات الأخرى نحو جزر البحر المتوسط لدخولها، ففي سنة 192هـ/807م جاء قرصان من الأندلس فتوجهوا نحو سردينيا ولكنهم واجهوا مقاومة شديدة فتوجهوا إلى كورسيكا، وحاولوا الاستيلاء عليها إلا أن القائد بورشارد Burchard[٤]، منعهم من تحقيق هدفهم واصطدم معهم، فانهزم الأندلسيين وخسروا المعركة وفقدوا ثلاثة عشر مركباً[٥]. وفي ذلك الوقت جاءت قوة بحرية من عرب المغرب ساعدت الأندلسيين على غزو تلك الجزيرة والعودة منها محملين بالغنائم، وتكرر فيما بعد ذلك التعاون البحري بين المغرب والأندلس. وعلى الرغم مما فقده الأندلسيون من أساطيل إلا أن ذلك لم يعيق حركة الأسطول الأندلسي، إذ تجددت الغارات في السنوات اللاحقة. وبالرغم من مقاومة الأساطيل الفرنجية لهجمات الأندلسيين فإن الإمبراطور شارلمان رغب في عقد هدنة مع الإمارة الأموية في الأندلس ليأمن بأس بحريتها. وفي سنة 195هـ/810م، عقدت أول هدنة بين الفرنجة والأمويين في الأندلس تجددت مرة أخرى بعد عامين، إلا أن الأسطول البحري الأندلسي لم يغض النظر عن كورسيكا، وعرقلة نشاط فرنجة البحري فيها، فنقضوا عهدهم وهاجموها سنة 198هـ/813م[٦].

=بعقد صلح بينهم يتعهد فيه إمبراطور بيزنطة بدفع جزية له، كما عرض عليه زواج ليو الرابع من ابنته الأميرة جيزلا Gisla، إلا أنه رفض، توفي في حياة أبيه سنة 195هـ/ 810م. صبره. (1982م)، ص:43-308.

١- **جنوة:** مدينة ومرفأ إيطالي يقع على خليج جنوه على البحر المتوسط، وهو شهير بمقبرته التي تدعى الحقل المقدس وأيضاً بالتماثيل والقصور، فبعد سيطرة الغوطيين على جنوه، ثم البيزنطيين ثم اللومبارديين، أصبحت في عهدة شالرلمان في القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي، تحالفت مع بيزا لرد هجمات العرب المسلمين القادمة من البحر التيراني وغربي البحر المتوسط. الخوند. (1995م)، ج:4. ص:319.

٢- **آدمير:** لم يتم العثور على تعريف في المصادر البيزنطية المتوفرة.

٣- أرسلان. (1934م)، ص: 182؛ رمضان. (1983م)، ص:182.

٤- **بورشارد:** لم يتم العثور على تعريف في المصادر البيزنطية المتوفرة.

٥- رمضان. (1983م)، ص:182؛ لويس. (د.ت)، ص:164.

٦- أرسلان. (1934م)، ص: 184-185.

وكما هو معروف عن العرب المسلمين بأنهم يحترمون ميثاقهم وعهودهم مع الآخرين، فلِمَ أخلَّ العرب المسلمون بهذه المعاهدة، هل لأن الظروف كانت تسمح لهم بنقضها لتحقيق مصالحهم، أم لأن الفرنجة قاموا بعمل ما آثار غضبهم، مما أدى إلى نقض تلك المعاهدة؟ وتبقى الاحتمالات متعددة كون المؤرخين لم يذكروا تفاصيل أسباب النقض. في حين تقدّم عبد الرحمن أمير قرطبة[١] إلى حدود فرنسا برّاً ليحول بين الفرنجة وبين مساعدة الجزيرة[٢]. وكذلك قام الأسطول الأندلسي أيضاً في عام 200هـ/815م، بغزوة على جزر البليار الواقعة تحت حماية الفرنجة آنذاك[٣]. وبذلك يُلاحظ استمرار الغزوات والحملات ضد كل منهما لامتلاك هذه الجزر.

ثالثاً: غزو جزيرة كريت، وأثر الاستيلاء عليها في إعادة السيادة البحرية العربية الإسلامية في البحر المتوسط الشرقي 212هـ/827م.

كانت الغارات التي قام بها العرب المسلمون على جزيرة صقلية واستيلاؤهم على كريت عام 212هـ/827م، بداية عهد جديد في البحر المتوسط. إذ أخذت السيطرة والسيادة على البحر المتوسط تنسحب من يد البيزنطيين وتنتقل إلى العرب المسلمين، كافح البيزنطيون ليحولوا دون سيطرة العرب المسلمون لهاتين الجزيرتين، إلا أن محاولتهم كانت مؤقتة حيث استطاعوا تأخير إتمام سيطرة الأغالبة بشكل كامل لجزيرة صقلية حتى سنة 287هـ/900م، وحاولوا استرداد جزيرة كريت مراراً دون جدوى. ولم يأتِ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلا وانتقلت السيادة الكاملة إلى العرب المسلمين. فحين توفي شارلمان سنة 199هـ/814م، وخلفه ابنه لويس الحليم[٤]، اتبع سياسة والده إلا أن في أيامه ازدادت غزوات العرب المسلمين البحرية[٥]، وكان للثورات التي قامت في عهد

---

[١]- **قرطبة:** مدينة عظيمة في الأندلس كان بها ملوك بني أمية، وهي قاعدة الأندلس وبينها وبين البحر خمسة أيام، وهي حصينة بسور من حجارة، وأهلها مشهورون بالعلم، للمزيد ينظر: الحموي. (1997م)، ج:4. ص:323؛ الحميري. (1988م)، ص:153.

[٢]- العدوي. (1957م)، ص: 86.

[٣]- لويس. (د.ت)، ص:164.

[٤]- **لويس الحليم:** أو لويس الأول أو الورع أحد أبناء ملك الفرنجة شارلمان، ولد سنة162هـ/778م، تولى منصب ملك أكيتانيا سنة 165هـ/781م وعُدّ ملك الفرنجة بالاشتراك مع والده سنة 198هـ/813م، ثم أصبح الحاكم الوحيد بعد وفاة والده سنة 199هـ/814م، ودام حكمه حتى وفاته سنة 840م. عبد الرحمن. (2022م)، ص:1. http://www.youm7.com/5729615.

[٥]- أرسلان. (1934م)، ص: 185.

الخليفة الأندلسي الحكم بن هشام 180-206هـ/796-821م[١]، دورٌ كبيرٌ جداً في تطور الحوادث ولاسيَّما ثورة ربض قرطبة[٢]، وكان أهلها ينكرون على العرب المسلمين تفردهم بالسلطان والحكم ويرفضون سياسة الدولة وطغيانها التي تتحيز لفئة معينة عن غيرها، كالذي فعله والد الحَكم حين سمح لفئة الفقهاء بالتدخل في أمور الدولة وشؤون الناس، فرفض الأهالي ذلك وعدّوا أنفسهم أحق بالحِكم لأنهم أصحاب الأرض، إلا أن الحَكم لم يتبع سياسة أبيه في هذا الأمر ولم يسمح لهم بالتدخل في شؤون الحُكمِ وأصرّ على حكم البلاد حكماً مباشراً، وأراد استرداد ما أخذه رجال الدين من مكانة سياسية والحدّ من نفوذهم[٣]. كما عمل الحَكم على تثبيت دعائم مذهب الإمام مالك في الأندلس. فرفضوا سياسة الحكم هذه رفضاً قاطعاً، كما نقموا عليه وعادَوه وأخذوا يحرضون الناس ضده، وكونهم رجال الدين فكلمتهم مسموعة بين العامّة، واستغلوا المنابر والمساجد للتحريض ضده، حيث استغلوا محبة الحَكم للحياة وهواه للصيد والقنص، ومشاركته في مجالس الأنس والطرب، وأنه كان ميالاً للترف والبذخ. وسرعان ما تطورت هذه الدعوة حتى وصلت للثورة والتمرد والعصيان في الربض سنة 202هـ/817م، حيث تجمع الناس أمام قصر الأمير يسعَون لاقتحامه والاقتصاص من سيده، إلا أن الحَكم استطاع التخلص من هذه الثورة والقضاء على مؤيديها، وأمر بهدم منازل الربض وأسواقه، وأنذر أهلها بمغادرة قرطبة وأمهلهم ثلاثة أيام. فعبر قسم منهم البحر إلى بلاد المغرب واحتمَوا بالأدارسة وأنزلوهم في مدينة فاس[٤] التي أسسها إدريس بن عبد الله[٥] سنة

١- **الحكم بن هشام** الأموي ولد سنة 154هـ/770م في قرطبة، ثالث أمراء الدولة الأموية في الأندلس معروف بلقب الحكم الربضي، بويع له بالإمارة بوصية والده بعد وفاته سنة 180هـ/796م، كان طويل القامة شديد الوطأة على خصومه، شجاعاً مقداماً وميالاً للهو والصيد والفروسية وهو أول من أظهر أبهة المُلك في الأندلس فأكثر من الموالي والحاشية والحرس، استطاع إخماد الثورات الداخلية التي قامت في عهده، والسيطرة على أمور الدولة حتى توفي سنة 306هـ/821م. ابن حزم. (1982م)، ص:93-94؛ ابن الآبار. (1963م)، ج:1. ص:44-45؛ الذهبي. (2004م)، ص:1536.

٢- حمادة. (1980م)، ص: 36.

ربض: أي الضاحية وهي تقع على الضفة الثانية لنهر الوادي الكبير في الجهة المقابلة لمسجد قرطبة الكبير ودار الإمارة. وهي كل ما تأوي إليه ويستريح لديه من أم وزوج وبنت وقرابة وبيت وغيره، وهو الناحية من الشيء وما حول المدينة. لذا أطلق اسم الربضيين على الساكنين فيه. ضيف. (2004م)، ص:323؛ نعنعي. (1986م)، ص: 191.

٣- نعنعي. (1986م)، ص: 191.

٤- **فاس:** مدينة كبيرة وقديمة مشهورة في المغرب بنيت سنة 192هـ/808م، وتعدّ أعظم مدنه قبل أن تبنى مراكش، وهي عبارة عن مدينتين مفترقتين يشق بينهما نهر كبير يسمى بوادي فاس ويحيطها سور عظيم وبين المدينتين أنهار عدّة، وهي مدينة كثيرة الخصب والأشجار والثمار. الحموي. (1977م)، ج:4. ص:230؛ مجهول. (1985م)، ص:180.

٥- **إدريس بن عبد الله:** بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب مؤسس دولة الأدارسة في المغرب وسميت نسبة إلى اسمه، وأول ما عرف عنه أنه كان مع الحسين بن علي بن الحسن المثلث في المدينة، أيام ثورته على الهادي العباس سنة=

172هـ/788م[١]، ومن بقي منهم وعددهم حوالي خمسة عشر ألفاً، اتجهوا بمراكبهم التي تبلغ أربعين مركباً[٢] نحو المشرق حيث نزلوا في الإسكندرية[٣]، دون أن يعترض طريقهم أحد من البيزنطيين أو العباسيين، فاستغل الربضيون اضطراب الأوضاع في الإسكندرية[٤]، نتيجة الصراع بين الأمين والمأمون منذ سنة 194-198هـ/ 809-813م، وكانوا على قدر كبير من القوة بحيث أمكنهم أن يسيطروا على الإسكندرية ويستقروا فيها على حين غِرة، ويحكموها لمدّة ما يقارب اثني عشرَ عاماً[٥]، إلا أن المأمون عندما أنهى الصراع لصالحه واستقرت له الأمور سنة 198-218هـ/813-833م، أراد أن يضع حداً لهذه الاضطرابات في مصر فولى أمر ذلك إلى عبد الله بن طاهر[٦]، الذي استخدم الجيش والأسطول معاً[٧]، وتوجّه إلى الإسكندرية لإبعاد الأندلسيين عنها، فحاصرها لمدّة أسبوعين فاستسلمت المدينة وطلب أهلها الأمان، ولم يجد الهاربون من الأندلس مهرباً سوى الصلح مع عبد الله، فصالحهم على ترك المدينة والتوجه حيث أرادو[٨]، بشرط ألا يأخذوا في مراكبهم أحد من أهالي مصر حتى العبيد، وإلا حُلّت

=169هـ/785م، ثم قتل الحسين فانهزم إدريس فهرب إلى المغرب ثم جمع البربر على القيام بدعوته وخلع طاعة بني العباس فتم له ذلك سنة 172هـ/788م، ثم بدأ بتجهيز الجيوش وفتح المدن كتلمسان وفاس، توفي مسموماً سنة 177هـ/793م. للمزيد ينظر: المسعودي. (2012م)، ص:105؛ ابن عذاري. (2013)، ج:1. ص:118.

[١]- العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص:70؛ سالم. (1981م)، ج:2. ص:489؛ فازيليف. (1900م)، ص: 53.

[٢]- الكندي. (1908م)، ص:164؛ الخربوطلي. (1970م)، ص:82.

[٣]- حمادة. (1980م)، ص: 37؛ سالم. (1969م)، ص: 34.

[٤]- استغل طائفة البحريين الأندلسيين حالة الفوضى واضطراب العرب المسلمين المقيمين في الإسكندرية وما حولها من اللخميين وبني مدلج، ودخلوا طرفاً في هذا النزاع. للمزيد ينظر الكندي. (1908م)، ص: 153. وما بعد؛ العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص: 75 وما بعد.

[٥]- لويس. (د.ت)، ص:164؛ Brehier. (1946 A.D), P: 107.

في حين تذكر مراجع أخرى أن الربضيين استقروا في كريت وحكموها قرابة قرن ونصف حتى استرجعها البيزنطيون منهم. الخربوطلي. (1970م)، ص: 83.

ويُلاحظ أن رأي لويس أقرب للمنطق، أما أنَّ الربضيين حكموا قرن ونصف أي ما يقارب مائة وخمسين عاماً فهو تقدير مبالغ فيه إلى حدٍ ما، ولكن البيزنطيين حاولوا غزوها مراراً لكن دون جدوى حتى استطاعوا استردادها في عهد نقفور سنة 350هـ/961م.

[٦]- **عبد الله بن طاهر** الخراساني ولد سنة 182هـ/ 798م في نيسابور، ولي ولاية مصر وإفريقية ثم خرسان بعد وفاة والده من قبل الخليفة المأمون، كان قائداً شجاعاً مقداماً استطاع القضاء على أخطر حركات التمرد والعصيان التي واجهت العباسيين، تميزت مدة ولايته بالعدل والنزاهة وحسن السيرة والتطور الملحوظ في كافة أنحاء الدولة ثقافياً واقتصادياً وإدارياً توفي سنة 230هـ/ 844م. للمزيد ينظر: ابن خلكان. (1970م)، ج:3. ص:83؛ الذهبي. (2004م)، ص:2407.

[٧]- ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص:973.

[٨]- إلا أن البعض الآخر يذكر أن الأندلسيين صالحوا عبد الله بأن يتركوا الإسكندرية ويتوجهوا إلى بلاد الروم، أو إقليمٍ يونانيٍ، وليست إلى بلد من بلاد المسلمين، فوافق على ذلك، واختاروا جزيرة كريت. الطبري. (1966م)، ج:8. ص:613؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص:936؛ فازيليف. (1900م)، ص: 54.

دمائهم، وبذلك قضى عبد الله على الفتن في مصر وخضعت إليه في سنة 211هـ/826م، في حين تجمع الأندلسيون وخرجوا من الإسكندرية في عام 212هـ/827م، وساروا بقيادة قائدهم أبي حفص عمر بن عيسى البلُّوطيّ[١] إلى جزيرة كريت[٢]. فما مسوغ اختيار الأندلسيين لهذه الجزيرة بالتحديد بعيداً عن أي جزيرة أخرى؟ فكما هو معلوم فإن جزيرة كريت تتميز بموقع استراتيجي مهم في وسط البحر المتوسط، وهي من أخصب أراضي البيزنطيين، فضلاً عن ذلك فإن الأندلسيين كان لديهم خبرةٌ ومعرفةٌ بهذه الجزيرة، كما أغاروا مرات عديدة عليها وعلى جزر يونانية أخرى قبل أن يخرجوا من مصر سنة 212هـ/827م، ففي سنة 826/211م بعث العرب المسلمون إلى جزيرة كريت من عشر إلى عشرين سفينة، عادت بالعديد من الأسرى والغنائم، كما تعرفت على المكان وطبيعته[٣]. وعلى ما يبدو فإن العرب الأندلسيين كانوا على معرفة أن إقامتهم في الإسكندرية مؤقتة وأنه سيأتي يوم يخرجون منها، لذلك على الأرجح أن حملاتهم على بعض الجزر التابعة للبيزنطيين كانت حملات استطلاعية ولتأكيد معرفتهم على أي جزيرة سيتوجهون عند خروجهم من الإسكندرية.

نزل الأندلسيون بقيادة أبي حفص في خليج سودا[٤]، وسيطروا في البداية على حصنٍ واحدٍ نزله أبو حفص، ثم أخذ يسيطر على حصون الجزيرة، وأخذ يخرب حصون بيزنطة شيئاً فشيئاً، فلم يبقَ بها أحدٍ منهم[٥]. مما يدل على أن الأندلسيين لم يلقَوا أيّ مقاومةٍ عند نزولهم، ولكن ما الأسباب التي أدت إلى انعدام المقاومة؟؟ يبدو أن انعدامها كان نتيجة سببين: أولها حالة الاضطراب والوهن وانشغال أساطيل الإمبراطورية البيزنطية وجيوشها بإخماد الحركات الثورية التي انتشرت في أرجاء بيزنطة[٦]، فضلاً عن ما أصاب الأساطيل الإقليمية من دمار أثناء ثورة توماس الصقلبي قبل هذا الغزو بسنوات قليلة، مما يرجح القول بأنه لم توجد فيها قوات حربية تدافع عنها[٧].

١- **أبو حفص عمر بن عيسى البلُّوطيّ:** والمعروف بالغليظ، شجاعاً لا يهاب الموت وهو من أهل قرية بطروح من عمل فحص البلوط المجاور لقرطبة وهو أحد قادة الثورة على الأمير الحكم بن هشام، غزا جزيرة كريت وافتتحها بعد عام 230هـ/ 844م، وحكمها أولاده وكان آخرهم عبد العزيز بن شعيب، توفي سنة 241هـ/ 855م للمزيد ينظر: الضبي. (1989م)، ج:2. ص:531.

٢- المقريزي. (1998م)، ص:489؛ المهايني. (1946م)، ص: 167.

٣- فازيليف. (1900م)، ص:55.

٤- **خليج سودا:** خليج ومرفأ طبيعي، يقع بالقرب من بلدة سودا في الساحل الشمالي الغربي في جزيرة كريت.
https://ar.m.wikipedia.org 10/08/24. 10:00 AM

٥- البلاذري. (1900م)، ص: 245؛ الخربوطلي. (1970م)، ص:82؛ فازيليف. (1900م)، ص:56.

٦- الشامي. (1985م)، ص:47.

٧- الخربوطلي. (1970م)، ص:86؛ فازيليف. (1900م)، ص:56.

والمسوغ الآخر نقمة السكان على الحكم البيزنطي وعلى الإمبراطور ميخائيل العموري الذي كان آنذاك ممن يرفضون تقديس الأيقونات، وكان سكان جزيرة كريت وأنصار توماس الذين فرّوا إلى كريت ميّالين لعبادة الصور، مما زعزع إخلاص أهل كريت لحكامهم، وأخذوا يرحبون بمسلمي الأندلس المنفيين، وعدّوهم منقذين لهم من مآسيهم[١]، كما ساعدوهم ودلوهم على الطرق والأماكن المهمة في الجزيرة، مما سهل على الأندلسيين احتلالها، مقابل ضمان حرية عقيدتهم على النحو الذي يرضونه[٢]. وعلى الرغم من ترحيب أهالي كريت بهؤلاء الأندلسيين إلا أن الأخيرة لم تأمن أهالي الجزيرة فانتابهم الخوف من أن يقوم أهالي الجزيرة بمحاربتهم في الحصن الذي فتحوه أولاً، فأقاموا به تحصينات منيعة لكي يحموا أنفسهم فيها إذا حاول البيزنطيون استرجاع الجزيرة، كما حفروا حول هذه التحصينات خندقاً فعرف الحصن بالخندق أو كانديا Candia[٣]، وما إن اطمأن العرب المسلمون إلى حصانة قاعدتهم حتى أخذوا يفتحون المدن والحصون حتى أتموا السيطرة على الجزيرة بعد ثمانية عشر سنة من نزولهم فيها، أي في عام 230هـ/844م[٤]. وهكذا عادت جزيرة كريت إلى السيادة العربية الإسلامية لمدة لا تقل عن قرن ونصف القرن، وخسرت بيزنطة خسارة كبيرة بفقدانها هذه الجزيرة المهمة، إذ أخذ العرب المسلمون بمصاهرة أهالي كريت والزواج من نسائهم وبذلك نشأ جيل من المولدين المسلمين من أمهات إقريطشات وآباء مسلمين، وبذلك بدأ الإسلام ينتشر ويثبت أقدام العرب المسلمين في هذه الجزيرة، وكان من الطبيعي أن تلتمس العناصر العربية الإسلامية في كريت الأمان ممثلاً في سلطة عربية إسلامية تظللها بحمايتها، ولم يكن هناك مفرّ من الدخول في فلك الخلافة العباسية التي كانت تسيطر على المشرق الإسلامي كله بما فيه مصر وإفريقية، وأصبحت كريت إقليماً تابعاً لمصر[٥]. والسؤال الذي يطرح نفسه تعليقاً على ما ذكر، لماذا دخلت جزيرة كريت في فلك الخلافة العباسية وتحت سيادتها؟ على الرغم أن من قام بفتحها جماعة من الأندلسيين، فلِما لم تدخل في فلك الخلافة الأموية في الأندلس؟؟ هل ما

١- Finaly. (1877A.D), V2. P: 135; Vasiliev. (1935A.D); P: 55.

٢- فازيليف. (1900م)، ص:56؛ لويس. (د.ت)، ص:170؛ الناصري. (1993م)، ص: 286؛ نعنعي. (1986م)، ص: 192.

٣- الشامي. (1985م)، ص:47؛ فازيليف. (1990م)، ص: 367.

كانديا: لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

٤- إلا أن هناك بعض المؤرخين ذكروا أنه تمت السيطرة عليها بعد 230هـ، الحميدي. (2008م)، ص:438؛ الضبي. (1989م)، ج:2. ص:531؛ فازيليف. (1900م)، ص:57.

٥- العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص:83؛ أبو الذهب. (2010م)، ج:1. ص: 485.

زال تأثير الخلاف والثورة التي وقعت أيام الحكم قائماً في نفوس الطرفين؟ أم إن عبد الله بن طاهر عندما أمر الأندلسيين بترك الإسكندرية اتفقوا على فتح الجزيرة وضمها للسيادة العباسية؟ أم كانت للأندلسيين أهداف ومآرب أخرى يسعَون لتحقيقها إذ جعلوا الجزر التي يفتحوها تحت سيادة الدولة العباسية؟

ويتضح من خلال البحث أن الإمبراطور ثيوفيل Theophile 214-227هـ/829-841م[١] استغل فرصة العداوة بين الدولة العباسية في بغداد والدولة الأموية في الأندلس لذا أرسل رسالة إلى أمير الأندلس عبد الرحمن الأوسط[٢] عام 225هـ/839م، مستغلاً فرصة عداوة الدولة العباسية في بغداد والدولة الأموية في الأندلس، ووضّح له رغبته في أن يتعاون معه، ويعزز روابط الصداقة والود بينهما لضرب الدولة العباسية في عقر دارها، وأن يساعده ويتدخل في تخليص جزيرة كريت من الربضيين حلفاء الدولة العباسية والخارجين على الحكم الأموي في الأندلس. إلا أن عبد الرحمن ردَّ على رسالته، بأنه لم يبدِ أيَّ استجابة لمطالبه، ووضح أن الربضيين طردوا من الأندلس وليس لديه أي سلطةٍ عليهم ليتدخل ويطلب منهم ترك جزيرة كريت، كما فضّل البقاء بعيداً عن أي تحالف عسكري ضد العباسيين[٣]. كما تابع الأندلسيون سياستهم البحرية في كريت، إذ أخذو يستغلون الموارد الطبيعية فيها، ولاسيَّما الأخشاب لإنشاء قطع بحرية جديدة، تدعم أسطولهم وتعينهم على مواصلة الغزو، وسرعان ما أصبح لديهم أسطول قوي، أخذوا يهاجمون به جزر الأرخبيل Archipelago[٤]، وأخذت السيطرة والسيادة في البحر المتوسط تنتقل إلى العرب المسلمين. فأدركت حينئذٍ الإمبراطورية البيزنطية مدى الخسارة التي خسرتها بفقدان هذه الجزيرة، وعملت

١- **ثيوفيل:** ويدعى ثيوفيلوس theophilos، بن ميخائيل الثاني من زوجته الأولى تيلا theela، تسلم عرش الإمبراطورية بعد وفاة أبيه 214هـ/829م، تعلم على يد العالم يوحنا السابع الجراماتيكي، وكان محباً للعلم والأدب والثقافة وأحب العالم العربي وحضارته، وبذل جهداً كبيراً في حماية دولته، وصد هجمات العرب المسلمين التي استمرت طيلة عهده، واستولى العرب المسلمون في عهده على عمورية مسقط رأس أبيه. نيكول. (2003م)، ص:101-102.

٢- **عبد الرحمن الأوسط:** بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الأموي، أبو المطرف رابع ملوك الدولة الأموية في الأندلس، ولد في طليطلة سنة 176هـ/792م، بويع بالحكم سنة 206هـ/821م، كان عالماً بعلوم الشريعة والفلسفة، كانت أيامه هدوء وسكون، وكثرت الأموال عنده واتخذ القصور والمنتزهات وجلب إليها المياه من الجبال، بنيت في أيامه الجوامع بكثرة، احتجب عن العامة، توفي سنة 288هـ/900م. ابن الآبار. (1985م)، ج:1. ص:196؛ المقري. (1968م)، ص:349؛ الزركلي. (2002م)، ج:3. ص:305.

٣- المقري. (1968م)، ص:349؛ الناصري. (1993م)، ص: 292؛ حمادة. (1980م)، ص: 40.

إلا أن Louis Brehier، وضح أن عبد الرحمن ردّ على رسالة الإمبراطور بالرفض القاطع على طلبه.

٤- **الأرخبيل:** تسمية قديمة لبحر إيجة، ثم أصبح يطلق للدلالة على الجزر التي يحتويها هذا البحر، أما حديثاً أصبح يطلق اسم أرخبيل على الجزر التي تكون مجاورة لبعضها البعض في نفس المكان.

Alchaipelago. (2024 A.D), www. Infoplease. Com. Edited: 25/1/2024.

على استرجاعها، منذ أن تم القضاء على ثورة توماس وفتنته، فقد أمر الإمبراطور ميخائيل الثاني قائده فوتينوس photinus ودواميان Damian[١] بمهمة استرجاعها سنة 213هـ/ 828م، أي بعد مضي عام واحد من نزول الأندلسيين في الجزيرة أو أقل، فاشتبك البيزنطيون مع العرب المسلمين في معركة ضارية انتهت بهزيمة البيزنطيين وأسر قائدهم داميان، في حين فرّ فوتينوس عائداً إلى القسطنطينية يجر أذيال الهزيمة[٢].

نتيجة هذه الهزيمة التي منيت بها بيزنطة، إلا أن الإمبراطور البيزنطي لم يفقد الأمل في استرجاعها، بدليل أنه سيَّرَ في العام نفسه أمير البحر كراتير Crater[٣]، في أسطول ضخم عدته سبعين سفينة لاستعادة الجزيرة من العرب المسلمين، ودارت بالقرب من الخندق معركة بحرية عنيفة دامت حتى الغروب، استبسل فيها العرب المسلمون وأبدَوا كثيراً من ضروب الشجاعة والإقدام، إلا أنهم انهزموا في النهاية وانسحبوا عند المساء إلى مدينتهم تاركين للبيزنطيين أسلحتهم وعدداً كبيراً من جنودهم وقعوا أسرى في أيدي البيزنطيين، فأجلوا استمرار القتال لليوم التالي اعتقاداً منهم أن العرب المسلمين لم يعد يقوون على مواصلة القتال، وأهملوا حراسة معسكرهم، عندئذٍ هاجمهم العرب المسلمون في غفلة منهم، فأعملوا السيوف فيهم وحولوا الهزيمة إلى نصر ساحق، ففرَّ كراتير على إحدى السفن التجارية، إلا أن العرب المسلمين طاردوه وقبضوا عليه وقتلوه[٤]. وبذلك أصبحت جزيرة كريت بعد ذلك مركزاً لانطلاق العرب المسلمين لغزو البيزنطيين في بحر إيجة وشواطئه[٥]. والحقيقة تقال أنّ البيزنطيين كانوا على درجة كبيرة من قلة الإدراك للموقف وبدل من أن يصبّوا اهتمامهم على متابعة قتال العرب المسلمين، صبّوا جلّ اهتمامهم على الغنائم والأسرى، تاركين استمرارية القتال فلو أنهم استمروا عندما رأَوا انسحاب العرب المسلمين لكان الفوز من نصيبهم واستطاعوا استعادة الجزيرة. إلا أن القدر كان واقفاً إلى جانب العرب المسلمين مما أدى إلى تحول النتيجة وفوزهم.

---

[١] – **فوتينوس ودواميان:** لم يتم العثور على تعريفٍ له في المصادر البيزنطية المتوفرة.

[٢] – فازيليف. (1900م)، ص: 60.

[٣] – **كراتير:** لم يتم العثور على تعريفٍ له في المصادر البيزنطية المتوفرة.

[٤] – العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص: 85؛ فازيليف. (1900م)، ص: 61.

[٥] – أبو الذهب. (2010م)، ج:1. ص: 484.

وتعدّ هذه الهزيمة الثانية للبيزنطيين في محاولتهم لاستعادة الجزيرة، وأدى هذا الإخفاق المتلاحق الذي منيت به حملات البيزنطيين على تلك الجزيرة، أن فقد الإمبراطور ميشيل الأمل في استرجاعها والتخلي نهائياً عن فكرة استردادها، وأراد أن يركز اهتمامه وقواه للدفاع عن صقلية التي تعرضت أيضاً لغزو بحري واسع النطاق قام به الأفارقة المسلمون، ونجحت الإمبراطورية البيزنطية في وضع العقبات أمام الفاتحين وإعاقة الأغالبة عن فتح صقلية بالكامل حتى سنة 289هـ/901م[١]. عندئذٍ انفرد العرب المسلمون في العمل في جزيرة كريت بعد أن انقطعت حملات البيزنطيين عن قصد جزيرتهم في عهد ثيوفيل، وانفسح لهم المجال بعد انتقال النشاط البحري البيزنطي إلى صقلية. ففي سنة 205هـ/820م، انتقل الأسطول الأندلسي إلى مهاجمة جزيرة سردينيا وهناك اصطدم بأسطول الفرنجة، ونال منه وانتصر عليه نصراً باهراً حيث أغرق ثمانية سفن وأحرق عدداً كبيراً منها، وفي السنة ذاتها حصل شقاق في الأندلس في البيت الأموي بسبب وفاة الحكم أمير قرطبة، فانتهز الفرنجة تلك الاضطرابات وعمدوا إلى إثارة الفتن والقلاقل في الأندلس ومهاجمة سكانها. ولكن الأسطول الأندلسي جنب البلاد أضرار تلك المؤامرات حيث أغار على شواطئ فرنسا مراراً، وجعلها تعاود المدافعة عن قواعدها البحرية، والانصراف عن التدخل في شؤون الأندلس. وفي النهاية يُستخلص أن سيطرة الأندلسيين على كريت نشّطت البحريّة العربية الإسلاميّة، لأن هذه الجزيرة أصبحت بمثابة مركز بحري للأساطيل العربية الإسلاميّة، كما أصبحت جزيرة كريت شوكة في حلق الأساطيل البيزنطية، فقد كانت كريت مهمّة لهم، وتحقيق العرب المسلمين السّيادة على القسم الشرقي للبحر المتوسط خسارة كبيرة لقاعدة في غاية الأهمية للبيزنطيين في شرق البحر المتوسط.

رابعاً: فتح جزيرة صقلية 212-246هـ/827-860م.

طُرد البيزنطيون من المغرب نهائياً في عام 89هـ/707م على يد موسى بن نصير[٢]، واستقرت الأمور للعرب المسلمين، ودخلت البلاد مرحلة جديدة في ظل الإسلام والحضارة العربية، وكان عرب إفريقية يقومون بغارات

---

[١]- توفيق. (1967م)، ص:112؛ عثمان. (1966م)، ج:2. ص: 350.

[٢]- الحميدي. (1998م)، ص:279.

مماثلة على الجزر الخاضعة للسيَّادة والنفوذ البيزنطي في البحر المتوسط[١]. ويبدو أن ما درج عليه الأمويون في المغرب من الاهتمام بالنشاط البحري جاء نتيجة للتهديد البيزنطي، ففي عهد عبد الملك بن مروان أقام عامله على إفريقية حسان بن النعمان دار صناعة في تونس لإنشاء الآلات والسفن البحريَّة حرصاً على الجهاد[٢]. ولم يدَّخر الولاة الأمويون في إفريقية جهداً في الإغارة على الأراضي البيزنطية، فتعرضت جزيرة صقلية للإغارة في السنوات 103-109-111-112-130هـ/721-727-729-730-747م، كما أغاروا على جزيرة سردينيا عام 115هـ/733م[٣]. إلا أن هذا النشاط البحري انحسر بعد سقوط الخلافة الأموية، فلم يهتم ولاة إفريقية من قبل العباسيين بشؤون البحر المتوسط لانشغال الخلافة بالعديد من مشكلاتها في الشرق، فضلاً عن انشغال ولاتها بثورات البربر، ولا شك في أن البيزنطيين وجدوا الفرصة ملائمة ليتحولوا من الدفاع إلى الهجوم على الشواطئ المغربية[٤]. مما اضطر بعض الولاة إلى مهادنة البيزنطيين بتقديم الهدايا اتقاءً لشرهم، إلا أن جهودهم لم تفلح في ردع المغيرين، مما دفع المجاهدون إلى إقامة الأربطة والمحارس على طول ساحل البلاد، وشكلوا خط دفاع قوي حال دون توغل الأعداء في الداخل طلباً للغنيمة والسبي[٥]. وقد ساعدت البيئة التي كانت متوفرة في بلاد المغرب العرب المسلمين على الاهتمام بالأسطول والعناية بصناعة السفن[٦]. هذا ولا يُمكن أن يغيب عن الأذهان دور الصناعة المتعددة في بلاد المغرب كدار صناعة تونس وسوسة وغيرها. إذاً كل تلك الإمكانيات المتوفرة فيها جعلت العرب المسلمين يدركون أنها بيئة بحرية صالحة لا تقل أهمية عن بلاد الشام ومصر في خدمة أساطيلهم. وبدأت تلك الاستفادة من الميزات الجغرافية لبلاد المغرب بشكل كبير في بناء الأساطيل وظهورها في غرب البحر المتوسط،

---

[١]- إسماعيل. (2000م)، ص: 143؛ مؤنس. (1991)، ص:45.

[٢]- ابن خلدون. (2000م)، ج:1. ص:314.

[٣]- أماري. (1857م)، ص:426-427. تم ذكر الأعوام فقط لأن الطالبة لم تجد تفاصيل جمّة عن الحملات والغزوات في هذه الأعوام.

[٤]- إسماعيل. (2000م)، ص: 142؛ فازيليف. (1900م)، ص:64.

[٥]-المالكي. (1983م)، ج1. ص:348.

[٦]- إن البيئة الجغرافية ربطت بين سكان شمال أفريقية وبين البحر المتوسط. وذلك لأن أخصب الأراضي هناك وأفضلها للسكن، وأوفرها للماء وهي مناطق الشريط الساحلي الذي يتصل من تونس إلى المحيط الأطلسي، فبلاد المغرب كانت مليئة بالمواد اللازمة لصناعة السفن، ولاسيَّما الأخشاب، والتي وفرت عليهم عناء استيراد تلك المادة الخام فقد كانت تجلب الأخشاب إلى إفريقية من جبل درن، فهو كثير الأشجار، وكذلك توفر في بلاد المغرب العديد من المعادن كالحديد الذي لابد منه لعمل المسامير والرباط والمراسي، والذي يتواجد بكثرة في مدينة بونة، ومعدن النحاس الذي يفيد في صنع السلاسل، الذي يتوافر في بلاد كتامة مع معدن الحديد. للمزيد ينظر: ابن حوقل. (1992م)، ص:77؛ المقدسي. (2003م)، ص:188، البكري. (1816م)، ج:2. ص:764-835.

مما أدى إلى قيام الأسر المستقلة فيها عن الدولة العباسية[١]. ومع حلول القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أخذ الموقف داخل بيزنطة في التغيير وأهملت قوتها البحريَّة، كما اجتاحها العديد من الفتن والاضطرابات ولاسيَّما في أواخر عهد الأسرة الأيسوريَّة، في الوقت نفسه الذي شهد فيه شمال إفريقية قيام دولة الأغالبة التي استقلت فيما بعد عن الخلافة العباسية[٢]. ولكن ما المسوغات التي شجعت على ظهور الأسر المستقلة وبالأخص في بلاد المغرب، وشجع ولاتهم على الاستقلال الذاتي بشؤونهم عن الخلافة، ثم الانفصال نهائياً فيما بعد عن السلطة المركزية في بغداد، أهي مسوغات شخصية تميل لأسباب سياسية أم اقتصادية؟ أم لنقصٍ في جيوش الخلفاء؟ أم بسبب افتقارهم للقوة البحرية الفعالة؟ وما تلك المقومات التي ساعدتها حقاً على هذا الانفصال؟

ويتضحُ أن ما شجّع ولاة المغرب على ذلك، اتخاذ العباسيين عاصمة بعيدة عن البحر المتوسط هي بغداد، فضلاً عن أن العباسيين يفتقرون للقوة البحرية الفعّالة، فلم يركزوا كل اهتمامهم على الأمور والسّيادة البحريّة كالدولة الأمويّة، بالرغم من محاولاتهم في أن يثبتوا سلطانهم كاملاً على مصر وشمال أفريقية والأندلس، فقد أرسلوا جيوشاً قوية للسيطرة على تلك البلاد، لإجبارها على الخضوع لسلطانهم، إلا أن جهودهم باءت بالإخفاق فخرجت الأندلس من سلطانهم إلى سلطان عبد الرحمن الأول الأموي سنة 138هـ/755م، ولم تستطع حملات العباسيين أن تبلغ بسفنها الشواطئ الأندلسية. وفي عام 172هـ/788م، ثارت مراكش واستقل بها الأدارسة دون معارضة من العباسيين، لذا وجد ولاة المغرب الفرصة سانحة في تدعيم أمورهم واستقلالهم وتقوية سلطانهم عن طريق مركزهم الحربي، ولاسيَّما بناء الأساطيل التي تُعد العمود الفقري لأيّ دولة تريد الاحتفاظ بهيبتها في تلك الجهات البحريّة. وتعد أسرة الأغالبة وزعيمها إبراهيم بن الأغلب[٣] الذي ولاه هارون الرشيد شؤون تونس وأطلق يده في تدعيم شؤون تلك الولاية سنة 184-196هـ/800-811م[٤]، من الأسر السّبّاقة لتلك السياسة الانفصالية التي سادت الدولة العربية

---

[١]- العدوي. (1957م)، ص: 75.

[٢]- إبراهيم، وآخرين. (2003م)، ص:412.

[٣]- **إبراهيم بن الأغلب** بن سالم التميمي، يعد ثاني والي تسلم ولاية إفريقية سنة 184هـ/ 800م في عهد العباسيين، وبنى مدينة العباسية على مقربة من القيروان ونشبت العديد من الثورات ضده في آخر عهده إلا أنه استطاع إخمادها، استمرت ولايته 12سنة و4 أشهر، ومات سنة 196هـ/811م. الزركلي. (2002م)، ج:1. ص:33.

[٤]- ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص: 872؛ مؤنس. (1987م)، ج:1. ص:263.

الإسلاميّة زمن العباسيين، والتي تلقت فيما بعد اعترافاً فعلياً من الخلافة العباسية باستقلالهم بشؤون تونس[١]. هذا ولم يترتب على سقوط الخلافة الأموية وتأسيس الخلافة العباسية أي تأثير أو تحول في سياسة مسلمي إفريقية البحرية تجاه الشطر الغربي من البحر المتوسط، وإنما على العكس تماماً زاد النشاط البحري العربي قوة وتوسعاً ولاسيَّما في عهد الأغالبة. ففي عهد إبراهيم بن الأغلب مؤسس إمارة الأغالبة كانت مراكب البيزنطيين تستمر في الإغارة على الثغور الإفريقية فيخربون وينهبون السكان الآمنين إلى جانب ممارستهم القرصنة التجارية منتهزين فرصة الضعف الذي أمسى فيه حكام المغرب نتيجة الفتن الداخلية، وقد عانت السفن التجارية في الحوض العربي للبحر المتوسط الكثير من الأخطار والضرر من جانب الأسطول البيزنطي[٢]. تنبّه إبراهيم إلى الإمكانيات الهائلة المتوفرة في ولايته ولاسيَّما من الناحية البحريّة، التي تسمح له ببناء مجد بحري له ولأسرته. وبعد أن وطّد حكمه داخلياً وقضى على الثورات كافة التي قامت ضده[٣].

في الوقت ذاته زادت الغارات التي كان يشنها حاكم صقلية المعين من قبل الإمبراطور البيزنطي على السواحل الإفريقية، فلم يكن أمام إبراهيم بن الأغلب سوى مسالمة حاكم صقلية، فعُقدت فيما بينهما هدنة لمدة عشرَ سنوات عام 189–190هـ/804–805م، من أجل تأمين السواحل والثغور الإفريقية والملاحة العربية في البحر المتوسط[٤]. وكان أهم ما جاء في بنود الاتفاق بين إبراهيم بن الأغلب وحاكم صقلية، أن يتم تبادل كلِّ الأسرى بين البيزنطيين والعرب المسلمين، وعدم شن أحد الطرفين الحرب على الطرف الآخر طوال مدّة الهدنة، إلا إذا ظهر من الطرف الثاني ما يسوغ نقضها[٥]. سارت سياسة إبراهيم بن الأغلب وخلفائه من بعده على تدعيم أقدامهم في المدن الساحلية، والاستفادة من المميزات البحرية لولايتهم، فعملوا على تقوية الإمارة بحرياً عن طريق الاهتمام الكبير بالأسطول، الأمر الذي أثار انتباه البيزنطيين في صقلية، ما دفعهم إلى تجديد الهدنة ثانيةً ولمدّة عشرِ سنوات

١- لويس. (د.ت)، ص: 161.

٢- غانم. (1977م)، ص:18

٣- حمودة. (2007م)، ص: 203.

٤- الـــدوري. (1997م)، ص:13؛ ديـــاب. (1973م)، ص:76؛ ســـالم. (1981م)، ج:2. ص: 385؛ غـــانم. (1977م)، ص:19؛ لويس. (د.ت)، ص: 165؛ مورينو. (1968م)، ص:7.

٥- دياب. (1973م). ص: 79.

أخرى بين عبد الله الأول[١] الذي تولّى الإمارة بعد وفاة أبيه سنة 196-201هـ/811-816م، وقائد وحاكم صقلية البيزنطي ويدعى غريغوري Gregorus[٢] وذلك سنة 198هـ/813م، وهكذا تجددت الهدنة بين الطرفين وتمّ الصلح فيما بينهما على تبادل الأسرى، مع ضمان حماية العرب المسلمين في صقلية والبيزنطيين في المغرب، كما تقرر فيها أيضاً أن من دخل من العرب المسلمين إليهم وأراد الخروج من عندهم لا يمنعونه[٣]. وعلى الأرجح أن ما دفع البيزنطيين لتجديد الهدنة في عهد عبد الله خوفهم على جزيرتهم صقلية التي تعدّ ذات موقع استراتيجي مهم بالنسبة لهم، وخشيتهم من بناء الأسطول المغربية وأن يصبح أسطولاً قويّاً تضاهي قوته الأسطول البيزنطي، وتعود المعاناة من جديد التي عانها البيزنطيين من بداية بناء الأسطول العربي الإسلامي في بلاد الشام.

على الرغم من تلك المصالحات أو المعاهدات إلا أنه لم يكن لها أيُّ تأثيرٍ في وقف الغارات المتبادلة بين العرب المسلمين والبيزنطيين، فلم تمنع هذه الهدنة العرب المسلمين في شمال إفريقية من القيام بغارات متعددة ولو كانت مخفقة على جزيرة سردينيا 197-198هـ/812-813م، وفي الغارة الأخيرة خسر العرب المسلمون مائة سفينة أغرقتها لهم العواصف قرب الجزيرة[٤]. ورغم خسارة العرب المسلمين الكبيرة في هذه الغارات إلا أنها حفزتهم على مهاجمة صقلية سنة 205هـ/820م، وهي الغزوة التي غنموا فيها غنائم عظيمة[٥]. كما كانت جزيرة سردينيا وجهتهم في العام التالي 206هـ/821م[٦]. فمنذ ظهور البحرية العربية الإسلامية في شمال إفريقية، والأساطيل تخرج من تونس وجزيرة قوصرة للمشاركة في الغارات البحرية على جزيرة صقلية، وأثبتت تلك الغارات المتكررة مدى إدراك العرب المسلمين لخطورة قاعدة البيزنطيين البحرية في جزيرة صقلية التي كانوا يشنون منها الهجمات على

١- **عبد الله الأول:** أبو العباس التميمي ولد سنة 166هـ/783م، ثاني ملوك الدولة الأغلبية، بعد وفاة والده سنة 196هـ/811م، تميز بشجاعته وقوته وعقله الراجح، وكان حسن الصورة، قبيح السيرة، وقد تميز المغرب في عهده بالهدوء والأمان، فلم يكن في عهده حروب وعمرت البلاد. للمزيد ينظر: ابن الأثير. (د.ت)، ج:6 ص:902؛ المسعودي. (2012م)، ص:107. ابن الخطيب. (1964م). ج:3. ص:15.

٢- **غريغوري:** لم يتم العثور على تعريفٍ له في المصادر البيزنطية المتوفرة.

٣- ابن الخطيب. (1964م)، ج:3. ص:111-112؛ أحمد. (1980م)، ص:12؛ الدوري. (1997م)، ص: 13؛ دياب. (1973م). ص:76؛ عبد الحميد. (1979م)، ج:2. ص:221؛ غانم. (1977م)، ص:18.

٤- لويس. (د.ت)، ص: 165

٥- لويس. (د.ت)، ص:165؛ سالم. (1981م)، ج:2. ص:386؛ دياب. (1973م)، ص: 86.

٦- لويس. (د.ت)، ص:165.

المغرب وضرورة انتزاعها من أيديهم واتخاذها قاعدة لأسطولهم[١]. بدأ الأسطول الأغلبي بالظهور بموقف القوة، وظهور نتائج أعمالهم البحرية في عهد زيادة الله الأغلبي الأول[٢] 201-223هـ/816-837م بعد أن قضى على الفتن والثورات كافة، فاستتب الأمن والاستقرار داخل البلاد، ورأى أن يوجه جهوده خارج تونس، نحو منطقة حوض البحر المتوسط، وعلى وجه الخصوص جزيرة صقلية، إلا أنه رأى أن الأمر يتطلب إعداداً عسكرياً قوياً على مستوى كبير ولاسيَّما أنه وجّه نظره إلى أكبر جزر البحر المتوسط[٣]. إلا أن ما وقف في وجّهه الهدنة التي قد عقدها والده وأخوه عبد الله مع حكام صقلية، فكان الأمر يتطلب تغطية قانونية تسمح بنقض هذه العقود[٤]. فما المسوغات التي دفعت زيادة الله إلى أن يفكر بفتح جزيرة صقلية بالتحديد، بغض النظر عن باقي الجزر؟ بعد البحث والتقصي يمكن إجمال تلك المسوغات التي دفعته لفتح صقلية هو التمهيد لفتح البلاد الأوربية ومهاجمتها من الوسط، وذلك بعد إخفاق العرب المسلمين في الهجوم عليها من ناحية الشرق عند أسوار القسطنطينية، وكذلك بعد توقف المد العربي الإسلامي في غربي أوربا وبهزيمة العرب المسلمين في موقعة بلاط الشهداء[٥] أمام شارل مارتل سنة 114هـ/ 732م[٦]. كما هدف الأمير الأغلبي إلى قطع دابر الفتن الداخلية والثورات التي كانت تجتاح البلاد، فأراد

١- العدوي. (1957م)، ص:77؛ عبيد. (2010م)، ص: 121.

٢- **زيادة الله الأغلبي:** ولد سنة 172هـ/788م رابع والي أغلبي تولى إمرة إفريقية في عهد الخليفة العباسي المأمون، بعد وفاة أخيه عبد الله سنة 201هـ/816م، أول من سمي زيادة الله من بني الأغلب، عانى في بداية حكمه العديد من الثورات والفتن إلا أنه استطاع أن يقضي عليها، استولى على معظم حصون جزيرة صقلية، كان فصيحاً أديباً حتى توفي في القيروان. ابن الآبار. (1985م)، ج:1. ص:163. الزركلي. (2002م)، ج:3. ص:56.

٣- ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص:919؛ غانم. (1977م)، ص:19؛ مؤنس. (1997م)، ص:100.

٤- عبد الحميد. (1979م)، ج:2. ص:211.

٥- **معركة بواتييه:** تسمى أيضاً معركة تور أو بلاط الشهداء، دارت بين قوات العرب المسلمين تحت لواء الدولة الأموية في الأندلس بقيادة واليها عبد الرحمن الغافقي من جهة، وقوات الفرنجة بقيادة شارل مارتل من جهة أخرى سنة 114هـ/732م، انتصر فيها الفرنجة وانسحب جيش العرب المسلمين بعد مقتل قائدهم عبد الرحمن الغافقي. وعدت هذه المعركة الحدث الذي أوقف السيطرة العربية الإسلامية وتوسعها، وأنقذ الحضارة الغربية المسيحية من سيطرة الإسلام. للمزيد والتفاصيل عن المعركة ينظر: عنان. (1997م)، ص:104-105؛ مؤنس. (2002م)، ص:327-328؛

Nicolle. (2009 A.D), P:72.

٦- المدني. (1945م)، ص: 60.

شارل مارتل: ابن بيبن الثاني أحد ملوك دولة الفرنجة، كان يعمل بداية حياته رئيساً للبلاط الملكي، وقاد العديد من الحروب لتأمين دولة الفرنجة من ناحية الشرق، فحارب السكسون والألمان وكان الخطر الأكبر الذي هدده هو زحف العرب المسلمون من الأندلس جنوباً، إلا انه تمكن من إلحاق الهزيمة بالجيش العربي الإسلامي في معركة بلاط الشهداء114هـ/732م، وقد أضفى هذا النصر عليه قوة ومكانة أكسبته لقب شارل المطرقة ط، وتد البكل الذي حمى غرب أوربا من الغزو العربي الإسلامي إلا أن سيطرته=

إشغال الناس من بربر وعرب بأمر الجهاد في سبيل الله، فربما هذا ينسيهم ولو لحين فتنهم الداخلية ويبعدهم عن محاربة بعضهم البعض[١]. فضلاً عن غنى صقلية بالغنائم والثروات، في وقت افتقرت بلاد المغرب إلى هذه الغنائم[٢]، وسيؤدي فتحها وسيطرتهم عليها إلى امتلاكهم لمفتاح حوض البحر الغربي[٣]. فضلاً عمّا ذكر فإن أهم دافع دفع زيادة الله لفتح جزيرة صقلية، والذي مكّنه من التحرر من شروط عقود صلح أبيه وأخيه، والتحرر أيضاً من اتفاقه معهم[٤]. هو نقض البيزنطيين شروط المعاهدة التي كانت بينهم، والأوضاع السيئة التي كانت تعاني منها صقلية وضعف أسطولها الذي سلّمه قائده إلى الأغالبة بعد ثورة مخفقة ضد الإمبراطورية البيزنطية[٥]. وكما سلف فإن الجزيرة كانت تخضع للإمبراطورية البيزنطية[٦]، وكان حاكمها آنذاك رجل يدعى قسطنطين[٧]، الذي عُين من قبل الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني سنة 211هـ/826م[٨]، وكان قائد الأسطول البيزنطي في صقلية رجل يدعى فيمي أو يوفيميوس Euphmias، كان حازماً وشجاعاً قام ببعض الهجمات على سواحل إفريقية وتمكّن من اختطاف عدد من التجار المغاربة الموجودين على سواحلها، ونهب سفنهم[٩]. إلا أن الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني، غضب عليه فجأة وأمر قسطنطين واليه على صقلية بإلقاء القبض عليه وتعذيبه. ولكن ما سبب غضب الإمبراطور البيزنطي على أمير البحر؟ تذكر المصادر ولاسيَّما اللاتينية على حد قول المؤرخين العرب المسلمين أن مسوغ غضب الإمبراطور هو إجبار يوفيميوس لراهبة يقال لها هومونيزا Homoniza، على الزواج منه[١٠].

=على بعض أراضي الكنيسة ورفضه مساعدة البابوية ضد اللمبارديين أثار جفوة بينه وبين الكنيسة حتى توفي سنة 124هـ/741م. حسن؛ سالم. (1996م)، ج:10. ص:779.

[١]- جورج. (1991م)، ص: 74؛ سالم. (1981م)، ج:2. ص: 101؛ عبيد. (2010م)، ص:121؛ المدني. (1945م)، ص:61.

[٢]- سالم. (1981م)، ج:2. ص:386؛ العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص:100؛ مؤنس. (1987م)، ج:1. ص: 274.

[٣]- مؤنس. (1991)، ص:101.

[٤]- الدباغ. (1972م)، ج:2. ص:12؛ العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص: 103.

[٥]- Vasiliev. (1935A.D), p: 67-71.

[٦]- مؤنس. (1997م)، ص: 101.

[٧]- **قسطنطين:** لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

[٨]- أماري. (1857م)، ص: 386.

[٩]- ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص: 919؛ ابن خلدون. (2000م)، ج:4. ص:253؛ الخربوطلي. (1963م)، ص:55؛ غانم. (1977م)، ص:19-20؛ إسماعيل. (2000م)، ص:145.

[١٠]- العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص: 103؛ فازيليف. (1900م)، ص:68.

فضلاً عن أن يوفيميوس اغتنم فرصة قيام توماس الصقلبي بالثورة ضد الإمبراطور ميخائيل الثاني 206هـ/821م[١]، وفي الوقت ذاته تمكّن العرب المسلمون بقيادة أبي حفص البلُّوطيّ الأندلسي من الاستيلاء على جزيرة كريت سنة 212هـ/827م[٢]، فشعر حينئذٍ بالخطر الذي يتهدده فجمع أنصاره وأخذ أسطوله وشق عصا الطاعة على الإمبراطور[٣]، وتوجَّه نحو سرقوسة إلا أن قسطنطين استطاع اللحاق به، وقام بينهما قتال عنيف انتهى بهزيمة قسطنطين وفراره إلى قطانية[٤]، إلى أن تمكَّن يوفيميوس من أسره وقتله، فاستغل الأخير ذلك وأعلن نفسه ملكاً على صقلية[٥]. وعين أصحابه وأنصاره على أقاليمها ومدنها، ومن بينهم رجل أرمني يدعى بلاطة[٦] عينه على ناحية من الجزيرة، وابن عم بلاطة ويدعى ميخائيل[٧] على مدينة بالرمو Palermo أو بلرم[٨]، ولكن ما لبثت الثورة أن قامت ضده من قبل ميخائيل وبلاطة، حيث استطاع الأخير الاستيلاء على سرقوسة، فاضطر يوفيميوس إلى الهرب نحو افريقية ليستنجد بزيادة الله ووعده بمُلك جزيرة صقلية[٩]. وبعد أن تأكد زيادة الله أنه مازال هنالك أسرى من العرب المسلمين لدى البيزنطيين في حالة رقّ وعبوديّة[١٠]، رأى أن البيزنطيين هم من نقضوا العهد وأن الحرب واجبة لرفع الظلم عن العرب المسلمين، فنادى زيادة الله بالجهاد في سبيل الله، كما أبلغ يوفيميوس وأصحابه بالتوجه إلى مرسى سوسة قاعدة الفتح وأرض المحارس والأربطة، وأن يقيموا فيها حتى يتم الإعداد للخطة ويستكمل

١- عبيد. (2010م)، ص:121.

٢- فازيليف. (1900م)، ص:56؛ الحميدي. (2008م)، ص:438؛ إسماعيل. (2000م)، ص: 146.

٣- Brehier. (1946 A.D), P: 107.

٤- **قطانية:** مدينة ومرفأ إيطالي شرقي جزيرة صقلية في بلاد المغرب وهي بحريَّة قبليّة مسوَّرة. المقدسي. (2003م)، ص:191؛ الخوند. (1995م)، ص:324.

٥- أماري. (1857م)، ص:368.

٦- **بلاطة:** لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

٧- **ميخائيل:** لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

٨- **بلـرم:** تطلـق عليهـا أيضـاً بـالرمو أعظـم مدينـة فـي جزيـرة صـقلية فـي البحـر المتوسـط، يحـيط بهـا سـور منيـع، ووصـف بأنهـا المدينـة السـنيّة العظمـى والمحلـة البهيـة الكبـرى والمنبـر الأعظـم الأعلـى علـى بـلاد الـدنيا. كانـت الأسـاطيل والجيـوش تغـدو للغـزو وتـروح. الإدريسي. (2002م)، ج:2. ص: 590؛ الحموي. (1977م)، ج:1. ص:483.

٩- النـــويري. (د.ت)، ج:24. ص:194؛ ابـــن خلـــدون. (2000م)، ج:4. ص: 254؛ العبـــادي، ســـالم. (1969م)، ج:2. ص: 103؛ المدني. (1945م)، ص:57.

١٠- المالكي. (1983م)، ج:1. ص:270؛ الدباغ. (1972م)، ج:2. ص:22؛ ابن عياض. (1968م)، ص:66.

الأسطول الإسلامي استعداداته[١]. أسدى إمرة قيادة الأسطول ومهمة فتح صقلية إلى أسد بن فرات[٢]، والذي كان قاضياً على القيروان منذ سنة 204هـ/819م، وخرج معه أشراف إفريقية وأهل العلم والبصائر[٣]. وبالفعل انطلق الأسطول الأغلبي من سوسة سنة 212هـ/827م، وكان الجيش يتكون من سبعمائة فارس بخيلهم وعشرة آلافِ رجل عبروا البحر إلى صقلية في مراكبهم والتي تبلغ عددها حوالي مائة مركباً، مع مركب يوفيميوس، وذلك في عهد الخليفة العباسي المأمون 189-218هـ/804-833م[٤]. استغرق وصول الأسطول نحو ثلاثة أيام من سوسة حتى وصل إلى ساحل صقلية، عند مدينة مازرا، جنوب غرب صقلية. وكان اختيارهم لهذه المدينة موفقاً حيث استطاع الاستيلاء عليه وعلى عدد من الحصون[٥]. وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على حنكة وبراعة حربية، لأنها كانت بعيدة عن مركز الثقل البيزنطي في الجزيرة، وتُعدّ أهم قلعة حصينة بصقلية، كما أن ساحل مازرا يُعد أقرب السواحل الصقلية إلى الأراضي الإفريقية، كما أن فيها العديد من أنصار يوفيميوس[٦]. على كل حال أقام العرب المسلمون فيها حوالي ثلاثة أيام، حتى وصلتهم باقي السفن[٧]. في الوقت الذي لم يكن فيه أسد بن الفرات أيضاً يرتاح ويثق لاشتراك يوفيميوس معه في الحملة فطلب منه أن يعتزلهم ويترك أمر الحملة له، وأن يضعوا علامة على رؤوسهم ليميزوهم بها ففعلوا ذلك[٨]. وعلى ما يبدو أن يوفيميوس خضع لأمر أسد خوفاً من أن يتراجع العرب المسلمون عن مساعدته، في حين توجّه الجيش للقاء بلاطة الذي تحصن في مرج يحمل نفس اسمه بلاطة، وأعدّ جيشاً عِدّته مائة وخمسون ألف مقاتل[٩]، ودارت المعركة بين أسد وبلاطة وكانت النتيجة فرار بلاطة هارباً

---

[١]- النويري. (د.ت)، ج:24. ص:195؛ عبد الحميد. (1979م). ج:2. ص:215.

[٢]- **أسد بن فرات:** إمامٌ وقاضٍ من أبرز المجاهدين في الدولة العربية الإسلامية، ولد في بحران سنة 144هـ/761م، دخل القيروان مع أبيه في الجهاد وكان والده الفرات بن سنان من أعيان الجند، وأصبح أميراً على الغزاة من قبل زيادة الله الأغلبي متولي المغرب، فاستطاع السيطرة على جزيرة صقلية، وتوفي سنة 213هـ/828م. للمزيد ينظر: الذهبي. (2004م)، ص:1076.

[٣]- ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:143؛ المالكي. (1983م)، ج:1. ص:272؛ مؤنس. (1987م)، ج:1. ص:275.

[٤]- النويري. (د.ت)، ج:24. ص:195؛ ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:143؛ ابن الخطيب. (1964م)، ج:3. ص: 112؛ رسلان. (1980م)، ص:18؛ غانم. (1977م)، ص:22. في حين يذكر الخربوطلي أن تعداد الأسطول سبعون سفينة عليها عشرة آلاف فارس. (1963م)، ص: 55.

[٥]- ابن الخطيب. (1964م)، ج:3. ص: 112؛ الناصري. (1993م)، ص:287؛ رسلان. (1980م)، ص:19.

[٦]- عبد الحميد. (1979م)، ج:2. ص:218؛ فازيليف. (1900م)، ص:72.

[٧]- شاكر. (2003م)، ص: 209.

[٨]- عباس. (1975م)، ص:25.

[٩]- الطالبي. (1985م)، ص: 458-459.

مع من بقي من جيشه إلى قصريانة[١]، وبعدما بلغه الخوف من لقاء العرب المسلمين فرّ إلى قلورية[٢] وقُتل هناك[٣]. وتعدّ معركة مرج بلاطة، معركة لها أهميتها العسكرية، حيث كانت صراعاً حقيقياً بين العرب المسلمين والبيزنطيين لامتلاك الجزيرة، إذ فقدت بيزنطة العديد من جنودها، بينما حقق العرب المسلمون انتصاراً ساعد على رفع معنويات الجيش العربي الإسلامي وتقوية عزيمته في الجزيرة بعدما أصابوا سبياً ومغانم كثيرة[٤]، وسيطروا على حصون عدّة من الجزيرة[٥]. وعدّ الأغالبة انتصار العرب المسلمين في معركة مرج بلاطة فتحاً حقيقياً للجزيرة، وأنهم أصبحوا سادة البحر المتوسط من جديد، وأنهم ورثوا السلطان الذي تمتعت به القسطنطينية مدّةً طويلة والتي سعى إليها الأمويين دائماً دون جدوى[٦]. ويؤكد ذلك أنه ما إن وصلت أخبار هذا الانتصار لزيادة الله حتى بادر بالكتابة إلى الخليفة العباسي المأمون يعلمه بهذا النصر وما تمّ له من فتح صقلية على يد أسد بن الفرات[٧]. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تبعية الأسرة الأغلبية ولو اسمياً للخلافة العباسية فهي بقيت تحت رايتها وتحت راية الخليفة العباسي، حتى لو استقلت في أمورها الداخلية. تابع أسد وجنوده زحفهم من قاعدته في مازرا نحو سرقوسة عاصمة صقلية وحاصروها براً وبحراً[٨]، ما إن وصل أسد حتى قابله وفد من البيزنطيين الذين طلبوا منه الصلح والأمان وأداء الجزية مقابل ألا يتحرك نحو المدينة، لم يبدِ أسد موافقته تماماً على ذلك، إلا أنه توقف عن التقدم، لكن ذلك كان خدعةً حتى يستعدوا للحصار ويستكملوا تحصين المدينة ونقل كنوزها وثرواتها بعيداً إلى أماكن آمنة[٩]. فأدرك أسد بعد ذلك الخدعة وأن هذه الهدنة كانت تصبّ في مصلحة أعدائه، وأنهم أصلحوا تحصينات

---

[١]- **قصريانة:** بالياء المثناة من تحت، وألف ساكنة، ثم نون مكسورة وبعدها هاء ساكن، وهو اسم لمدينة كبيرة في جزيرة صقلية على سن جبل يشمل سورها على زروع وبساتين ومياه. الحموي. (1977م). ج:4. ص:365.

[٢]- **قلورية:** بكسر أوله وتشديد اللام وفتحها، وسكون الواو، وكسر الراء، والياء مفتوحة خفيفة وهي جزيرة في شرقي صقلية ولها مدن كثيرة وبلاد واسعة. الحموي. (1977م)، ج:4. ص:392.

[٣]- أماري. (1857م)، ص: 369؛ عنان. (1970م)، ص:155.

[٤]- ابن عذاري. (2013م)، ج1. ص:143؛ طه وآخرون. (2004م)، ص: 271.

[٥]- ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص: 920.

[٦]- الخربوطلي. (1963م)، ص:56؛ لويس. (د.ت)، ص:170.

[٧]- المالكي. (1983م)، ج:1. ص:272؛ الدباغ. (1972م)، ج:2. ص:24.

[٨]- ابن خلدون. (2000م)، ج:4. ص: 254.

[٩]- أحمد. (1980م)، ص:14-15؛ عبد الحميد. (1979م)، ج:2. ص:221؛ الطالبي. (1985م)، ص: 462.

سرقوسة[١]، لذلك ألقى أسد بن الفرات الحصار على أسوارها برّاً وبحراً، ولحقته الإمدادات من إفريقية[٢]، وسرعان ما هبّ أسطولٌ بيزنطيٌ للدفاع عن تلك المدينة، ما جعل مهمة الحصار العربي الإسلامي شاقة لكون حصن سرقوسة حصناً منيعاً، ولم يكن مع أسد بن الفرات سوى ثمانية آلافٍ أو تسعة آلافِ رجل، فضلاً عن عدم توافر آلات الحصار والمراكب اللازمة لاختراقها[٣]. فطلب جنوده من العرب المسلمين العودة إلى إفريقية فرفض رفضاً قاطعاً[٤]. وصمد أسد بن الفرات وجيشه وقاوموا الحامية البيزنطية وأهالي صقلية الذين احتموا بقلاعهم وحصونهم القوية، ولكن عندما شعر أهالي صقلية بأن العرب المسلمين لن يستسلموا أخذوا يطلبون النجدة من الإمبراطورية البيزنطية، وعلى الرغم من انشغال بيزنطة بحروبها في جبهات مختلفة، فحربها في آسيا الصغرى مع الخليفة العباسي المأمون من جهة، وكذلك انشغال أساطيلها في محاولة استرجاع جزيرة كريت من أيدي العرب المسلمين الأندلسيين من جهة أخرى[٥]، إلا أنها كانت تعلم مدى أهمية جزيرة صقلية بالنسبة لها فبادرت بتلبية نداء أهلها وأرسلت لهم نجدة سريعة لإنقاذ سرقوسة من حصار العرب المسلمين[٦]. وكذلك استطاع الإمبراطور إقناع دوق البندقية[٧] جوستينيانو بارتسيباتزبو Justinano baitsibatzobo[٨] بإرسال قوة بحرية ضد العرب المسلمين، لأن اقتراب العرب المسلمين من مياه بحر الأدرياتيك سيكون خطراً على مدينة البندقية نفسها[٩]. كما زحف والي بلرم البيزنطي بجيش كبير لفك الحصار عن سرقوسة، إلا أن الجيش العربي الإسلامي تصدى لهم فجمعوا قوتهم وخندقوا أنفسهم بخنادق دفاعية، حتى يصعب على النجدة البيزنطية الدخول إليها وتحصينها، وكبّدت هذه الخطة البيزنطيين خسائر كبيرة فمات منهم خلقٌ كثيرٌ، وعلى الرغم من كل الظروف الصعبة الذي مرّ بها الأسطول العربي، إلا أن

---

[١]- شاكر. (2003م)، ص:210.

[٢]- ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص:920.

[٣]- طه، وآخرون. (2004م)، ص:272؛ شاكر. (2003م)، ص:210.

[٤]- الطالبي. (1985م)، ص: 464.

[٥]- Bury. (1912A.D), P: 291.

[٦]- غانم. (1977م)، ص:23.

[٧]- **البندقيـة:** مدينـة ومرفـأ فـي شـمالي إيطاليـا علـى البحـر الأدريـاتيكي، كانـت ذات علاقـات تجاريـة وثيقـة مـع المشـرق العربـي الإسـلامي، وهـي تشـتهر بمصـنوعاتها الدقيقـة وبناياتهـا الفخمـة وقصـورها الجميلـة، وتزينهـا تماثيـل ونقـوش علـى غايـة الأبهـة أتـى بهـا البنادقـة مـن القسطنطينية. الخوند. (1995م)، ج:4. ص:315.

[٨]- **جوستينيانو بارتسيباتزبو:** لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

[٩]- أحمد. (1980م)، ص:15؛ الطالبي. (1985م)، ص: 465.

الحصار استمر ما يقارب العام[١]. وما جعل هذا الحصار في موقف محرج أكثر الوباء الذي انتشر بين القوات العربية الإسلامية وقضى على قائد الحملة أسد بن الفرات وعدد كبير من الجيش سنة 213هـ/828م[٢]. وقع اختيار الجيش على قيادة الحملة بعد وفاة أسد على محمد بن أبي الجواري[٣]، الذي بادر على الفور بتشديد الحصار على سرقوسة بالرغم من كل التعب والصعوبات التي عانى منها الجيش الأغلبي والشجاعة والمقاومة التي بذلوها إلا أنهم رأوَا قلّة حيلتهم إزاء تضافر الوباء والإمدادات التي ترسلها بيزنطة، وفرار الرهائن من البيزنطيين الذين كانوا تحت أيديهم، لذلك قرروا الانسحاب والابتعاد عن سرقوسة، على متن السفن التي جاؤوا فيها، ولكن ما إن وصلوا حتى وجدوا أسطولاً بيزنطياً أحرق سفنهم مما حال دون تنفيذ عملية انسحابهم[٤]. فكم بقي آنذاك من عددهم؟ وكم كان حجم خسائرهم؟ لم يجب أي مصدر عن هذه التساؤلات، وقد انفرد ابن خلدون بذكر خبر مبهم عنهم حيث قال: " ثم أصاب معسكرهم الفناء، وهلك كثير منهم"[٥]. وبعد إخفاق العرب المسلمين في الانسحاب تقدموا مع قائدهم إلى ميناء يدعى ميناو Mineo[٦]، حيث استطاعوا الاستيلاء عليه وذلك بمساعدة يوفيميوس وأنصاره[٧]، ثم توجهوا بعد ذلك إلى حصن جرجنيت Girgenti[٨]، ونجحوا في الاستيلاء عليه والسكن فيه[٩]. رفعت هذه الانتصارات من همّة الجيش ومعنوياته، وشعروا بالبشرى والفرح والخير بأن الفرج قادم، وأخذوا يطمحون في مزيد من الانتصارات والسيطرة[١٠]. تحمَّس أفراد الجيش العربي الإسلامي لاستكمال فتح حصون صقلية، وأخذوا في إحكام الحصار على حصونها المختلفة، فاندفعوا مهاجمين قصريانة، وشعر يوفيميوس في هذه اللحظات أن القدر

١- ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص:920؛ غانم. (1977م)، ص:24؛ الطالبي. (1985م)، ص: 465.

٢- ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:144؛ الطالبي. (1985م)، ص: 466.

٣- أماري. (1857م)، ص:367.

٤- عنان. (1970م)، ص: 156.

٥- (2000م)، ج:4. ص:254.

٦- **ميناو**: بلدة تقع في مقاطعة قطانية في صقلية، لم يتم الوقوف عليه في المعاجم الجغرافية.
https://ar.m.wikipedia.org. 10/08/24. 10:00 AM

٧- عباس. (1975م)، ص:25.

٨- **جرجنيت:** مدينة ذات حصن مسوَّر يقع بالقرب من الساحل الجنوبي لصقلية، جنوب شرق باليرمو، أسسها مستعمرون يونانيون ثم تعرضت للنهب من قبل القرطاجيين عام 406ق.م، ثم احتلها الرومان عام 210ق.م. بعد ذلك تعرضت لهجمات العرب المسلمين. أما الحموي فذكرها باسم كركنت وهي بلد على ساحل البحر المتوسط في جزية صقلية. (1977م). ج:4. ص:453.
Moore. (1978A.D), P:19

٩- النويري. (د.ت)، ج:24. ص:196.

١٠- ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص: 920؛ عبد الحميد. (1979م)، ج:2. ص:225؛ غانم. (1977م)، ص:25.

سار لصالحه وأنه جاء موعد أن يلمع نجمه، وفعلاً جاء إليه ممثلون عن المدينة لملاقاته معبَّرين له عن مناصرتهم لأفكاره وأن يكون يوفيموس وهم والمسلمون على كلمة واحدة، واتفقوا سويّةً على وقت يدخل فيها يوفيميوس إلى قصريانة مع عدد قليل من جنوده، وعندما تقدم يوفيميوس سجد أمامه ممثلو قصريانة، طبقاً للعادات البيزنطية وقبلوا الأرض متظاهرين بمبايعته بالملك، إلا أن ذلك كان خدعة حيث كان السلاح مخفياً معهم فأخرجوه وطعنوه فسقط يوفيميوس جثة هامدة[١]. مما زاد من إصرار العرب المسلمين على الاستيلاء عليها عنوة، إلا أن الأمر لم يكن بهذه السهولة، لحصانة المدينة ولأن بيزنطة عجّلت بإرسال الإمدادات العظيمة إليها بقيادة البطريق البيزنطي ثيودتوس Theodotus[٢]، الذي وصل على رأس جيش كبير، وبدأ بتوجيه الهجمات نحو العرب، اشتد القتال بين الطرفين سنة 213هـ/828م، وانتهى لصالح العرب المسلمين، وهزيمة الجيش البيزنطي شرَّ هزيمة، وقد فرَّ من نجا منهم إلى داخل قصريانة، في حين أسر العرب المسلمون حوالي تسعين بطريقاً من قوادهم[٣]. بقي العرب المسلمون يحاصرونها حتى توفي قائدهم أبو الجواري في بداية سنة 214هـ/829م، فاختاروا قائداً جديداً لهم هو زهير بن غوث[٤]. فقد كادت جهود الأغالبة تذهب سُدى وتخفق حملاتهم في ظل ما حصل لها، عندما باغت ثيودتوس وقواته سرّية من العرب المسلمين خرجت للبحث عن مغانم تكون مؤنة لهم وهزمهم، مما يدل على أن ثيودتودس لم ينسَ أثر هزيمته وقرر الانتقام من العرب المسلمين، لذلك تجدد القتال بينهما وهُزم العرب المسلمون على أثرها وقتل منهم ما يقارب ألف قتيل، وعادوا إلى معسكرهم[٥]، فانسحب العرب المسلمون إلى ميناو في ظل حصار البيزنطيين لهم ينتظرون ما تأول إليه الحوادث وقد أضرعهم الجوع والهلاك[٦]، وشارفوا على الاستسلام، إلا أن القدر كان له رأيٌ آخر إذ إن أسطولاً أندلسياً توجّه نحو جزيرة صقلية سنة 214هـ/829م، يتكون من مراكب عديدة، وأعدادٍ كبيرةٍ من غزاة البحر الأندلسيين[٧]. ولكن ما يثير الدهشة من الذي طلب المساعدة؟ وكيف تم توجيه

---

[١]- الطالبي. (1985م)، ص: 470.

[٢]- **ثيودتوس**: لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

[٣]- أماري. (1857م)، ص:367.

[٤]- النويري. (د.ت)، ج:24. ص: 169؛ الطالبي. (1985م)، ص: 470.

[٥]- ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص: 920؛ أحمد. (1980م)، ص:16.

[٦]- إسماعيل. (2000م)، ص:123.

[٧]- سالم. (1969م)، ص: 34.

طلب المساعدة إلى الأندلس في ظل الوباء الذي كان منتشراً؟ أم إن هذا الأسطول أيضاً كان هدفه الجهاد البحري ويطمح لفتح جزيرة صقلية فصادفت حملته توقيت حملة أسطول الأغالبة؟ أم كان هناك نوع من التعاون البحري بين الأندلس والمغرب كما كان بين مصر وبلاد الشام؟ إن الأسطول الأندلسي خرج قاصداً الغزو والجهاد البحري، ضد الإمبراطورية البيزنطية[١]، وإن هؤلاء الأندلسيين لم يكونوا يتبعون للإمارة رسميًّاً، وإنما كانوا من الثائرين والمغامرين على الحكم الأموي في الأندلس[٢]. ومن الممكن أن الأندلسيين سمعوا بالمعركة التي دارت على أرض صقلية، فهبوا للعون والمساندة، أو أنهم قدموا إلى الجزيرة مصادفة[٣]. وما لبثت أن استمرت الحوادث ووصل أسطول آخر من إفريقية[٤] لنجدة أسطول الأغالبة، إلى شواطئ صقلية، فبلغ عدد السفن الأندلسية والإفريقية ثلاثمائة مركب، بقيادة أصبغ بن وكيل الهواري المعروف بفرغلوش[٥]. وهكذا يُلاحظ بأن توجّه الأسطول الأندلسي لمساندة أسطول الأغالبة يكشف عن حقيقة مفادها أن التعاون البحري بينهما قد بدأ بمرحلة جديدة من نشاط العرب المسلمين البحري في غرب البحر المتوسط، ومهما يكن فإن وصول الأسطول الأندلسي ونجدته للأسطول الأغلبي خطوة جديرة بالاهتمام إذ يعزز الثقة والتعاون بين الطرفين[٦]. وهكذا يُلاحظ أن السفن التي وصلت إلى شاطئ صقلية كانت أندلسية، ومن الممكن أن تكون الصدفة أدت دورها فوصلت سفن إفريقية إلى صقلية في الوقت نفسه التي وصلت فيه السفن الأندلسية. ومهما يكن فإن وصول هذه السفن جاء في الوقت المناسب، لأنه ما إن سمع العرب المسلمون المحاصرون في ميناو بتقدمهم حتى أخذوا يطلبون النجدة والإغاثة منهم، وبالكاد لم يتردد الأندلسيون الذين كرّسوا حياتهم للجهاد البحري في استغاثة أهلهم والاستجابة للنداء، إلا أنهم اشترطوا فقط أن تكون

---

[١]- ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص: 920؛ النويري. (د.ت)، ج:24. ص: 59-60؛ حسن. (1996م)، ج:2. ص: 177؛ العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص:111؛ ص: 197؛ عبد الحميد. (1979م)، ج:2. ص:228؛ عنان. (1970م)، ص:156.

[٢]- إسماعيل. (2000م)، ص:123.

[٣]- مؤنس. (1987م)، ج:1. ص: 289.

[٤]- اختلف المؤرخون حول نوع السفن التي وصلت فيذكر ابن عذاري أن السفن التي وصلت إلى صقلية كانت أندلسية فقط لقوله: "وفي سنة 214هـ/829م، وصل من الأندلس إلى صقلية ثلاثمائة مركب فيها أصبغ بن وكيل الهواري، وبلغ العرب المسلمون المحصورون بها خبر وصولهم، فاستغاثوا بهم فوعدوهم بذلك". (2013م)، ج:1. ص 144-145. ويوافقه الرأي آخرون على مصدر السفن وأن هدفها كان الغزو والسلب، وكانت بقيادة أصبغ بن وكيل الهواري، في مراكب كثيرة، وقدم سليمان بن عافية الطرطوشي أيضاً بمراكب عديدة فطلب العرب المسلمون منهم المساعدة فاستجاب لطلبهم. النويري. (د.ت)، ج:24. ص: 197.

[٥]- ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص 144-145.

[٦]- ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص 143؛ العدوي. (1957م)، ص: 79.

القيادة لقائدهم فرغلوش، فلم يكن أمام المحاصرين سوى القبول[١]. اشتبك الأسطول الأندلسي مع القائد البيزنطي الذي يدعى تورط[٢] في سنة 215هـ/830م، فانهزم هزيمة نكراء وقد فرّ هارباً مع من بقي من جنوده إلى قصريانة التي كانوا قد سيطروا عليها من جديد بعد خروج العرب المسلمين منها، وهكذا رفع الحصار عن مسلمي ميناو[٣]، ومن الجدير ذكره أن يطرح تساؤل حول تعاون كل من الأندلسيين والأغالبة فيما بينهم، رغم أن كلاً منهما تابع لدولة هي عدو الأخرى؟ يؤكد البعض أن المغاربة والأندلسيين اشتركوا في الفتوح في البحر المتوسط بدرجة لا يمكن فيها الفصل بين جهودهما. وأن نشاط الأغالبة اتّسم بالتعاون البحري مع القوى الأندلسية، على الرغم من تبعية الأغالبة أنفسهم للخلافة العباسية[٤]. فالثابت أن إصبغ بن وكيل لم يشارك في معارك صقلية رغبة في الجهاد أو إعلاء كلمة الإسلام، بقدر طمعه في الرّياسة والمغانم. لذا يُلاحظ أن العمليات الحربية الأندلسية اتسمت بالطابع الفردي. فقد توجّه إصبغ ورجاله إلى ميناو، مستقلين عن الجيش الأغلبي الذي اتجه إلى فتح بلرم[٥]. فعندما انتشر الطاعون الذي مات بسببه إصبغ عاد معظم رجاله من حيث أتوا، بينما انضمت أقليَّة منهم لتساعد الأغالبة في فتحها، لكن سرعان ما نشب الخلاف والنزاع بين الطرفين على الأغلب حول القيادة[٦]. إلا أن الأغالبة تابعوا محاصرتهم لبلرم حتى سقطت في أيديهم سنة 216هـ/831م[٧]، وبفتحها انفتح الطريق أمام الأغالبة للاستيلاء على معظم مدن الجزيرة[٨]. كما هيأ لسقوطها قاعدة مهمة للأسطول العربي الإسلامي في صقلية، وذلك لما تتمتع به من موقع استراتيجي متميز على مرّ العصور، ولذا غدت بلرم قاعدة حربية بحرية مهمة، ومن أعظم مراكز القوة العربية الإسلامية في صقلية، واتصالها بإفريقية سهل، ولذلك أصبح في استطاعتهم أن يعتمدوا على المدد والمؤن باستمرار من إفريقية ليكملوا فتوحاتهم في جنوب إيطاليا، كما أصبح لها نوع من الحكم الذاتي رغم تبعيتها رسمياً لأمراء الأغالبة، فقد أصبحت بلرم ثغراً عربياً إسلامياً كبيراً تنطلق منها الأساطيل العربية الإسلامية للإغارة على

---

[١]- العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص:112؛ عبد الحميد. (1979)، ج:2. ص:232.

[٢]- **تورط:** لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

[٣]- إسماعيل. (2000م)، ص:123.

[٤]- إبراهيم. (1960م)، ص:273؛ مؤنس. (1991)، ص:100.

[٥]- Bury. (1912A.D),P: 304.

[٦]- ابن الأثير. (د.ت)، ج:6. ص: 921؛ إسماعيل. (2000م)، ص: 124.

[٧]- عبد الحميد. (1979م)، ج:2. ص:232؛ غانم. (1977م)، ص:26؛ الشريف، ومحمود. (1980م)، ص: 161.

[٨]- الناصري. (1993م)، ص: 291.

الشواطئ الإيطالية، وعلى ما بقى من صقلية في يد البيزنطيين[١]، وقد ازدادت هذه القاعدة قوة ومكانة لاسيَّما بعد أن استولى أسطول الأغالبة على جزيرة قوصرة عام 221هـ/835م، وذلك لأنه بانضمام قوصرة إلى ممتلكات الأغالبة زال الخطر الذي كان يهدد المواصلات بين كل من صقلية وإفريقية عندما كانت قوصرة في يد بيزنطة، كما ترتب على ذلك أن أصبح الحصول على الإمدادات التي تساعد القوات العربية الإسلامية أكثر سهولةً من ذي قبل، ومن خلالها يستطيع العرب المسلمون التوجّه منها إلى سائر مدن جزيرة صقلية وسواحلها[٢]. سار العرب المسلمون بعد ذلك إلى مدينة أوغليانة Oagliana[٣]، وشددوا الحصار عليها، وتغلبوا عليها[٤]. وفي هذه المدينة تفشى بين الجيش العربي الإسلامي وباء أدى إلى وفاة عدد من العرب المسلمين، من بينهم قائد الأندلس فرغلوش وجماعة من قواته[٥]. انتهز البيزنطيون فرصة ضعف العرب المسلمين وكثرة المرضى والضعف الذي دبّ في صفوفهم فأرغموهم على الرحيل من المدينة. واشتبك البيزنطيون مع العرب المسلمين في موقعة دارت فيها الدائرة على البيزنطيين وقتل فيها قائدهم ثيودتوس، وغنم العرب المسلمون منهم غنائم كبيرة[٦]. وبالرغم من كل المتاعب والصعوبات التي واجهت الأسطول الأغلبي إلا أنهم تابعوا سياستهم البحرية تجاه صقلية، فاستولَوا في سنة 228هـ/842م، على ميناء وقاعدة بحريَّة مهمة ألا وهي مسينا Messina[٧]، على الرغم من مقاومة البيزنطيين الشديدة، حيث أصبح أسطول الأغالبة في موقف استراتيجي ممتاز بالنسبة للأسطول البيزنطي وسط البحر المتوسط[٨]، فقد تابع الأغالبة بعد ذلك نشاطهم العسكري حتى وصلوا إلى مشارف إيطاليا، آخر ممتلكات البيزنطيين

١- لويس. (د.ت)، ص:213.

٢- بروكلمان. (1968م)، ص:249؛ الخربوطلي. (1963م)، ص:65؛ الناصري. (1993م)، ص: 291.

٣- **أوغليانة:** لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

٤- سالم. (1981م)، ج:2. ص 389؛ عبد الحميد. (1979م)، ج:2. ص:232؛ أحمد. (1980م)، ص:17.

٥- ابن عذاري. (2013م)، ج:1. ص:145؛ طه، وآخرون. (2004م)، ص: 276.

٦- العبادي، سالم. (1969م)، ج:2. ص: 113؛ طه، وآخرون. (2004م)، ص:276.

٧- مورينو. (1968م)، ص:11.

مسينا: أو مسيني وهي مدينة على ساحل جزيرة صقلية من الناحية الشرقية، وتحيط بها الجبال من الناحية الغربية، وهي إحدى أهم قواعد جزيرة صقلية فيها العديد من الفواكه والثمار المتنوعة، فضلاً عن وجود الأنهار الغزيرة فيها، وهي وفيها دار لإنشاء السفن وبها إرساء وإقلاع السفن من جميع بلاد البيزنطيين الساحلية، وبها تجتمع السفن الكبيرة والمسافرون والتجار من بلاد العرب أو بيزنطة، ومضيق مسينا يصل بين قلورية في جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية. الحموي. (1977م)، ج:5. ص:130؛ النويري. (2004م)، ج:24. ص:203؛ الحميري. (1975م)، ص:559.

٨- عبد الحميد. (1979م)، ج:2. ص:243.

في هذا الشطر من البحر المتوسط، إلا أن الأغالبة بذلوا جهودهم في إتمام السيطرة على صقلية وسرقوسة القاعدة البحرية التي استعصت عليهم أثناء هجومهم على صقلية، ومحاولة البيزنطيين المحافظة عليها حين استماتوا في الدفاع عنها، لتبقى شوكة تفسد على الأسطول العربي الإسلامي سيطرته على جزيرة صقلية. ونتيجة للخسائر الفادحة التي مُنيت بها القسطنطينية فقد بذلت جهداً بحرياً جديداً فأرسلت أسطولاً كبيراً من الشرق إلى سرقوسة عدّته ثلاثمائة سفينة، وعبر هذا الأسطول مضيق مسينا، فالتقى الأسطولان العربي الإسلامي والبيزنطي تجاه الساحل الشمالي لصقلية وكانت النتيجة انتصاراً عظيماً للعرب المسلمين، وفقد البيزنطيون مائة سفينة. ويعدَّ هذا أشنع انكسار لحق ببيزنطة منذ عام 226هـ/840م. هذا وقد حلَّت بالقوة البيزنطية في صقلية بعد هذه الخسارة، خسارة أخرى أفقدتها حصنها البري المتمثل بقصريانة سنة 244هـ/ 858م، حتى اقتصرت ممتلكات القسطنطينية في الجزيرة على الساحل الشرقي فيما حول سرقوسة وبعض الجهات الداخلية فيها، كما تابع الأغالبة توجيه الضربات المؤلمة لبيزنطة فاستولَوا على جزيرة مالطة عام 257هـ/870م[١]، التي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية وتتمتع بموقع استراتيجي عظيم في حوض البحر المتوسط حيث تمثل صلة وصل هامة بين ممتلكات بيزنطة في الغرب وممتلكاتها في الشرق، وبذلك تأكدت سيطرتهم الكاملة على المضائق الواقعة بين صقلية وإفريقية[٢]. انتهت محاولات البيزنطيين سنة 265هـ/878م، للدفاع عن سرقوسة إذ سارت آخر حملة بريَّة وبحريَّة ضخمة ألقت مرساها في ذلك الميناء الهام، إلا أن الأسطول الأغلبي باغت البيزنطيون وانقض عليهم وغنم منهم ما غنم، ولم تستطع الإمبراطورية البيزنطية إرسال المساعدات إليها، ونتيجة هذه الهزائم تخلى البيزنطيون نهائياً عن سرقوسة، ودخلتها قوات الأغالبة وجعلت منها قاعدة للأسطول العربي الإسلامي في جزيرة صقلية. وتوالى بعد ذلك سقوط الحصون المهمة في جزيرة صقلية حتى سقطت آخر الحصون الساحلية المهمة طبرمين[٣] سنة 289هـ/901م، وبذلك تمّت للأغالبة السيادة على جزيرة صقلية[٤]. وبسيطرتهم عليها جعل مفتاح حوض البحر المتوسط الغربي في أيديهم،

---

[١]- لويس. (د.ت)، ص:217.

[٢]- الخربوطلي. (1970م)، ص: 59.

[٣]- **طبرمين:** بفتح أوله وثانيه وسكون الراء وكسر الميم، ثم ياء مثناة من تحت ونون، قلعة حصينة تقع على الساحل الشمال الشرقي من جزيرة صقلية. الحموي. (1977م)، ج:4. ص:17.

[٤]- عبد الحميد. (1979م)، ج:2. ص:282. الخربوطلي. (1970م)، ص:59.

وهكذا أصبحوا يمتلكون أسطولاً قوياً مرهوب الجانب وكان توجهه نحو صقلية عملاً متمماً لسياسة العرب المسلمين البحرية الخاصة بسيادة البحر المتوسط.

الفصل الخامس:

آثار النزاع على ساحل وجزر البحر المتوسط على العلاقات الاقتصادية بين العرب المسلمين والإمبراطورية البيزنطية.

أولاً: لمحة عن العلاقات التجارية بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية بعد دخول العرب المسلمين إلى بلاد الشام ومصر والمغرب.

ثانياً: آثار السيطرة العربية الإسلامية على الاقتصاد البيزنطي.

ثالثاً: السلع المتبادلة بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية.

١- ورق البردي

٢- المنسوجات والأقمشة

٣- التوابل والبخور

رابعاً: تعريب النقود وأثره في النزاع بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية.

١- المسوغات التي دفعت الخليفة عبد الملك بن مروان لتعريب النقود.

٢- مراحل تعريب النقود

أ- تعريب الدنانير الذهبية

ب- تعريب الدراهم الفضية

جـ- تعريب الفلوس النحاسية

خامساً: آثار الحرب التجارية بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية.

١- الرقابة على الأسواق

٢- تغيير موانئ الاستيراد والتصدير

٣- آثار الرقابة البحرية البيزنطية

إن العامل الاقتصادي بكافة ركائزه من زراعة وصناعة وتجارة يعدّ أهم عامل على الإطلاق في تطور أي دولة وازدهارها. فمنذ العصور التاريخية القديمة والعصور التاريخية الوسطى وحتى الآن، اهتمّ الحكام والسكان بالجانب الاقتصادي اهتماماً كبيراً، لأنه يعدّ عصب الحياة للأمة على الرغم من انشغال العرب المسلمين بالسيطرة على المدن. فمن ناحية الزراعة اهتم الفاتحون بإنعاش الزراعة من خلال إبقاء الأراضي بيد أصحابها على أن يدفعوا ضريبة الخراج، واستصلاح أراضي البور، وكذلك إصلاح الأقنية وحفر الترع، وإقامة الجسور وغيرها. أما فيما يخص الصناعة فقد ازدهرت بشكل كبير ولاسيَّما الصناعة الحربية، فعني الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالتصنيع الحربي الذي جهز به جيوش الفتوح، واهتم العرب المسلمون منذ عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه بصناعة السفن الحربية، التي تطورت بعد أن غنم العرب المسلمون سفن البيزنطيين في معركة ذات الصواري. وفي العصر الأموي ازدهرت صناعة السيوف والرماح والدروع، وأنشئت الترسانات البحرية اللازمة لصناعة السفن البحرية التجارية في مدن الساحل. وكذلك ازدهرت صناعات النسيج وورق البردي في مصر، والصناعات المعدنية كصناعة النقود التي سيكون لها دور بارز وأثر مهم في الصراع العربي البيزنطي.

أما التجارة التي تعد الرابط الوثيق في العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية والمشرق الإسلامي، فقد بقيت بعد سيطرة العرب المسلمين كما هي قرابة خمسين عاماً وبقيت الأنظمة البيزنطية هي المستمرةَ، فازداد الاهتمام بالتجارة البحرية، فقد أظهر الخلفاء اهتماماً بتسهيل سبل التجارة بين البلاد. فعلى سبيل المثال أمر الخليفة عمر رضي الله عنه واليَه على مصر عمرو بن العاص بحفر القناة الفرعونية القديمة التي تصل بين النيل وبحر القلزم، فيسّر بذلك الطريق بين بلاد الحجاز والفسطاط في مصر. وانتعشت التجارة عبر هذه القناة التي سميت خليج أمير المؤمنين وهي ذاتها التي تدعى قناة تراجان. كما أمر الفاروق عمر رضي الله عنه بحفر قناة مائية في العراق لإيصال مياه دجلة إلى البصرة، وكذلك اهتم بالطرق والجسور فأمر بإصلاحها. وفي القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي تعرضت تجارة بيزنطة الداخلية والخارجية لبعض الانحطاط والتدهور، فقد عرقلت غارات السلاف والفرس والعرب العلاقات التجارية بين المدن البيزنطية نفسها من جهة، وبين بيزنطة والبلدان المجاورة والبعيدة من جهة أخرى. كما أفقدت السيطرة العربية الإسلامية بيزنطة أهم مراكز الصناعة والتجارة بالنسبة لها كمصر وبلاد الشام،

إلا أن ذلك لم يمنع إقامة علاقات تجارية بينهما في أوقات السلم فقد حرصت بيزنطة كل الحرص على استمرار الصلات التجارية معها، وعلى الجانب الآخر حرص العرب المسلمون من ناحيتهم على استمرار التبادل التجاري مع العالم البيزنطي لما فيه من فائدة تعود على المجتمع العربي والإسلامي كافة، حيث أحاط العرب المسلمون العلاقات التجارية مع العالم البيزنطي بكل تشجيع ورعاية وقاموا بتذليل كثير من العقبات إذ إن العرب المسلمين كانوا شعباً متحضراً له تقاليده وعاداته المستمدة من روح تعاليم الإسلام. ومن المعروف أن العرب المسلمين كانوا يمارسون التجارة، ولهم باع طويل في هذا المجال منذ العصور القديمة. كما أن قوافلهم التجارية جابت أرضي شبه الجزيرة ومن ثم انصب اهتمامهم على تنشيط الصلات الحضارية مع بيزنطة والبلاد الأخرى. وهذا يدل على أن التجارة كانت ولا زالت العنصر الأساسي في الحضارة العربية.

أولاً: لمحة عن العلاقات التجارية بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية بعد السيطرة العربية الإسلامية.

تميزت منطقة المشرق العربي الإسلامي وإقليم مصر منذ القدم بمكانتها الاقتصادية وأهميتها الكبيرة، نتيجة موقعها الجغرافي المتميز، فقد كانت صلة الوصل بين الشرق والغرب، ونقطة التقاء ثلاث قارات آسيا وإفريقية وأوروبا[١]، كما تطل على طرق المواصلات البحرية الرئيسية هي بحر القلزم والبحر المتوسط والبحر الأسود، فالبحر عدّ شريان الحياة الأكثر أهمية[٢]. كما تمتعت – المشرق العربي الإسلامي وإقليم مصر– منذ القدم برفاهية ورخاء ملحوظين ويعود ذلك إلى ثلاثة عوامل أولها: حيوية الزراعة وانتعاشها ولاسيَّما في مصر بسبب نهر النيل. ثانيها: تقدم الصناعة في كافة أقاليمها ولاسيَّما بلاد الشام ومصر وآسيا الصغرى التي عدّت أهم مراكز الصناعة في عالم البحر المتوسط. وأخيراً كان الشرق من مناطق التصدير المهمة للعديد من المنتجات كالتوابل والأقمشة والبردي وغيرها[٣].

---

[١]– بورلو. (2001م)، ص:105.

[٢]– فرج، ويوسف. (1981م)، ص:262.

[٣]– لويس. (د.ت)، ص:13–15.

ونتيجة الظروف التي صاحبت نهاية العصور التاريخية القديمة وبداية العصور الوسطى، انتقلت السيادة على منطقة المشرق الإسلامي وحوض البحر المتوسط إلى الإمبراطورية البيزنطية، وفي ظل ذلك كان لابد من أن تخضع جميع المناطق الصناعية التجارية المهمة لإشراف أباطرة القسطنطينية نتيجة التبعية السياسية لبيزنطة[١]. تحكّم البيزنطيون في منافذ البحر المتوسط، نظراً لوقوع القسطنطينية ومصر وسبتة تحت سيطرتهم، وهذا أدى إلى تحكمها بتجارة المشرق الإسلامي والبحر المتوسط، ومنعت دخول أي تجارة خارجية إلى هذا البحر دون موافقتها. فقد كانت منطقة شرق البحر المتوسط تضم طرقاً تجارية تعدّ أكثر حيوية بالنسبة لمصر وبلاد الشام وآسيا الصغرى. حيث كانت تجلب عن طريقها إلى الغرب الأوربي التوابل والأقمشة الحريرية، فعندما أدركت بيزنطة أهمية التجارة وطرقها التي كانت تتحكم بها الإمبراطورية الفارسية، ومدى الفائدة والأرباح المرجوة منها، بذلت قصارى جهدها لتسيطر على تجارة الشرق الأقصى وتعمل على تحطيم اقتصاد فارس بتغيير الطرق التجارية وتوجيهها نحو الشمال، وفتح طريق تجاري شمالي لبضائع الصين وأهمها الحرير، إلا أن محاولاتها باءت بالإخفاق[٢]. لكنها تمكنت من تحقيق نجاح عُدّ نقلة نوعية لبيزنطة وذلك بحصولها على دودة القز من الصين في عهد الإمبراطور جستنيان الأول، ونجحت في إنتاج الحرير الخام، الذي وفر لها مورداً اقتصادياً جديداً، ولم تمضِ سنوات قليلة حتى انتشرت دودة الحرير في مدن بلاد الشام واليونان فضلاً عن القسطنطينية[٣]. اتبعت بيزنطة سياسة اقتصادية خاصة بها تقوم على الحماية التجارية، ولاسيَّما بعلاقاتها ومعاملاتها التجارية مع بلاد الشرق، فضلاً عن اهتمامها بالعملة الذهبية التي عُدت حكراً لها داخل البلاد وخارجها ومنعت تصدير الذهب إلى خارج حدود الإمبراطورية[٤]، كما احتكرت المنسوجات الحريرية. فقد أولت بيزنطة الاقتصاد والتجارة الداخلية اهتماماً لا يقل عن التجارة الخارجية، وبرز نتيجة ذلك نظام الحقوق الملكية وأهمها حق احتفاظ بيزنطة بإنتاج الحرير الأرجواني[٥] الموشى بخيوط الذهب،

---

[١]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:255

[٢]- لويس. (د.ت)، ص:150.

[٣]- Liu. (2010A.D), P:75.

وللتفاصيل عن تربية دودة القز وإنتاج الحرير في بيزنطة بعد جلبها من الصين وكيفية حصول بيزنطة عليها ينظر:

Laiou. And other. (2002 A.D), V1. P:147-148.

[٤]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:255.

[٥]- **الحرير الأرجواني:** الحرير مادة مؤلفة من خيوط دقيقة برّاقة ينسجها دود القز، ونوع الحرير الأرجواني بالتحديد يصنع بكميات محدودة، لأنه مخصص كرداء رسمي يلبسه الأباطرة البيزنطيون، وأحياناً يتم إرساله كهدايا إلى ملوك الدول الأخرى، لذا=

وحق صناعة البردي وبيعه في مصر[١]. ويستخلص من ذلك أن بيزنطة احتكرت أهم ثلاثة منتجات وهي العملة الذهبية والبردي والأقمشة الفاخرة وخضعت بيعها لقيود خاصة.

ثانياً: آثار السيطرة العربية الإسلامية على الاقتصاد البيزنطي.

كانت بيزنطة والدولة الفارسية في نزاع وتنافس طويل على الطرق التجارية ومواد الحرير وإنتاج المنسوجات المرموقة حتى استطاعت الإمبراطورية البيزنطية الحصول على دودة القز واحتكرت صناعة الحرير. كما أن عملتها الذهبية قامت بدور هام جداً في احتكارها للتجارة لأنها تعدّ العملة الدولية الوحيدة للتعامل آنذاك، وهكذا أصبحت بيزنطة دولة ذات قوة حيوية اقتصادية حتى بداية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، واستمدت هذه القوة من خلال سيطرتها على أهم أقاليم المشرق العربي الإسلامي التي عدّت مصدر الثقل الاقتصادي لها. وأولها مصر وثروتها التي عُدّت أكثر مقاطعات الإمبراطورية رخاءً ولاسيَّما مدينة الإسكندرية ومركزها التجاري التي أخذت تنافس فيه القسطنطينية في أهميتها. وبلاد الشام والمدن الساحلية ورخائهما الاقتصادي بفضل تربيتهم لدودة القز، وانشغال سكانهما في التجارة مع أقاليم البحر المتوسط. فضلاً عن رخاء آسيا الصغرى الاقتصادي الذي أسهم في انتعاش تجارة الإمبراطورية[٢]. إلا أن هذه الأقاليم تعرضت للعديد من الكوارث التي كادت تُزيل رخائها الاقتصادي منها الطبيعية كالزلازل الذي تعرضت له بلاد الشام وآسيا الصغرى، والانفصال الديني والعقلي التي وقعت به كل من مصر وبلاد الشام اللتين اعتنقتا المذهب المونوفيزي[٣]، والقسطنطينية التي اعتنقت المذهب الأرثوذكسي[٤] وهذا

=فإن تصديره كان تحت رقابة مشددة من قبل الإمبراطورية البيزنطية. مسعود. (1992م)، ص:302؛ صبره. (1982م)، ص:358-359.

[١]- Liu. (2010 A.D), P:74-75.

[٢]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص: 256-257؛ Liu. (2010 A.D), P:91.

[٣]- **المذهب المونوفيزي:** يطلق عليه المشيئة الواحدة أو المونوتيلية، أي جعل للمسيح طبيعة واحدة، وهي الطبيعة الإلهية، وأصدرها بطريرك القسطنطينية سرجيوس 531-638م، ليكسب ولاء المونوفيزية أقباطاً ويعاقبه لصالح بيزنطة، ضد أعدائها العرب المسلمين الذين هددوا إمبراطوريتها من الجنوب، والفرس من الشرق. خياطة. (د.ت)، ص:103-104.

[٤]- **المذهب الأرثوذكسي:** أو الأرثوذكسية الشرقية وتُعرف الكنيسة الأرثوذكسية بسبعة أسرار رئيسة هي المعمودية والمسح بالزيت المقدس والاعتراف، والقربان وكذلك الزواج وترسيم الكهنة والكهنة، ولهم طقوس ومراسم معينة. حيث أن الكنيسة الغربية يأتي الروح القدس من الأب والابن، ولكن هذا مرفوض من قبل الكنيسة الأرثوذكسية التي ترى انبثاق الروح من الأب غير الابن وهذا التطور كان تحت تأثير التيارات الفلسفية الجارية. زكّار. (1997م)، ج:1. ص: 47-235.

أدى إلى خلاف بينهما. فضلاً عن الكوارث والأخطار الخارجية كخطر الفرس التي استطاعت في الربع الأول من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي أن تسيطر على بلاد الشام ومصر وأجزاء كبيرة من آسيا الصغرى. ولكن تمّ استرجاعها لكنف الإمبراطورية البيزنطية بفضل جهود إمبراطورها هرقل وحنكته السياسية والعسكرية وقوة جيشه والبحرية. إلا أن بيزنطة لم تنعم بالاستقرار أو السلام لأنها ما كادت تنتهي من الخطر الفارسي، حتى اصطدمت بقوةٍ جديدةٍ تمثلت بالعرب المسلمين الذين استطاعوا بفتوحاتهم المتعددة السيطرة على الأقاليم المهمة ومراكز الثقل الاقتصادي بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية كبلاد الشام سنة 15هـ/636م، وتبعتها مصر 18-20هـ/639-640م، وظهورهم كقوة منافسة لبيزنطة في عالم البحر المتوسط[١]، وبذلك دخلت الدولة العربية الإسلامية من خلال سيطرتها حضارات جديدة ومتعددة الجوانب سواءً براً أو بحراً[٢]. فهل تغيرت الحياة التجارية في حوض البحر المتوسط على إثر دخول العرب المسلمين لبلاد الشام ومصر والمغرب؟ وهل أثرت الحروب والصراعات بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية على الحياة التجارية في البحر المتوسط؟

وبظهور الإسلام وبداية دخول العرب المسلمين لبلاد الشام ومصر والمغرب استقرت الأوضاع التجارية، وأصبحت الطرق التجارية بين دولتين رئيسيتين هما الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية، حيث يُصّرف كل منهما في أسواق الآخر المنتجات التي تنتجها بلاده. وبذلك يحصل كل منهما على ما يحتاج لإكمال الحياة سواء كانت من المنتجات الأساسية أو من الكماليات. فظهور العرب المسلمين في حوض البحر المتوسط الشرقي، لم يُحدث في تجارة البحر المتوسط سوى تغيرات طفيفة، فلم يحدث انقلاباً في أحوال هذه المنطقة التجارية، أو تغييراً في طرقها الرئيسية غير أن القوة المهيمنة قد تغيرت، فقد أدرك العرب المسلمون الوضع الجديد الذي آلت إليه، وكذلك الأسس الحقيقية للقاعدة الاقتصادية، إذ تطلعت الدولة البيزنطية لاستيراد المنتجات الشرقية التي كانت تعدّ العمود الفقري لاقتصادها، ومورد الجزء الأكبر من خزينتها. كما لم تكن لدى العرب المسلمين الرغبة في قطع العلاقات الاقتصادية التي تربط مصر وبلاد الشام مع الغرب الأوربي عامة وبيزنطة خاصة[٣]. لذا أقبل العرب

---

[١]- لويس. (د.ت)، ص:74.

[٢]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:258.

[٣]- Birenne. (1937A.D), P:2; Pireen. (1957 A.D), P: 164.

المسلمون على الاهتمام بأمور التجارة وتطويرها فكان أمامها طريقا التجارة البريُّ والبحريُّ إلى الهند والصين، حيث نشطت التجارة في هذين الطريقين بشكل كبير ومنظم في ظل الإسلام[١]. وفي الواقع ترك العرب المسلمون كل النظم البيزنطية السائدة فيها كما هي، حتى أتيحت لهم فرصة تطوير وتحديث هذه النظم بما يناسب الدولة العربية الإسلامية، وعلى الرغم من هذه السيطرة الكبيرة إلا أن الوحدة السياسية والتجارية لأقاليم البحر المتوسط بقيت كما هي في البداية، بدليل استمرار خلفاء الدولة العربية الإسلامية بدفع جزية سنوية لبيزنطة، وهذا دليلٌ كافٍ بالاعتراف بأن القسطنطينية كان ومازال لها جزء من السيادة على مصر وبلاد الشام، فضلاً عن استمرار استخدام عملتها الذهبية التي بقيت الأداة الدولية للتعامل التجاري في كل بلاد البحر المتوسط. فلم يرغب العرب المسلمون في ممارسة التجارة أو الزراعة في تلك البلاد خلال تلك المدّة، وعلى الأرجح لانشغالهم بأمور السيطرة وتدعيم أركان الدولة العربية الإسلامية، لذا تركوا ممارستهما بيد أهالي الأقاليم المفتوحة ذوي الخبرة دون الحدّ من نشاطهم[٢]، وهم المسيحيون من اليونانيين الشاميين المقيمين في الإسكندرية وسائر الموانئ الشامية. كما أنهم استمروا في ممارسة الأنظمة الإدارية الرومانية والبيزنطية حتى نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، كنظام الضرائب مع بعض التغيرات الطفيفة وبقي أصحاب الأقاليم أنفسهم من غير العرب المسلمين يديرون شؤون المال والإدارة والأعمال الكتابية في دواوين الحكومة، كما بقيت اللغة اليونانية لغة الإدارة الحكومية[٣]. على الرغم من كل ذلك، لا يعني أن العرب المسلمين في بداية سيطرتهم على مناطق مصر وبلاد الشام وغيرها لم يقوموا بأي نشاط لتشجيع الاقتصاد وتطويره، على العكس فقد قام العرب المسلمين بالتجارة من خلال الطريق المائي أو من الممكن أن يُطلق عليه الطريق النهري، فقد شغل هذا الطريق دوراً مميزاً من خلال استخدام الأنهار، فالنيل والفرات ودجلة كانوا يستقبلون مجموعة مراكب بحرية تنقل المواد الغذائية والمنتجات اليدوية، كما لوحظ وجود قوافل قادمة من الشام وحلب وأنطاكية تصل إلى الفرات لتنقل عبره إلى دجلة في بغداد من خلال نهر عيسى[٤]. وبغية تشجيع التجارة وانطلاق

---

[١]- العدوي. (1951م)، ص:111.

[٢]- العدوي. (1951م)، ص:112؛ لويس. (د.ت)، ص:124.

[٣]- لويس. (د.ت)، ص:120؛ Finlay. (1877 A.D), V1. P: 42.

[٤]- بورلو. (2001م)، ص:110.

نهر عيسى: من أنهار بغداد القديمة يعود إلى عصر البابليين، وكان يدعى قنال إنليل، يأخذ من نهر الفرات عند قنطرة دممّا وله تفرعات وقناطرُ عدّة، وعند كل قنطرة سوق يعرف بها، ويبدو أن اسم عيسى نسبة إلى عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس، عم=

السفن العربية نحو الشرق قام العرب المسلمون بتأسيس مدينة البصرة سنة 14-15هـ/ 635-636م، على ضفاف الفرات لمنع سفن العدو من الإبحار في الخليج العربي وإرسالها نحو عمان والهند[١]. وحرصت الدولة العربية الإسلامية على مقاومة القرصنة والقضاء عليها لذلك وضعت، حامية في مدينة عبادان[٢] بهدف مكافحة لصوص البحر الذين هددوا سير السفن التجارية واعتادوا مهاجمتها. وعلى نحو ستة أميال من مدينة عبادان تجاه البحر، زودوا المرافئ بمنارة لتهتدي بها السفن ليلاً وتستدل به على مدخل نهر دجلة، وقد ساعدت المنارة السفن على تجنب الأخطار سواء هجمات العدو أو أخطار البحر من مد وجزر[٣]. فضلاً عن ذلك فإن العرب المسلمين لم يحرموا الفرس من متابعة عملياتهم ورحلاتهم التجارية وتلبية احتياجاتهم، بل شجعوهم على متابعتها إلى سيلان[٤] والصين، بدليل ذكر لرحالة صيني في سنة 98هـ/716م، أن سفن الفرس كانت تترد على سيلان لتتاجر في البضائع الشرقية[٥]. كما لم يحرم العرب المسلمون بيزنطة من الأرباح الطائلة التي كانت تجنيها من وراء تجارتها مع الهند، إلا أن السيطرة على مصر والمغرب على يد العرب المسلمين وجه لها ضربة قوية وهزت كيان اقتصادها المعتمد عليه، ولاسيَّما أن وجود أعداد كبيرة من السكان في بلاد الشام ومصر وإفريقية يعرفون حق المعرفة ركوب البحر والتجارة فيه أدى إلى تمكين العرب المسلمين من المشاركة في أرباح التجارة التي كانت قبل السيطرة حكراً على بيزنطة، رغم ذلك بقيت بيزنطة سيدة البحر وظلَ رعاياها يجنون الأرباح والثروات من التجارة[٦]، على الرغم من أن العرب المسلمين لم يكونوا أمّة بحرية بامتياز، إلا أنهم استعملوا سفن البلاد المفتوحة، أو تلك التي خلفها البيزنطيون، كما عهدوا إلى أهل السواحل ببناء سفن لهم. وقد تبدلت تلك الأوضاع عند قيام الدولة الأموية، حيث أصبح العرب المسلمين متمرسين في مجال البحر، وتمكنوا من ركوب البحر وتسخيره لأعمالهم القتالية والتجارية،

=الخليفة أبو جعفر المنصور حيث أعاد حفره وجعله يجري تحت قصره. الحموي. (1977م)، ج:5. ص:322؛ فرنسيس. (2017م)، ج:2. ص:962.

[١]- Heyd. (1979A.D), V1. P: 30.

[٢]- **عبادان**: مدينة تقع في جنوب غرب إيران على الخليج العربي، وهو مركز تكرير النفط الإيراني وتصديره، كما أنها مرفأ هاماً أيام العباسيين. الخوند. (1995م)، ج:4. ص:205.

[٣]- حسن. (1996م)، ج:2. ص:295؛ الشاعر. (1991م)، ص:20.

[٤]- **سيلان**: جزيرة عظيمة طولها ما يقارب ثمانمائة فرسخ، وهي متوسطة بين الهند والصين، تشتهر بوجود العقاقير النادرة التي لا يوجد في غيرها. الحموي. (1977م)، ج:3. ص:298.

[٥]- العدوي. (1951م)، ص:112.

[٦]- Finlay. (1877 A.D), V1. P: 418.

وأصبحت الدولة الأموية دولة بحرية مجالها البحر المتوسط، فكان من الطبيعي على الرغم من صراعهما أن يؤدي هذا الاحتكاك الحربي إلى تفاعل اقتصادي وثقافي معها ومع الدول المجاورة لها، بما يعود بالنفع وتحقيق المصلحة للطرفين[١]. أسهم معاوية بن أبي سفيان في هذا الصدد إسهاماً فعالاً، إذ أصبحت الدولة الأموية في عهده دولة بحرية عندما سيطروا على شواطئ البحر المتوسط من جبال طوروس شمالاً إلى برقة غرباً، بخطة دفاعية تستهدف تأمين فتوحاتهم[٢]. فالإمبراطورية البيزنطية لم تقم بفرض أي ضرائب على مصر وبلاد الشام، لأن قيامها بذلك اعتراف منها بأن إقليم مصر وبلاد الشام لم تعدّ تحت سيادتها. فكانت تعدُّ أن هذين الإقليمين واقعين تحت احتلال عربي إسلامي مؤقت ستقوم بإعادتهما[٣]. فعلى الرغم من ظهور قوة العرب المسلمين البحرية وحملاتهم المتتالية ضد جزر شرق البحر المتوسط والبحر الإيجي إلا أن نشاط السفن التجارية البيزنطية استمر ولم يتوقف، وإن حدث ضعف واضطراب في حركة السفن التجارية البيزنطية في شرق البحر المتوسط، فذلك بسبب القيود التي فرضتها الإدارة البيزنطية على النشاط التجاري لرعاياها[٤]. كما أن ظهورهم لم يقضِ على الوحدة الاقتصادية لهذ البحر، على الرغم من أنهم فقدوا كل سيطرتهم السياسية المباشرة على الأقاليم التي خضعت لسيادة الدولة العربية الإسلامية، ولم تتوقف التجارة البحرية بشكل دائم، بل بقيت موجودة قرابة نصف قرن بعد ظهور العرب المسلمين تتحكم بها بيزنطة وتمر بأراضيها[٥]. وهذا لا يلغي أبداً سيطرة الدولة العربية الإسلامية على مصر وبلاد الشام وغيرها لم تؤثر على اقتصاد الغرب عامةً وعلى الإمبراطورية البيزنطية خاصةً فقد توقف العرب المسلمين عن إرسال ضريبة القمح من مصر إلى القسطنطينية[٦]، وأصبحت الإسكندرية تأخذ حاجتها من القمح الذي يجمع بأيدي الحكام العرب المسلمين دون مقابل، أما ما كان يرسل لتموين بيزنطة فأصبح يرسل لتموين مكة والمدينة، وتيسيراً لإرسال القمح من دون أيّ عقبات عمد عمرو بن العاص في عام 23هـ/ 643م، إلى حفر قناة تصل نهر النيل ببحر القلزم

---

[١]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:269.

[٢]- عثمان. (1966م)، ص:334.

[٣]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:264؛ لويس. (د.ت)، ص:125.

[٤]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:264؛ فرج. (1988م)، ص:11.

[٥]- Finlay. (1877 A.D), V1. P: 419.

[٦]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:268.

وأطلق عليها قناة أمير المؤمنين، وبذلك أنشأ طريق مواصلات مائياً نحو الجنوب[١]. وبالطبع هذا التحول في مصير القمح سيؤثر على العاصمة القسطنطينية، فاستغنى هرقل عن سياسة توزيع القمح دون مقابل في العاصمة، وأصبح من الضروري على العاصمة أن تبحث عن مصدر جديد تحصل من خلاله على القمح الذي لا يمكن أن تستغني عنه في تموين العاصمة. وبالفعل تمّت زراعة القمح في آسيا الصغرى وتراقيا ونقله إلى القسطنطينية واستطاعت أن تعوض النقص الناجم عن ضياع قمح مصر[٢]، فهذا التحول جاء كنتيجة إيجابية لصالح فلاحي تلك المناطق من سكان الإمبراطورية، إذ إنهم كسبوا سوقاً مهمة جديدة لبيع محاصيلهم، مما سمح لهم بأن يتمتعوا بنوع من الرخاء والاستقلال. وبتوقف إرسال ضريبة الحبوب إلى القسطنطينية أصبحت حرية التجارة هي قاعدة التعامل في بلاد البحر المتوسط. ومن التغيرات المهمة التي أحدثتها سيطرة الدولة الإسلامية التخلي عن العديد من قوانين جستنيان وتعليماته الخاصة بالاستيراد والتصدير في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، أدرك العرب المسلمون أن مصلحتهم لا تتفق في إبقاء مراكز المكوس القديمة النى كانت تقع بين المنطقتين. يضاف إلى ذلك أن القسطنطينية لم تتعنت أو تضْع شروطاً صارمةً في تجارتها مع بلاد الشام ومصر في ذلك الوقت إلا فيما يتعلق بالخشب اللازم لبناء السفن[٣]. فقد تم منع نقل الأخشاب إلى العرب المسلمين وهذا طبيعي لكون الصراع بينهما لازال سجالاً حول السيطرة على جزر البحر المتوسط وسواحله، ولكون الخشب يساعدهم على بناء السفن التي ستكون بمثابة منافس لها، إلا أن البيزنطيين اعترضوا على هذا الأمر لأنه سيخسرهم أرباحاً طائلةً[٤]، فعندما أصدر جستنيان الثاني قراره بحظر التجارة تماماً مع العرب المسلمين ولاسيَّما تجارة الخشب أدى ذلك إلى حدوث أضرارٍ وإفقارٍ كبير لأهالي قبرص الذين كانوا يعتاشون من تجارتهم مع بلاد الشام، وهذا السبب أدى أيضاً إلى قيام ثورة أسطول كبيرهيوت الذي كان يرابط في إقليم تربطه بعلاقات تجارية مهمة فيما يخص الخشب مع مصر. لذا ثار أسطول كبيرهيوت في وجه الإمبراطور ليونتيوس Leontius [٥].

١- Nicolle. (2009 A.D), P:56.

٢- Runciman. (1961A.D), P:173.

٣- لويس. (د.ت)، ص:124-125.

٤- Laiou, and other. (2002), V2. P: 723.

٥- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:311.=

ويُستخلص من ذلك أن القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي كان عصر تجارة غير مقيدة في البحر المتوسط. وحرية التجارة هذه أسهمت في ازدياد رخاء مصر وانتعاشها اقتصادياً حتى عام 86هـ/705م، رغم كل الحروب والغارات البحرية فأصبحت الإسكندرية ملتقى تجارة العالم كله وتوافدت إليها أعداد غفيرة من التجار لشراء ما بها من بضائع. كما نَعُمت المدن الداخلية والساحلية في بلاد الشام برخاءٍ مماثلٍ واستفادت دمشق مما تدفق عليها من أموال الغنائم والخراج على خزائن الخلفاء من ولاياتهم في الغرب وفي الشرق، وكانت المناطق الساحلية في بلاد الشام تمدّ الأسطول العربي الإسلامي بقوات بحرية كبيرة[١]. وساعد على نشاط التجارة وزيادة الرخاء بين بيزنطة والدولة العربية الإسلامية في حوض البحر المتوسط الشرقي أكثر منه في الحوض الغربي زوال العوائق التجارية الرومانية القديمة التي فصلت بين بلاد الشام والعراق. أما سكان المدن الساحلية فإنهم أكثر الشعوب التي تعرضت للضرر والاضطراب بسبب هجراتهم والغارات البحرية المتكررة التي تعرضت لها هذه المدن. لهذا لم تستطع المدن الساحلية أن تبلغ المستوى العالي الذي بلغته المدن الداخلية الشامية في ميدان الثروة التجارية والصناعية، ورغم تلك الاضطرابات التي حدثت في المناطق الساحلية إلا أنها بقيت قادرة حتى بداية حكم الأمويين على إمداد الأسطول العربي الإسلامي بقوات بحرية كبيرة، فقبرص التي تعرضت لكثير من الحملات البحرية، كانت ترسل لدمشق جزية سنوية بلغت 7200 دينار ومثلها لبيزنطة مما يدل على وجود رخاء اقتصادي فيها وفي السواحل الشامية[٢]. فظهور قوة العرب المسلمين البحرية جعلت أصحاب السفن التجارية البيزنطية يقومون بإدخال تحسينات فنية جعلت سفنهم أخف وزناً وأسرع حركة، على أيّ حال استمرت حركة السفن التجارية في البحر المتوسط ولم تكن لسيطرة العرب المسلمين على هذا البحر آثار اقتصادية ضارة بالأقاليم البيزنطية وليس ثمة دليل على محاولة العرب المسلمين عرقلة التجارة الذاهبة إلى الإمبراطورية البيزنطية أو الخارجة منها[٣]. في حين نسب بعض المؤرخين تدهور الأحوال التجارية في حوض البحر المتوسط الغربي وعجز دوله عن استيراد المتاجر الشرقية

=**ليونتيوس:** المعلومات عنه قليلة جداً فقد ولد في إيسوريا، كان ستراتيجوس لثيم هيلاس عندما نودى به إمبراطوراً بدلاً من جستنيان الثاني بعد ثورة عارمة قامت ضده بسبب أعماله وتكبره وتسلطه على الناس سنة 76هـ/695م، لم يدم حكمه طويلاً حيث استطاع جستنيان الثاني العودة لعرشه سنة 79هـ/698م. نيكول. (2003م)، ص:107.

[١]- الخربوطلي. (1970م)، ص: 29-30.

[٢]- لويس. (د.ت)، ص:127.

[٣]- فرج. (1988م)، ص:24.

إلى ظهور الإسلام. وكأن غارات العرب المسلمين البحرية على جزر غرب البحر المتوسط وشمال إفريقية والأندلس كالشبح المخيف الذي أنزل الرعب في قلوب دول أوربا الغربية وصرفها عن أمورها التجارية، إلا أن الإسلام لم يكن هو السببَ في اضمحلال التجارة في غرب البحر المتوسط، وإنما فتوحات العرب المسلمين في هذه المنطقة صادفت اضطراب أحوال الممالك المطلة على حوض البحر المتوسط الغربي وتزعزع كيانها التجاري، نتيجة الحروب الأهلية في غرب أوروبا منذ نهاية القرن السادس الميلادي وحالة القلق التي سادت الدولة الميروفنجية[١] منذ نهاية القرن الأول ومطلع القرن الثاني الهجري/ نهاية القرن السابع الميلادي ومطلع القرن الثامن الميلادي، لذلك فإن ممالك غرب أوروبا اعتمدت على بيزنطة في جلب ما يلزمها من بضائع الشرق، ولاسيَّما جزيرة صقلية التي ظلت تابعة للدولة البيزنطية حتى سنة 212هـ/ 827م، في حركة التبادل التجاري فيما بينهم، مما أدى إلى بقاء القسم الغربي من البحر المتوسط على اتصال غير مباشر بالقسم الشرقي. وبعد سقوط الجزيرة بيد الأغالبة وظهورهم في جنوب إيطاليا لم يكن سبباً في اضمحلال التجارة في غرب أوروبا، بل حاول الأغالبة استمرار نشاط التجارة وجعل الطريق مفتوحاً لاتصال دول غرب أوروبا بحوض البحر المتوسط الشرقي، بدليل أن مدينة باري Barry[٢] عندما سقطت في يد الأغالبة غدت الميناء الرئيسي الذي أبحرت منه السفن إلى مصر وبلاد الشام، تنقل إليها المنتجات الغربية وتعود بالبضائع الشرقية [٣]. أما فيما يتعلق بالقسطنطينية وأقاليم الإمبراطورية التابعة لها في بلاد البلقان والأناضول، لا شك في أن الغارات على الحدود الشرقية للأناضول كانت مدمرة، فضلاً عن الهجمات التي تعرضت لها القسطنطينية وإقليم بحر إيجة. ولكن ليس هناك أيُّ دليل على وجود أزمات اقتصادية حادة أزعجت الدولة، واحتفظت المقاطعات التي أقيم فيها نظام الثيمات بالتجارة مع القسطنطينية وقد أثبت هذا النظام أنه نظام فعال زهيد التكاليف،

---

[١] - **الدولة الميروفنجية:** سميت بذلك نسبة إلى الملك الفرنجي ميروفتش Merovech، وحكمت هذه الدولة حتى عام 134هـ/ 751م، وبعد وفاته سنة 458م، خلفه على العرش ابنه شلديريك الأول سنة 458-481م، ثم كلوفيس clovis 481-511، وفي عهده تحول الملك وشعبه من الوثنية إلى المسيحية الكاثوليكية، وعندما ضعفت قسمت لثلاث ممالك استطاع فيما بعد شارل مارتل أن يوحدها ويحكمها مجتمعة، وقسمها بين أولاده شارلمان وكارلومان. اينهارد. (1989م)، ص:10-11.

[٢] - **باري:** مدينة إيطالية تقع على الساحل الجنوبي الشرقي لإيطاليا مواجهة للبحر الأدرياتيكي، وتتمتع بمكانة تجارية كبيرة، حيث تصدر الفحم والإسمنت وغيرها، احتلها البيزنطيون في عام 875م، واستخدمت كقاعدة عسكرية أثناء استعداداتهم للهجوم على جنوب إيطاليا تحت حكم باسيل الأول.

Kazhdan and other. (1991), V1. P:256; Moore. (1978A.D), P:83.

[٣] - العدوي. (1951م)، ص:124-125.

كما لم تقل قيمة العملة الذهبية التي استخدمتها القسطنطينية ولم يقل وزنها أو عيارها في العصر الوسيط عن العصور السالفة[١].

ثالثاً: السلع المتبادلة بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية.

إن السؤال الأهم بعد سيطرة العرب المسلمين على أهم أقاليم الإمبراطورية البيزنطية التجارية مصر وبلاد الشام وشمال إفريقية، ذات الأهمية الاقتصادية ودورها التجاري بالنسبة للسلع التي تنتجها هذه الأقاليم التي تعدّ عصب الحياة للغرب الأوربي عامةً وبيزنطة خاصة، هل مازال التبادل التجاري قائماً بين الدولتين؟

على الرغم من العداء بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية، وتوسع رقعة الدولة الأموية من المحيط الهندي شرقاً حتى المحيط الأطلنطي والأندلس غرباً، فضلاً عن سيطرتها على الطرق التجارية الرئيسة بين الشرق والبحر المتوسط. إلا أن ذلك لم يمنعِ من التبادل التجاري بين الطرفين في أوقات السلم، فعلاقة بيزنطة التجارية مازالت نشطة مع العرب المسلمين آنذاك، وبقيت البضائع والسلع التجارية التي تحتاجها كلا الدولتين تحصل عليها. فقد أمدّ التجار المسلمون بيزنطة والغرب الأوربي بكل ما تحتاجه، وعلى الأرجح أن هذه البضائع كانت تنقل بحراً من مدينة طرابيزون Trabizon [٢] التي تعدّ أهم مدخل للبضائع الواردة من الأقاليم العربية الإسلامية إلى الإمبراطورية البيزنطية، مروراً بالساحل الجنوبي للبحر الأسود حتى تصل إلى القسطنطينية[٣] وأهم هذه المنتجات:

١ – ورق البردي: لم يمنعِ العداء بين الدولتين التبادل التجاري، فقد حصلت الإمبراطورية البيزنطية على حاجتها من ورق البردي اللازم للدواوين[٤]، التي تعدّ السلعة الوحيدة والأساسية التي لا تصنع إلا في مصر وتصدر إلى

---

[١] – لويس. (د.ت)، ص:128.

[٢] – **طرابيـزون:** تقـع شـمال شـرق آسـيا الصـغرى فـي شـبه جزيـرة الأناضـول، بدايـةً مـن الانحنـاء الـذي يقـع فـي الجـزء الأخيـر مـن البحـر الأسـود فـي الزاويـة الجنوبيـة الشـرقية منـه، وتطـل علـى سـاحل تكثـر فيـه الـتلال ويفصـله عـن بـاقي آسـيا الصـغرى وأرمينيـة سلسـلة مـن الجبـال تعـرف باسـم جبـال بـنطس Ponts، التـي حمـت طرابيـزون علـى مـر تاريخهـا لكونهـا إحـدى مـدن إقلـيم بـنطس، تتميـز سـهول طرابيـزون السـاحلية بكثـرة أمطارهـا، كمـا تعـد مدينـة طرابيـزون مدينـة ضـخمة أعطاهـا ميناؤهـا وضـعاً متميـزاً علـى رأس أفضـل الطـرق مـن البحر الأسود حتى إيران الحالية، مما جعلها من أفضل الموانئ الموجودة في تلك المنطقة. بركات. (1998م)، ص:21–24.

[٣] – فرج. (1988م)، ص:27.

[٤] – الحارثي. (د.ت)، ص: 591.

كل مكان[١]. فعندما كانت مصر تخضع للسيادة البيزنطية فمن المؤكد أنها ستخضع للقيود البيزنطية. لذا فرضت بيزنطة على الكتّاب أو الموثوقين عدم استخدام إلا البردي الملكي، وذلك لمنع التزوير ووضع تحرير الوثائق القانونية تحت راية الدولة. وعلى الرغم من سيطرة العرب المسلمين على صناعة البردي إلا أن العمل به ومستوى الإنتاج بقي كما كان في السالف[٢]. كذلك بقيت العلامات الخاصة التي تشير إلى الثالوث المقدس التي استخدمتها بيزنطة باقية على إنتاج البردي العربي في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي[٣]. ومن الملاحظ أن مصانع البردي البيزنطية في مصر استمرت خاضعة لرقابة الدولة، ولكن لم يؤكد إن بقيت الإمبراطورية البيزنطية تحتكر أفضل أنواع البردي أم قام العرب المسلمون بتعديل هذا التنظيم الإمبراطوري. إلا أنه من المؤكد أن العرب المسلمين قاموا بتحضير مواد الكتابة الديوانية وتحرير الوثائق الخاصة بهم وفقاً لحاجات دولتهم وتنظيمهم الديني. على الرغم من بقاء حليات زخرفية بيزنطية كصور الحيوانات والصليب التي تركت على الأختام والطراز[٤]، وكذلك بقاء اسم الإمبراطور والعبارات الدينية المسيحية حتى حلَّ محلّها اسم الخليفة والعبارات الإسلامية[٥]. فهل استغنت بيزنطة عن البردي عندما وقعت مصر تحت النفوذ العربي الإسلامي؟

لذلك فإن النزاع بين العرب المسلمين والبيزنطيين والتناقض السياسي والديني بينهما، لم يقف عقبة أمام ضرورات الحضارة، فالاحتكاك الحربي لم يمنع مواصلة التفاعل الحضاري والتجاري على وجه التحديد، فمصر تعدّ المنتجة الوحيدة للبردي، وبانتقالها إلى السيادة العربية الإسلامية، كان من المستحيل على بيزنطة في ذلك الوقت أن تستغني عن البردي أداة الكتابة الوحيدة لديها، لهذا استمرت بالحصول عليه، وقام العمال المسيحيون في مصانع البردي بوضع بسملة التثليث بدلاً من اسم الإمبراطور على البردي المصدَّر إلى الإمبراطورية البيزنطية. وكان هذا

---

[١]- محمد. (2010م)، ص:24.

[٢]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:272.

[٣]- لويس. (د.ت)، ص:121.

[٤]- **الطـراز**: شـريط مطـرز بكتابـة علـى نسـيج مـا بخيـوط الـذهب أو الفضـة أو الحريـر، والطـراز كلمـة فارسـية معربـة تعنـي المـدبج ثـم أطلقت علـى الـرداء المحلـى بالمـدبج، بعـد ذلـك أصـبحت تطلـق علـى المصـنع التـي تطـرز فيـه هـذه الأشـرطة وكانـت الـدور المعـدة لنسـج أثـواب الملـوك تسـمى دور الطـراز، والقـائم علـى النظـر فيهـا يسـمى صـاحب الطـراز، ولا يعـرف علـى وجـه التحديـد متـى وأيـن أنشـئت أول دار للطراز. مرزوق. (1942م)، ص:23-30.

[٥]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص: 273.

الإجراء لصالح الإمبراطورية البيزنطية من جهة والدولة العربية الإسلامية من جهة أخرى. فقد حصلت الدولة البيزنطية على حاجتها من ورق البردي اللازم للدواوين. كما أن الأمويين بدورهم قد جنوا أرباحاً طائلة من تصديرهم لها، وحصلوا مقابل ذلك على الذهب من الدولة البيزنطية[١]. وبذلك ضمنوا مصدراً هاماً لحصولهم على الذهب الذي ستتكون منه معظم عملاتهم. حيث يؤكد البلاذري ذلك من خلال قوله: " إن القراطيس كانت تدخل بلاد الروم من أرض مصر، ويأتي العرب من قبل الروم بالدنانير"[٢]. فكان على البلاد التي تحتاج البردي أن تقبله بالشكل الذي تنتجه المصانع العربية الإسلامية، وحتى الأباطرة البيزنطيون اضطروا لمجاراة الوضع لحاجتهم الملحة للبردي وظلت تستخدمه حتى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حين توقفت مصر عن صناعة البردي لحلول الورق محله في البلاد العربية الإسلامية كافة[٣].

وهكذا يُلاحظ أن تجارة البردي التي تدرُّ أرباحاً طائلة للطرفين لم تنقطع لمجرد انتقال السيادة على مصر من بيزنطة إلى الدولة العربية الإسلامية. مما يؤكد أن مصلحة الدولة وتجارتها فوق كل الخلافات والنزاعات السياسية والدينية، هذا كله يؤكد أن البحر المتوسط بقي صلة وصل مهمة للتبادل التجاري حتى بعد أن سيطر العرب المسلمون على معظم شواطئه.

٢- **المنسوجات والأقمشة:** اختصت أهم المنتجات اليدوية بصناعة النسيج، التي اشتهرت بها كل من بلاد الشام ومصر عندما كانت خاضعة للنفوذ البيزنطي، فكان للأباطرة أقمشة ومنسوجات حريرية خاصة بهم وحدهم، وتعدّ من الحقوق الملكية المهمة لهم، فهي تُنسج من حرير أرجواني الصبغة، مشغول بخيوط الذهب. وكانت هذه الأقمشة في مصانع النسيج الحكومية وبأيدي نساجين وصباغين يتبعون نقابات حكومية ولهؤلاء الصناع وحدهم الحق في صنع الأقمشة الإمبراطورية، التي يتصرفُ بها الأباطرة كيفما شاؤوا، والتي أدت إلى نوع من الاحتكار كاحتكار الإمبراطور جستنيان الأول تجارة الحرير بغية الحصول على الأرباح التي تدّرها تلك الأقمشة لتحسين الاقتصاد

---

[١]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص: 274.

[٢]- البلاذري. (1900م)، ص:249.

[٣]- تعلم العرب مع وصولهم إلى سمرقند تقنية صناعة الورق من الكتان القادم من الصين، وقد أقيم أول مصنع للورق من القطن في بغداد عام 178هـ/ 794م، كما انتقلت إلى بلاد الشام التي تحولت في وقت وجيز إلى المصدَّر الرئيسي للورق. بورلو. (2001م)، ص: 105؛ الشاعر. (1991م)، ص:14.

البيزنطي[١]. إلا أن سياسته أدت إلى تضرر مصانع نسيج الحرير غير الحكومية وعلى الأخص في بلاد الشام، وفي نهاية القرن السادس الميلادي خفت حدّة احتكار الحرير إلا أنه بقي إنتاج الأنواع الفاخرة الخاصة من الأقمشة والمنسوجات الحريرية خاضعاً لإشراف أباطرة القسطنطينية ورقابتهم[٢]. كما اشتهرت كل مدينة بمنسوجات خاصة بها فمدينة صور تميزت بالمنسوجات الأرجوانية، ومصر بكتانها وستائرها المخملية، وبلاد الشام والقسطنطينية بالأقمشة الحريرية وصناعتها. فقد كانت بلاد الشام تتميز برخاءٍ اقتصاديٍ عالٍ، وزاد من رخائها إدخال تربية دودة القز المنتجة للحرير وأصبح لديها فائض في إنتاج مادة الحرير الخام فمدّت به مراكز نسيج الحرير المهمة في صور وبيروت وغيرها[٣]. فمن الطبيعي بعد سيطرة العرب المسلمين أن ينتقل احتكار مصانع النسيج في بلاد الشام ومصانع مصر في تنيس ودمياط والإسكندرية من الدولة البيزنطية إلى سيادة الدولة العربية الإسلامية ومن ثم تصدّر منتجاتها لأنحاء العالم كافة، فلم تحرم أحد من منتجاتها ولم تقم باحتكار أفضلها لذا لم تمنع تصدير النسيج والاقمشة الشرقية المصبوغة بالأرجوان الذي تنتجه مصر وبلاد الشام إلى الغرب عامة وإلى القسطنطينية خاصة حتى القرنين الثالث والرابع/التاسع والعاشر الميلادي، إلا أن النسيج المصدر إلى البلاد المسيحية لم توضع عليه إلا بسملة التثليث وذلك قبل إصلاحات عبد الملك بن مروان[٤]. فالحضارة العربية الإسلامية هي حضارة النسيج، وهذه حقيقة مؤكدة ولاسيَّما أن المنتجات التي كانت تصنع منه كثيرة ومتعددة بدأت بالملابس وانتهت بالسجاد، مروراً بالصبغات وما تنتجه أيدي صانعي النسيج من أعمال رائعة[٥]. ولاسيَّما بعد أن أدخلت عليها بعض التعديلات الطفيفة سواءً في النقش انطلاقاً منهم لتغيير بعض العبارات المسيحية واستبدالها بنقوش وكلمات عربية كاسم الخليفة وعبارات دينية[٦]. ولا شك أن بيزنطة بعد هذه التغييرات فقدت مصانع كانت تدّر أرباحاً طائلة وتزيد من رخائها الاقتصادي، إلا أنها احتفظت بمصانعها التي تنتج الحرير الأرجواني في القسطنطينية.

١- Liu. (2010 A.D), P:74.

٢- لويس. (د.ت)، ص:55-56.

٣- فرج، ويوسف. (1981م)، ص: 277؛ Runciman. (1961 A.D), P:171.

٤- فرج، ويوسف. (1981م)، ص: 277؛ لويس. (د.ت)، ص: 126-127؛

Liu. (2010 A.D), P:93.

٥- بورلو. (2001م)، ص:103.

٦- الحارثي. (د.ت)، ص: 593.

كما تحكمت بيزنطة بنسبة كبيرة فيما تصدره للغرب الأوربي من منسوجات وأقمشة وكانت تقتصر على الهدايا إلى الحكام الأجانب في الغرب والكنائس والمؤسسات الدينية، مما أدى إلى قيام ظاهرة التهريب رغم الرقابة الصارمة، لأنه مهما نشط المراقبون أو ازداد عددهم فإنهم لا يستطيعون أن يروا كل شيء، وغالباً ما كانوا يقبلون الرشوة[١]. حيث فرضت بعض القيود على أنواع الأقمشة المختلفة حسب صباغتها وأحجامها، حيث يمكن تصدير بعض أنواع هذه الأقمشة دون قيود بينما حرم تصدير البعض الآخر، والبعض الآخر يمكن شراءه ولكن بكميات محدودة، في حين تمتع رعايا الإمبراطور بتسهيلات خاصة بواسطة معاهدات، إلا أنه لم يسمح لأحد بتصدير كميات كبيرة. لذا استمر احتكار بيزنطة لإنتاج المنسوجات بأنواعها المختلفة وتجارتها، وإشرافها المستمر على الأسواق بعد سيطرة العرب المسلمين على مصر وبلاد الشام من يدها حتى عهد عبد الملك بن مروان الذي طبق نظام الاحتكار فاحتكر مصانع النسيج، وسمح في تصدير منتجاتها بعد أن أدخلت عليها تعديلات بسيطة في النقش وذلك بتغيير بعض العبارات المسيحية وتغييرها بعبارات عربية إلا أن القيود التي فرضوها لم تكن صارمة كما كانت تفرضها الإمبراطورية البيزنطية. وهذا يفسر السبب في أن كثيراً من الشخصيات في أوروبا الغربية ومنهم رجال الدين تزينوا في مناسبات عديدة بثياب رسمية فاخرة نقش على طرازها عبارات الحمد لله التي كانت كلماتها غير مفهومة لمعظم من ارتداها[٢]. ويلاحظ أن الأقمشة والمنسوجات ظلت طوال القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، حتى بعد سيطرة العرب المسلمين على مصانع النسيج تصدر للخارج وإلى الإمبراطورية البيزنطية، وأن أي اضطراب في تصدير الأقمشة الشرقية نشأ غالباً من اضطراب في إشراف الدولة أو في نظام المخالفات مع الحكومتين البيزنطية والعربية الإسلامية. أما بالنسبة للغرب الأوربي فلم يؤد ظهور الدولة العربية الإسلامية إلى نقص في الإمدادات، بل على العكس إن ظهورها قلل من مصاعب الحصول على الأقمشة، لأن قيود احتكار الدولة العربية الإسلامية التي وضعتها أخف شدة بكثير من القيود التي وضعتها الإمبراطورية البيزنطية. كما أن حاجتها للأقمشة والمنسوجات الشرقية لم يكن بأهمية حاجتها للبردي، وذلك بسبب وجود مصانع للأقمشة في

---

[١]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص: 280.

[٢]- لويس. (د.ت)، ص: 126.

القسطنطينية. أما البردي فكانت مصر مصدر إنتاجه الوحيد، وهذا يؤكد مرة أخرى أن الاحتكاك الحربي لا يمنع أبداً استمرار التفاعل الحضاري وحركة التجارة التي تعدّ أساس أي دولة[١].

٣- التوابل والبخور: كانت التوابل والبخور إحدى السلع التي تحكّم بها التجار الشرقيون في مصر وبلاد الشام، خلال سيطرة الإمبراطورية البيزنطية، فقد كانت التوابل تأتي من الهند، لهذا كان الفرس يجنون أرباحاً طائلة نظير مرور تلك التجارة عبر أراضيهم إلى أيدي التجار المشارقة[٢]. حاولت الإمبراطورية البيزنطية أن تبعد مرور التجارة عن بلاد فارس وتنافسها اقتصادياً وتحرمها من الأرباح التي كانت تحصل عليها من تجارة التوابل والحرير، وذلك عن طريق إيجاد طرقٍ تجاريةٍ شماليةٍ بعيداً عنها، إلا أنها لم تنجح تماماً واستمر اعتمادها على الفرس كوسيط تجاري في هذه السلعة[٣]. حنى سيطر العرب المسلمون على أهم المناطق التجارية وأطلوا على البحر المتوسط، وألغَوا القيود على التجارة بين بلاد الشام والعراق وفارس. فقيام الدولة العربية الإسلامية بدور الوسيط في تجارة التوابل والبخور أدت إلى تحسين مستوى الحياة في كل أقاليمها من الجوانب كافة، فقد ازداد الطلب على التوابل في بعض أجزاء الخلافة التي لم تكن تباع فيها التوابل قبل سيطرة العرب المسلمين، كما أن غلاء هذه السلعة جعلت تجارتها والطلب عليها قليل في العصور الوسطى حتى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. وأكد التجار العرب المسلمون في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي أن منتجات الصين كانت غالية ونادرة حتى في قلب الخلافة. ومن المحتمل أن التوابل كانت تباع كلها تقريباً في أراضي الدولة العربية الإسلامية وبالأخص بغداد قبل وصولها إلى أوروبا. وبناءً عليه أدى ذلك إلى إنقاص كمية التوابل التي تصل إلى الغرب[٤]. فهل بقيت بيزنطة تنتظر تجارتها مع العرب المسلمين حتى تحصل على كميات قليلة من التوابل؟ أم حاولت إيجاد طريق جديد تحصل من خلاله على كميات أكبر منه؟ بالتأكيد لم تقف بيزنطة موقف المتفرج بل وجدت طريقاً تجارياً جديداً استطاعت من خلاله الحصول على منتجات الهند ولاسيَّما التوابل المهمة بالنسبة لهم. ومن ثم قامت بنقله إلى الغرب الأوربي

---

[١]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص: 281.

[٢]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:282.

[٣]- لويس. (د.ت)، ص: 51-53.

[٤]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص: 283- 286.

عن طريق تحالفها مع الخزر والصين[١] وتجار المدن الإيطالية، كالبنادقة الذين جمعوا ثروة عظيمة ليس وحدها فحسب وإنما لجميع الموانئ الكبرى في غرب البحر المتوسط[٢]. فكان استهلاك التوابل كبيراً جداً لدى البيزنطيين خاصة على موائد الطعام، وكذلك استهلاكهم للبخور الذي يقومون بحرقه كل يوم في كنائسهم[٣].

وهكذا يُلاحظ أن البردي والمنسوجات والتوابل لم تكن هي السلع الوحيدة التي حملتها التجارة عبر البحر المتوسط، ولكنها كانت أهمها، فلما كانت بيزنطة تسيطر على المشرق الإسلامي وتتحكم بتجارة البحر المتوسط حتى القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، كان البيزنطيون أنفسهم يشرفون وينقلون تجارة المشرق الإسلامي إلى الغرب الأوربي عن طريق بلاد فارس، وكان لذلك أثره من خلال تمتع بيزنطة برخاء اقتصادي نقدي. ثم انتقل هذا الرخاء تدريجياً إلى الدولة العربية الإسلامية بعد سيطرتها على أهم أقاليم آسيا الصغرى وتجارتها، وهكذا يُلاحظ أنه وبالرغم من العداء والحروب المستمرة بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية إلا أن حركة التجارة استمرت وسارت في مسالكها القديمة دون قيود لمدة ما يقارب نصف قرن.

رابعاً: تعريب النقود وأثره في النزاع بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية.

١- المسوغات التي دفعت الخليفة عبد الملك بن مروان لتعريب النقود.

كان بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الساسانية معاهدة لاسيَّما فيما يتعلق بالعملة تنص على أن يضرب الساسانيون نقوداً من الفضة فقط وألا يتعاملوا بأي عملة ذهبية سوى العملة البيزنطية، ولهذا كانت عملة بلاد فارس من الفضة الذي جرى تداولها في العراق والمشرق، بينما شاع استخدام العملة الذهبية في البلاد العربية الإسلامية التي كانت تابعة من قبل للإمبراطورية البيزنطية[٤]. فالأنظمة النقدية هي دون شك أدق المعلومات المسجلة التي يمكن أن يكشف بها المؤرخ عن الحركات العميقة في الاقتصاد، كما أنها أهم مؤشر يدل على الاستقرار الاقتصادي

---

[١]- محمد. (2010م)، ص: 25.

[٢]- Birenne. (1937 A.D), P:141.

[٣]- Finlay. (1877 A.D), V1. P: 420.

[٤]- متز. (2008م)، ج:2. ص: 316.

لأي دولة، فقد ورثت الإمبراطورية البيزنطية عن الإمبراطورية الرومانية اقتصادها النقدي، الذي كان ينافس النظم النقدية المعمول بها في أيّ دولة من دول العالم الشرقية والغربية آنذاك[١]. فالنقود استخدمت كمقياس للقيمة ووسيلة للشراء وما ينطبق على المدفوعات الصغيرة ينطبق على المدفوعات الكبيرة، حيث لها أهمية كبيرة في العلاقات الاقتصادية بين أي دولة وأخرى وتداولها في المعاملات التجارية، فقد كان الذهب في العصور الوسطى ولاسيَّما السوليدس البيزنطي الذهبي Solidus[٢]، هو الأداة الوحيدة للتعامل الاقتصادي والتبادل التجاري، كما يعدّ رمزاً للوحدة الاقتصادية لحوض لبحر المتوسط[٣]. وفي مطلع القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي كان الغرب الأوربي يفتقر إلى الذهب الذي تركز في المدن التجارية الواقعة شرق البحر المتوسط، ويعود السبب إلى أن التجارة لم تكن سوى تجارة استيراد حيث يجلب أهالي بلاد الشام السلع الشرقية ويأخذون الذهب مقابلها، ولم يكن لدى الغرب ما يقدمه من سلع ثمينة سوى الذهب واستمرت بيزنطة في التعامل بالذهب الذي كان أكثر شيوعاً فيها من الفضة، ولم ينقطع ضرب عملتها الذهبية. ولكن رغم الصعوبات تلك من أين استمدت بيزنطة هذا المعدن الهام وكل هذه العملات؟ كانت بيزنطة تختزن كميات كبيرة من الذهب، فضلاً عن الذهب الذي ترسله بعض البلاد المجاورة كجزية سنوية، واختزنت الولايات الشرقية في الإمبراطورية المعادن النفيسة كالذهب واللؤلؤ والأحجار الكريمة في الحقبة التي ازدهرت فيها التجارة الشامية والمصرية الكبرى، حيث كان الذهب البيزنطي يتم تبادله بكميات ضخمة في أسواق الشرق للحصول على السلع الآسيوية الثمينة، لذا احتفظت مصر وبلاد الشام بنصيب كبير من الذهب. ومن مصادر الذهب البيزنطي أيضاً ذهب أرمينية والقوقاز الذي يصل القسطنطينية عن طريق طرابيزون[٤]. فقد أطلق على بيزنطة مملكة الذهب الحقيقية، لكثرة المناجم والعملات الذهبية، ولأن الميزان التجاري مع الغرب كان دائماً لصالحها، لذا اختزنت ولاياتها الشرقية كميات كبيرة من الذهب وأصبحت في يد العرب المسلمين بعد سيطرتهم

---

[١]- صبره. (1982م)، ص:154.

[٢]- **السوليدس:** في البداية كانت اسم عملة دقلديانوس الذهبية ثم انتشرت بعد ذلك لتصبح في عهد قسطنطين وخلفائه العملة الذهبية القياسية للإمبراطورية وتزن ما يقارب بين 20-29 قيراطاً.

Kazhdan and other. (1991), V3. P:1924

[٣]- Birenne. (1937A.D), P: 2.

[٤]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:294-296؛ Diehl. (1957A.D), P: 86

عليها[١]. فحين اختل التوازن بين الوارد والصادر من الذهب في بيزنطة انعكس ذلك على تناقص كمية النقود المستخدمة وتدهور التجارة، كما قلّت الصادرات إلى الغرب الأوربي لانعدام الكميات الكافية من النقود لديها، مما أدى إلى اضمحلال تجارة بلاد الشام، وقلة الواردات من الشرق الساساني لانعدام النقود الكافية من بيزنطة، لذا فقدت العملة الذهبية البيزنطية المعروفة بالنوميسما Nomisma[٢] قوتها مما أدى إلى تخلي بيزنطة عن المراكز التجارية في المحيط الهندي وأقاليمها حول البحر الأسود وبحر قزوين، واقتصرت التجارة البيزنطية وعملتها الذهبية على الحوض الشرقي للبحر المتوسط التي شملت الإسكندرية وأنطاكية والقسطنطينية، وكانت كمية الذهب المختزنة في بلاد الشام ومصر أكثر بكثير منها في بيزنطة نتيجة الكنائس الغنية الموجودة فيها ومصنوعات الترف التي تنتجها، فضلاً عن طبقة التجار فيها وموانئها وبحريتها النشطة، كما أن اختلال توازن توزيع الذهب وكثافته أيضاً أثر على التجارة البيزنطية بشكل كبير[٣].

وحين نجح العرب المسلمون في القضاء على الدولة الساسانية والسيطرة على فارس وبلاد الشام ومصر وكنوزها، لكنها لم تستطع القضاء على الإمبراطورية البيزنطية، لذا يُلاحظ أن استمرار النزاع بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة العربية الإسلامية لم يمنع من إقامة علاقات حضارية بين الدولتين[٤]. إلا أن قلة المعلومات والتفاصيل المتعلقة بالعلاقات التجارية بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية، قد يؤدي إلى الظن بأن دخول العرب المسلمين لمصر وبلاد الشام كان عاملاً في توقف العلاقات التجارية بين العرب والبيزنطيين، إلا أن هذه السيطرة في الحقيقة لم تؤدِ إلى تغييرات اقتصادية حاسمة، بل استمر التبادل التجاري بينهما كما سيوضح في الصفحات اللاحقة. فما موقف العرب المسلمين من العملة الذهبية التي حصلوا عليها نتيجة فتوحاتهم؟

١- هايد. (1985م)، ص:34-37.

٢- **النوميسما:** تعني عملة بشكل عام ولكنها تستخدم بشكل خاص للعملة الذهبية البيزنطية، والتي شكلت أساس العملة الرومانية المتأخرة، وهي مطابقة للعملة التي تسمى باللاتينية Solidus. وتساوي واحد على اثنين وسبعين من الرطل من الذهب، وهي تعادل 14.40% من الفرنكات الذهبية، وكانت النوميسما تنقسم إلى 12 ميلياريسيا miliaressia، وكل واحدة من هذه تنقسم بدورها إلى 12 فلساً Phoiles.

Kazhdan and other. (1991), V3. P:149; Runciman. (1961), P:177.

٣- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:298-299.

٤- خماش. (1984م)، ص: 133.

فقد تركت الدولة العربية الإسلامية في الأقاليم المفتوحة ممارسة الحياة الاقتصادية والتجارة البحرية في بلاد الشام ومصر لأهلها المتمرسين فيها[١]، كما اعتمد معاوية ويزيد على الوزراء والموظفين المسيحيين، وبقيت اللغة اليونانية هي اللغة المستخدمة في سجلات الدولة[٢]، واحتفظت أوراق البردي التي كان يصنعها الأقباط في مصر بالشارات والتعابير المسيحية التي كانت مستخدمة في العصر البيزنطي، وانتقلت دور الطراز في تنيس ودمياط التي كانت تحتكرها الدولة البيزنطية إلى أيدي العرب المسلمين[٣]. إذ أبقت الدولة العربية الإسلامية على الأوضاع الراهنة للبلاد المفتوحة وأساليب إدارة الحكم البيزنطية مدة خمسين عاماً، وبقيت حركة التجارة تسير كما كانت قبيل سيطرة العرب المسلمين، وظلت السلع الرئيسة تنقل من منطقة المشرق الإسلامي عبر البحر المتوسط ولاسيَّما البردي والمنسوجات والتوابل، كما بقيت العملة الذهبية البيزنطية أداة التبادل الوحيدة في حوض البحر المتوسط[٤]، يضاف إليها العملات الفارسية والعملات المضروبة محلياً في دور السكة الخاصة في مصر وبلاد الشام تقليداً للعملات البيزنطية والفارسية [٥]، وهكذا استمرت دور الضرب في سك العملة الذهبية البيزنطية التي بقيت النقد الأساسي المتداول في مصر وبلاد الشام دون منازع حتى عام 73هـ/692م، فقد كان خلفاء الدولة الأموية يدفعون منها جزية سنوية للإمبراطورية[٦]. وهذا يدل على استمرار العملة البيزنطية وأهميتها بالرغم من التغييرات السكانية في منطقة الساحل الشامي والحروب المتكررة مع الدولة البيزنطية، وأن سيطرة العرب المسلمين على مناطق عدّةٍ لم يؤدِ إلى تغييرات اقتصادية حاسمة في تجارة عالم البحر المتوسط.

أما عن الميزان التجاري بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية فإنه كان لصالح الدولة الأموية، لأن الشرق العربي الإسلامي كان يعيد تصدير السلع الآسيوية التي استحوذ عليها، ولذلك جمعت نتيجة تصديره لهذه السلع كميات كبيرة من الذهب، لاسيَّما أن بيزنطة كانت تعتمد اعتماداً كلياً على الدولة الأموية. فعلى الرغم من

---

[١]- العدوي. (1951م)، ص: 112.

[٢]- Finlay. (1877 A.D), V1. P: 420.

[٣]- لويس. (د.ت)، ص:121.

[٤]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:301؛ لويس. (د.ت)، ص:121.

[٥]- محمد. (2010م)، ص: 25.

[٦]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:300؛ لويس. (د.ت)، ص:121.

الحروب المستمرة بين الطرفين في آسيا الصغرى وشرق البحر المتوسط إلا أن حركة التجارة بقيت مستمرة حتى عام 73هـ/692م[١]، إلا أن عدم حدوث أي تغيير في الأوضاع الاقتصادية لشرق البحر المتوسط بعد ظهور العرب المسلمين في العقود الأولى من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي وحتى نهايته، دليلٌ كافٍ ليؤكد أن السمات الحضارية لا يمكن أن تتغير في يوم وليلة، وأن العاداتِ والتقاليدَ التي استخدمت ودرجت لقرون طويلة تحتاج لسنين حتى يتم تغييرها[٢]. وكما سلف فإنه مع بداية ظهور العرب المسلمين تميزت التجارة بأنها حرّة وغير مقيدة في البحر المتوسط، إلا أن ذلك الوضع لم يستمر طيلة مدّة النزاع بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية فقد تخللها عامل اقتصادي، ليبدأ عالم البحر المتوسط بحرب بحرية اقتصادية مريرة. فمن البادئ بشن هذه الحرب؟ البيزنطيون الذين لا مصلحة لهم في شن أي حرب اقتصادية لحاجتهم الكبيرة لمنتجات الشرق، والتي كانت تجري أمور التجارة وفقاً لما تريد وبعملتها؟ أم الأمويون الذي يجنون أرباحاً طائلة وكميات من الذهب وافرة جراء تصديرهم للمنتجات الثمينة التي تحتاجها القسطنطينية؟ أم أنهم هدفوا إلى رفع الأسعار أو الاستقلال عن بيزنطة أو إصدار عملة خاصة بهم تدل على استقلالهم السياسي والاقتصادي واستمرار العلاقات التجارية؟

ويتضح أن الدولة الأموية هي التي بدأت بإشعال الحرب الاقتصادية في عهد عبد الملك بن مروان، الذي سكّ الدنانير الذهبية والدراهم الفضية العربية الإسلامية سنة 74هـ/693م، وقبل الخوض في تفاصيل الحرب الاقتصادية، لا بد من التعرف على الأسباب والخطوات التي قام بها عبد الملك بن مروان قبل أن يتمكن من تعريب النقود بشكلها النهائي. فقد كان عبد الملك شخصية ذات حنكة وبعد سياسي ويرتكز على أسس اقتصادية وسياسية متينة، فهو لم يبدأ سياسته الاقتصادية المستقلة بضرب الدنانير الذهبية دفعة واحدة، بل ابتدأ سياسة الضغط الاقتصادي بأن أمر بإزالة الثالوث المسيحي من على طراز البردي وأحلَّ محلها نصاً عربياً وأرسلها كجزية إلى الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني[٣]. وعلى الأرجح أن عبد الملك بدأ بذلك ليرى ردة فعل الإمبراطور البيزنطي حول تبديل العبارات المسيحية بعبارات عربية إسلامية. وعندما وصلت النقود للإمبراطور جستنيان الثاني لم يرغب

---

[١]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:301؛ محمد. (2010م)، ص: 26.

[٢]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:302.

[٣]- الخربوطلي. (1970م)، ص: 30.

في نقض معاهدة سنة 67-68هـ/686-687م، لما فيها من مكاسب رابحة له، وحاول أن يقنع عبد الملك بالتراجع عن هذه الإجراءات من خلال تقديم الهدايا الثمينة، لكنه لم يلقَ إلا الرفض، فما كان من جستنيان إلا أن هدده بوضع نقش مهين للإسلام على عملته الذهبية ظناً منه أن العرب المسلمين لن يستطيعوا استخدامها[١]. وكرد فعل قام عبد الملك بسكّ دنانير ذهبية عربية إسلامية سنة 74هـ/693م، وأرسل هذه العملة العربية الإسلامية الجديدة ضمن الجزية السنوية المتفق عليها، ولم يكتفِ بذلك بل حرّم تصدير البردي والأقمشة الجاهزة المعدّة إلى الإمبراطورية البيزنطية[٢].

فما المسوغات والدوافع التي دفعت عبد الملك بن مروان والتي لم يجرؤ أحد من أسلافه على القيام بذلك أو إذا صح التعبير لم تسنح الفرصة لهم بالقيام بإصدار عملة عربية إسلامية بعد أن جرى التداول بالعملة البيزنطية؟ أكان يريد أن يشن حرباً اقتصادية على بيزنطة وهو رجل الدولة والإدارة المحنك والذي يعرف علم المعرفة أنه لا طاقة له بشن حرب اقتصادية دفعة واحدة على بيزنطة؟ أم أنه أراد بعد توطيد حكمه ودولته أن يعلن استقلاله التام اقتصادياً عن بيزنطة وذلك من خلال التوقف عن استخدام عملتها والتعامل بعملة عربية إسلامية خاصة بها تدل على هيبة الدولة العربية الإسلامية؟

رأى عبد الملك بن مروان أن ضرب العملات العربية الإسلامية ضرورة اقتضتها الظروف لتدعيم البناء الاقتصادي والسياسي للدولة العربية الإسلامية، وكما أنه سعى جاهداً إلى توحيد النظام النقدي في سائر أنحاء دولته لاسيَّما بعد أن تعددت العملات ولتحقيق هذا الاستقلال الاقتصادي للدولة العربية الإسلامية أنشأ عبد الملك ابن مروان داراً لضرب السكة[٣]. إلا أن هناك العديد من الروايات العربية والإشكاليات بين المؤرخين حول المسوغات التي دفعت عبد الملك بن مروان لتعريب النقود، وترك التعامل بالعملة البيزنطية بعد أن تمّ تداولها مدّة طويلة من الزمن. فابن خلدون يرى أن سبب تعريب النقود يعود إلى "تفاحش الغش في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة عن ذلك،

---

[١]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:309.

[٢]- لويس. (د.ت)، ص: 135.

[٣]- سالم. (د.ت)، ص:414.

وأمر عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفي[١] بضرب الدراهم وتمييز المغشوش من الخالص وذلك سنة أربع وسبعون"[٢]. بينما يذكر السيوطي أن السبب الذي دفع عبد الملك لتعريب النقود أنه أول من كتب لإمبراطور بيزنطة في الصحف[٣] عبارة {قل هو الله أحد}[٤]، وذكر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام مع التاريخ، فرّد عليه إمبراطور بيزنطة أنهم كتبوا في صحفهم شيئاً من ذكر النبي ﷺ فيجب أن يتراجعوا عن ذلك وإلا سيأمر الإمبراطور بذكر شيء في صحفهم لا يعجبهم[٥]. فشاور عبد الملك خاصتهُ في الأمر فأشاروا عليه بأن يأمر بعدم التعامل بالدنانير البيزنطية، وأن يشرعَ في ضرب دنانير خاصة بالدولة العربية الإسلامية، وأن الذي يقدس الله في الدرهم يمنحه طول العمر فعزم على وضع السكة العربية الإسلامية فضرب الدنانير سنة 75هـ/694م[٦]. في حين يعلل آخر سبب تعريب النقود بأن القراطيس –ورق الكتابة– كانت تدخل بلاد بيزنطة من أرض مصر، وكان أكثر سكان مصر لا يزالون على دين المسيحية أي دين إمبراطور بيزنطة. فقد كانت تطرز القراطيس بالمسيحية، وكان طرازها باسم الآب، الأبن، الروح القدس فلم يزل كذلك حتى صدر الإسلام، إلا أن الخليفة عبد الملك تنبّه لذلك الأمر عندما مرَّ به قرطاس فنظر إلى طرازه فأمر أن يترجم للعربية فتمَّ له ذلك، فأنكره وقال: ما أصعب أن يكون هذا طراز القراطيس في الدولة العربية الإسلامية، وتدور في البلاد وقد طرزت بشرك مثبت عليها، لذا أمر عامله على مصر عبد العزيز بن مروان بإيقاف ذلك الطراز، وأن يقوم صناع القراطيس بتطريز عبارة التوحيد[٧]، {شهد الله أنه لا إله إلا هو}[٨]. ومن المسوغات الأخرى التي دفعت عبد الملك لتعريب النقود رغبته في صبغ الدولة بصبغة عربية إسلامية نتيجة لسياسة رسمها بدقة ومهارة وقام بتنفيذها في جميع الميادين الإدارية والاقتصادية، لذا كان

---

[١]- **الحجاج بن يوسف الثقفي:** قائد عربي محنك ولد ونشأ في الطائف سنة 40هـ/660م، انتقل إلى الشام ليكون في خدمة الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أمره بملاحقة عبد الله بن الزبير واستطاع النيل منه، ثم ولاه مكة والمدينة والطائف ثم أضاف إليها العراق والثورات والفتن قائمة فيها إلا أن الحجاج استطاع أن يخضعها له عشرين سنة، بنى مدينة واسط ومات فيها سنة 95هـ/713م. الزركلي. (2002م)، ج:2. ص:168.

[٢]– (2001م)، ج:1. ص:323.

[٣]– الريس. (1985م)، ص:206.

[٤]– **سورة الإخلاص**: الآية. 1.

[٥]– (1967م)، ص: 203.

[٦]– المقريزي. (1967م)، ص: 11؛ السيوطي. (1967م)، ص: 203. في حين يذكر ابن تغري بردي أن عبد الملك ضربها سنة 76هـ/695م. (1963م)، ج:1. ص:176.

[٧]– البيهقي. (2010م)، ص:428–429.

[٨]– **سورة آل عمران**. الآية. 18.

تعريب النقود جزءاً من سياسته والتي استهدفت تعريب مؤسسات الدولة كافة[١]. وفضلاً عن ذلك إن تحويل عبارات النقود من المسيحية إلى التوحيد والبسملة ونقش اسم الخليفة أو الأمير الحاكم والمكان الذي سكّت فيه، كل ذلك يعبر عن الرغبة في إنهاء التبعية الاقتصادية للإمبراطورية البيزنطية التي كانت دنانيرها الذهبية تسيطر على الجانب النقدي من اقتصاد الدولة[٢]، وتحررها من أي نفوذ أجنبي آخر[٣]، والتأكيد على استقلالها الاقتصادي[٤]. إلا أن ما قد يثير الانتباه بأن التعامل بالنقود الأجنبية كان منذ زمن الرسول ﷺ وعليها عبارة التثليث، فلماذا لم يكن في ذلك الوقت أي معارضة على العبارة أو تحريم استخدامها؟ فهل لعدم معرفة العرب المسلمين آنذاك بترجمة ما هو مكتوب على الطراز وهذا تساؤل مستبعد لأنه كان هناك مراسلات بين الرسول ﷺ يدعو ملوك الفرس وغيرهم إلى الإسلام، أو لعدم قدرتهم على صك عملة خاصة بهم وعدم معرفتهم بطرق سكها، وعلى الأرجح أنهم لم يعيروا عبارة التثليث هذا الاهتمام الكبير، وعدّوها مجرد نقود لشراء وتبادل حاجاتهم فقط ولم ينظروا إليها من منظور ديني[٥]. وفضلاً عمّا سبق فإن شيوع الغش والزيف واختلاف الأوزان والقيم في العملات الفارسية والبيزنطية وهبوط قيمة العملة وارتفاع أسعار الحاجات وزوال الثقة المالية ومن أهمها الغبن الذي يقع على الدولة في استيفاء حقوقها من الضرائب فيؤدي إلى نقص كمية الخراج. ويمكن القول في ذلك أن سوء الحالة الاقتصادية كان مسوغاً من المسوغات المهمة التي دفعت عبد الملك بن مروان إلى تعريب النقود والإشراف على ضربها وإنهاء المفاسد الاقتصادية وضمان سلامة النقود من محاولات الغش والزيف[٦]. وفوق كل ذلك، كانت الخلافات وتأزم الأوضاع

---

[١]- كاشف. (1967م)، ص: 91.

[٢]- الصلابي. (2008م)، ج:1. ص:694.

[٣]- سالم. (د.ت)، ص: 414.

[٤]- فوزي. (2010م)، ص:346.

[٥]- تعليقاً بعدم كراهية الإسلام لهذه النقود والتعامل بها، يُضاف على الأرجح بأن انشغال المسلمين في توحيد الجزيرة العربية والسيطرة والسيطرة العربية الإسلامية، ونشر الدين الجديد آنذاك اضطرهم إلى التعامل بالنقود البيزنطية والفارسية والحميرية حتى، ولا يعني تعامل الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده بهذه النقود قبولاً وإحقاقاً لما جاء فيها من صور وعبارات، لأن الاختلاف كبير وواضح بين المسيحية والإسلام، ولاسيَّما فيما يتعلق بالتثليث والتوحيد ولو افتُرض أنهم أقروا ما فيها لكان ذلك مخالفاً للدين الإسلامي. كما أن الواقع الاقتصادي والسياسي والديني في ذلك الوقت هي التي دفعت الرسول ﷺ واضطرته للتعامل وتداول مثل هذه النقود، علماً أن الصور والأيقونات والتماثيل والأصنام كلها كانت محرمة، لذا أمر الرسول ﷺ يوم الفتح في حرق ما وجد منها في الكعبة. لأنه كان حريصاً على العرب المسلمين من العودة إلى الوثنية ومظاهرها لذلك قام بمحاربة الأصنام والصور والأيقونات التي تعدّ من الوجهة الشرعية أصناماً سواءً كانت حفراً أم رسماً. الأزرقي. (2003م)، ص:192-193؛ حلاق. (1988م)، ص: 57.

[٦]- الماوردي. (1989م)، ص:197؛ حلاق. (1988م)، ص: 46؛ الريس. (1985م)، 208.

مع الإمبراطورية البيزنطية، وما أدت إليه من انقطاع التجارة وقلة النقد مسوغاً قوياً دفع عبد الملك إلى الشروع في إنشاء دار للضرب وإصدار عملة خاصة بالدولة العربية الإسلامية، تحقق لها استقلالها الاقتصادي[١]. كما أن توفر كميات من الذهب والفضة لدى العرب المسلمين في البلاد المفتوحة جعلت الخليفة يقدم على إصدار النقود العربية الإسلامية مستنداً على قاعدة هذا المخزون الكبير من المعادن في إصداره للنقد العربي الإسلامي الجديد[٢].

٢- مراحل تعريب النقود:

تختلف المصادر التي عالجت موضوع السَّنة التي بدأ فيها عبد الملك بن مروان الإصلاح النقدي وخلو النقود من الشارات المسيحية، فيذكر كل من البلاذري والماوردي وابن خلدون أن الإصلاح النقدي بدأ سنة 74هـ/693[٣]. وذلك لظهور دينار مؤرخ لسنة ذاتها ومنقوش عليه صورة لعبد الملك محفوظ في جمعية النميات الأمريكية في نيويورك[٤]. وهذا يدل على أن بداية الإصلاح النقدي تمَّ قبل سنة 74هـ/693م، بدليل أن عبد الملك لم ينقش صورته في أولى مراحل الإصلاح وإنما تدرج في تعريب النقود حتى نقشها في المراحل التالية، فقد يكون بداية تطور النقود سنة 73هـ/692م، وهو تاريخ نقض المعاهدة البيزنطية التي عُقدت بين عبد الملك بن مروان وجستنيان الثاني سنة 67هـ/686م[٥]. وقد يكون الإصلاح قبل سنة 73هـ/692م، بدليل أن مصعب بن الزبير وأخاه ضربا الدراهم سنة 70هـ/689م، تعبيراً عن استقلالهم عن مركز الخلافة[٦]. إذاً مما سبق يُلاحظ أن الإصلاح

١- الريس. (1985م)، ص:207.

٢- الصلابي. (2008م)، ج:1. ص: 695.

٣- (1990م)، ص: 512؛ (1989م)، ص:197؛ (2001م)، ج:1. ص: 323. أما المقريزي فيذكر أنه لما تمكّن عبد الملك من توطيد حكمه والقضاء على معارضيه، ضرب الدنانير والدراهم سنة 76هـ/695م. (1967م)، ص: 10؛ في حين يذكر السيوطي، أن الإصلاح النقدي الذي قام به عبد الملك بن مروان كان أواخر سنة 75هـ/694م، ثم أمر بضربها في جميع النواحي سنة 76هـ/695م. (1967م)، ص: 203.

وكما أشار كل من الطبري وابن الأثير وابن تغري بردي، أنه في سنة 76هـ/695م، أمر عبد الملك بنقش الدنانير والدراهم وهو أول من أحدث ضربها في الإسلام. (1964م)، ج:6. ص:256؛ (د.ت)، ج:4. ص:615؛ (1963م)، ج:1. ص:176.

٤- الحسيني. (1969م)، ص: 27.

٥- الحسيني. (1969م)، ص: 31-32؛ حلاق. (1988م)، ص: 61-62؛ فهمي. (1964م)، ص: 42.

٦- حلاق. (1988م)، ص: 51-52.

النقدي في عهد عبد الملك بن مروان مرَّ بمراحل عديدة حتى وصل إلى ما وصل في مرحلته الأخيرة من عملة عربية إسلامية خالصة.

أ- تعريب الدنانير الذهبية:

بقيت الدنانير الذهبية البيزنطية العملة المتداولة دون تغيير طوال حقبة الخلفاء الراشدين وقرابة ربع قرن من الدولة الأموية، لأن الإمبراطورية البيزنطية بقيت على جانبٍ كبيرٍ من القوة ولها أتباع مثل المردة على حدود الدولة العربية الإسلامية. لذلك عندما اعتلى الخليفة عبد الملك بن مروان الخلافة ضرب دنانيره على طراز النقود البيزنطية لهرقل وولديه، وكان الدينار البيزنطي عبارة عن قطعة مستديرة من الذهب بوزن معلوم وعليها صورة هرقل وولديه، أما الظهر فيحمل الحرفان IB وبينهما إشارة الصليب، وتحيط بها العبارات اللاتينية التي تذكر اسم الملك وعبارات أخرى دعائية[١]. وهذان الحرفان يعنيان في الأبجدية اليونانية العدد 12[٢]، إشارة إلى قيمة القطعة التي تقدر باثني عشر نميا Nummia، وهي بذلك تمثل أدنى أجزاء النقود المقدرة على أساس السوليدس الذهبي[٣]. ففي سنة 74هـ/693م، قام عبد الملك بعكس الحرفين B وَ I، الموجدين على ظهر الدينار البيزنطي وجعل أحدهما مكان الآخر، فأصبحا BI، وأصبح يعادلان الرقم 21[٤].

وفي المرحلة الثانية شمل التغيير شكل الصليب الموجود على الظهر، بأن قام عبد الملك بحذف القسم الأعلى من الصليب فظهر وكأنه حرف T[٥]. ثم زاد في التغيير خطوة فاستبدل الشارات المسيحية إلى كرات مستديرة وأحاطها بعبارات التوحيد لا إله إلا الله وحده لا شريك له مكتوبة بالخط الكوفي، مع الإبقاء على صورة هرقل وولديه[٦]. وفي سنة 67هـ/686م، استبدل بصورة هرقل وولديه صورته وقد لبس كوفية عربية تتدلى على

١- حلاق. (1988م)، ص: 52.

٢- الطيار. (2011م)، ص:42.

٣- حلاق. (1988م)، ص: 52.

٤- بيطار. (1997م)، ص: 66؛ القيسي. (2000م)، ص:29.

٥- بيطار. (1997م)، ص: 66؛ حلاق. (1988م)، ص: 52.

٦- بيطار. (1997م)، ص: 67. إلا أن حسان حلاق، يوضح أن عبد الملك عندما وضع عبارة التوحيد ألغى صورة هرقل وولديه. (1988م)، ص: 53.

كتفيه وله لحية طويلة وتحيط به باللغة العربية بسم الله – لا إله إلا الله وحده – محمد رسول الله، لكنه أبقى في الظهر على بعض التأثيرات البيزنطية كالعمود القائم على المدرج الذي يحمل الصليب، وأضاف نقش البسملة[١]. وجعل وزن الدينار اثنين وعشرين قيراطاً وهذا يعادل وزن الدينار الشرعي 4.25غ، وقطره ما بين 18–21.5 ملم[٢]. وكانت الخطوة الأخيرة لتعريب الدنانير، هي تخلصيها تماماً من أي مسحة بيزنطة أو تأثير أجنبي، فسُكت سنة 77هـ/696م دنانير بكتابات عربية خالصة، ومن دون أي صورة سواء للخليفة عبد الملك أو للإمبراطور البيزنطي هرقل[٣]. وأصبحت كتابات الدينار العربي الجديد كما يلي: مركز الوجه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أما الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. ومركز الظهر: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد، أما الطوق: بسم الله ضرب هذا الدينر في سنة سبعة وسبعين[٤].

وهكذا ظهرت كلمة الدينر – أي الدينار– لأول مرة على العملة في عهد عبد الملك، وكان هذا الدينار هو خاتمة الإصلاح النقدي الذي قام به هذا الخليفة الذي يعدّ عصره بحق عصر توحيد الأمة[٥]. كما قام عبد الملك بن مروان بإصلاح نقدي جديد يهدف إلى تسهيل المبايعات والمعاملات التجارية وكذلك عند دفع الضرائب، وذلك من خلال إصداره لنصف الدينار Semis، المضروب وفق الوزن الشرعي المقدر حوالي 2.13غ[٦]. وكذلك لثلث الدينار Tremis، المضروب وفق الوزن الشرعي المقدر حوالي 1.40غ، وكلاهما أجزاء مشتقة من السوليدس البيزنطي، حيث تشابها في مأثوراتهما الكتابية باستثناء العبارة المحددة لقيمة النقد[٧]. وقد كانت النصوص والعبارات من دون تنقيط للحروف ودون ذكر مدينة الضرب، لأنها كانت تضرب في دمشق عاصمة الخلافة الأموية وتحت الإشراف المباشر للخليفة والعمال الثقاة الذين أوكل إليهم مهمة مراقبة جودة العيار والموازيين[٨].

١– بيطار. (1997م)، ص:67؛ القيسي. (2000م)، ص:29.
٢– المقريزي. (1967م)، ص: 10؛ الطيار. (2011م)، ص:46.
٣– بيطار. (1997م)، ص: 69؛ حلاق. (1988م)، ص: 54.
٤– الحسيني. (1969م)، ص: 24.
٥– بيطار. (1997م)، ص: 70.
٦– رحال. (2000م)، ص: 95.
٧– الحسيني. (1969م)، ص: 26؛ الطيار. (2011م)، ص: 48.
٨– الطيار. (2011م)، ص:49؛ القيسي. (2000م)، ص: 30.

ب- تعريب الدراهم الفضّية:

سلف ذكر المسوغات التي دفعت عبد الملك بن مروان لتعريب الدنانير الذهبية، إلا أنها لا تكفي إلى تفسير تعريب الدراهم الفضية ولاسيَّما في العراق، مما يعني أن هناك مسوغات أخرى لا بد أنها تتصل بالحياة الاقتصادية، ويتطرق إليها اعتبارات دينية[١]. فعند اعتلاء عبد الملك بن مروان الخلافة، كانت الدراهم المستعملة في المدّة الأولى لحكمه على طراز من سبقه[٢]. لكنه أضاف إليها كما فعل سلفه من الخلفاء اسمه ولقبه عبد الملك أمير المؤمنين، وأحياناً اسمه الكامل[٣]. ولوحظ أن عبد الملك بن مروان أول من أمر بضرب الدراهم المعربة، بعد اتخاذ القرار بتعريب مرافق الدولة كافة بما فيها المسكوكات[٤]. فقد كانت النقود مختلفة الأوزان والقيم، ولم يكن هناك مقياس ثابت موحد في جميع أنحاء الدولة يمكن من خلاله تحديد النسب بينها، فكانت حالة النقد هذه عائقاً للنشاط التجاري، كما أن العرب المسلمين كانوا يلقون حرجاً عند أداء واجب الزكاة[٥]. وكذلك كانت الدولة تجد صعوبة إذا أرادت أن تستوفي حقوقها من الجزية والخراج[٦].

لذا أمر عبد الملك الحجاج وهو في العراق أن يضرب النقود قبله على السكة الإسلامية التي أرسلها له فضربها بالفعل[٧]. ولكن ما غاية عبد الملك بن مروان من طلبه من الحجاج بأن يضربها قبله، وعلى الأرجح أن عبد الملك أراد أن يتأكد من ردة فعل الناس حول هذه النقود التي ستصدر وعليها صورته، أو أنه سيرى مدى إقبال الناس على هذه النقود الجديدة في الولايات التابعة له قبل سكّها في مركز الخلافة. فكان للحجاج دورٌ مهمٌ في تحقيق خطة عبد الملك في تعريب النقود، حيث قام بإصدار التعليمات المانعة للإصدارات النقدية الخاصة والعمل على حصر عملية سك وضرب الدراهم والفلوس بمختلف أنواعها وأشكالها في السلطات الرسمية المعنية من قبله وتحت إشرافه، وذلك تأكيداً على وحدة الخلافة الأموية إثر القضاء على الحركات الخارجية وتدعيم الاقتصاد

١- خماش. (1984م)، ص:138.
٢- القيسي. (2000م)، ص: 29.
٣- بيطار. (1997م)، ص: 60.
٤- الطيار. (2011م)، ص: 50.
٥- البلاذري. (1900م)، ص:470-471؛ المقريزي. (1967م)، ص: 36-37.
٦- خماش. (1984م)، ص:138.
٧- المقريزي. (1967م)، ص: 10؛ الطيار. (2011م)، ص:51.

المحلي، من خلال توحيد وضبط نوعية النقود ومراقبة أوزانها، وجودة عيارها ومعدنها منعاً للغش والتزييف الذي انتشر نتيجة قيام العديد من الجهات الغير رسمية بإصدار المسكوكات الخاصة بها، دون إشراف أو رقابة على جودتها[١]. فكانت أولى أعماله جمع دراهم عبد الله وأخيه مصعب بن الزبير وغيرهم من الثوار ودراهم زعماء الخوارج[٢]. كما أمر بسحب المسكوكات الثورية والخارجية من الأسواق، وألغى التداول بها وهدد من يتعامل بها أو بغير السكة الإسلامية الصادرة عن الخلافة[٣]، لذا بدأ بالعمل على صهرها والاستفادة من معدنها في ضرب الدراهم الفضية الأموية الجديدة، ذات وزن خمسة عشر قيراطاً للدرهم الواحد[٤]، التي حملت في مركز وجهها صورة العاهل الساساني، الذي نقش في مقابل وجهه بالعربية اسم الحجاج بن يوسف. وفي الجهة الخلفية كتابة فهلوية غير واضحة، في حين احتل الفراغ الخارجي للطوق نقس بسم الله، أما ظهر النقد فقد احتل نقش موقد النار المقدسة المحفوف بالموبذان والمنقوش على يمينه كلمة طيب المؤطرين بثلاثة أطواق نافرة محفوفة بأربعة أهلة ذات نجوم مركزية[٥]. إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه ماذا تعني كلمة طيب، وما ضرورة نقشها على النقود؟ وبعد البحث يتضح أن ظهور بعض الكلمات العربية مثل جائز، واف أو وافية، طيب، وغيرها تُكتب لتثبت صحة النقد، وتشير

---

[١]- الطيار. (2011م)، ص:51.

[٢]- كاشف. (1967م)، ص: 88؛ المازنداني. (1988م)، ص: 47.

[٣]- وعلى الرغم من تشدد الحجاج في ملاحقة ضاربي النقد الخاص، فقد حاول البعض منهم تجاهل ذلك حيث قام رجل يدعى سُمير في العام 73هـ/692م، وهو رجل من يهود تيماء، بضرب الدراهم الفضية الخاصة المعروفة باسم السميرية نسبة إليه، وكانت عدّة أنواع منها: الدراهم السميرية الثقال، وزن الدرهم منها ستة مثاقيل. ودراهم وزنها خمسة مثاقيل تدعى السميرية الخفاف، وقد ضربت جميعها على الطراز الفارسي. المقريزي. (1967م)، ص:11؛ الطيار. (2011م)، ص: 52. هذا ما دعا الحجاج إلى القبض عليه والأمر بقتله، على الرغم من جودة عيار الدراهم التي أصدرها سُمير، حيث جادل الحجاج في ذلك قائلاً: " عيار درهمي أجود من عيار درهمك فلم تقتلني...؟" فلم يتركه، فوضع للناس سنج الأوزان ليتركه فلم يفعل، وكان الناس لا يعرفون الوزن بل كانوا يزنون بعضها ببعض، فلما وضع سُمير السنج كف الناس عن الغبن والغش في موازين النقد. ابن تغري. (1963م)، ج:1. ص: 177؛ الطيار. (2011م)، ص: 52.

إلا أن المقريزي يذكر بأن الدراهم السميرية ضربها يهودي بأمر من عبد الملك بن مروان، مما يعني أنه لم يضربها كنقد خاص له. (1967م)، ص: 69.

[٤]- خماش. (1984م)، ص: 138.

[٥]- الطيار. (2011م)، ص: 38-39.

إلى الوزن الشرعي الصحيح[١]. كما قام الخليفة عبد الملك بن مروان بإصدار دراهمه الدمشقية في عام 74هـ/693م، على طراز السكة الساسانية[٢].

وفي سنة 75هـ/694م، خطا عبد الملك خطوة أخرى نحو التعريب، فضرب درهماً فضياً عربياً على الطريقة الساسانية، نقش عليه في مركز الوجه: صورة كسرى الثاني، وإلى يسارها كتب باللغة العربية وبالخط الكوفي ضرب في الكوفة سنة خمس وسبعين. أما الطوق فقد نقش عليه بكتابة عربية واضحة وبالخط الكوفي أيضاً عبارة بسم الله، لا إله إلا الله وحده، محمد رسول الله. أما مركز الظهر: فقد نقش الخليفة عبد الملك صورته واقفاً يحمل السيف رمز الإمامة والجهاد، وكتب إلى يسار الصورة بالخط العربي، أمير المؤمنين وإلى يمينها خلفت الله وفي بعض الأحيان نقش خليفة الله[٣]. كما قام الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة 76هـ/695م، بضرب دراهمه الفضية المعروفة بالدراهم البغلية[٤]، نقش عليها اسمه وعبارات دينية[٥]، كما ضرب دراهم فضية جديدة بعبارات دينية أخرى عرفت بالدراهم المكروهة[٦]، وذلك لاعتراض الفقهاء عليها بسبب ما تحمله من لفظ للجلالة، وبعض السور المقتبسة من القرآن الكريم[٧]. وبلغ من اهتمام الحجاج أنه اتحذ داراً لضرب العملة، على غرار دور الضرب الفارسية، وجمع فيها الطباعين، فكان يضرب المال مما يجتمع له من البتر أي فتات الذهب أو الفضة قبل أن يصاغا، وخلاصة

---

[١]- العش. (2003م)، ص: 28؛ فهمي. (1964م)، ص: 28.

[٢]- العش. (2003م)، ص: 23؛ الطيار. (2011م)، ص: 39.

[٣]- بيطار. (1997م)، ص:60؛ العش. (2003م)، ص: 23.

[٤]- **الدراهم البغلية:** هي الدراهم الكبار التي أطلق عليها السود الوافية، لاستيفائها الوزن الأساسي للدرهم، كما أطلق عليها الدراهم الكسروية، وسميت بذلك لأن رأس البغل اليهودي ضربها للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتزن ثمانية دوانق أو مثقالاً، أي وزن دينار الذهب ثمانية دوانق وهي عشرون قيراطاً_ والدانق 2/5 قيراطاً وهذا وزن درهم الفضة، ولقد ضرب الدرهم بهذا الوزن في العصر الساساني وعصر الخلفاء والراشدين والأمويين حتى سنة 83هـ/702م، ومعدل قطره 30ملم. النقشبندي. (1969م)، ج:1، ص:3

[٥]- البلاذري. (1990م)، ص:513.

[٦]- ويشير البلاذري إلى أنها سميت دراهم مكروهة لأن الأعاجم كرهو نقص وزنها. (1990م)، ص: 513. أما المقريزي، "فيذكر أن الحجاج ضرب الدراهم البيض ونقش عليها، قل هو الله أحد، فقال القراء: قاتل الله الحجاج، أي شيء صنع للناس، الآن يأخذه الجنب والحائض، فكَرِه الناس مسها وهم على غير طهارة لذلك سميت بالدراهم المكروهة. (1967م)، ص: 15.

[٧]- الكرملي. (1939م)، ص: 156.

الزيوف[١]، والسُتّوقة[٢] والبهرجة[٣]، ثم سمح للتجار أن تُضرب لهم العملة من الفضة[٤]. كما ضرب في أرمينية سنة 72هـ/691م، درهماً فضياً جديداً وفق السكة الرسمية للخلافة، تميز بعباراته الكتابية المكتملة بالخط الكوفي المتقن والواضح، ومن دون أي صورة، وبذلك اختفت الكتابات الفهلوية من الوجه ومعبد النار والحارسان والنجوم والأهلة من الظهر نتيجة لذلك توافرت بعض المساحة على الدراهم، حتى ازدادت الكتابات المنقوشة عليه، ويعدَّ أول درهم بنصوص عربية خالصة، وهو درهم نادر وفريد من نوعه، محفوظ في المتحف العراقي[٥]. وكان النقش موزع على وجهيه وفق الترتيب التالي: في مركز الوجه: عبارة التوحيد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وفي الطوق: بسم الله، ضرب هذا الدرهم في أرمينية سنة ثمان وسبعين. وفي مركز الظهر: نقش لسورة الإخلاص الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوً أحد. وفي المحيط: محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون[٦].

جـ- تعريب الفلوس النحاسية:

أقر العرب المسلمون في بداية عهدهم وتأسيس دولتهم سياسة التعامل والتداول بالفلوس النحاسية والبرونزية البيزنطية التي شاع تداولها في عمليات البيع والشراء البسيطة، هذا وقد تميزت الفلوس النحاسية والبرونزية الأولى المستخدمة خلال مدّة ما قبل التعريب الكامل بنقش وجهها الذي حمل صورة الإمبراطور البيزنطي مع زوجته، في حين حمل مركز ظهر الفلس نقشاً للحرف M، الذي كان يعلوه نقش الصليب، وفي القسم الأسفل منه، نقش كتابي مرموز لمدينة الضرب[٧]. ويدل حرف M يرمز للعدد 40 نمية الذي يساويه هذا الفلس - أي دلالة على قيمة

---

[١]- **الزيوف أو المزيف:** وتعني المردودة غير المقبولة، وهي لفظة عامة تطلق على كل مسكوكة رديئة، والزيوف هي النقود التي تكون نسبة المعدن الرخيص كالنحاس فيها كبير، وكانت الزيوف تقبل بقيمتها الذاتية في المعاملات التجارية فقط، ولم تكن تقبلها الحكومة في معاملاتها أو جباياتها بل على العكس كانت تعاقب عليها. البلاذري. (1900م)، ص:514؛ الدوري. (1974م)، ص:253؛ فوزي. (2010م)، ص: 348.

[٢]- **السُتّوقة:** ستوق أي المزيف الذي لا خير فيه، والدراهم الستوقة هي الدراهم التي تصنع من النحاس وتغطى بطبقة من الفضة. الدوري. (1974م)، ص:253؛ النقشبندي. (1969م)، ج:1. ص: 7.

[٣]- **البهرجة:** نقود يكثر فيها المعدن الرخيص ويقصد بها الدنانير الرديئة أكثر من الدراهم الرديئة. الدوري. (1974م)، ص:253.

[٤]- البلاذري. (1900م)، ص: 513؛ حلاق. (1988م)، ص: 42.

[٥]- الطيار. (2011م)، ص:53؛ القيسي. (2000م)، ص: 30-31.

[٦]- بيطار. (1997م)، ص:62؛ العش. (1984م)، ص:26.

[٧]- الطيار. (2011م)، ص: 57.

الفلس–[١]. وكان الإصلاح النقدي، الذي قام به عبد الملك بن مروان سنة 77هـ/696م، بجعل الكتابة العربية الإسلامية إلزامية على نقود النحاس، فبدأت تحمل العبارات العربية والألقاب مثل خليفة الله –أمير المؤمنين، أو عبد الله – أمير المؤمنين. وقد تنوعت طرازها حسب الأقاليم التي ضربت فيها، فظهرت الفلوس التي تحمل العبارات الإسلامية وأهمها أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكذلك الفلوس التي تحمل مكان وتاريخ السك كلاهما أو أحدهما[٢]. والنصوص التي حملتها النقود النحاسية في العصر الأموي بعد التعريب كالتالي: الوجه: لا إله إلا الله وحده. أما الظهر: فنقش عليه محمد رسول الله. ومما سبق يُلاحظ أن نصوص مركز الظهر في الفلوس النحاسية الأموية هي عبارة محمد رسول الله، فقد حملتها الفلوس النحاسية في هذا العصر، في حين لم تحمل الدراهم والدنانير الأموية هذه العبارة، بل حملت سورة الإخلاص. ولم تظهر هذه العبارة على الدنانير والدراهم إلا في العصر العباسي 132هـ/749م، وبذلك تكون الفلوس النحاسية الأموية سبّاقة بحملها عبارة محمد رسول الله[٣]. وكذلك حملت الفلوس النحاسية الأموية في مرحلة التعريب، في عهد عبد الملك بن مروان صورة يُعتقد أنها لعبد الملك بن مروان، وتحيط به النصوص العربية. وعلى الجانب الثاني مكان الضرب وعبارات إسلامية[٤]. فضلاً عن ذلك، حملت الفلوس النحاسية الأموية رسوم الحيوانات التي تشبه الأسد، الحصان، وتحيط بها النصوص العربية. كما حملت في بعض الأحيان صور للعناصر النباتية كالرمان[٥]. وللتنبيه أن كلمة فلس، ظهرت أحياناً على بعض المسكوكات النحاسية الأموية لتدل على قيمة النقد، علماً أن قيمة الفلس كانت ضمن المدينة التي سُك فيها، فلا يمكن تداوله في غيرها، وقد يدل الحجم الصغير لبعض المسكوكات النحاسية على أنها نصف فلس، فلم يكن للفلس وزن ثابت، كما هو الحال مع الدينار والدرهم. فقد سمح للمدن بسك الفلوس النحاسية حسب حاجتها، وحملت هذه المسكوكات بعض الأشكال الحيوانية والنباتية التي تعكس تقاليد محلية تعود إلى ما قبل الإسلام. وعلى الرغم من سك الفلوس النحاسية، إلا أن ما حُصل منها تعد قليلة قياساً بالدراهم والدنانير،

---

[١]– رحال. (2000م)، ص: 96.

[٢]– بيطار. (1997م)، ص: 74–75.

[٣]– القيسي. (2000م)، ص: 37–38.

[٤]– العش. (2003م)، ص: 28.

[٥]– القيسي. (2000م)، ص: 38.

حيث أن معدن النحاس والبرونز أسرع تأثراً بالعوامل الطبيعية، لذلك فهي أسرع تلفاً من غيرها من المعادن[١]. ويجب القول أن دراسة الفلوس النحاسية لها أهمية كبيرة فقد تميزت بأنها سجلت العديد من النصوص الكتابية التي تضمنت عبارات الدعاء والعديد من الأسماء والألقاب، لأنه كان مسموحاً لأمراء المدن بسكّها، لذلك حملت نصوصاً مغايرة لما كانت تحملها الدنانير والدراهم العربية الإسلامية[٢]. وكان من السهل التمييز بين هذه الفلوس، لأنها كانت متباينة باختلاف الولاة وعمال الخراج الذين يتولون سكّها، وكان كل منهم يسجل اسمه ومكان الضرب[٣]. ويمكن القول إن الخطوات التي حدثت في تعريب الدينار والدرهم، هي نفسها التي حدثت في تعريب السكة النحاسية – الفلوس – في فجر الإسلام[٤]. ومما سبق يُستنتج أن عبد الملك بن مروان نجح في تعريب النقود كاملةً، بعد أن استغرقت عمليته الإصلاحية أربع سنوات بدأت منذ عام 73هـ/692م، وحققت أهدافها في التعريب الكامل للعملات في سنة 77هـ/696م، وذلك عندما احتلت الكتابات العربية وجهي الدينار العربي، واختفت الدنانير المصورة ونقشت عبارات التوحيد والبسملة وسنة الضرب.

فبعد أن توفي عبد الملك بن مروان توالى العديد من أفراد البيت الأموي على سدّة الخلافة بعده[٥]، وقام كل منهم بإصدار نقده الخاص رغم ذلك فقد تمت المحافظة خلال هذه الحقبة على أشكال وأنماط وأساليب توزيع

---

[١]- بيطار. (1997م)، ص: 75؛ القيسي. (2000م)، ص: 41.

[٢]- بيطار. (1997م)، ص: 75.

[٣]- حلاق. (1988م)، ص: 66.

[٤]- فهمي. (1957م)، ص: 37.

[٥]- استمر التعامل بالعملة التي عرّبها عبد الملك بن مروان، ذات النقش العربي الخالص بالآيات القرآنية والمأثورات العربية، إلا أن عمر بن عبد العزيز، أول من شدد في أمر الوزن، وخلّص الفضة أبلغ تلخيص، وجود الدراهم وحسّن فيها، وأشرف بنفسه على ضربها، لذا سميت دراهمه بالدراهم الهبيرية. للمزيد ينظر. البلاذري. (1900م)، ص: 513؛ ابن تغري. (1963م)، ج:1. ص: 177.

وحين تولى هشام بن عبد الملك سنة 105هـ/723م، أمر خالد بن عبد الله القسري بأن يبطل السكك في كل مدن المشرق إلا مدينة واسط في العراق، فضرب الدراهم والفلوس فيها، وكبّر السكة، وسميت الدراهم الخالدية نسبة إليه. ولكن ما الهدف من وراء ذلك هل لكثرة الغش والتزييف الذي يحصل في النقود؟ أم أراد حصر سك النقود بكافة أنواعها بدار الخلافة وتحت إشرافها فقط؟ ولماذا اختار مدينة واسط بالتحديد؟ علماً أن عاصمة الخلافة كانت الشام. تساؤلات لم يتطرق للإجابة عليها أحد من المؤرخين. وبعد عزل خالد من ولايته في سنة 120هـ/737م، تولى من بعده يوسف بن عمر الثقفي فصغر السكة، حيث أفرط في الشدة وامتحن العيار يوماً فوجد ذات مرّة درهماً ينقص حبة فضرب كل صانع ألف سوط، وكانوا آنذاك مائة صانع وسميت دراهمه بالدراهم اليوسفية. للمزيد ينظر: ابن تغري. (1963م)، ج:1. ص: 177؛ بيطار. (1997م)، ص: 72؛ حلاق. (1988م)، ص: 43؛ فوزي. (2010م)، ص: 347؛ رحاحله. (1999م)، ص: 47.

المأثورات الكتابية، التي اعتمدها عبد الملك في مسكوكاته المعربة، مع إحداث بعض التغييرات التي طالت أشكال الأطر النافرة المحيطة بالمأثورات الكتابية ذات الطابع الديني[١]. هذا ويُلاحظ أن خلفاء عبد الملك بن مروان ضربوا النقود خارج العاصمة دمشق، وتوزع ضربها في العراق وحران وواسط وغيرها من الأماكن. فما السبب وراء ذلك؟ رغم أن عاصمة الخلافة موجودة؟ ليتضح بأن الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي كانت تسير وفق نظام النقد المزدوج أيّ إنها تستخدم في تعاملها الدينار والدرهم، فغالباً ما يتم التعامل في العراق والأقاليم الشرقية بالدراهم الفضية، والتعامل في بلاد الشام والأقاليم الغربية بالدنانير الذهبية، وليس معنى ذلك أن الدرهم لا يقبل في الأقاليم الغربية أو العكس، بل كانت المعاملات الرسمية والتجارية في القطاع الخاص تستخدم كلا العملتين في أي جزء من أجزاء الدولة[٢]. إلا أنه لم يوضح السبب بشكل دقيق، فمن المعلوم أن الدولة الأموية تتعامل بالدنانير والدراهم، فالخلفاء كانوا قادرين على سك الدنانير الذهبية، فلِمَ لا يضربون أيضاً الدراهم في مركز الخلافة.

خامساً: آثار الحرب التجارية بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية.

١- الرقابة على الأسواق:

بعد الحرب الاقتصادية التي شنها عبد الملك بن مروان على الإمبراطورية البيزنطية بتعريبه للنقود، لاسيَّما في عهد جستنيان الثاني، والتي هدأت عندما تسلم الحكم بعده تيبريوس الثالث الذي أصدر فور توليه العرش البيزنطي قانوناً ينص على إعادة أهالي قبرص إليها عام 79هـ/698م، كما عمل أن يرجع الفارون من قبرص إلى بلاد الشام. كما حاول جاهداً إيجاد نوع من السلام الاقتصادي بينه وبين الأمويين، بدليل عدم وجود أي ضغط اقتصادي من قبل بلاد الشام خلال مدّة حكمه.

إلا أن الحرب الاقتصادية ما لبثت أن عادت بعودة جستنيان الثاني للعرش البيزنطي مرة ثانية سنة 87هـ/ 705م، وابتدأت بتوجيه غارة على مصر عام 91هـ/ 709م، ومحاولة السيطرة عليها وعلى اقتصادها من جديد.

---

[١]- الطيار. (2011م)، ص: 49-50.

[٢]- فوزي. (2010م)، ص: 347.

وربما يكون جستنيان يعاود انتقامه من عبد الملك وفعلته، ومهما كانت المسوغات التي دفعت جستنيان لتوجيه الغارات على الأراضي العربية الإسلامية إلا أن الوليد بن عبد الملك الذي كان معاصراً لحكم جستنيان الثاني تابع مسيرة وسياسة أبيه الاقتصادية ولاسيَّما عملية التعريب التي تمت في بلاد الشام والعراق في خلافة عبد الملك، ولم يتم تطبيقها في مصر إلا في عهد الوليد بن عبد الملك، حيث أمر باستخدام اللغة العربية بدل اليونانية في جميع الأعمال الإدارية في الدولة[١]. ويُلاحظ أن الوليد وفّق في هذا العمل حيث اعتقد جستنيان أنه يستطيع أن يُعيد تداول العملة البيزنطية في الأراضي العربية الإسلامية بعد وفاة عبد الملك بن مروان، إلا أنه فوجئ بابنه الذي تابع سياسته الاقتصادية على وجه أوسع. هذا التغيير والتطور المهم الذي قام به الوليد فيما يتعلق بلغة الإدارة لم يحصل دفعة واحدة، بل احتاج لوقت وجهد كبير. حيث يظهر من أوراق البردي المصرية أن أقدم بردية عربية ترجع إلى عام 91هـ/ 709م، وأن آخر بردية مكتوبة باللغتين العربية واليونانية ترجع إلى عام 101هـ/719م[٢]، وأن آخر بردية كتبت باليونانية ترجع إلى عام 164هـ/780م. وبذلك يُلاحظ أن الوليد تابع تدريجياً تبديل اللغة اليونانية باللغة العربية للأعمال الإدارية كافة. لم يكتفِ الوليد بذلك فقد قام أيضاً بعمل مهم حيث طبق سنة 91هـ/709م، أنظمة الرقابة على سكان مصر. فقد فرض نظاماً دقيقاً أجبر فيه الأفراد على حمل بطاقة تثبت شخصيتهم وألزم كل فرد يريد الانتقال من جهة إلى أخرى في أنحاء مصر أن يحمله، فلم يسمح لمصري أن يغادر البلاد من دونه، وعلى الأرجح أن الوليد كان يقصد بيزنطة بالذات في تلك الأعمال وليتأكد من هويتهم. كما فرض الرقابة والتفتيش على جميع السفن، وأن يحمل كل راكب سجله، وأمر بإلقاء القبض على كل شخص لا يحمل سجله معه، أما من فقده أو أتلفه فقد كان الوالي يلزمه بالحصول على سجل جديد مقابل دفع غرامة قدرها خمسة دنانير[٣]. كما أمر بإحصاء المقيمين، وكذلك كل مسافر يعود إلى منطقته أو أرض أجداده أو مكان تولده. فيُلاحظ التشدد الكبير على تحركات الرعايا. كما أمر بإعدام من يوجد عليها من اليونانيين، ومنذ ذلك الحين أصبحت الكلمة العليا في حكومة مصر للشرطة، ولم يعد للأجانب أو المصريين أن يقوموا بأيّ تصرف دون علم الحكومة. وهكذا أخذ نظام البريد الذي

---

[١]- حتي، وآخرون. (1950م)، ج:2. ص:283؛ خماش. (1984م)، ص:140.

[٢]- خماش. (1984م)، ص: 140.

[٣]- خماش. (1984م)، ص: 140.

أنشأه معاوية يتسع شيئاً فشيء ويتطور حسب قدرات الخلفاء واهتمامهم به، ويكمل نظام المراقبة حتى استحق رجال هذا النظام أن يلقبوا بشياطين الدولة[١]. تابع الخلفاء السياسة الاقتصادية التي اتبعها عبد الملك بن مروان، فلما تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز الخلافة، تابع الرقابة المفروضة بوضع تعليمات تقتضي على المسيحيين واليهود باتخاذ زي يميزهم عن العرب المسلمين. ومنذ ذلك الحين أصبح للأمويين دولة عربية إسلامية منظمة على أساس الإدارة الحكيمة، وتقوم على سياسة وخطة معادية لجاراتها، وبذلك توقفت التجارة الحرّة التي عرفها القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي وأقبل الناس على سياسة تجاريّة جديدة. فلم تكن الإمبراطورية البيزنطية لتقف موقف المتفرج عن تلك الرقابات التي فرضتها الدولة العربية الإسلامية، لذا فرضت من جانبها إشراف وضغط اقتصادي مماثل، وضيقوا الخناق على رعاياهم الراغبين في الانتقال للبلاد العربية. وتؤيد ذلك قصة أحد الحجاج الغربيين في قبرص عام 104هـ/ 722م، فبينما كان هذا الحاج في طريقه إلى الأراضي المقدسة، قبض عليه حاكم قبرص البيزنطي وأودعه السجن عدّة شهور زاعماً أنه لص عربي. وبعد محاولات جمّة استطاع الحاج أن يقنع الحاكم ببراءته وأنه مجرد عابر سبيل نحو الأراضي المقدسة وسمح له بمتابعة مسيره. كما حاولت بيزنطة فرض رقابة شديدة على التجارة التي كانت سائدة منذ أيام جستنيان وخلفاؤه تجاه الدولة الساسانية. ولاسيَّما تجارة الحرير الأرجواني وشراءه وبيعه، والتي وجهت بيزنطة من خلال هذه المراقبة التجارة الخارجية وطرق نقلها نحو خدمتها ومصالحها والدفاع عنها. وقد استخدمت القوة البحرية أداة هذا التوجيه[٢]. استعملت بيزنطة في حربها الاقتصادية ضد العرب المسلمين وضد جيرانها الآخرين في عام 97-98هـ/ 715-716م، أسطولها البحري. وقد تمّ تحديد هذا العام بالذات لأنه في هذه السنة 97هـ/715م، دخل ميناء كوماكيو Comaccio[٣] التابع لبيزنطة والواقع عند مدخل نهر يو Yu، في مفاوضات مع ملك اللمبارد Lombards[٤] لتنظيم التجارة الشرقية بينها وبين ممتلكات اللمبارديين.

---

[١]- خماش. (1984م)، ص: 140؛ فرج، ويوسف. (1981م)، ص:312.

[٢]- لويس. (د.ت)، ص:137؛ Laiou and other. (2002A.D), V2. P: 718

[٣]- **كوماكيو**: لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

[٤]- **اللمبارد**: هم من الشعوب الجرمانية التي هاجمت القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية، وقد تدفقوا عبر جبال الألب إلى الشمال الإيطالي تحت قيادة ملكهم البوين Alboin عام 568م، وأقاموا مملكة لهم على حساب الممتلكات البيزنطية في شمال إيطاليا واتخذوا من مدينة بافية الحصينة عاصمة لهم، تبنى الملوك اللومبارديون سياسة توسعية استهدفت الاستيلاء على شبه الجزيرة الإيطالية كلها، وقد شكلت سياستها خطراً على البابوية وممتلكاتها في إيطالية. للمزيد ينظر: اينهارد. (1989م)، ص:54.

فضلاً عن ذلك، دخل ميناء كوماكيو في مفاوضات لوضع معاهدة مع حاكم البلغار سنة 98هـ/716م ووضعت موضع التنفيذ سنة 100هـ/718م، التي نظمت التجارة بين الدولتين تنظيماً دقيقاً، ففرضت بطاقات تثبت شخصيتهم ونصت على حق البلغار في استجلاب بضائعهم إما إلى القسطنطينية أو إلى سالونيك Salunik [١]، حيث كان التبادل التجاري يتم تحت إشراف دقيق، ونظام الرقابة التي فرضته بيزنطة طبق أيضاً على البلاد العربية الإسلامية[٢].

٢- تغيير موانئ الاستيراد والتصدير:

حاول البيزنطيون أن يشنوا على الدولة الأموية حرباً اقتصادية في عام96هـ/714م، يشد أزرها الأسطول، فأغلقت الإمبراطورية البحر المتوسط في وجه السفن والتجارة القادمة من البلاد العربية مادامت لم تسر في المسالك البحرية التي رسمتها بيزنطة وتتبع التعليمات التي أصدرتها. وهذا ما يفسر قيام الحملة البرية والبحرية التي أرسلها سليمان بن عبد الملك لحصار القسطنطينية في عام 98هـ/716م، هو نتيجة ما قامت به بيزنطة من فرض حصار اقتصادي عدّ بمثابة حكم بالإعدام على حركة النقل البحري والحياة الاقتصادية لكل من مصر وبلاد الشام. كما أن إخفاق تلك الحملة العربية الإسلامية دليل على بلوغ النظام البيزنطي أوجهه، ووقوف البلغار ومساندتهم بموجب المعاهدة التي أبرموها[٣]. إلا أنه في الوقت ذاته لم تكن الإمبراطورية البيزنطية تستطيع الاستغناء عن جميع منتجات العالم العربي الإسلامي، فالتوابل والبضائع الشرقية كبردى مصر ومنسوجات بلاد الشام التي يقوم العرب المسلمون في تجارتها بدور الوسيط، هي موارد ضرورية لسلامة الاقتصاد البيزنطي[٤]، على الرغم من أن عبد الملك بن مروان منع تصدير البردي والمنسوجات إلى الدولة البيزنطية إلا أن هذه البضائع كانت تصل بطريقة ما إليها بعد

---

[١]- **سالونيك:** تُعرف أيضاً باسم تيسالونيكا وثالونيكي Thessaloniki ميناء بحري على رأس خليج سالونيك، وتعد المدينة الثانية للمركز الصناعي في اليونان تصدر التبغ والجلود والخامات والسلع المعدنية وكذلك المنسوجات وسميت بذلك نسبة إلى الينابيع الساخنة المجاورة لها، كما تعد ذات موقع استراتيجي مهم بسبب موقعها الجغرافي على طريق إجناتيا الروماني وهو الطريق السريع الذي يربط البحر الأدرياتيكي بالقسطنطينية. للمزيد ينظر:

Moore. (1978A.D), p:179; Vacalopoulos. (1972A.D), p:37-63.

[٢]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:313-314؛ لويس. (د.ت)، ص:137.

[٣]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص:313-314؛ لويس. (د.ت)، ص:137.

[٤]- الخربوطلي. (1970م)، ص: 30.

عهد عبد الملك بن مروان[١]. بدليل انتعاش الحياة الاقتصادية ولاسيَّما التجارة في عهد ليو الثالث الأيسوري رغم كل الحروب والنزاعات بين الطرفين[٢]. وعلى هذا فلم ترغب بيزنطة بوقف التجارة مع الدولة العربية الإسلامية نهائياً، أو فرض حصار شامل إطلاقاً، وإنما خصصت ميناء أو اثنين لاستقبال التجارة العربية خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وفرضت عليها الرقابة الممكنة التي تسير وفق مصالحها، ومن هذه الموانئ التي حددتها بيزنطة لاستقبال وخروج التجارة العربية العاصمة البيزنطية القسطنطينية، التي قدّر لها أن تتمتع بازدهار اقتصادي عظيم بسبب موقعها الجغرافي إذ كانت مركز التقاء جميع الطرق التجارية من جميع الجهات[٣]. فهي مدنية تجارية عظيمة وثرية جداً يأتي إليها التجار من كل بلد وليس هناك مدنية تضاهي أهميتها وجمالها باستثناء مدنية بغداد[٤]. مما يشير إلى رونق العرب المسلمين وإبداعهم في الفن المعماري وكذلك دورهم المهم في تطوير مدنهم تجارياً. فقد قامت القسطنطينية بدور الوسيط التجاري بين الدولة العربية الإسلامية والغرب المسيحي، فكانت موزعاً للمواد الأولية، وسوقاً تجارية مزدهرة، ومن أسواقها سوق بيله Belle[٥]، الذي يقام كل سنة أول الربيع ويستمر مدة أربعين يوماً تأتيه الناس من المناطق البعيدة ويبذل التاجر غاية جهده كي يلحق به[٦]. ومن أهم الأسواق في تجارة المعادن الثمينة أيضاً سوق ثيودسيوس Theodosius[٧]، وقد فرضت الدولة على تجّار الذهب والفضة أن يقيموا متاجرهم فيه. وقد تردد على هذه الأسواق المليئة بالسلع الفاخرة تجّار من مختلف البلدان من مصر وبلاد الشام وبلاد فارس والعراق ومن الروس والبلغار والخزر وغيرهم[٨]. كما اشتهرت سالونيك بنشاطها التجاري وعدّت أكبر وأهم مركز تجاري في أوروبا بعد القسطنطينية، والميناء الضروري لجميع التجارة بين البحر الأدرياتيكي[٩] والبوسفور والمنفذ الطبيعي لصادرات البلقان وأقيم فيها سوق يعرف بسوق القديس ديمتريوس وهو سوق موسمي شهير يعرض فيه

---

[١]– البلاذري. (1900م)، ص: 249؛ فرج، ويوسف. (1981م)، ص:318.

[٢]– Finlay, (1877A.D), 34

[٣]– لويس. (د.ت)، ص:26.

[٤]– Diehl. (1957 A.D), P: 83.

[٥]- **سوق بيله**: لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

[٦]– القزويني. (د.ت)، ص:531

[٧]- **سوق ثيوسيوس**: لم يتم الوقوف على ترجمته في الكتب المتوفرة.

[٨]– صبره. (1982م)، ص:203.

[٩]- **البحر الأدرياتيكي**: أحد أفرع البحر المتوسط الذي يفصل بين شبه الجزيرة الإيطالية عن شبه جزيرة البلقان. مؤنس. (1987م)، ص: 214.

التجار اليونانيين والإيطاليين والإسبان والسلافيون وغيرهم، بضائعهم في محلات أقيمت من خشب وأقمشة، تباع فيه الاقمشة الحريرية، والفراء والسجاد المطرز والأسماك المالحة والشمع وحتى العبيد[١].

أما الميناء الأهم فهي مدينة طرابيزون الواقعة على ساحل البحر الأسود، وهي الميناء الذي سمح بدخول جميع التجارة العربية إلى بيزنطة، فقد كانت مركزاً تجارياً مهماً، وملتقى تجار الطرفين. فعن طريقها وصلت إلى القسطنطينية المنسوجات الصوفية والكتانية التي استوردها التجار العرب المسلمون بكميات كبيرة، فضلاً عن البضائع الشرقية ومنتجات البلاد العربية الإسلامية، بالمقابل حصل التجار العرب المسلمون على السلع البيزنطية المشهورة بجودتها كالديباج[٢] وثياب الكتان والصوف[٣]. فقد حمل التجار العرب المسلمين السلع والبضائع المنتجة من دولتهم أو تلك التي جلبوها من الصين والهند التي لا غنى لبيزنطة عنها، كالفلفل والنعناع والعطور والتوابل والأدوية والأصباغ والملابس والمنسوجات. وبالمقابل عاد التجار العرب المسلمون منها محملين بالمتاجر البيزنطية مخترقين الممرات الجبلية في طريقهم إلى ملطية وغيرها من المدن الواقعة على الفرات الأعلى. وبذلك نشطت تجارة أقاليم الدولة العربية الإسلامية المجاورة كالعراق وبلاد الشام وإيران إلى ساحل البحر الأسود وموانئه[٤]. وقد عزز مكانة هذا الميناء الذي عدّ مركز التجارة العربية البيزنطية، ظروف سياسية واقتصادية لها علاقة بموقعه، فقد قام حكامها بعلاقات سياسية وعلاقات زواج مع السلاجقة والمغول والعثمانيين قبل سقوطها بشكل نهائي على يد قوات السلطان العثماني محمد الثاني 866هـ/1461م[٥]. وساعد بيزنطة بشكل كبير لتأمين اقتصادها والحصول على أموال طائلة من تجارته، فقد أعطتها ميناء آمن على البحر الأسود بعيداً عن هجمات الأسطول العربي الإسلامي، كما أن المدينة تقع في إقليم بيزنطي آمن من جهة البر على الطرق الممتدة من الجزيرة الفراتية إلى آسيا الصغرى فهي آخر محطة في هذا الطريق التجاري، بعيد عن خطر الحملات العربية الإسلامية. وكان نتيجة ذلك أن ضيقوا الخناق على التجارة العربية الإسلامية وكادت تنهيها، لأنهم حولوا تجارة الحرير والتوابل وغيرها التي يحتاجون إليها

١-Diehl. (1957 A.D), P:81-82.

٢- **الديباج:** نسيج من الحرير ذو ألوانٍ متعددة مختلفة وتصنع منه ثياب ظاهرها وباطنها من الحرير. مسعود. (1992م)، ص:368.

٣-الشاعر. (1991م)، ص:15.

٤- عبيد. (2002م)، ص: 17؛ العدوي. (1951م)، ص:126.

٥- Magdalion, and other. (2013A.D), P:324.

من المركزين البحريين الأساسيين للعرب المسلمين وهما بلاد الشام ومصر إلى طريق العراق البعيد عن أي خطر بحري[١]. وفي طرابيزون أقيم أكبر وأهم الأسواق الموسمية البيزنطية، والذي يستمر حوالي خمسة عشرَ يوماً، يحضره التجار العرب المسلمون وغيرهم من المناطق الأخرى ليبيعوا سلعهم بسهولة من دون أي عقبات. تميزت الطرق البرية التي تربط الدولة العربية الإسلامية بالإمبراطورية البيزنطية ولاسيَّما إلى طرابيزون بسهولتها وأمنها وسلكها تجار القوافل الكبيرة فحموا أنفسهم وبضاعتهم من بعض المخاطر الطبيعية والصعوبات التي كانت تعترضهم، كانت الإمبراطورية البيزنطية وأقاليمها على قدر كبير من الرخاء، فاعتاد التجار العرب المسلمين الذهاب إليها لممارسة التجارة، والبعض منهم فضَل الاستقرار في المدن البيزنطية، واقاموا جاليات كبيرة عربية إسلامية، ذات مكانة اجتماعية واقتصادية وحضارية، فقد كانت أكبر جالية عربية إسلامية موجودة في طرابيزون، هذا الاستقرار متّن وطوّر العلاقات التجارية بين الطرفين[٢]. على الرغم من أن القسطنطينية تعدّ المركز التجاري الأول والأفضل في التعامل والتبادل التجاري بين الطرفين. فلِما رغب تجار العرب المسلمين في توجيه تجارتهم نحو أقاليم الإمبراطورية أكثر من العاصمة ؟؟

إن بُعد القسطنطينية عن الدولة العربية الإسلامية والمشقة التي يعانونها في سفرهم جعلهم يتوجهون إلى أقرب الأقاليم البيزنطية وأهمها تجارياً فكان إقليم خالدية[٣] وعاصمته طرابيزون، فضلاً عن أن القسطنطينية فرضت قيوداً تجارية مشددة على التجار الأجانب حيث يتم الإشراف عليهم من قبل والي المدينة، فحددت مناطق الدخول إلى العاصمة، كما حددت مدة الإقامة بثلاثة أشهر، وكانت تلك الإقامة في مكان يسمى الخان[٤]. كان التجار القائمون في الخان يخضعون لمراقبة شديدة من قبل موظفي الدولة فقد قيدت حركتهم في البيع والشراء، فكان عليهم

---

[١]- لويس. (د.ت)، ص: 140-141؛ خماش. (1984م)، ص: 141.

[٢]- عبيد. (2002م)، ص:18.

[٣]- **خالدية:** تقع إلى شرق خليج القسطنطينية وهي مدينة كبيرة ذات نِعم وفيرة، وعمارة رائعة فيها الكثير من المدن والقلاع والجبال والقرى. مجهول. (1999م)، ص:137.

[٤]- Runciman. (1961 A.D), P:172.

الخان: عبارة عن مبنى ضخم يحتوي على مجموعة من الحوانيت الكبيرة والصغيرة وحجرات كثيرة، ومجموعة من الدور ذات مساحات كبيرة، الدار الواحدة تتسع لثلاثمئة وخمسين شخصاً، ويتوسط الخان فناء كبير على هيئة رواق مغطى حيث يحفظ التجار بضائعهم، ويجدون فيه المأوى لهم ولدوابهم خلال رحلتهم. ابن بطوطة. (1987م)، ج:1. ص: 72-73.

أن يبادروا لبيع ما لديهم من السلع بسرعة وشراء سلعة أخرى، وإذا تبقى شيء من متاجرهم يترك في عهدة ورعاية والي المدينة الذي كان يتولى بيعها ويحتفظ بالمال حتى عودتهم في العام التالي[١]. فكانت الدولة تحدد كمية المشتريات ونوعية التصنيع والأسعار والأجور، كما حددت السلع الممنوعة من التصدير وسميت بالمواد المحظورة، وقبل تصدير أي أقمشة كان لابد من وضع ختم والي المدينة، وكل بائع أو مشتري يخالف التعليمات المفروضة يتعرض لعقوبات صارمة كالغرامة والجلد أو مصادرة البضائع[٢]. في حين تابعت الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي الأول تنظيم أسواقها وعملية التبادل التجاري بالحصول على العشر من قيمة البضائع البيزنطية التي تباع في أراضيها، مع الحفاظ على حاجات البلاد ومصالح التجار، ففي بعض الأحيان فرضت الدولة العربية الإسلامية الخمس على البضائع البيزنطية ولم تسمح للتجار بالإقامة طويلاً في البلاد، وإن عادوا في العام نفسه بسلع أخرى يرغبون بتصريفها فرضت عليهم مكوساً جديدة، وعندما تشعر الدولة بحاجتها للبضائع البيزنطية كانت تخفض قيمة الضرائب، وتارة أخرى تعفيهم منها إن عادوا مرة أخرى. كل ذلك لتراعي مصالح رعاياها من التجار[٣]، التي تكونت لهم نقابات خاصة يتولى المحتسب أمورها[٤]. الذي يتولى الإشراف على حركة البيع والتبادل في الأسواق التي تعددت أنواعها كسوق البزازين لبيع الأقمشة والمنسوجات، سوق الجواهر، سوق الغنم، سوق الخبازين، سوق العطارين، وغيرها من الأسواق[٥]. كما كان من واجبات المحتسب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراقبة الباعة، ومنعهم من الغش والتلاعب بالأسعار والموازيين والمكاييل، ومنع تخزين الطعام حتى يرتفع سعره فيضطر الناس لشرائه لحاجتهم له[٦]. وضع المحتسب على كل صنعة عريفاً، ليكون عمله أكثر دقة واتقان في ضبط المخالفين، على أن يكون هذا العريف على اتصال دائم بالمحتسب يوافيه بأخبار ما يجلب إلى السوق من المتاجر وأسعار تلك البضائع، ويقدم هذه الأخبار في تقارير إلى المحتسب، ولذلك ليتخذ الإجراءات المناسبة إذ

١- العريني. (1957م)، ص:144؛ Runciman. (1961 A.D), P:171

٢- Diehl. (1957 A.D), P: 90

٣- الشاعر. (1991م)، ص:16.

٤- العدوي. (1951م)، ص:127.

٥- القرشي. (1976م)، ص:58.

٦- الماوردي. (1989م)، ص:316.

كان هناك أي مخالفة[١]. أما مهمة الإشراف على الأوضاع التجارية في الإمبراطورية البيزنطية، فكان تشابه واجبات المحتسب. فقد تعددت الأسواق في بيزنطة وانتظمت فيما يعرف بالنقابات التجارية التي تتمثل في نوعين: نوع يعمل على سد حاجات الأسواق المحلية، وتوفير سُبل الحياة للناس مثل نقابة الخبازين، والجزارين، والخياطين وغيرها. ونوع آخر تعد صناعته للتصدير، ويخضع هذا النوع لسلطة الحكومة وسيطرتها مثل صناعة الأقمشة الحريرية، والأسلحة والمتاجرة في الرقيق. وقد اشتمل تشريع النقابات على مبادئ تؤدي إلى الاستقرار التجاري، والرقابة على السلع التجارية، وتهيئة الفرص لاتساع التجارة. كما عين والي المدينة مندوباً للإشراف الدقيق على ما تمارسه النقابات التجارية من أعمال، والتفتيش على الموازيين، والمكاييل وفحص السلع. وعلى والي المدينة منع مزاولة النشاط التجاري في أيام الأعياد، كما يمنع التجار من تخزين السلع لأوقات الشدّة، لكي يجنوا من وراء ذلك أرباحاً فاحشة، وهذا يُعرف المحتكر في الوقت الحالي[٢]، ومن واجبات المندوب أيضاً أن يحد ويمنع من رفع الأسعار، حتى لا تتجاوز الحد المطلوب، ويتعرض من يخالف هذه التعليمات لعقوبات شديدة ومتنوعة كالجلد، وقص الشعر، ومصادرة ما تم تخزينه من السلع[٣]. كما أنه توفر في طرابيزون السوق الموسمي الذي يقام في الخامس عشر من أيلول من كل سنة، جذب التجار العرب المسلمين إليها [٤]. لذلك يُلاحظ أن المعلومات عن تبادل التجارة بين القسطنطينية والعرب المسلمين أقل بكثير من معلومات التبادل بين طرابيزون والعرب المسلمين. كما أن تنظيم الأسواق العربية الإسلامية والبيزنطية والإشراف على نشاط التجار بها والقوانين التي وضعت لها يدل على ازدهار التبادل التجاري والحضاري، ومحاولة كل دولة مراعاة مصالحها الاقتصادية، ومدى التقارب والتشابه بين الأوضاع التجارية لدى العرب المسلمين والبيزنطيين. كانت الرقابة التجارية تنفذ على العرب المسلمين والرعايا البيزنطيين على حد سواء، إلا أنها أثارت هذه الرقابة احتجاج البيزنطيين أنفسهم، لأن التجارة مع العرب المسلمين عصب الحياة ومصدر رزقهم بالنسبة لهم. لذلك اهتم العرب المسلمون والبيزنطيون بالمحافظة على الأوضاع الاقتصادية في المشرق العربي الإسلامي المطلة على حوض البحر المتوسط الشرقي لما تقوم به تلك المنطقة من دور اقتصادي

---

[١]- ابن بسام المحتسب. (1968م)، ص:18.

[٢]- العريني. (1957م)، ج:9. ص:136 -137.

[٣]- العريني. (1957م)، ج:9. ص:144-145.

[٤]- عبيد. (2002م)، ص:18.

هام جداً، فهي تتحكم في أطراف الطرق التجارية الآتية من بلاد الشرق الأقصى سواء البحرية أو البرية، واتجهت إليها الدول البيزنطية لاستيراد المتاجر الشرقية. ومن خلال هذه البقعة التجارية المهمة، يُلاحظ أن العرب المسلمين بذلوا جهوداً مضينة منذ أيامهم الأولى في تقوية أركان حياتها التجارية وبعث حياة جديدة فيها، لا أن يهدموا أسسها ويقوضوا أركانها كما أدرك أهالي البلاد المفتوحة أن العرب المسلمون الفاتحون ليسوا شعباً متبربراً أو متغطرساً يضع العقبات في سبيل الحياة الاقتصادية كيلا تسير في مجراها الطبيعي، بل أنهم يحوطونها بتشجيعهم ورعايتهم، فقد أدرك العرب المسلمون ما للتجارة من أهمية في حياة هذه البلاد التي ارتادتها قوافلهم التجارية مراراً قبل الإسلام. وجنى البيزنطيون فائدة عظيمة من الرواج الذي أصاب البلاد العربية الإسلامية المطلة على البحر المتوسط الشرقي[١]. ورغم وضع بيزنطة بعض التشديدات ونظام الرقابة التجارية وحرص كل منهما – الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية – على إبقاء الصلات الحضارية التجارية بين الطرفين، إلا أن ما سهل هذه الرقابة نوعاً ما، انتشار قوة بيزنطة البحرية في البحر المتوسط منذ انتصارها عام 100هـ/ 718م، واسترجاعها وامتلاكها لبعض جزر البحر المتوسط كجزر البليار وسردينيا وكورسيكا، إذ كونت هذه الجزر سلسلة من الحواجز تجاه الشمال الإفريقي والساحل الإسباني. يضاف إلى ذلك أن إشراف بيزنطة على مضيق مسينا وعلى جانبي مدخل البحر الأدرياتيكي لذلك كان من السهل جداً منع أي سفينة تتوجه غرباً أو شرقاً من الاستمرار. كما أن الطريق الممتد على سواحل البحر المتوسط الجنوبية، بين مصر وشمال إفريقية شديد الخطورة على الملاحة حيث تهب رياح شمالية لا تعترضها كتل أرضية تحد من هبوبها، والواقع أن الموانئ الصالحة لرسو السفن قليلة جداً فيما بين برقة وطرابلس، ولذلك كان الطريق المألوف بين الشرق والغرب هو الطريق المار بكريت وقبرص وعلى طول ساحل آسيا الصغرى الجنوبي. فضلاً عن استخدام الطريق البحري المباشر بين كريت والإسكندرية. وفي استطاعة القوة البحرية البيزنطية، على طول هذه السواحل كلها أن تقف في وجه التجارة الذاهبة إلى الغرب أو الذاهبة إلى مصر وبلاد الشام وشمال إفريقية، وإذا أمكن لسفينة أن تفلت من رقابة الأسطول البيزنطي في نقطة معينة، فلا يمكن لها أن تفلت في مكان آخر. وهذا الوضع مكَّن بيزنطة من محاصرة البحر المتوسط، سواء أكان في وسطه أم على

---

[١]- الخربوطلي. (1970م)، ص:30-31.

طول سواحل شمال إفريقية من جهة الغرب أو على الطرق التجارية بين الشرق والغرب[١]. استمرت المواجهات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، فقد امتلك العرب المسلمون إلى جانب الأسطول الحربي أسطولاً تجارياً ضخماً سيطر على التجارة في البحر المتوسط، وزاد النشاط التجاري العربي الإسلامي بعد سيطرتهم على معظم الشواطئ والجزر. فقد أقلع الأسطول العربي التجاري خلال العصر العباسي في رحلات تجارية منظمة بين أنطاكية في بلاد الشام والمحيط الأطلسي، وكانت الرحلة تستغرق ستة وثلاثين يوماً، وكان ميناء أنطاكية وسلوقية التي أصبحت في العصر العباسي أهم مركز تجاري للتجارة في بلاد الشام، ولقد حصنها الخليفة العباسي المعتصم. وكان من أهم الموانئ التجارية في بلاد الشام في هذا العصر ميناء طرابلس الذي يتسع لألف سفينة، أما الميناء الحربي في بلاد الشام الذي خرجت منه الحملات الحربية ضد البيزنطيين فكان ميناء صور الذي كانت تحميه حصون هائلة، وامتدت المراكز التجارية ومخازن البضائع في المدن المهمة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط[٢]. عن طريق فتح القناة التي كانت تربط في العصور القديمة الطرف الشمالي لبحر القلزم مع مصر، والتي تم فتحها لإرسال الحبوب المصرية إلى الجزيرة العربية، ولكن في عام 144هـ/761م، تقريباً غمرها الطمي عمداً لكي تعرقل إرسال الطعام إلى المدينة المنورة التي كانت آنذاك معقلاً للتمرد. وكانت تعدّ صالحة للتجارة ونقل البضائع بين بحر القلزم والبحر المتوسط، وذلك سيعود بأكبر فائدة للعلاقات التجارية بين الشرق والغرب. لذا فكر هارون الرشيد في إعادة حفر قناة في برزخ السويس وقد أدرك مدى الفائدة التي يعود بها حفر القناة إلا أن الرشيد عاد فرفض تلك الفكرة خوفاً من إبحار البيزنطيين عبر تلك القناة للإغارة على المدينتين المقدستين مكة والمدينة[٣]. كان من نتيجة الظروف السياسية والحربية أن حال دون وصول سفن التجار المصريين والشاميين إلى غرب البحر المتوسط، وربما كان لسياسة العباسيين ومواصلة إجراءات الدولة الأموية الأندلسية أثر كبير في إغلاق غربي البحر في وجه العرب المسلمين واستمر حصر مرور التجارة الشرقية اللازمة لبيزنطة خاصة، وبلاد الغرب عامة عبر ثغور طرابيزون على البحر الأسود. وهذه التجارة هي المستوردة من الوسطاء العرب

---

[١]- لويس. (د.ت)، ص: 141-142؛ خماش. (1984م)، ص:141.

[٢]- الخربوطلي. (1970م)، ص: 57.

[٣]- Heyd. (1979 A.D), V1. P: 46-47.

المسلمين في بلاد فارس والعراق وربما سمحت بيزنطة لبعض التجار أن تمر عبر مصر وبلاد الشام على أنه من المؤكد أن هذا كان يخضع لإشراف دقيق. وإلى جانب هذا فلابد أنهم اشترطوا ن تأتي السلع إلى القسطنطينية أولاً، فضلاً عن بعض المنتجات الشرقية الأخرى كالتوابل والمنسوجات الحريرية التي وصلت إلى الدولة البيزنطية عن طريق بلاد الخزر[١].

٣- آثار الرقابة البحرية البيزنطية:

أدت رقابة بيزنطة على التجارة إلى الإضرار بمصالح جميع دول البحر المتوسط غير العربية، مثل البندقية ونابولي Napoli[٢]وجنوه. وهذه الرقابة التجارية تفسر الصراع العنيف الطويل بين شارلمان والدولة البيزنطية حتى عام 197هـ/ 812م[٣]. كما أنها أدت أيضاً إلى تغير الوسطاء الذين كانوا يقومون بالتبادل التجاري بين الشرق والغرب وعلى الرغم من نشاط بعض التجار الوطنيين في إيطاليا وشمال إفريقية فإن التجارة بين الشرق والغرب ظلت حتى عام 98هـ/ 716م، في يد أهالي بلاد الشام ومصر واليونان واليهود كما استقر التجار المشارقة، جالبوا البضائع الشرقية في مستعمرات لهم في الغرب الأوربي ومنه كانوا يرسلون السفن إلى الشرق محملة بالبضائع الغربية. وإن نتائج الرقابة التجارية البيزنطية أيضاً انتقال التجارة من أيدي البيزنطيين إلى غيرهم، ومنها أيضاً تدهور الأساطيل الحربية البيزنطية في بحر إيجة وكبيرهيوت إذ كانت تلك الأساطيل تعتمد على من تجمعهم بالقوة من ملاحي السفن التجارية وهذا ما يفسر ضعف البيزنطيين البحري في أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أي أن ذلك الضعف يرجع إلى الرقابة التجارية أكثر مما يرجع إلى إهمال فعلي من جانب الدولة لشؤون الأسطول. فنظام الرقابة التجارية انعكس سلباً على الاقتصاد داخل الدولة البيزنطية وإلى ضعف بحري أضحى من العسير إصلاحه ما لم تلجأ الدولة إلى تغيير شامل في أساليبها الاقتصادية والحربية والبحرية. ومضت هذه الدولة في طريق الركود الاقتصادي حقيقة كانت الدولة البيزنطية لا تزال غنية ولا تزال قوية ولكنها لم تستطع أن تحافظ كما

---

[١]- الخربوطلي. (1970م)، ص: 57-58؛ Heyd. (1979 A.D), V1. P: 51-54.

[٢]- **نـابولي:** مجينـة ومرفـأ فـي جنـوبي إيطاليـا، علـى البحـر التيرانـي بـالقرب مـن فيـزوف، وقـد كانـت عاصـمة مملكـة نـابولي القديمـة، احتلهـا البيزنطيـون سـنة 544م، وفيهـا مركـز صـناعي وتجـاري، والعديـد مـن الجامعـات والقصـور والأديـرة. الخونـد. (1995م)، ج:4. ص:327.

[٣]- الخربوطلي. (1970م)، ص: 58.

يجب على نظام الرقابة في تجارة البحر المتوسط الذي أقامته ضد أعدائها[١]. إن الحصار الاقتصادي الذي فرضته بيزنطة على الطرق التجارية كان بالغ الأثر على الشرق، ولاسيَّما أن التدابير البحرية والاقتصادية تم توجيهها مباشرة ضد سواحل مصر وبلاد الشام، فقد فقدت بلاد الشام مركزها التجاري منذ عام 135هـ/ 752م، وفقدت مدنها الساحلية أهميتها كذلك، ولم تعدّ قادرة على حشد الأساطيل لأكثر من عشرين عاماً. كما سقطت الخلافة الأموية عقب هزيمتهم وانكسارهم البحري الاقتصادي على أيدي البيزنطيين، وانتقلت الخلافة إلى العباسيين الذين أقاموا مركزهم في بغداد حيث تمر التجارة المهمة إلى طرابيزون، في حين هبطت دمشق إلى مستوى المراكز الإقليمية ذات الدرجة الثانية[٢]. أما مصر فقد تأثرت أيضاً بشكل كبير جراء هذا الحصار الاقتصادي وساد التدهور في أنحائها، ففي عام 87هـ/ 705م، كانت مصر في غاية الرخاء إلى حد ضاقت فيه خزائنها بالأموال. إلا أنه منذ عام 107هـ/ 725م، بدأت الاحتجاجات والثورات تجتاح مصر، فقد قام الأقباط بأولى ثوراتهم الكبرى واستمرت أكثر من قرن حتى أخمدت الثورة بصعوبة بالغة. وتكررت ثوراتهم ففي سنة 122هـ/ 739م، قاموا أيضاً بثورة كانت أكثر عنفاً إلّا أنّه تمَّ القضاء عليها في النهاية. وفي الوقت نفسه قام البيزنطيون بغارة بحرية على سواحل مصر ولاسيَّما على الدلتا، يضاف إلى ذلك قيام القبائل العربية المقيمة في الدلتا باحتجاج على الضرائب الباهظة المفروضة عليهم. ولكن ما علاقة قيام ثورات الأقباط في الوقت الذي فرضت فيه بيزنطة رقابتها على الطرق التجارية، أكان هدف الثورات سياسي أم ديني أم اقتصادي؟ ولاسيَّما أن الأقباط في مصر ساعدوا العرب المسلمين منذ بداية إنشائهم للأسطول العربي الإسلامي، وكانوا مخلصين لهم. يُلاحظ أن القبط كانوا في مصر يعملون في الزراعة والتجارة، فنظام الرقابة والحصار الاقتصادي التي فرضته بيزنطة أثّر بهم وأضرهم، يضاف لذلك الضرائب الباهظة التي فرضت عليهم مما أدى إلى فقدان الرخاء الذي تمتعوا به مدّة من الزمن. أما شمال إفريقية فلم تسلم أيضاً من هذا الحصار، ففي عام 123هـ/ 740م، بلغت الأحوال الاقتصادية غاية التدهور نتيجة الضرائب الباهظة، وما زاد الأوضاع سوءاً وتدهوراً ثورات البربر واستيائهم من الامتيازات الاجتماعية والسياسية الممنوحة لحكامهم

---

[١]- الخربوطلي. (1970م)، ص: 59-60؛ لويس. (د.ت)، ص:187.

[٢]- فرج، ويوسف. (1981م)، ص: 328؛ لويس. (د.ت)، ص:143.

العرب المسلمين، وعدم المساواة فيما بينهم، مما أدى إلى قيام هؤلاء مع الخوارج والطبقات الفقيرة بثورة في شمال إفريقية هزت كيان الحكم فيها. كل تلك الثورات تعود إلى الضرائب والظروف الاقتصادية[١].

وهذا يؤدي إلى نتيجة مفادها أن الحروب والنزاعات لا تمنع أبداً من قيام تفاعل حضاري بين الطرفين المتنازعين، لاسيَّما في مجال التجارة وتبادل السلع والبضائع التي تحتاجها كل دولة لاستمرار مقومات حياتها، وأن النقود وسكها ونقشها دليل على استقلال أيّ دولة اقتصادياً ومن خلالها استطاع عبد الملك بن مروان أن يستقل اقتصادياً عن الإمبراطورية البيزنطية وأن يؤكد وحدة الدولة العربية الإسلامية، وأن يجعل الدولة البيزنطية تقتنع وتقبل بعملته خوفاً على مصالحها الاقتصادية من أن تُحرمَ من منتجات الشرق.

---

[١]- لويس. (د.ت)، ص: 143-144.

خـاتمــة

كانَتِ البِحارُ في الماضي ولا زالَتْ حتى اليومِ تَقُومُ بِدَورٍ فائقِ الأهميَّةِ في تاريخِ البشريَّةِ، وإنَّ المُدُنَ الأولى التي عُرِفَتْ نَشَأَتْ على شَواطِئِ المُحيطاتِ والبِحارِ والأنهارِ الكبيرةِ المُتَّصِلَةِ بِها، كَذَلِكَ قامَتْ على تِلكَ الشَّواطئِ أكبرُ المراكزِ التجاريَّةِ والصناعيَّةِ والموانئِ المختلفةِ. ويُعَدُّ ظهورُ العربِ المُسلمينَ في حوضِ البحرِ المتوسطِ ومحاولةُ إضعافِ الإمبراطوريَّةِ البيزنطيَّةِ من أهمِّ الحوادثِ التي شَهِدَتْهَا المِنطقةُ في العصورِ الوُسطى، ولا شَكَّ في أَنَّ العَربَ المسلمينَ بدؤوا نَشاطَهُمُ البحريَّ لِبَسْطِ سيادتِهِمْ وسيطرتِهِمْ على البحرِ المتوسطِ، ونشرِ الدينِ الإسلاميّ في كلِّ بِقاعِ العالَمِ الغربي. ولا خِلافَ في أَنَّ البحرَ المتوسطَ التي جَرَتْ على سواحِلِهِ وجُزُرِهِ وفوقَ مياهِهِ نِقاطُ هذا البحثِ، أَسْهَمَ ولا زالَ بِدَورٍ كبيرِ الأهميَّةِ في تاريخِ العالَمِ إنسانيّاً وبشريّاً وعسكريّاً، فَالبحرُ المتوسطُ بِسَواحلِهِ وبحارِهِ الدَّاخليَّةِ وجُزُرِهِ الكُبرى ومضائقِهِ هَيَّأَ الشُّروطَ المُناسبةَ لِإنشاءِ القواعدِ البحريَّةِ ودُورِ صناعةِ السُّفُنِ، وأماكنَ مثاليَّةٍ لِحَشْدِ القُوَّاتِ البحريَّةِ وتمركُزِها. فالقواتُ البحريَّةُ كانت ولا تزالُ تُمَثِّلُ القوةَ العسكريةَ الرئيسةَ التي يُمْكِنُهَا أَنْ تَظْهَرَ بسرعةٍ وتُفاجئَ العدوَّ في أماكنَ لا يَتَوَقَّعُها، وتُعَدُّ القوةُ البحريةُ الذِّرعَ الحاميَ للدولةِ الذي يُمْكِنُ بِوُاسطتِهِ القيامُ بعملياتٍ ناجحةٍ بعيداً عَنْ قواعِدِها بمسافاتٍ بعيدةٍ تَتَجاوزُ مئاتِ الأميال.

حاولَ البحثُ أَنْ يُبَيِّنَ ماهيَّةَ النشاطِ البحريّ الذي قامَ بِهِ العربُ المسلمونَ من خلالِ الحقائقِ التاريخيَّةِ التي تَمَّ التوصُّلُ إليها بعيداً عَنِ الميولِ والأهواءِ الشخصيةِ وكذلك عَنْ آراءِ بعضِ المُستشرقينَ الذين رأَوا أَنَّ السيطرةَ العربيَّةَ الإسلاميَّةَ لم تكنْ إلا وَسيلةً لِلسَّلْبِ والنهبِ. كما حاولَ آخرونَ الطعنَ في قُدُراتِ العربِ المسلمينَ البحريَّةِ ورأَوا أنهُمْ لم يَعرِفُوا ركوبَ البحرِ مِنْ قَبْلُ، بالرغمِ مِنْ أَنَّ القرآنَ الكريمَ قد ذَكَرَ العديدَ من الآياتِ التي حَفَّزَتِ العربَ المسلمينَ على ركوبِ البحرِ، كذلك وَصَفَتِ البحرَ وأدواتِهِ وهذا يَدُلُّ على معرفةِ العربِ المسلمينَ لِرُكوبِ البحر. ويَقْتَرِنُ تاريخِ البحريةِ العربيةِ الإسلاميةِ بالسيطرةِ على بلادِ الشامِ ومِصرَ حيثُ أَصْبَحَتْ لَهُمْ سواحلُ طويلةٌ ومُتَّصِلَةٌ تُطِلُّ على البحرِ المتوسطِ. فَقَدْ كانَ معاويةُ بنُ أبي سفيانَ أولَ مَنْ تَنَبَّهَ إلى ضرورةِ امتلاكِ الدولةِ العربيةِ الإسلاميةِ لِقُوةٍ بحريةٍ قادرةٍ على الدفاعِ عَنِ السواحلِ أولاً وقادرةٍ على مُنازلةِ البيزنطيينَ في البحرِ ثانياً، فقد كانَ معاويةُ والياً على بلادِ الشامِ في عهدِ الخليفةِ عُمَرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عنه.

وقد بَدَأَ التعاونُ البحريُّ بينَ بلادِ الشامِ ومِصْرَ عامَّةً وبينَ مُعاويةَ وعبدِ اللهِ بنِ سعدِ بنِ أبي سرحٍ والي مِصْرَ آنذاكَ في بناءِ السُّفُنِ والمراكبِ في دارِ صناعةِ الإسكندريَّةِ، وفي دارِ صناعةِ عكا وصورٍ وغيرِها. وذلك سعياً منْهُما لِامتِلاكِ قوةٍ بحريةٍ بأسرعِ وقتٍ، لِأَنَّ أيَّ دولةٍ لا تستطيعُ الحِفاظَ على كيانِها وبقائِها لِمُدةٍ طويلةٍ دُونَ امتلاكِ قُوَّةٍ بحريَّةٍ قويةٍ تُساندُ القوةَ البريةَ. **وقَدْ تَوَصَّلَ البحثُ إلى عدّةِ نتائجَ، أَهَمُّهَا:**

١- القوةُ البحريَّةُ العربيَّةُ الإسلاميَّةُ شَكَّلَتْ عَبْرَ التاريخِ الإسلاميّ العربيّ أهميَّةً كبيرةً جداً، بِفَضْلِ ما سَطَّرَتْهُ من إنجازاتٍ ومآثرَ، فقدِ استطاعَ معاويةُ بنُ أبي سفيانَ وعبدُ اللهِ بنُ أبي سرحٍ في أقلَّ مِنْ عشْرِ سَنَوَاتٍ البَدْءَ بِبِناءِ أولِ أُسطولٍ عربيٍّ إسلاميٍّ أَخَذَ يُنافِسُ الأسطولَ البيزنطيَّ في قوتِهِ فاستطاعَ أيضاً الانتصارَ في معركةٍ عَدَّهَا بعضُ المؤرخينَ معركةً فاصلةً بينَ العربِ المسلمينَ والبيزنطيين وهي معركةُ ذاتِ الصَّواري التي انْتَصَرَ فيها العربُ المسلمونَ انتصاراً حاسِماً على القواتِ البيزنطيةِ رَغْمَ عُدَّتِهِمْ وعَدَدِهِمُ الكبيرِ وخبرتِهِمُ الواسعةِ في القِتالِ، واستطاعُوا أَنْ يُنْهُوا سيطرةَ البيزنطيينَ على البحرِ المُتوسطِ بَعدَ أَنْ كانُوا سادةَ البحرِ المُتوسطِ لِمُدّةٍ طويلة.

٢- أَصْبَحَ العربُ المسلمونَ سادةَ البحرِ لِأَكْثَرَ مِنْ أربعةِ قُرُونٍ. هذا الانتصارُ الحاسمُ الذي حَقَّقَهُ العربُ المسلمونَ حَفَّزَهُمْ أكثرَ لِتَوسيعِ رُقعةِ الدولةِ الإسلاميَّةِ العربيَّةِ ومتابعةِ فُتُوحاتِهِمُ البحريةِ ولاسيَّما في جُزُرِ البحرِ المتوسطِ وسواحلِهِ، فقد أَشارَ البحثُ إلى أَنَّ المسلمينَ أَدْرَكُوا أَنَّ البحرَ المتوسطَ لا يُمْكِنُ السيطرةُ عليهِ إلا بَعْدَ الاستيلاءِ على جُزُرِهِ الكثيرةِ الغربيَّةِ والشرقيةِ فَبَدَأَتْ محاولاتُهُمْ لفتحِهَا وفعلاً تَمَكَّنُوا من فَتْحِ العديدِ مِنَ الجُزُرِ الكبيرةِ كِجَزيرةِ قُبرصَ وكريت ورودوس وصقليةَ وجُزُرِ البليار وسردينيا وغيرِها، أَمَّا البعضُ الآخرُ فَإِنَّهُ تَمَّ فتحُها في مرحلةٍ مُتأخرةٍ عن مرحلةِ البحث. كما تابَعَ العربُ المسلمونَ فُتُوحاتِهِمْ وصولاً إلى الأندلسِ والمغرب وحاولُوا جاهِدِينَ فتحَ العاصمةِ القسطنطينيةِ مِراراً وحاصَرُوها أكثرَ مِنْ سبعِ سنواتٍ من جهةِ البحرِ والبر. وكانَ الجهادُ وإعلاءَ كلمةِ الإسلامِ هَدَفَ العربِ المسلمينَ من وراءِ كُلِّ اهتمامِهِمْ بالقوةِ البحريةِ، وليسَ الهدفُ السلبَ أوِ النهب.

٣- قدرةُ العربِ المسلمينَ الجهاديَّةُ العاليَّةُ التي لا تَحُدُّهَا هزيمةٌ أو حدودٌ في البرِّ والبحرِ في سبيلِ نشرِ الإسلامِ رَغْمَ كُلِّ التضحياتِ والصُّعوباتِ التي اعْتَرَضَتْ طريقَهُمْ. فَضْلاً عن ذلك فَإِنَّ البحثَ وَضَّحَ دَوْرَ النشاطِ البحريِّ العربيِّ الإسلاميِّ في تَوسيعِ دائرةِ السيطرةِ والعروبةِ والإسلامِ إلى المناطقِ التي كانَتِ الدولةُ البيزنطيةُ مُسيطرةً عليها. كما أَكَّدَ أمراً مُهِمَّاً جداً، هو أَنَّهُ رغمَ كُلِّ الاحتكاكاتِ الحربيَّةِ والقتاليَّةِ بينَ البيزنطيينَ والعربِ المُسلمينَ إلا أَنَّ ذلك لم يَمْنَعْ أبداً الاحتكاكَ الحضاريَّ بين الطرفينِ واستمَرَّتِ العملياتُ التِّجاريَّةُ وتبادلُ السِّلَعِ، رَغمَ قِيامِ الخليفةِ عبدِ الملكِ بنِ مروان، بِخُطوةٍ جريئةٍ جداً ومزعزعةٍ لمكانةِ الإمبراطورِ البيزنطيِّ وتُزعزعُ مكانتَها الاقتصاديةَ.

٤- وفي النهايةِ إِنَّ كُلَّ ما تَقَدَّمَ يُثْبِتُ حقيقةً مُؤَكَّدَةً مفادُها أَنَّ النشاطَ البحريَّ في حوضِ البحرِ المتوسطِ لم يَكُنْ غايةً في حَدِّ ذاتِهِ وإِنَّمَا كانَ وسيلةً مِنَ الوسائلِ التي اتَّبَعَها العربُ المسلمونَ لِنَشْرِ رسالتِهِمُ السماويَّةِ في العالَمِ كُلِّهِ تحتَ شِعارِ إِنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ هُوَ الإسلام، إضافةً لِتَأكيدِ مكانتِهِمُ الاجتماعيةِ والاقتصاديَّةِ ولِتَحقيقِ الاستقلاليَّةِ الكاملةِ عَنِ الدولةِ البيزنطية.

النتائج والمقترحات:

١- توجيهُ طلابِ الدراساتِ العليا والجامعاتِ والمعاهدِ لِدِراسةِ العلاقاتِ العربيةِ الإسلاميةِ البيزنطيةِ ولاسيَّما فيما يَخُصُّ الاقتصادَ لِأَنَّها دراسةٌ مهمةٌ تُفِيدُ في كيفيةِ ممارسةِ العلاقاتِ الاقتصاديةِ رغمَ الاحتكاكاتِ الحربيةِ بَيْنَهُمْ.

٢- أثرُ العلاقاتِ الحربيةِ على العلاقاتِ الاقتصاديةِ بينَ الطرفَيْنِ وهلِ الحربُ يُمْكِنُ أَنْ تَمْنَعَ هذا الاحتكاكَ الحضاريَّ؟ والوسائلُ التي تُشَكِّلُ نقاطَ ضعفٍ أو قوةٍ لدى الطَّرَفَيْنِ في هذا المجال.

٣- التبحرُ أكثرَ في دراسةِ المصادرِ البيزنطيةِ التي لم يُتَمَكَّنُ مِنَ الحصولِ عليها ولم يَسَعُ الوقتُ للتمعنِ فيها أكثرَ ودراسةِ وجهةِ نظرِها حولَ العلاقاتِ العربيةِ البيزنطيةِ ومقارنَتِها بالمصادرِ العربية.

٤- حبذا لو تَمَكَّنَ آخرونَ من دراسةِ أهميةِ جُزُرِ البحرِ المتوسطِ وسواحلِهِ بالنسبةِ للدولةِ البيزنطيةِ قبلَ الاحتكاكِ الحربيّ البحريّ مَعَ العربِ المسلمينَ. أو مقارنةِ أهميةِ الجزرِ والسواحلِ للطرفين، وغايةِ كلٍّ مِنْهُما في السيطرةِ عليها وامتلاكِ السيادةِ على البحرِ المتوسط؟

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر العربية.

١. ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت 658هـ/1260م. **الحُلة السيراء**. (1963م). ط:1. تح: حسين مؤنس. القاهرة. دار المعارف. ج:1-2. ص:792.

٢. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ت 630هـ/1232م. (د.ت). **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود. تق: محمد عبد المنعم البري وآخرون. بيروت. دار الكتب العلمية. ج:2. ص:672.

٣. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري. (د.ت). **الكامل في التاريخ**. تح. أبو صهيب الكرمي. الرياض: المملكة العربية السعودية. بيت الأفكار الدولية. ص:2000.

٤. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ت 560هـ/1166م. (1863م). **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**. ليدن. مطبعة بريل. ص:656.

٥. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله. (1957م). **وصف إفريقية الشمالية والصحراوية**. تح: هنري بيريس. الجزائر. مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية. ص:156.

٦. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد. (2002م). **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. ج:1-2. القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية. ص:1776.

٧. الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد ت 250هـ/864م. (2003م). **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**. ط:1. تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. د.م. مكتبة الأسدي. ص:1195.

٨. الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ت 346هـ/957م. (1927م). **المسالك والممالك**. ليدن. مطبعة بريل. ص: 364.

٩. ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي ت 930هـ/1523م. (1975م). **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. ط:1. تح: محمد مصطفى. القاهرة. دار إحياء الكتب العربية. ج:1. ص:594.

١٠. ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي ت 930هـ/1523م. (1995م). **نزهة الأمم في العجائب والحكم**. ط:1. تح وتق: محمد زينهم. القاهرة. مكتبة مدبولي. ص:349.

١١. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ت 256هـ/869م. (2002م). **صحيح البخاري**. ط:1. دمشق. دار ابن كثير. ص:1944.

١٢. ابن بسام المحتسب، شمس الدين محمد بن شيخ الدين أحمد ت 626هـ/1228م. (1968م). **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**. تح: حسام الدين السامرائي. بغداد. مطبعة المعارف. ص:225.

١٣. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن بطوطة ت 779هـ/1377م. (1987م). **رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. ط:1. تح: عبد المنعم العريان. لبنان: بيروت. دار إحياء العلوم. ج:1. ص:799.

١٤. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن ت 739هـ/1338م. (1992م). **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**. ط:1. تح: علي محمد البجاوي. بيروت. دار الجيل. ج:1. ص:498.

١٥. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ت 487هـ/1094م. (1857م). **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**. بغداد. مكتبة المثنى. ص:215.

١٦. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر ت 279هـ/892م. (1900م). **فتوح البلدان**. ط:1. بيروت: لبنان. مطبعة الموسوعات. ص:480.

١٧.البيهقي، إبراهيم بن محمد ت 470هـ/1077م. (2010م). **المحاسن والمساوئ**. ط:1. الرياض: المملكة العربية السعودية. دار الصميعي. ص:558.

١٨.التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد ت 1230هـ/1815م. (1981م). **رحلة التجاني**. تق: حسن حسني عبد الوهاب. تونس. الدار العربية للكتاب. ص:502.

١٩.ابن تغري، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت 874هـ/1470م. (1929م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ط:1. القاهرة. مطبعة دار الكتب المصرية. ج1. ص:436.

٢٠.ابن جعفر، قدامة ت 337هـ/948م. (1981م). **الخراج وصناعة الكتابة**. تح: محمد حسين الزبيدي. بغداد: العراق. دار الحرية للطباعة. ص:623.

٢١.ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن عمرو الهاشمي البغدادي ت 245هـ/859م. (د.ت). **المحبر**. بيروت: دار الآفاق الجديدة. ص:752.

٢٢. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ت 456هـ/1064م. (1982م). **جمهرة أنساب العرب**. ط:5. تح: عبد السلام محمد هارون. القاهرة. دار المعارف. ص:695.

٢٣.الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله بن عبد الله ت 626هـ/1228م. (1977م). **معجم البلدان**. بيروت. دار صادر. ج:1-2-3-4. ص:2060.

٢٤.الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله ت 488هـ/1095م. (2008م). **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**. ط:1. تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد. تونس. دار الغرب الإسلامي. ص:718.

٢٥.الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ت 900هـ/1495م. (1975م). **الروض المعطار في خبر الأقطار**. ط:1. تح: إحسان عباس. بيروت. مكتبة لبنان. ص:745.

٢٦.الحميري، محمد بن عبد المنعم. (1988م). **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**. ط:2. بيروت: لبنان. دار الجيل. ص:229.

٢٧.أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود ت 282هـ/895م. (1974م). **كتاب النبات**. تح: محمد حميد الله. القاهرة. المعهد العلمي الفرنسي. ج:2 ص:504.

٢٨.ابن حوقل، أبو القاسم إبراهيم النصيبي. ت 367هـ/977م. (1992م). **صورة الأرض**. بيروت: لبنان. دار مكتبة الحياة. ص:432.

٢٩.ابن خلدون، عبد الرحمن. ت 808هـ/1406م. (2000م). **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. مرا: سهيل زكار. بيروت: لبنان. دار الفكر. ج:4. ص:730.

٣٠.ابن خلدون، عبد الرحمن. ت 808هـ/1406م. (2001م). **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر " مقدمة ابن خلدون"**. مرا: سهيل زكار. بيروت: لبنان. دار الفكر. ج:1. ص:851.

٣١.ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني ت 776هـ/1374م. (1964م). **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**. تح وتع: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني. د.م. دار الكتاب. ج:3. ص:327.

٣٢.ابن خلكان. شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت 681هـ/1282م. (1970م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تح. إحسان عباس. بيروت. دار صادر. ج:5. ص:524.

٣٣.ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط الشيباني العصفري البصري ت240هـ/854م. (1985م). **تاريخ ابن خياط**. ط:1. تح: أكرم ضياء العمري. النجف الأشرف. مطبعة الآداب. ص:344.

٣٤.الدباغ، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي ت 696هـ/1296. (1972م). **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**. تح: محمد الأحمدي ومحمد ناضور. القاهرة: مصر. مكتبة الخانجي. ج:2. ص:367.

٣٥.ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم القيرواني ت 1110هـ/1698م. (1966م). **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**. ط:1. تونس. مطبعة الدولة. ص:307.

٣٦.الديار بكري، حسين بن محمد ت 966هـ/1559م. (1816م). **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**. بيروت. مكتبة شعبان. ج:2. ص:399.

٣٧.الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت 748هـ/1374م. (2003م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. ط:1، تح: بشار عواد معروف. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ج:1. ص: 2115.

٣٨.الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (2004م). **سير أعلام النبلاء**. بيروت. بيت الأفكار الدولية. ص:4683.

٣٩.الروحي، أبو الحسن علي بن أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز. (1909م). **بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء**. تح: عماد أحمد هلال ومحمد حسني عبد الرحمن وسعاد محمود عبد الستار. مر: أيمن فؤاد سيد. القاهرة: مصر. مطابع التجارية. ص:423.

٤٠.ابن سعد، محمد بن منيع الزهري ت 230هـ/844م. (2001م). **الطبقات الكبير**. ط:1. تح: علي محمد عمر. القاهرة. مكتبة الخانجي. ج:7. ص:648.

٤١.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ت 911هـ/1505م. (1967م). **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**. ط:1. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. ج:1. ص:616.

٤٢.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (2003م). **تاريخ الخلفاء**. ط:1. بيروت: لبنان. دار ابن حزم. ص:420.

٤٣.ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم. (1991م). **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**. تح: يحيى زكريا عبارة. دمشق. منشورات وزارة الثقافة. ج:1. ص:423.

٤٤.الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ت 310هـ/923م. (د.ت). **تاريخ الرسل والملوك**. ط:4. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر. دار المعارف. ج:4. ص:584. ج:5. ص:635.

٤٥.الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير. (1964-1965م). **تاريخ الرسل والملوك**. ط:4. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر. دار المعارف. ج:6. ص:653. ج:7. ص:670.

٤٦.الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير. (1966م). **تاريخ الرسل والملوك**. ط:3. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر. دار المعارف. ج:8. ص:686.

٤٧.ابن الطقطقا. محمد بن علي بن طباطبا ت 1262هـ/1309م (د.ت). **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**. بيروت. دار صادر. ص:360.

٤٨.الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت 599هـ/1203م. (1989م). **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**. ط:1. تح: إبراهيم الأنباري. القاهرة: مصر. دار الكتاب المصري. ج:1. ص:733.

٤٩.ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي ت 463هـ/1070م. (2002م). **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. ط:1. تح: عادل مرشد. عمان: الأردن. دار الأعلام. ص:1025.

٥٠.ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ت 257هـ/871م. (1961م). **فتوح مصر والمغرب**. تح. عبد المنعم عامر. القاهرة. شركة الأمل للطباعة والنشر. ج:1. ص:302.

٥١.ابـن عبـد ربـه، أحمـد بـن محمـد ت 328هـ/939م. (1983م). **العقـد الفريـد**. ط:1. تـح: مفيـد محمد قميحة. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج:1. ص:370.

٥٢.ابـن العبـري، أبـو فـرج جمـال الـدين يوحنـا بـن هـارون ت 685هـ/1286م. (1983م). **تـاريخ مختصـر الـدول**. ط:1. تـح: أنطـون صـالحاني اليسـوعي. بيـروت. دار الرائـد اللبنـاني. ص:623.

٥٣.ابـن العـديم، كمـال الـدين أبـو القاسـم عمـر بـن أحمـد بـن هبـة الله ت 660هـ/1261م. (1951م). **زبدة الحلب من تاريخ حلب**. دمشق. المعهد الفرنسي للدراسات العربية. ج:1. ص:364.

٥٤.ابـن عـذاري، أبـو العبـاس أحمـد بـن محمـد ت 712هـ/1312م. (2013م). **البيـان المغـرب فـي اختصـار أخبـار ملـوك الأنـدلس والمغـرب**. ط:1. تـح: بشـار عـواد معـروف ومحمـود بشـار عـواد. تونس. دار الغرب الإسلامي. ج:1. ص:358.

٥٥.ابـن عسـاكر. أبـو القاسـم علـي بـن الحسـن بـن هبـة الله بـم عبـد الله الشـافعي ت571هـ/1175م. (1995م). **تـاريخ مدينـة دمشـق**. تـح: محـب الـدين عمـر بـن غرامـة العمـروي. بيـروت: لبنـان. دار الفكر. ج:26. ص:468. ج:32. ص:492. ج:53. ص:463.

٥٦.ابـن العمـاد. شـهاب الـدين أبـو الفـلاح عبـد الحـي بـن أحمـد ت 1089هـ/1678م. (1986م). **شـذرات الـذهب فـي أخبـار مـن ذهـب**. ط:1. تـح: محمـود الأرنـاؤوط. دمشـق. دار ابـن كثيـر. ج:1. ص:424. ج:8. ص:655.

٥٧.ابـن عيـاض، أبـو الفضـل عيـاض بـن موسـى ت 1083هـ/1149م. (1968م). **تـراجم أغلبيـة**. تح: محمد الطالبي. تونس. المطبعة الرسمية. ص:622.

٥٨.أبـو الفـداء، عمـاد الـدين إسـماعيل بـن علـي بـن محمـد ت 732هـ/1331م. (1830م). **تقـويم البلـدان**. تح: رينود والبارون. باريس. دار الطباعة السلطانية. ص: 602.

٥٩.أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمد. (1995م). **التبر المسبوك في تواريخ الملوك**. تح وتق: محمد زينهم محمد عزب. القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية. ص:111.

٦٠.ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني ت 365هـ/975م. (1996م). **البلدان**. ط:1. تح: يوسف الهادي. بيروت: لبنان. عالم الكتب. ص:760.

٦١.ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي ت 351هـ/962م. (1988م). **معجم الصحابة**. ط:1. تح: خليل إبراهيم قويلاي. المملكة العربية السعودية. دار نزار مصطفى الباز. ج:2. ص: 820.

٦٢.ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري ت 276هـ/889م. (1990م). **الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء**. ط:1. تح: علي شيري. بيروت: لبنان. دار الأضواء. ج:2. ص:308.

٦٣.القزويني. زكريا بن محمد ت 682هـ/1283م. (د.ت). **آثار البلاد وأخبار العباد**. بيروت. دار صادر. ص:560.

٦٤.القلقشندي، الشيخ بن العباس أحمد ت 821هـ/1418م. (1914م). **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**. القاهرة. مطبعة الأميرية. ج:3. ص:553.

٦٥.ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر ت 367هـ/977م. (1989م). **تاريخ افتتاح الأندلس**. ط:2. تح: إبراهيم الأنباري. القاهرة. دار الكتاب المصري. ص:158.

٦٦.ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت 774هـ/1373م. (1993-1992-1990م). **البداية والنهاية**. عبد الله بن عبد المحسن التركي. بيروت. مكتبة المعارف. ج:7-8-9. ص:369-351-360.

٦٧.ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. (1998م). **البداية والنهاية**. ط:1. تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الجيزة: مصر. دار هجر للطباعة والنشر. ج:10. 638. ج:13. ص:689.

٦٨.ابـن الكردبـوس، أبـو مـروان عبـد الملـك بـن محمـد بـن أبـي القاسـم ت 575هـ/1179م. (1971م). **تـاريخ الأنـدلس**. تـح: أحمـد مختـار العبـادي. مدريـد. معهـد الدراسـات الإسـلامية. ص:206.

٦٩.الكنـدي، أبـو عمـر محمـد بـن يوسـف ت 259هـ/873م. (1908م). **الـولاة وكتـاب القضـاة**. بيروت. نشر الآبا اليسوعيين. ص:796.

٧٠.ابـن ماجـه، أبـو عبـد الله محمـد بـن يزيـد القزوينـي ت 273هـ/886م. (1918م). **سـنن ابـن ماجـه**. تـح: محمـد فـؤاد عبـد البـاقي. القـاهرة. مطبعـة دار إحيـاء الكتـب العربيـة. ج1. ص:1567.

٧١.المـالكي، أبـو بكـر عبـد الله بـن محمـد ت 464هـ/1071م. (1983م). **ريـاض النفـوس فـي طبقـات علمـاء القيـروان وإفريقيـة وزهـادهم ونسـاكهم وسـير مـن أخبـارهم وفضـائلهم وصـفاتهم**. ط:1. تـح: بشـير البكـوش. مـرا: محمـد العروسـي المطـوي. بيـروت: لبنـان. دار الغـرب الإسلامي. ج:1. ص:555.

٧٢.المـاوردي، أبـو الحسـن علـي بـن محمـد بـن حبيـب ت 450هـ/1058م. (1989م). **الأحكـام السـلطانية والولايـات الدينيـة**. ط:1. تـح: أحمـد مبـارك البغـدادي. الكويـت. مكتبـة دار ابـن قتيبـة. ص: 376.

٧٣.ابـن المبـارك، عبـد الله ت 181هـ/797م. (د.ت). **الجهـاد**. تـح: نزيـه حمـاد. جـدة. دار المطبوعات الحديثة. ص:255

٧٤.المسـعودي، أبـو الحسـن علـي بـن الحسـين ت 346هـ/957م. (1938م). **التنبيـه والإشـراف**. تح: عبد الله إسماعيل الصاوي. مصر. مكتبة الشرق الإسلامية. ص:423

٧٥.المسـعودي، أبـو الحسـن علـي بـن الحسـين. (1989م). **مـروج الـذهب ومعـادن الجـوهر**. تـق: قاسم وهب. دمشق. منشورات وزارة الثقافة. ج:3. ص:846.

٧٦.المسعودي. محمد الباجي بن أ بكر ت 1297هـ/1879م. (2012م). **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**. ط:1. تح وتق: محمد زينهم محمد عزب. القاهرة. دار الآفاق العربية. ص:350.

٧٧.مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب ت 421هـ/1030م.(2003م). **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**. ط:1. تح. سيد كسروي حسن. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج:1. ص:383.

٧٨.المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري ت 380هـ/990م. (2003م). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. ط:1. تق: شاكر لعيبي. أبو ظبي. دار السويدي. ص:517.

٧٩.مقديش، محمود بن سعيد ت 1228هـ/1813م. (1988م). **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**. ط:1. تح: علي الزواري ومحمد محفوظ. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ج:1. 635.

٨٠.المقرّي، أحمد بن محمد التلمساني ت 1041هـ/1631م. (1968م). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. تح: إحسان عباس. بيروت. دار صادر. ج:1. ص:704.

٨١.المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي ت 845هـ/1442م. (1967م). **النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود**. ط:5. النجف. مطبعة المكتبة الحيدرية. ص:318.

٨٢.المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (1998م). **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**. تح: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي. القاهرة. مكتبة مدبولي. ج:1. ص: 942.

٨٣. ابن مماتي، أسعد. ت 606هـ/1209م. (1943م). **قوانين الدواوين**. تح: عزيز سوريال عطية. مطبعة مصر. ص:470.

٨٤.ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت 711هـ/1311م. (1882م). **لسان العرب**. ط:1. بيروت. دار صادر. ج:3. ص: 522. ج:5. ص:433.

٨٥.مؤلف مجهول. (د.ت). **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**. بغداد. مكتبة المثنى. ج:3. ص:646.

٨٦.مؤلف مجهول. (1985م). **الاستبصار في عجائب الأمصار**. تح وتع: سعد زغلول عبد الحميد. الدار البيضاء. دار النشر المغربية. ص:252.

٨٧.مؤلف مجهول. (1999م). **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**. ط:1. تح: يوسف الهادي. القاهرة. الدار الثقافية للنشر. ص:160.

٨٨.النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت 733هـ/1332م. (2004م). **نهاية الأرب في فنون الأدب**. ط:1. تح: عبد المجيد ترحيني وعماد علي حمزة. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج:19. ص:323. ج:24. 237.

٨٩. الواقدي، معن بن عيسى الفزاز ت 207هـ/823م. (1997م). **فتوح الشام**. ط:1. تح: عبد اللطيف عبد الرحمن. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج:1. ص:310.

٩٠.اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ت 284هـ/897م. (2002م). **البلدان**. ط:1. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص:224.

٩١.اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب. (2010م). **تاريخ اليعقوبي**. ط:1. تح: عبد الأمير مهنا. بيروت: لبنان. شركة الأعلمي للمطبوعات. ج:1. ص:482.

٩٢.ابن يونس المصري. عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف الصدفي ت 347هـ/958م. (2000م). **تاريخ ابن يونس المصري**. ط:1. تح: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح. بيروت. دار الكتب العلمية. ج:1. ص:728.

ثالثاً: المصادر الإغريقية المعربة:

١. بروكوبيوسProcopius. (2001م). **التاريخ السري" حياة الإمبراطور جستنيان وثيودرا"**. ط:1. تر: صبري أبو الخير. عين للدراسات والبحوث الاجتماعية. ص:140

٢. بروكوبيوسProcopius. (د.ت). **تاريخ الحروب" الحروب القوطية"**. تر: عفاف سيد صبرة. دار الكتاب الجامعي. ج:1. ص:222.

٣. القيصري، يوسابيوس. (1975م). **حياة قسطنطين العظيم**. تع: القمص مرقس داود. القاهرة. مكتبة المحبة. ص:175.

٤. لايفاجريوس الخلقيدوني Alchalcedon Lavgrius. (2019م). **التاريخ الكنسي من431-594م**. تع: بولا ساويرس. مشروع الكنوز القبطية. ص:421.

رابعاً: المراجع العربية.

١. أبو الذهب، لينا صلاح الدين. (2010م). **تاريخ وحضارة العرب والإسلام**. ط:1. دمشق: سوريا. المعهد التخصصي للحديث النبوي. ج1. ص:573.

٢. أبو زيد، علا عبد العزيز. (1996م). **الدولة الأموية دولة الفتوحات 41-132هـ/661-750م**. ط:1. القاهرة. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ج:8. ص:80.

٣. أحمد، رمضان أحمد. (د.ت). **تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط "العصر الوسيط" (35-655هـ/978-1071م)**. مصر. مطبعة هيئة الآثار المصرية. ص: 125.

٤. أرسلان، شكيب. (1934م). **تاريخ غزوات العرب في سويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط**. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص:310.

٥. إسماعيل، محمود. (2000م). **الأغالبة (184-296هـ) سياستهم الخارجية**. ط:3. مصر. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ص:224.

٦. الأعظمي، عواد مجيد. (1985م). **الجذور التاريخية في تطلعات العرب المسلمين لفتح مدينة القسطنطينية في عصر صدر الإسلام 1-41هـ/622-661م**. العراق. منشورات وزارة الثقافة والإعلام. ص:85.

٧. الأعـور، محمـد علـي، وأبـو لقمـة، الهـادي مصـطفى. (1999م). **الجغرافيـة البحريـة**. ط:2. مصراته: ليبيا. الدار الجماهيرية. ص:288.

٨. آل ياسـين، محمـد حسـن. (2000م). **معجـم النباتـات والزراعـة**. بيـروت. مكتبـة ودار الهـلال. ج:2. ص:1132.

٩. بركـات، وفيـق. (1995م). **فـن الحـرب البحريـة فـي التـاريخ العربـي الإسـلامي**. منشـورات جامعـة حلب. ص:222.

١٠. بركـات، وفيـق. (2007م). **الاسـتراتيجية البحريـة للدولـة العربيـة الإسـلامية**. دمشـق. مركـز للدراسات الاستراتيجية. ص:309.

١١. بيطـار، إلياس. (1997م). **تطـور الكتابـات والنقـوش علـى النقـود العربيـة مـن الجاهليـة حتـى العصر الحديث**. ط:1. دمشق. دار المجد. ص:229.

١٢. توفيـق. عمـر كمـال. (1967م). **تـاريخ الإمبراطوريـة البيزنطيـة**. الإسـكندرية. دار المعـارف. ص:228.

١٣.الجبـوري، عـدي سـالم عبـد الله. (2014م). **أسـاليب المجابهـة بـين العـرب والبيـزنطيين فـي العصر الأموي**. ط:1. عمان. دار ومكتبة الحامد. ص:313.

١٤.الجنـزوري، عليـة عبـد السـميع. (1985م). **هجمـات الـروم البحريـة علـى شـواطئ مصـر الإسلامية في العصور الوسطى**. ط:1. مكتبة الأنجلو المصرية. ص:185.

١٥.الجـوهري، علـي. (2003م). **أشـهر المعـارك البحريـة فـي التـاريخ القـديم والحـديث**. القـاهرة. مكتبة القرآن. ص:111.

١٦.الجـوهري، يسـرى. (1984م). **جغرافيـة البحـر المتوسـط**. الإسـكندرية. منشـأة المعـارف. ص:326.

١٧. حتي، فيليب، جرجي، أدور، وجبور، جبرائيل. (1949م). **تاريخ العرب**. بيروت: لبنان. دار الكشاف. ج:1. ص:247.

١٨. حجازي، حسين. (1992م). **الموانئ والمرافئ والمراسي في ساحل القطر العربي السوري**. دمشق. مطبعة الشام. ص:381.

١٩.حسن، إبراهيم حسن. (1996م). **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**. ط:14. بيروت. دار الجيل. ج:2. ص:439.

٢٠.حسن، محمد إبراهيم. (1999م). **دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط**. الإسكندرية. مكتبة الإسكندرية. ص:320.

٢١.حسن، علس حسن، وسالم، عبد الرحمن. (1996م). **موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي"الدولة الفاطمية"**. القاهرة. طبع شركة جزيرة العرب. ص:1007

٢٢.الحسيني، محمد باقر. (1969م). **تطور النقود العربية الإسلامية**. ط:1. بغداد. دار الجاحظ. ص:88.

٢٣.حلاق، حسان. (1988م). **تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي**. بيروت. دار النهضة. ص:176.

٢٤.حلاق، حسان. (1989م). **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**. ط:1. بيروت. دار النهضة العربية. ص:526.

٢٥.حمادة، محمد ماهر. (1980م). **الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقية (64-897هـ/683-1492م)**. ط:1. بيروت. مؤسسة الرسالة. ص:609.

٢٦.حمودة، عبد الحميد حسين. (2007م). **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية**. ط:1. القاهرة: مصر. الدار الثقافية. ص:431.

٢٧.الحموي، محمد ياسين. (1945م). **تاريخ الأسطول العربي صفحة مجيدة من تاريخ العرب**. دمشق. مطبعة الترقي. ص:150.

٢٨.الحميدي، عبد العزيز بن عبد الله. (1998م). **الأمويون والعباسيون والعثمانيون والدويلات المستقلة**. ط:1. جدة: المملكة العربية السعودية. دار الأندلس الخضراء. ج:1. ص:440.

٢٩.خالد، خالد محمد. (1970م). **خلفاء الرسول**. القاهرة. دار المقطم. ص:632.

٣٠.خانكي، جميل. (1948م). **تاريخ البحرية المصرية**. ط:1. القاهرة. دار الكتب المصرية. ص:586.

٣١.الخربوطلي، علي حسني. (1963م). **البحر المتوسط بحيرة عربية**. القاهرة. دار المعارف. ص:128.

٣٢.الخضري بك، محمد. (2003م). **الدولة العباسية**. ط:1. مرا: نجوى عباس. القاهرة: مصر. مؤسسة المختار الأولى. ص:480.

٣٣.خطاب، محمود شيت. (1984م). **قادة فتح المغرب العربي**. ط:7. دار الفكر. ج:1. ص:352.

٣٤.خطاب، محمود شيت. (2003م). **قادة فتح الأندلس**. ط:1. دمشق. دار منار. ج:2. ص:434.

٣٥.خماش، نجدت. (1987م). **الشام في صدر الإسلام من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية**. ط:1. دمشق. دار طلاس. ص:437.

٣٦.خماش، نجدت. (2001). **خلافة بني أمية في الميزان**. ط:1. دمشق. دار طلاس. ص:334.

٣٧.الخوند، مسعود. (1995م). **الموسوعة التاريخية الجغرافية**. لبنان. دار روَّاد النهضة. ج:4. ص:348.

٣٨.خياطة، نهاد. (د.ت). **الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام**. د.م. دار الأوائل. ص:175.

٣٩.دحلان، أحمد بن زيني. (1968م). **الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية**. القاهرة. مطبعة المدني. ج:1. ص:564.

٤٠.الدوري، تقي الدين عارف. (1997م). **دراسات في تاريخ العرب وحضارتهم في صقلية**. ط:1. ليبيا. منشورات جامعة ناصر الحسن. ص:244.

٤١.الدوري، عبد العزيز. (1974م). **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**. ط:2. لبنان. دار المشرق. ص:325.

٤٢.دياب. صابر محمد. (1973م). **سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي**. ط1. القاهرة. عالم الكتب. ص:310.

٤٣.ربيع، حسنين محمد. (1983م). **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**. القاهرة. دار النهضة العربية. ص:347.

٤٤.رحاحله، إبراهيم القاسم. (1999م). **النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأولين 132-365هـ/749-975م**. ط:1. القاهرة. مكتبة مدبولي. ص:180.

٤٥.رحال، عاطف. (2000م). **تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي**. ط:1. بيروت. دار بيسان. ص:352.

٤٦.رستم، أسد. (1955م). **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**. مؤسسة هنداوي. ج:1. ص:588.

٤٧.رسلان، عبد المنعم. (1980م). **الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا**. ط:1. جدة: المملكة العربية السعودية. دار الأصفهاني. ص:347.

٤٨.رمضان، عبد العظيم. (1983م). **الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية.** القاهرة: مصر. دار المعارف. ص:550.

٤٩.الريس، محمد ضياء الدين. (1985م). **الخراج والنظم المالية للدولة العربية الإسلامية.** ط:5. القاهرة. دار التراث. ص:571.

٥٠.الزركلي، خير الدين. (2002م). **الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين".** ط:15. لبنان: بيروت. دار العلم للملايين. ج:1. ص:336. ج 2:341. ج:3. 355. ج:4. 344. ج:6. 533. ج:7. 352.

٥١. زكّار، سهيل. (1997l). **معجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي.** ط:1. دمشق. دار الكتاب العربي. ج:1. ص:1218.

٥٢.زيتون، محمد. (1990م). **المسلمون في المغرب والأندلس.** الإسكندرية. دار الكتب. ص:344.

٥٣.سالم، عبد العزيز. (1961م). **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة.** لبنان. دار المعارف. ص:444.

٥٤.سالم، عبد العزيز. (1969م). **تاريخ مدنية المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس.** ط:1. بيروت: لبنان. دار النهضة العربية. ص:206.

٥٥.سالم، عبد العزيز. (1981م). **تاريخ المغرب دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية.** بيروت. دار النهضة العربية. ج:2. ص:969.

٥٦.سالم، عبد العزيز. (1982م). **تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي.** الإسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة. ص: 652.

٥٧.سالم، عبد العزيز. (1986م). **تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي**. الإسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة. ص:218.

٥٨.سالم، عبد العزيز. (د.ت). **تاريخ الدولة العربية**. الإسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة. ص:517.

٥٩.سرهنك، إسماعيل. (1894م). **حقائق الأخبار عن دول البحار**. ط:1. حقائق الأخبار عن دول البحار. مصر. المطبعة الأميرية. ج:1. ص:772.

٦٠.سرور، محمد جمال الدين. (1960م). **دراسات في العلاقات السياسة بين دول الشرق والدولة البيزنطية في العصور الوسطى**. د.م. دار الفكر العربي. ص: 43.

٦١.سعيد، إبراهيم حسن. (1983م). **البحرية في عصر المماليك**. القاهرة. دار المعارف. ص:324.

٦٢.سيسالم، عصام سالم. (1984م). **جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) 89-685هـ/708-1287م**. ط:1. بيروت. دار العلم للملايين. ص:679.

٦٣.الشاعر، محمد فتحي. (1991م). **الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص:194.

٦٤.شاكر، محمود. (1974م). **المسلمون في قبرص**. د.م. منشورات العصر الحديث. ص:64.

٦٥.شاكر، محمود. (1978م). **خراسان**. ط:1. بيروت. المكتب الإسلامي. ص:64.

٦٦.شاكر، محمود. (2003م). **موسوعة الفتوحات الإسلامية**. ط:1. الأردن. دار أسامة. ص:256.

٦٧.الشامي، أحمد. (1985م). **تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**. ط:1. القاهرة. دار النهضة العربية. ص:224.

٦٨.الشـريف، أحمـد إبـراهيم، ومحمـود، حسـن أحمـد. (1980م). **العـالم الإسـلامي فـي العصـر العباسي**. ط:5. القاهرة. دار الفكر العربي. ص:638.

٦٩.شـعبان، حنـان قرقرتـي. (2003م). **بيـروت ودورهـا الجهـادي منـذ الفـتح الإسـلامي حتـى نهايـة العهد العثماني**. ط:1. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص:238.

٧٠.شـلبي، أحمـد. (1985م). **موسـوعة التـاريخ الإسـلامي والحضـارة الإسـلامية**. ط:8. القـاهرة. مكتبة النهضة المصرية. ج:3. ص:454.

٧١.شـنوده، زكـي. (1962م). **موسـوعة تـاريخ الأقبـاط**. ط:1. د.م. مطبعـة الـبلاغ. ج:1. ص:155.

٧٢.الشيخ، عبد الستار. (1996م). **عمر بن عبد العزيز**. ط:2. دمشق. دار القلم. ص:413

٧٣.الشـيخ، محمـد مرسـي. (1994م). **تـاريخ الإمبراطوريـة البيزنطيـة**. الإسـكندرية. دار المعرفـة الجامعية. ص:412.

٧٤.صـايغ، أنـيس. (1956م). **الأسـطول الحربـي الأمـوي فـي البحـر المتوسـط**. بيـروت. مكتبـة رأس بيروت. ص:146.

٧٥.صـبره، عفـاف سـيد. (1982م). **الإمبراطوريتـان البيزنطيـة والدولـة الرومانيـة الغربيـة زمـن شارلمان**. مصر. دار النهضة العربية. ص:447.

٧٦.الصـلابي، علـي محمـد. (2008م). **الدولـة الأمويـة عوامـل الازدهـار وتـداعيات الانهيـار**. ط:2. لبنان. دار المعرفة. ج:1. ص:694.

٧٧.طرخـان، إبـراهيم علـي. (1966م). **المسـلمون فـي أوروبـا فـي العصـور الوسـطى**. القـاهرة. مؤسسة سجل العرب. ص:318.

٧٨.طهبـوب، صـلاح. (2004م). **موسـوعة التـاريخ الإسـلامي (العصـر الأمـوي)**. ط:1. عمـان: الأردن. دار أسامة. ص:288.

٧٩. الطيار. محمد شعلان. (2011م). **المسكوكات العربية الإسلامية**. منشورات جامعة دمشق. ص:215.

٨٠.ضيف، شوقي. (2004م). **المعجم الوسيط**. القاهرة: مصر. مكتبة الشروق الدولية. ص:1067.

٨١.عاشور، سعيد عبد الفتاح. (2002م). **قبرص والحروب الصليبية**. ط:2. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص:213.

٨٢.عاقل، نبيه. (1969م). **الإمبراطورية البيزنطية**. دمشق. منشورات جامعة دمشق. ص:362.

٨٣. عبادة، عبد الفتاح. (1913م). **سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام**. مصر: الفجالة. مطبعة الهلال. ص:34.

٨٤.العبادي، أحمد مختار. (د.ت). **في تاريخ المغرب والأندلس**. بيروت. دار النهضة العربية. ص:368.

٨٥.العبادي، أحمد مختار، وسالم، عبد العزيز. (1969م). **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**. بيروت: لبنان. دار النهضة العربية. ج:2. ص:412.

٨٦.العبادي، أحمد مختار، وسالم، عبد العزيز. (1971م). **البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط البحرية في مصر وبلاد الشام**. الإسكندرية. مؤسسات شباب الجامعة. ج:1. ص:370.

٨٧.عباس، إحسان. (1975م). **العرب في صقلية**. ط:1. بيروت: لبنان. دار الثقافة. ص:336.

٨٨.عبد الحميد، سعد زغلول. (1979م). **تاريخ المغرب العربي "تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين"**. الإسكندرية. دار المعارف. ج:2. ص:641.

٨٩.عبد الحميد، سعد زغلول. (1993م). **تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال**. الإسكندرية. دار المعارف. ج:1. ص:436.

٩٠. عبد العليم، أنور. (1979م). **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص:199.

٩١.العبد الغني، عبد الرحمن محمد. (1989م). **أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين 33-457هـ/653-1064م**. الكويت. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. ص:282.

٩٢.عبد الكافي، إسماعيل عبد الفتاح. (2005م). **موسوعة الدول والبلدان الجغرافية والسياسية**. المنوفية. مكتبة الإسكندرية. ص:306.

٩٣.عبد الله، وديع فتحي. (1990م). **العلاقات السياسية بين بيزنطة والمشرق الإسلامي الإسلامي (124-205هـ/741-820م)**. تق: جوزيف نسيم يوسف. الإسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة. ص:445.

٩٤.عبد الله، يسرى عبد الغني. (1991م). **معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري**. ط:1. لبنان: بيروت. دار الكتب العلمية. ص:232.

٩٥. عبد الله. محمد زايد. (2015م)، **مصادر تاريخ العصور الوسطى "التاريخ البيزنطي**. ط:1. القاهرة. مصر العربية للنشر والتوزيع. ص:318.

٩٦.عبد الهادي، عبد الباقي السيد. (2016م). **الآريوسية في مصر البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين**. ط:1. القاهرة. دار الآفاق العربية. ص:163.

٩٧.عبيد، طه خضر. (2010م). **تاريخ الدولة البيزنطية 324-1453م**. عمان: الأردن. دار الفكر. ص:295.

٩٨.عثمان، فتحي. (1966م). **الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري**. القاهرة. دار الكاتب العربي. ج1-ج2-ج3. ص:391.

٩٩.العـدوي، إبـراهيم أحمـد. (1951م). **الإمبراطوريـة البيزنطيـة والدولـة الإسـلامية**. مكتبـة نهضـة مصر. الفجالة. ص:218.

١٠٠. العـدوي، إبـراهيم أحمـد. (1953م). **الأمويـون والبيزنطيـون (البحـر المتوسـط بحيـرة إسلامية)**. القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية. ص:284.

١٠١. العـدوي، إبـراهيم أحمـد. (1957م). **الأسـاطيل العربيـة فـي البحـر المتوسـط**. الفجالـة. مكتبة نهضة مصر. ص:178.

١٠٢. العريني، الباز. (1956م). **أجناد الروم**. القاهرة. مطبعة نهضة مصر. ص:23.

١٠٣. العرينـي، البـاز. (1961م). **مصـر البيزنطيـة**. القـاهرة. دار النهضـة العربيـة. ص:564.

١٠٤. العرينـي، البـاز. (1965م). **الدولـة البيزنطيـة 323-1081م**. بيـروت. دار النهضـة العربية. ص:931.

١٠٥. العسـلي، بسـام. (1988م). **فـن الحـرب الإسـلامي فـي عهـد الخلفـاء الراشـدين والأمويون**. ط:1. بيروت. دار الفكر. ج1. ص:640.

١٠٦. العـش، محمـد أبـو الفـرج. (1984م). **النقـود العربيـة الإسـلامية المحفوظـة فـي متحـف قطر الوطني**. الدوحة. وزارة الإعلام. ص:752.

١٠٧. العـش، يوسـف. (1985م). **الدولـة الأمويـة والحـوادث التـي سـبقتها ومهـدت لهـا ابتـداءً من فتنة عثمان**. ط:2. دمشق: سورية. دار الفكر. ص:374.

١٠٨. العـش، محمـد أبـو الفـرج. (2003م). **النقـود العربيـة الإسـلامية**. ط:3. مـر: إبـراهيم جابر الجابر. الدوحة: قطر. المجلس الوطني للثقافة. ص:742.

١٠٩. عطـا، زبيـدة. (1994م). **الشـرق الإسـلامي والدولـة البيزنطيـة زمـن الأيـوبيين**. ط:2. دار الأمين. ص:287.

١١٠. عطا، زبيدة. (2006م). **الدولة البيزنطية**. القاهرة. دار الفكر العربي. ص:90.

١١١. علي، أحمد إسماعيل. (1994م). **تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي**. ط:3. دمشق: سورية. مطبعة جوهرة الشام. ص:479.

١١٢. عمران، محمود سعيد. (1980م). **إدارة الإمبراطورية البيزنطية للإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس**. بيروت. دار النهضة العربية. ص:293.

١١٣. عمران، محمود سعيد. (1985م). **مملكة الوندال في شمال إفريقية**. الإسكندرية. دار المعارف. ص:194.

١١٤. عمران، محمود سعيد. (2000م). **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**. الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية. ص:414.

١١٥. عمران، محمود سعيد. (2002م). **الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها**. ط:1. بيروت: لبنان. دار النهضة العربية. ص:397.

١١٦. العمرو، علي عبد الرحمن. (1992م). **هشام بن عبد الملك والدولة الأموية**. ط:2. د.م. ص:216.

١١٧. عنان، محمد عبد الله. (1969م). **مؤرخو مصر الإسلامية**. القاهرة. مكتبة الخانجي. ص:218.

١١٨. عنان، محمد عبد الله. (1970م). **تراجم إسلامية شرقية وأندلسية**. ط:1. القاهرة. مكتبة الخانجي. ص:418.

١١٩. عنان، محمد عبد الله. (1997م). **دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عصر الناصر**. ط:4. القاهرة. مكتبة الخانجي. ج:1. ص:773.

١٢٠. عوض، محمد مؤنس. (2007م). **الإمبراطورية البيزنطية**. ط:1. مصر. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ص:554.

١٢١. عـون، عبـد الـرؤوف. (1961م). **الفـن الحربـي فـي صـدر الإسـلام**. القـاهرة: مصـر. دار المعارف. ص:352.

١٢٢. غالـب، أدوار. (1988م). **الموسـوعة فـي علـوم الطبيعـة**. ط:2. بيـروت: لبنـان. المطبعة الكاثوليكية. ج:2. ص:609.

١٢٣. غـانم، حامـد زيـان. (1977م). **تـاريخ الحضـارة الإسـلامية فـي صـقلية وأثرهـا علـى أوروبا**. القاهرة. دار الثقافة. ص:169.

١٢٤. غنـيم، اسـمت. (1983م). **الإمبراطوريـة البيزنطيـة وكريـت الإسـلامية**. الإسـكندرية. دار المعارف. ص:318.

١٢٥. فـرج، وسـام عبـد العزيـز. (1982م). **دراسـات فـي تـاريخ وحضـارة الإمبراطوريـة البيزنطية**. جامعة المنصورة. كلية الآداب. ص:385.

١٢٦. فـرج، وسـام عبـد العزيـز؛ ويوسـف، جوزيـف نسـيم. (1981م). **العلاقـات بـين الإمبراطوريـة البيزنطيـة والدولـة الأمويـة حتـى منتصـف القـرن الثـامن**. الإسـكندرية. الهيئـة المصرية العامة للكتاب. ص:462.

١٢٧. فـرح، نعـيم. (1978م). **تـاريخ بيزنطـة منـذ القـرن الرابـع حتـى القـرن الثـامن للمـيلاد**. مطبعة طربين. منشورات جامعة دمشق. ج:1. ص:253.

١٢٨. فـرح، نعـيم. (2003م). **الحضـارة البيزنطيـة**. ط:4. دمشـق. منشـورات جامعـة دمشـق. ص:287.

١٢٩. فرنسـيس. بشـير يوسـف. (2017م). **موسـوعة المـدن والمواقـع فـي العـراق**. ط:1. لندن. نشر شركة بريطانية. ج:1-2. ص:1151.

١٣٠. فـروخ، عمـر. (1958م). **العـرب والإسـلام فـي الحـوض الشـرقي مـن البحـر المتوسـط منذ الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية**. ط:1. بيروت. دار الكتب. ص:168.

١٣١. فروخ، عمر. (1959م). **العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط من فتح المغرب وفتح الأندلس إلى آخر عصر الولاة 138هـ/756م**. ط:1. بيروت. مطبعة دار الكتب. ص:206.

١٣٢. فهمي، عبد الرحمن. (1957م). **صنج السكة في فجر الإسلام**. د.م. دار الكتب المصرية. ص:224.

١٣٣. فهمي، عبد الرحمن. (1964م). **النقود العربية ماضيها وحاضرها**. القاهرة. دار القلم. ص:162.

١٣٤. فوزي، فاروق عمر. (2010م). **تاريخ النظم الإسلامية**. ط:1. عمان: الأردن. دار الشروق. ص:472.

١٣٥. القيسي، ناهض. (2000م). **موسوعة النقود العربية والإسلامية**. ط:1. عمان. دار أسامة. ص:280.

١٣٦. كاشف، سيدة إسماعيل. (1967م). **عبد العزيز بن مروان**. مصر. دار الكاتب العربي. ص:212.

١٣٧. عمر رضا. (1997م). **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**. ط:8. بيروت. مؤسسة الرسالة. ج:1. ص:397.

١٣٨. الكرملي، أنستاس ماري. (1939م). **النقود العربية وعلم النميات**. القاهرة. المطبعة العصرية. ص:260.

١٣٩. الكعاك، عثمان. (1965م). **الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط**. القاهرة. جامعة الدول العربية. معهد الدراسات العربية العالية. ص:178.

١٤٠. كيلاني، هيثم. (1995م). **العرب والبحر المتوسط**. ط:1. القاهرة: مصر. دار المعرفة. ص:194.

١٤١. ماجد، عبد المنعم. (1966م). **العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**. بيروت. مكتبة الجامعة العربية. ص:300.

١٤٢. ماجد، عبد المنعم. (1996م). **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**. ط:7. القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية. ص:258

١٤٣. المازنداني، موسى الحسيني. (1988م). **تاريخ النقود العربية الإسلامية**. ط:3. بيروت: لبنان. دار العلوم. ص:260.

١٤٤. ماهر، سعاد. (1967م). **البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية**. الجيزة: مصر دار الكاتب العربي. ص:512.

١٤٥. محمد، عمر يحيى. (2009م). **البيزنطيون والعرب (20-93هـ/641-711م)**. ط:1. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة. ص:343.

١٤٦. محمد، نبيلة حسن. (1993م). **تاريخ الدولة العباسية**. الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية. ص:396.

١٤٧. محمود، حسن أحمد. (1995م). **الإسلام في حوض البحر المتوسط**. ط:2. القاهرة. دار الفكر العربي. ص:199.

١٤٨. المخزومي، أحمد بن عميرة. (2007م). **تاريخ ميورقة**. ط:1. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص:158.

١٤٩. المدني، أحمد توفيق. (1945م). **المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا**. الجزائر. المطبعة العربية. ص:284.

١٥٠. المدني، صلاح. (1977م). **تاريخ الدولة العباسية سياساً وحضارياً (132-656هـ/750-1258م)**. القاهرة. دار المعارف. ص:440.

١٥١. مـرزوق، محمـد عبـد العزيـز. (1942م). **الزخرفـة المنسـوجة فـي الأقمشـة الفاطميـة. القاهرة**. مصر: القاهرة. مطبعة الكتب المصرية. ص:235.

١٥٢. مسـعود، جبـران. (1992م). **معجـم الرائـد**. ط:7. بيـروت: لبنـان. دار العلـم للملايـين. ص:912.

١٥٣. مصـطفى، شـاكر. (1979م). **التـاريخ العربـي والمؤرخـون "دراسـة فـي تطـور علـم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام**. ط:1. بيروت. دار العلم للملايين. ج:2. ص:461.

١٥٤. المغلـوث. سـامي ابـن عبـد الله ابـن أحمـد. (2011م). **أطلـس الخليفـة عثمـان بـن عفـان رضي الله عنه**. ط:1. الرياض. مكتبة العبيكان.

١٥٥. منصـور، طـارق. (2002م). **قطـوف الفكـر البيزنطـي**. ط:1. القـاهرة: مصـر. مصـر العربية للنشر والتوزيع. ج:1. ص:288.

١٥٦. منصـور، طـارق. (2003م). **بيزنطـة والعـالم الخـارجي (البيزنطيـون والعـالم الإسلامي)**. ط:1. القاهرة: مصر. مصر العربية للنشر. ج:1. ص:310.

١٥٧. المهـايني، رفيـق. (1946م). **تـاريخ الخلافـة الأمويـة والعباسـية والـدول الإسـلامية وأوروبا في العصور الوسطى**. دار اليقظة العربية. ص:351.

١٥٨. مـؤنس، حسـين. (1987م). **تـاريخ المغـرب وحضـارته مـن قبيـل الفـتح العربـي إلـى بدايـة الاحـتلال الفرنسـي مـن ق6 إلـى ق9**. بيـروت. العصـر الحـديث للنشـر والتوزيـع. ج:1. ص:519.

١٥٩. مـؤنس، حسـين. (1987م). **أطلـس تـاريخ الإسـلام**. ط:1. القـاهرة. الزهـراء للإعـلام العربي. ص:530.

١٦٠. مـؤنس، حسـين. (1991م). **تـاريخ المسـلمين فـي البحـر المتوسـط الأوضـاع السياسـية والاقتصادية والاجتماعية**. د.م. الدار المصرية اللبنانية. ص:174.

١٦١. مـؤنس، حسـين. (1997م). **معـالم تـاريخ المغـرب والأنـدلس**. ط:2. القـاهرة. دار الرشاد. ص:519.

١٦٢. مـؤنس، حسـين. (2002م). **فجـر الأنـدلس (دراسـة فـي تـاريخ الأنـدلس مـن الفـتح الإسـلامي إلـى قيـام الدولـة الأمويـة 711-756م)**. ط:1. بيـروت: لبنـان. دار المناهـل. ص:766.

١٦٣. مـؤنس، حسـين. (د.ت). **فـتح العـرب للمغـرب**. الإسـكندرية. مكتبـة الثقافـة الدينيـة. ص:357.

١٦٤. الناصـري، أحمـد علـي. (1993م). **الـروم والمشـرق العربـي**. القـاهرة. مركـز النشـر لجامعة القاهرة. ص:580.

١٦٥. نعنعـي، عبـد المجيـد. (1986م). **تـاريخ الدولـة الأمويـة فـي الأنـدلس**. بيـروت. دار النهضة العربية. ص:565.

١٦٦. النقشـبندي، ناصـر السـيد محمـود. (1969م). **الـدرهم الإسـلامي المضـروب علـى الطراز الساساني**. ط:2. بغداد: العراق. مطبعة الحكومة. ج:1. ص:284.

١٦٧. الوكيـل، محمـد السـيد. (1995م). **الأمويـون بـين الشـرق والغـرب دراسـة وصـفية وتحليلية للدولة الأموية**. ط:1. دمشق. دار القلم. ص:1061.

١٦٨. يوسـف، جوزيـف نسـيم. (2005م). **تـاريخ الدولـة البيزنطيـة 284-1453م**. الإسكندرية. تاريخ المعرفة الجامعية. ص:232.

خامساً: المراجع المعربة.

١. أحمـد، عزيـز. (1980م). **تـاريخ صـقلية الإسـلامية**. تـر: أمـين توفيـق الطيبـي. طـرابلس الغـرب. دار العربية للكتاب. ص:178.

٢. أمـاري، ميخائيـل. (1857م). **المكتبـة العربيـة الصـقلية نصـوص فـي التـاريخ والبلـدان والتـراجم والمراجع**. بغداد. مكتبة المثنى. ص:990.

٣. إيليسـيف، نيكتيـا. (1986م). **الشـرق الإسـلامي فـي العصـر الوسـيط**. تـر: منصـور أبـو الحسـن. بيروت: لبنان. مؤسسة دار الكتاب الحديث. ص:534.

٤. اينهارد. (1989م). **سيرة شارلمان**. ط:1. تر: عادل زيتون. دمشق. دار حسان. ص:176.

٥. بروكلمـان، كـارل. (1968م). **تـاريخ الشـعوب الإسـلامية**. ط:5. تـر: نبيـه أمـين فـارس ومنيـر البعلبكي. بيروت. دار العلم. ص:901.

٦. بورلـو، جوزيـف. (2001م). **الحضـارة الإسـلامية**. تـر: ريمـة الفـوال. تـق ومـرا: سـهيل زكـار. دمشق. دار الكتاب العربي. ص:375.

٧. دونالـد، نيكـول. (2003م). **معجـم التـراجم البيزنطيـة**. تـر: حسـن حبشـي. د.م. الهيئـة المصـرية للكتاب. ص:285.

٨. فـازيليف. (1900م). **العـرب والـروم**. تـر: محمـد عبـد الهـادي شـعيرة. مـر: فـؤاد حسـنين علـي. د.م. دار الفكر العربي. ص:404.

٩. فلهـوزن، يوليـوس. (1968م). **تـاريخ الدولـة العربيـة مـن ظهـور الإسـلام إلـى نهايـة الدولـة الأمويـة**. ط:2. تـر: محمـد عبـد الهـادي أبـو ريـده. مـر: حسـين مـؤنس. القـاهرة. نشـر لجنـة التأليف والترجمة والنشر. ص:587.

١٠.فهمـي، علـي محمـود. (1948م). **التنظـيم البحـري الإسـلامي فـي شـرق البحـر المتوسـط مـن القـرن السـابع حتـى القـرن العاشـر المـيلادي**. ط:1. تـر: قاسـم عبـده قاسـم. بيـروت: لبنـان. دار الوحدة. ص:177.

١١.كواسـتن، جوهـانس. (2017م). **علـم الأبائيـات "بـاترولوجي"**. ط:1. تـر: جـرجس كامـل يوسـف. تق: أنبا مقار. مصر الجديدة. مركز باناريون للتراث الإبائي. ج:2. ص:476.

١٢.كيغـي، ولتـر. (2003م). **بيزنطـة والفتوحـات الإسـلامية المبكـرة**. ط:2. تـر: نقـولا زيـادة. دمشق: سورية. دار الفردوس. ص:448.

١٣.لودفيـغ، إميـل. (2017م). **البحـر المتوسـط مصـاير بحـر**. تـر: عـادل زعيتـر. د.م. مؤسسـة هنداوي. ص:565.

١٤.لـويس، أرشـيبالد. ر. (د.ت). **القـوى البحريـة والتجاريـة فـي حـوض البحـر المتوسـط (500-1100)**. تـر. أحمـد محمـد عيسـى. تـق. محمـد شـفيق غربـال. القـاهرة. مكتبـة النهضـة المصـرية. ص:432.

١٥.متـز، آدم. (2008م). **الحضـارة الإسـلامية فـي القـرن الرابـع الهجـري**. تـر: محمـد عبـد الهـادي شعيرة. تق: مصطفى لبيب عبد الغني. القاهرة. المطبعة الأميرية. ج:2. ص:380.

١٦.مورينـو، مـارتينو مـاريو. (1968م). **المسـلمون فـي صـقلية**. ط:2. بيـروت. المطبعـة الكاثوليكية. ص:83.

١٧.رنسـيمان، سـتيفن. (1997م). **الحضـارة البيزنطيـة**. ط:2. تـر: عبـد العزيـز توفيـق جاويـد. د.م الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص:415.

١٨.هارتمـان، ل، وبـاراكلاف، ج. (1970م). **الدولـة والإمبراطوريـة فـي العصـور الوسـطى**. ط:2. تر: جوزيف نسيم يوسف. مصر. دار المعارف. ص:307.

١٩.هايـد، ف. (1985م). **تـاريخ التجـارة فـي المشـرق الإسـلامي فـي العصـور الوسـطى**. تـر: أحمـد محمد رضا. مر وتق. عز الدين فوده. الهيئة المصرية للكتاب. ج:1. ص:368.

٢٠.هسـي، ج.م. (1997م). **العـالم البيزنطـي**. تـر وتـق: رأفـت عبـد الحميـد. مصـر. عـين للدراسـات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ص:347.

٢١.وولـى، ج. هـاوكس ول. (1967م). **أضـواء علـى العصـر الحـديث الحجـري**. تـر: يسـرى الجوهري. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص: 135.

٢٢.ابن يحيى، صالح. (1937م). **تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب**. ط:2. تع: لويس شيخو اليسوعي. بيروت. المطبعة الكاثوليكية. ص:270.

سادساً: المقالات.

١. الحارثي. سوزان محمد حامد. (د.ت). **العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية من عام 41-132هـ/661-750م**. منشورات جامعة الملك خالد. كلية العلوم الإنسانية. قسم التاريخ. ص-ص:569-600.

٢. خماش، نجدة. (1984م). **تعريب النقد وأثره على العلاقات العربية البيزنطية والوضع الاقتصادي**. سوريا. ع:15-16. ص-ص: 133-146.

٣. شمس، طارق أحمد. (2021م)، **التنوخيون وأول إمارة في جبل لبنان**. الكويت. مجلة العربي. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ع:759. ص-ص: 1-6.

٤. الصريفي، محمد نعمة طاهر. (د.ت). **جزيرة قبرص وأثرها في الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية**. مجلة كلية الفقه. جامعة الكوفة. ع:28. ص-ص:241-256.

٥. عبد الصمد. توفيق مزاري. (2009م). **الصراع الإسلامي البيزنطي في حوض البحر المتوسط على عهد معاوية بن أبي سفيان**. ع:2. الجزائر. مجلة الباحث. ص-ص:233-256.

٦. عبد الوهاب. حسن حسني. (1949م). **قصة جزيرة قوصرة**. مج:2. ع:2. المجلة التاريخية المصرية. ص-ص:55-73.

٧. عبيد. طه خضر. (1999م). **قبرص بين العرب والبيزنطيين 28-355هـ/648-965م**. ع:32. العراق. آداب الرافدين. ص-ص:76-97

٨. عبيد، طه خضر. (2002م). **تجارة العرب المسلمين إلى البيزنطية ق3-4/9-10**. مج:30. ع:4. العراق. ص-ص: 16-19.

٩. علي. سعدي محمد. (2011م). **الصراع الحربي العربي الإسلامي البيزنطي في جزيرة سردينية 85-407هـ/704-1016م**. ع:60. جامعة الموصل. كلية الآداب. ص-ص:444-462.

١٠.فرج، وسام عبد العزيز. (1988م). **الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي**. الحولية: التاسعة. الرسالة الثالثة والخمسون. جامعة الكويت. منشورات كلية الآداب. ص- ص: 7-91.

١١.فرح، نعيم. (1983م): **الصراع العربي البيزنطي للسيطرة على البحر المتوسط في القرن الثامن للميلاد**. ع:12. دمشق. مجلة دراسات تاريخية. ص-ص:28-43.

١٢.محمد، عمر يحيى. (2010م). **التوجهات في العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدولة البيزنطية والدولة الإسلامية في عهد الأسرة الأيسورية**. جامعة الملك عبد العزيز. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ص-ص:1-43. رابط موقع الجامعة: https://www.kau.edu.sa/show_Res.aspx?Site_ID=125&Lng=Ar&RN=57560.

١٣.عبد الرحمن، محمد. (2022م). **لويس الورع ملك فرنجة الذي احتل برشلونة من يد المسلمين**. مجلة اليوم السابع. ص-ص: 1-5. رابط الموقع: https://www.youm7.com/5729615.

سابعاً: الرسائل والأطروحات الجامعية.

١. بركات، هناء محمد. (1998م). **التاريخ السياسي لإمبراطورية طرابيزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر حتى سقوطها سنة 1461م**. رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط. إشراف: أسامة زكي زيد. جامعة طنطا. كلية الآداب. قسم التاريخ. ص:249.

٢. الجنابي، سعد كاظم عبد عمش. (2002م). **النشاط العسكري العربي البحري في منطقة حوض البحر المتوسط خلال العهدين الراشدي والأموي**. رسالة أعدت لنيل درجة ماجستير

فـي التـاريخ الإسـلامي. إشـراف: زينـب فاضـل مرجـان. جامعـة بابـل. كليـة التربيـة. قسـم التـاريخ. ص:209.

٣. السـخني، محمـود خالـد. (2012م). **النشـاط البحـري لدولـة المماليـك فـي البحـر المتوسـط (690-923هـ/1291-1517م)**. رسـالة أعـدت لنيـل درجـة ماجسـتير فـي تـاريخ العـرب والإسـلام. إشـراف: عمـار النهـار. جامعـة دمشـق. كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية. قسـم التـاريخ. ص:306.

٤. الطـائي، عاليـة يحيـى. (2016م). **جزيـرة قبـرص حتـى نهايـة القـرن الرابـع الهجـري فـي أحوالهـا العامـة**. أطروحـة أعـدت لنيـل درجـة الـدكتوراه فـي التـاريخ. إشـراف: نـوال تركـي الموسـوي وريـاض حميد مجيد. جامعة الكوفة. كلية الآداب. قسم التاريخ. ص:197.

٥. عقـدي، غـادة فـوزي. (2021م). **العلاقـات الفاطميـة البيزنطيـة سياسـياً وتجاريـاً 297-448هـ/909-1056م**. رسـالة أعـدت لنيـل درجـة ماجسـتير فـي تـاريخ العـرب والإسـلام. إشـراف: حليمـة عبـد الهـادي. جامعـة دمشـق. كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية. قسـم التـاريخ. ص:338.

ثامناً: المصادر البيزنطية:

1-Ashburner, Walter. (1909A.D). **The Rhodian sea-law**. Oxford. the clarendon press. P:450.

2-Maurice . (1984A.D). **Maurice's Strategikon hand book of byzantine Military strategy**. Translated: George t. dennis. USK. University of Pennsylvania press. P:179.

3-Nikephoros. (1990A.D). **short history**. Translated: Cyril mango. Washington. Dumbarton oaks research library and collecton. P:247.

4- Simocatta, theophlact. (1986A.D). **the history of theophylact simocatta**. 1th ed. Translated: Whitby, mary and Michael. New York: united states America. The university press. p:325.

5-Theophanes. (1997A.D). **the chronicle of the theophanes confessor**. New York. Clarendon press. P:744.

6-Zonarae, Ioannis. (1897 A.D). **Epitomae historiarum**, libri XIII-XvIII, cshb, bonnae. P:932.

تاسعاً: المراجع البيزنطية:

1- Ahrweiler, Helene. (1966 A.D). **Byzance et la mar**. these pour le doctorat es lettres presentee. A la faculte des lettes et sciences humaines de l'universite de pais. Presses universitaires de france. P:

2- Birenne, henri. (1937A.D). **Economic and social history of medieval Europe**. New York. Printed the united states of America. P:239.

3- Brehier, Louis. (1946A.D). **Le monde byzantine: Vie et mort de Byzance.** Paris. Editions albin Michel. P: 596.

4-Browning, Robert. (1980A.D). **The byzantine empire**. 4th ed Washington. Catholic university of America. P:310.

5-Bury, J.b. (1912A.D). **A History of the eastern roman empire**. London. The macmillan company. P:230.

6-Bury, J.b. (1923A.D). **History of the later roman empire**. London. Macmillan and co, limited st. P:494.

7-Bury, J.b. (1923A.D). **The Cambridge medieval history the eastern roman empire 717-1453**. Cambridge. The university press. V4. P:907.

8- Curta, florin. (2006 A.D). **Southeastern Europe in the middle ages 500-1250**. 1th ed. New york: united states of America. Cambridge university press. p: 496.

9-Decker, Michael J. (2013A.D). **The byzantine art of war**. Pennsylvania: Yardley;. Westholme publishing. P: 274.

10- Diehl, Charles. (1957A.D). **Byzantium: Greatness and decline**. Transtaled from the French by: Naomi walford. The united states of America. Rutgers university press. P:366.

11-Diehl, Charles. (2006A.D). **Bizans imparatorlugu tarihi**. Baski eylul. Ceviri: goke bozkurt. Istanbul. Llgi yayinlari. P:175.

12-Finlay, George. (1852A.D). **History of the byzantine empire from dccxvi to mlvii**. 2th ed. London. Printed by William blackwood and sons Edinburgh. P: 542.

13-Finlay, George. (1877 A.D). **A History of Greece**. Oxford. At the clarendon. V1-2. P:943.

14- Foss, clive. (2008A.D). **Arab- byzantine coins**. Washington. The united states of America. Published by Dumbarton oaks research library and collection. P:190.

15-Gelzer. Heinrich. (1899A.D). **Die genesis der byzantini schen themenverfa**. Lipzig. Published bel B.G.teubener. p:135.

16- Haldon, F. John.(1990A.D). **Byzantium in the seventh century**. he university press. P:486.

17-Haldon, John.(2010). **The Palgrave atlas of byzantine history**. Palgrave macmillan. P:187

18-Heyd, Wilhelm. (1979A.D). **Geschichte des levantehandels im mittelalter**. Stuttgart. Verlag der g.g. cotta buchhandlung. V1. P: 604.

19- Hill, George. (1940 A.D). **A History of cyprus**. Cambridge. the university press. V1. P:352.

20-Jacobsen, torsten Cumberland. (2012 A.D). **A History of the vandals**. Westholme Publishing. P:287.

21-Kaegl, Walter E. (2003A.D). **Heraclius Emperor of Byzantium**. Cambridge: The united Kingdom. Oxford university press. P:359.

22- Kazhdan, Alexander P. and other... (1991 A.D). **The oxford dictionary of Byzantium**. Yow York. oxford university press. V:1-2-3. P: 2232.

23-Konstam, Angus. (2015 A.D). **Byzantine warship VS Arab warship 6th-11th centuries**. 1th ed. Britain. USK. Osprey publishing. P:120.

24-Kontogiannis, nikos. (2022A.D). **Byzantine fortifications protecting roman empire in the east**. 1th ed. Britain: USK. pen and sword military. P:271.

25-Laiou, Angelikie. And other. (2002A.D). **The economic history of Byzantium from the seventh through the fifteenth century**. Washington. Library Dumbarton oaks.V2. P:1202.

26-Lemerle, paul. (N.D). **Histoire de byzance**. Ceviron: galip ustun. Publications of the university of france. P:161.

27-Liu, Xinru. (2010A.D). **The silk road in world history**. new York, Oxford university press. P:156.

28-Lilie, ralf johannes. (1970A.D). **Die byzantinische reaction au die asbreitung der araber studien zur strukturwandlung des by zantinischen states in 7 and 8 jhd**. Institute fur byzantinistik und neugriechische philology munchen. P:401.

29- Magdalion, paul. Necipoglu, nevra. Jevtic, ivana. (2013A.D). **Trade in Byzantium**. 1th ed. Istanbul. Print offset yapimevi. P: 522.

30- Moore, w.g. (1978A.D). **The penguin encyclopedia of places**. 2th ed. Great Britain. Printed by ricbard clay. P:883.

31- Nicholson, oliver. (2018A.D). **The oxford dictionary of late antiquity**. 1th ed. UkS. Oxford university press. P:1637.

32- Nicolle, David. Zhirohov, Mikhail. (N.D). **The Khazars a gudeo-turkish empire on the steppes 7th-11th centuries AD**. Publishing osprey. P:50.

33-Nicolle, David. (2009A.D). **The Great Islamic conquests 632-750A.D**. Britain. Osprey Publishing. p:100.

34-Ostrogorsky, George. (1968A.D). **History of the byzantine state**. 2th ed. Transtated: Joon hussy. Britain. The alden press. P:616.

35-Picard, Christophe. (2018A.D). **Sea of the caliphs**. 1th ed. Translated: Nicholas Elliott. Massachusetts: Cambridge. The belknap press.

36-Pireen, Henri. (1957A.D). **Mohammed and Charlemagne**. 1th ed. The united states of America. Library of congress. P: 293.

37- Rosser, john H. (2001 A.D). **Historical dictionary of Byzantium**. The scarecrow press. P:536.

38-Runciman, steven. (1961A.D). **Byzantine civilization**. 1th ed. Great Britain. William clowes and sons ltd. P:320.

39- Stratos, Andreas N. (1975A.D). **Byzantium in the seventh century**. Netherlands. Publisher Amsterdam. V3. P:318.

40-Strayer, Joseph R. (1988). **Dictionary of the middle ages**. library of congress. P:719.

41-Theotokis, Georgios. Yildiz, aysal. (2018A.D). **A Military history of the Mediterranean sea**. koninklijke brill NV. Leiden. P:473.

42- Turnbull, Stephen. (2004 A.D). **The walls of Constantinople AD 324-1453**. Illustrated by peter dennis. Osprey publishing. P: 66.

43- Vacalopoulos, E. Apostolos. (1972A.D). **A History of Thessaloniki**. Institute for Balkan studies. P:153.

44-Vasiliev, A.A. (1935A.D). **Byzance et les Arabes "Dynastie d'amorium 820-867"**. Paris. Library oriental American G.P. P:451.

45-Vasiliev, A.A. (1952 A.D). **History of the byzantine empire 324-1453**. 2th ed. Canada. The university of Wisconsin. P: 374.

عاشراً: مواقع إلكترونية:

١. www. Infoplease. Com. Edited :الرابط Alchaipelago. (2024 A.D), 25/1/2024.

٢. السعيد، طه. **قناة سيزوستريس**. 2023/11/4. الأحد. كانون الثاني. آخر تعديل 2024/1/14. الرابط: https://ar.m.wikipedia.org.

الملاحق

ملحق رقم (1) مدينة القسطنطينية.

ملحق رقم (2) حراقة من حراقات العرب المسلمين.

ملحق رقم (3) منجنيق لرمي النفط.

ملحق رقم (4) خريطة توضح معركة ذات الصواري.

ملحق رقم (5) خريطة توضح غزو قبرص الأولى.

ملحق رقم (6) خريطة توضح غزو قبرص الثانية.

ملحق رقم (7) خريطة توضح دور جزيرة أرواد في محاولات فتح القسطنطينية.

ملحق رقم (8) خريطة تمثل حملات العرب المسلمين البحرية ضد جزيرة صقلية.

ملحق رقم (9) سيطرة العرب المسلمين على بعض الجزر الهامة والمواقع القريبة من القسطنطينية.

ملحق رقم (10) خريطة البحر المتوسط وعليها خطوط سير الحملات البحرية.

ملحق رقم (11) الثيمات بداية نشوئها.

ملحق رقم (12) الثيمات في آسيا الصغرى منذ القرن السابع حتى التاسع الميلادي.

ملحق رقم (13) الثيمات في بداية عهد الإمبراطور ليو الثالث 99-717م.

ملحق رقم (14) الثيمات الأساسية والفرعية التي انقسمت عنها.

ملحق رقم (15) الطرق التجارية سنة 528م

ملحق رقم (16) أهم الطرق التجارية في العصور الوسطى.

ملحق رقم (17) مراكز المواد الخام التي تدخل في صناعة السفن.

ملحق رقم (18) الإمبراطورية البيزنطية ودور سك النقود فيها خلال القرنين السادس والسابع الميلادي.

ملحق رقم (19) درهم سنة 75هـ/694م، على الطريقة الساسانية.

ملحق رقم (20) إضافة عبارات التوحيد مع إبقاء صورة هرقل وولديه.

ملحق رقم (21) دينار سنة 76هـ/695م، استبدال صورة هرقل وولديه بصورة عبد الملك بن مروان.

ملحق رقم (22) دينار سنة 74هـ/693م، معكوس الحرفين B وَ I.

ملحق رقم (23) الخطوة الأخيرة في التعريب دينار سنة 77هـ/696م.

ملحق رقم (24) الموازيين والمقاييس المستخدمة في البحث.

ملحق رقم (25) الأطول المستخدمة في البحث.

ملحق رقم (26) القيمة النسبية لبعض العملات البيزنطية.

ومن عمل الطالبة:

ملحق رقم (27) قائمة بأسماء الخلفاء الراشدين.

ملحق رقم (28) قائمة بأسماء الخلفاء الأمويين الواردة في البحث.

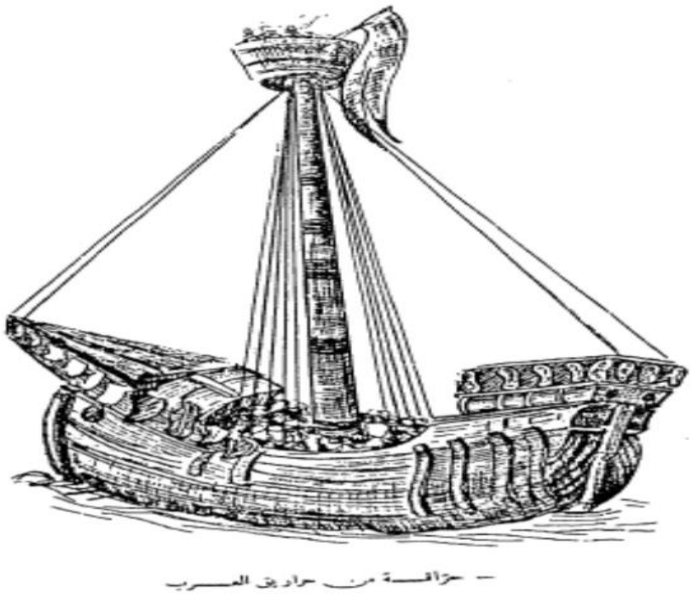
ملحق رقم (29) قائمة بأسماء الخلفاء العباسيين الواردة في البحث.

ملحق رقم (30) قائمة بأسماء الأباطرة البيزنطيين الواردة في البحث.

ملحق رقم (1) مدينة القسطنطينية[١].



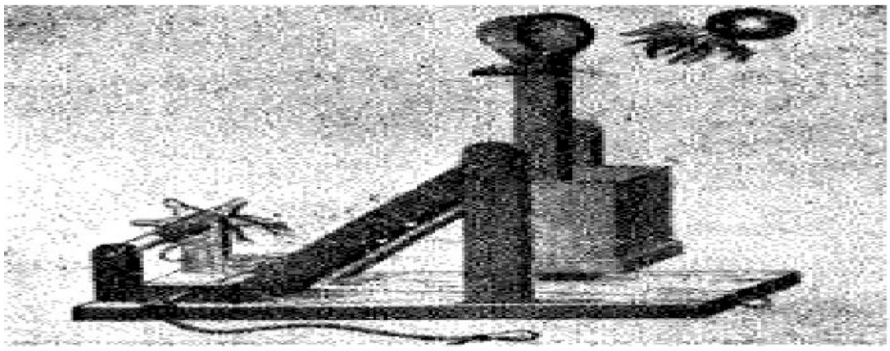
ملحق رقم (2) حراقة من حراقات العرب المسلمين[٢].



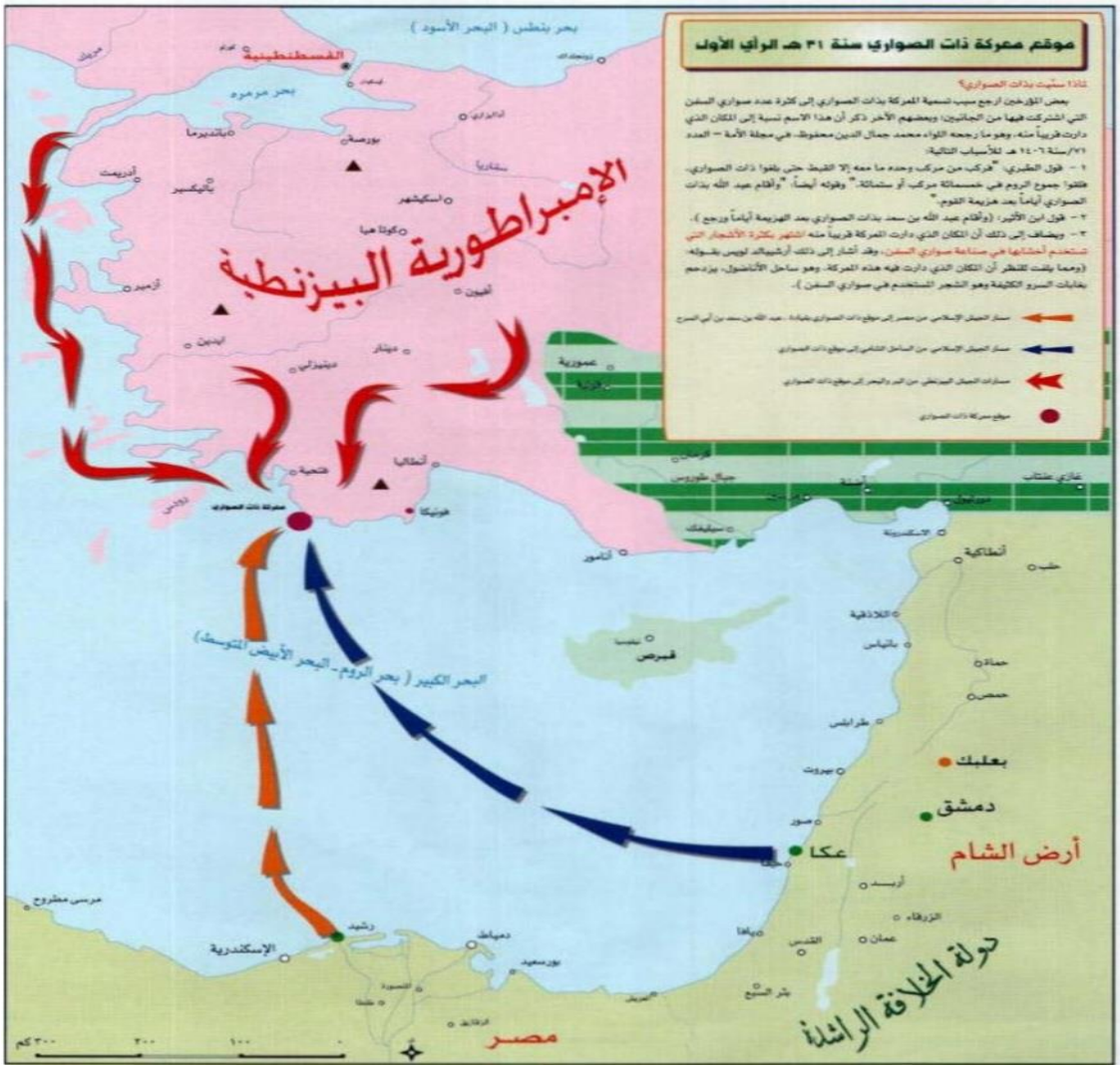
حراقة من حراقات العرب

[١]- العملة. (2011)، ص:291.
[٢]- بركات. (1995م)، ص:152.

ملحق رقم (3) منجنيق لرمي النفط[١].



ملحق رقم (4) خريطة توضح معركة ذات الصواري[٢].



[١]- عبادة. (1913م)، ص:8.
[٢]- المغلوث. (2006م)، ص:157.

ملحق رقم (5) خريطة توضح غزو قبرص الأولى[١].



[١]- المغلوث. (2006م)، ص:152.

ملحق رقم (6) خريطة توضح غزو قبرص الثانية[١].

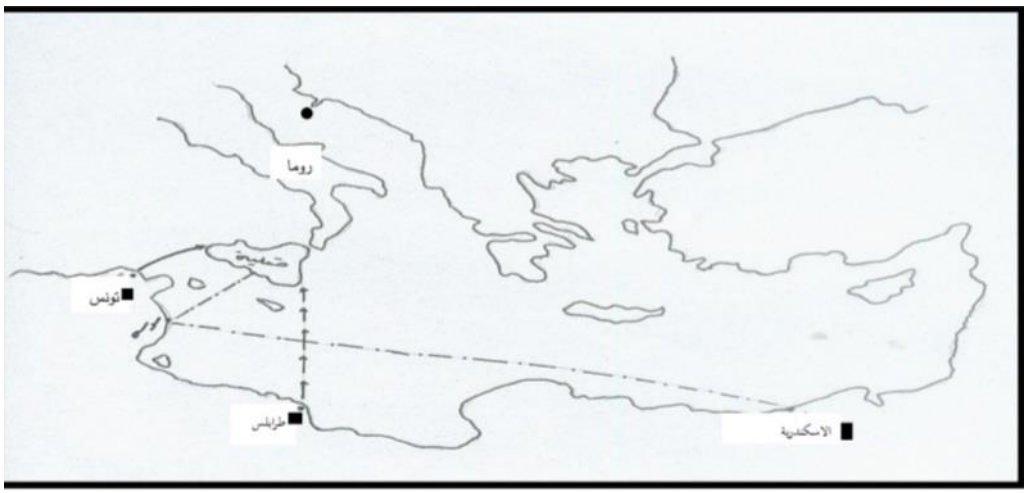


[١]- المغلوث. (2006م)، ص:154.

ملحق رقم (7) خريطة توضح دور جزيرة أرواد في محاولات فتح القسطنطينية[١].



ملحق رقم (8) خريطة تمثل حملات العرب المسلمين البحرية ضد جزيرة صقلية[٢].



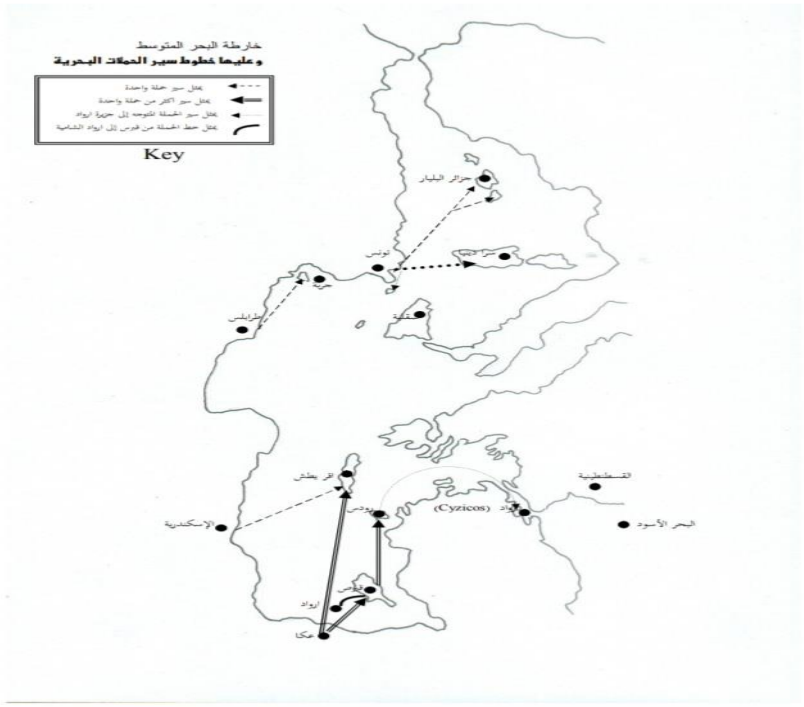
---

[١]- الجنابي. (2002م). ص:199.
[٢]- الجنابي. (2002م). ص:196.

ملحق رقم (9) سيطرة العرب المسلمين على بعض الجزر الهامة والمواقع القريبة من القسطنطينية[١].

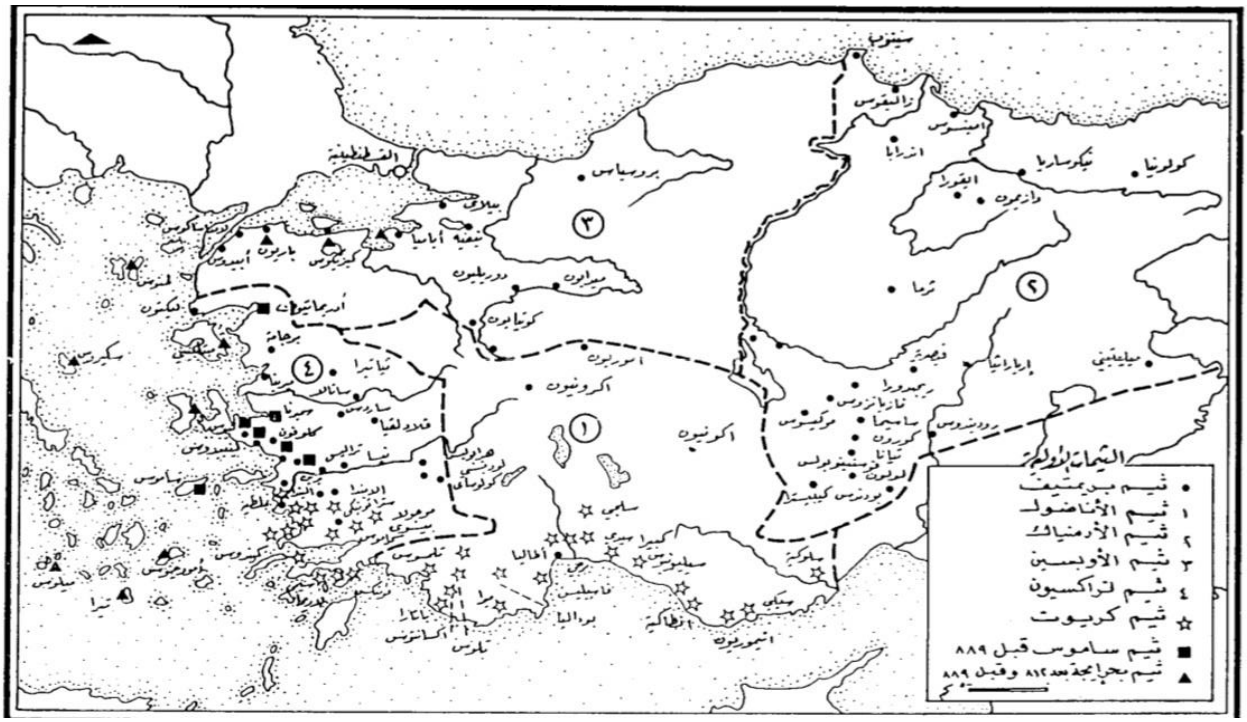


ملحق رقم (10) خريطة البحر المتوسط وعليها خطوط سير الحملات البحرية[٢].



[١]- المغلوث. (2006م)، ص:37.
[٢]- الجنابي. (2002م). ص:197.

ملحق رقم (11) الثيمات بداية نشأتها[١].



ملحق رقم (12) الثيمات في آسيا الصغرى منذ القرن السابع حتى التاسع الميلادي[٢].



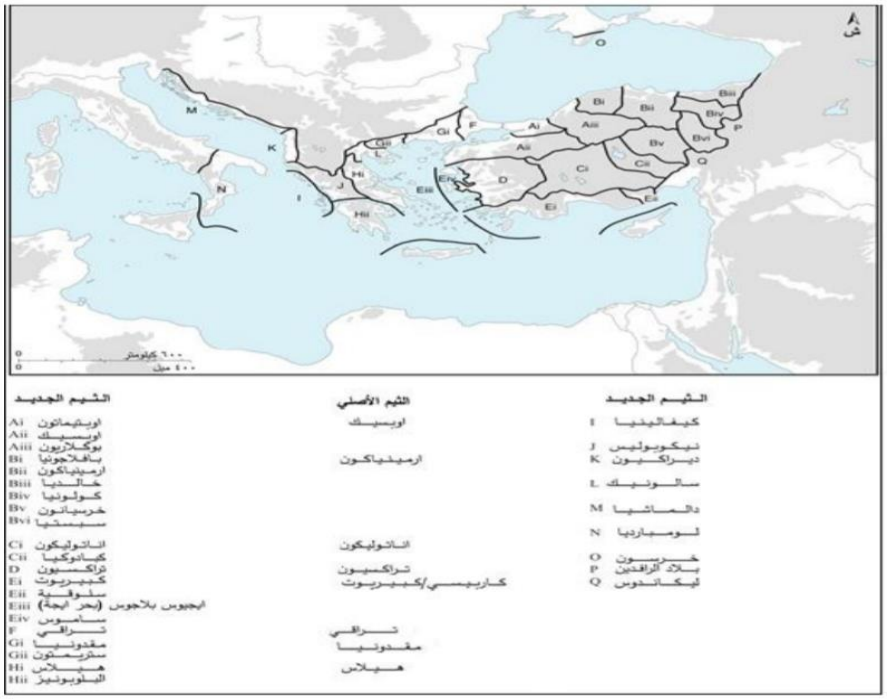
[١]-أبو الجدايل. (1995م)، ص:532.

[٢]- أبو الجدايل. (1995م)، ص:537 ؛ Ostrogorsky. (1968 A.D), P.304

ملحق رقم (13) الثيمات في بداية عهد الإمبراطور ليو الثالث 99هـ/ 717م[١].



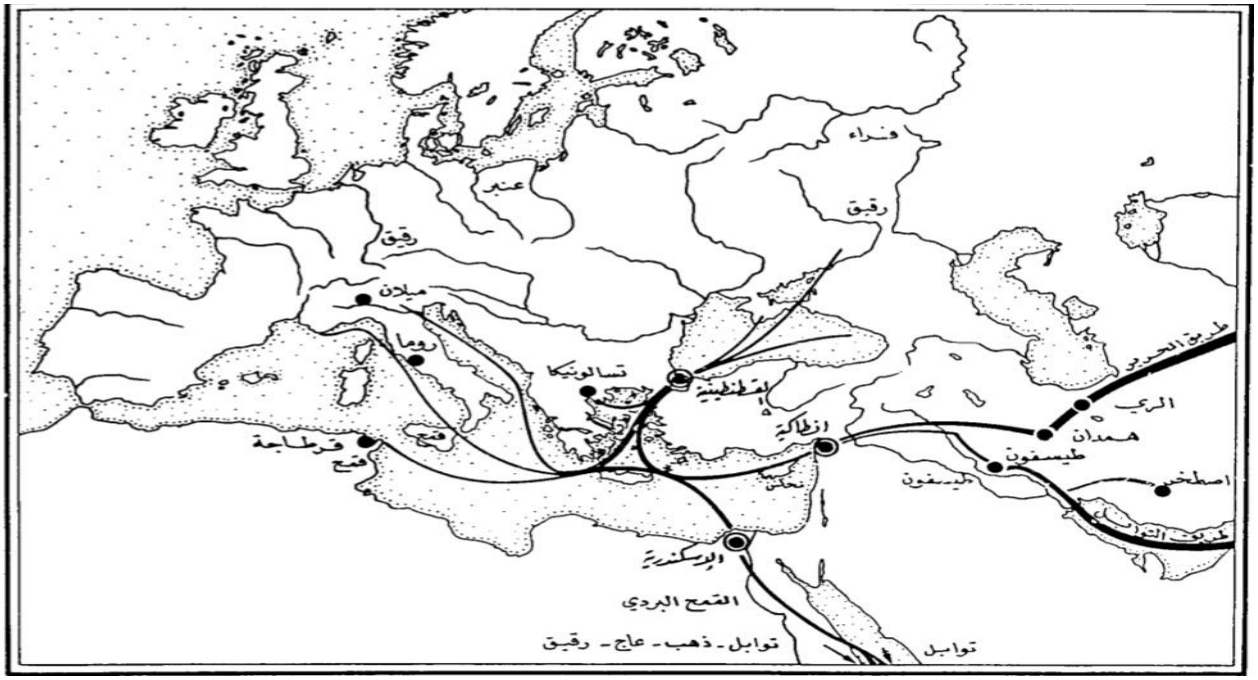
ملحق رقم (14) الثيمات الأساسية والثيمات الفرعية التي انقسمت عنها[٢].



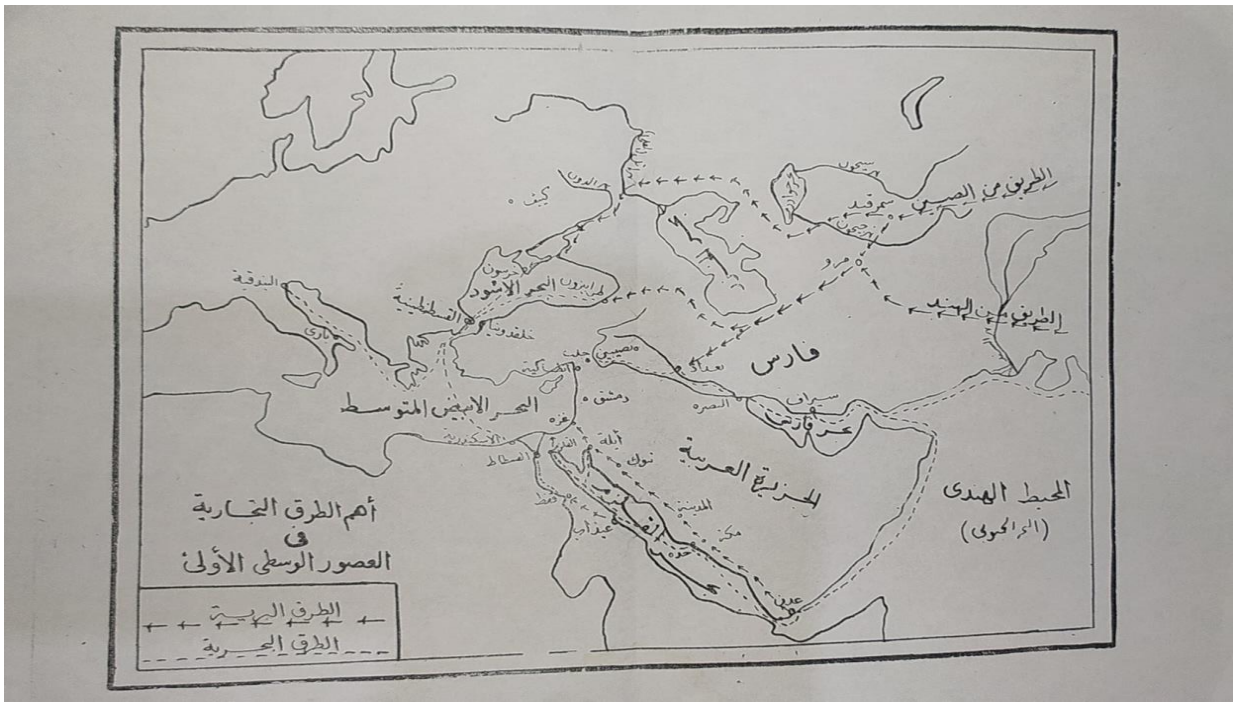
الثيم الجديد	الثيم الأصلي	الثيم الجديد
Ai اوبسيماتون	اوبسيك	I كيفالينيا
Aii اوبسيك		J نيكوبوليس
Aiii بولكارون	ارمينياكون	K ديراكيون
Bi بافلاجونيا		L سالونيك
Bii ارمينياكون		M دالماشيا
Biii خالديا		N لومبارديا
Biv كولونيا		O خرسون
Bv خرسيانون		P بلاد الراقدين
Bvi سيسيليا		Q ليكاندوس
Ci اناتوليكون	اناتوليكون	
Cii كبادوكيا		
D تراكسيون	تراكسيون	
Ei كبيريوت	كاريبسي/كبيريوت	
Eii سلوقية		
Eiii ايجيوس بلاجوس (بحر ايجة)		
Eiv ساموس		
F ثراقي	ثراقي	
Gi مقدونيا	مقدونيا	
Gii سالونيكون		
Hi هيلاس	هيلاس	
Hii البلوبونيز		

[١]- Haldon, (2010A.D), P: 70.
[٢]- Haldon, (2010A.D), P: 71.

ملحق رقم (15) الطرق التجارية سنة 528م[١].

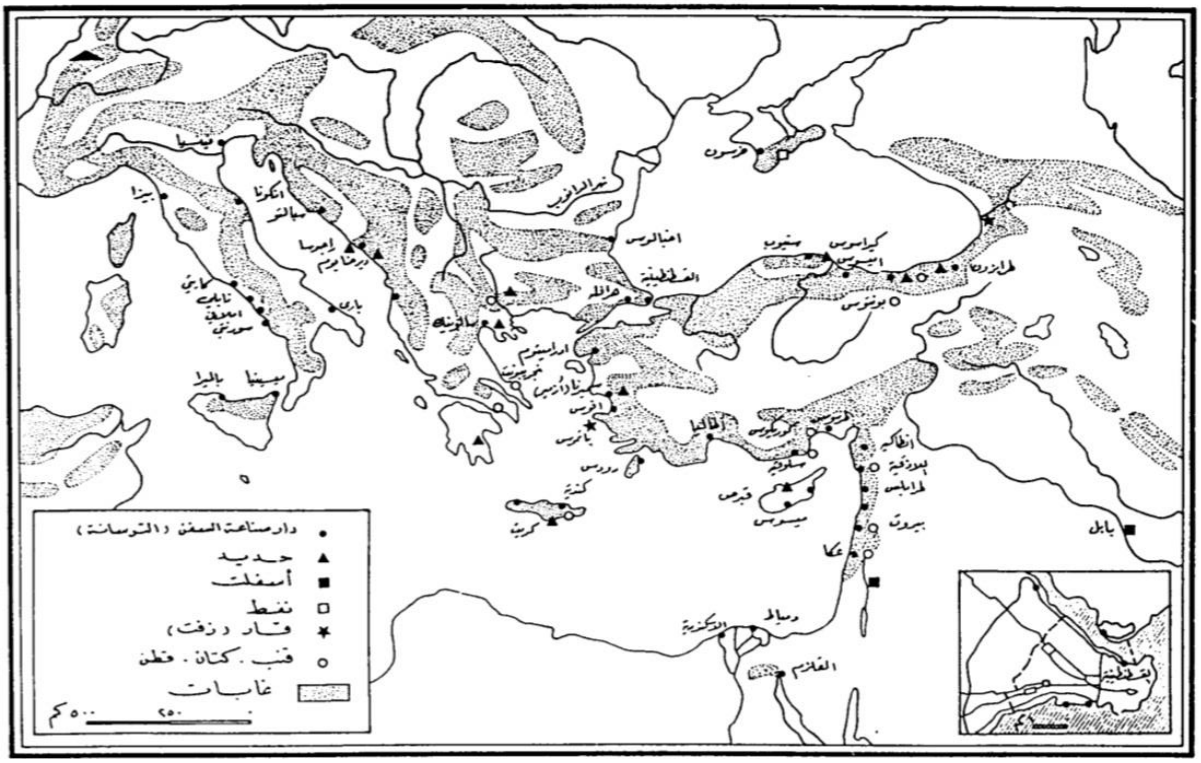


ملحق رقم (16) أهم الطرق التجارية في العصور الوسطى[٢].

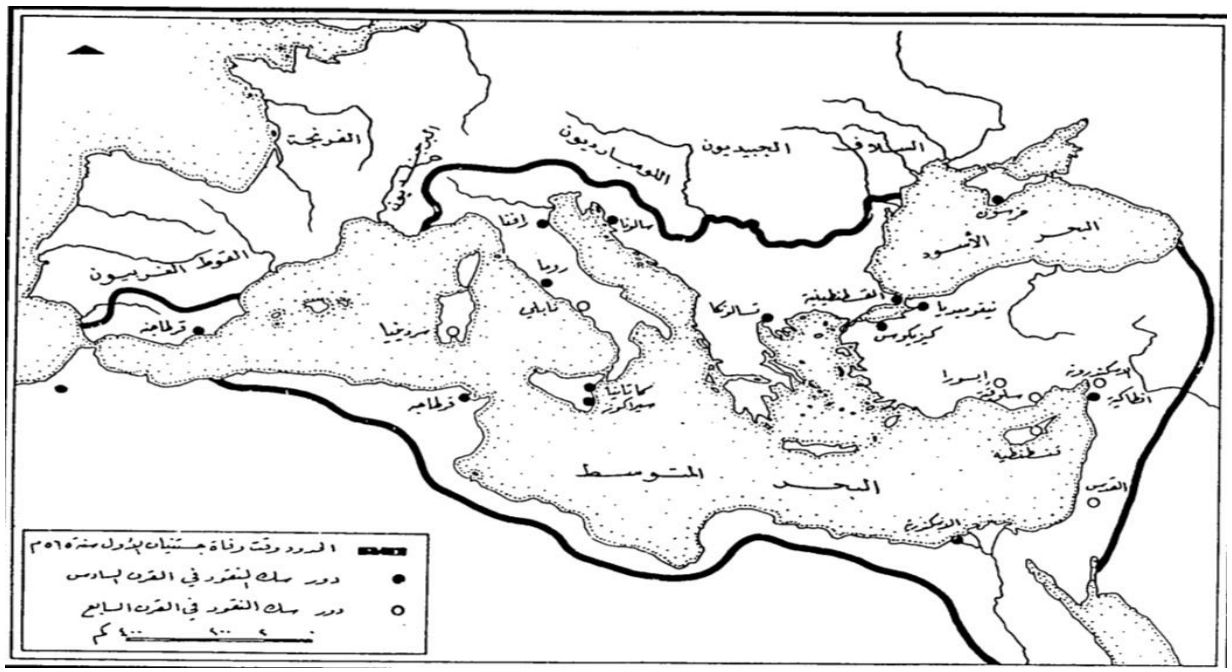


[١]- أبو الجدايل. (1995م)، ص:520.
[٢]- العدوي. (1951م)، ص:224.

ملحق رقم (17) مراكز المواد الخام التي تدخل في صناعة السفن[١].

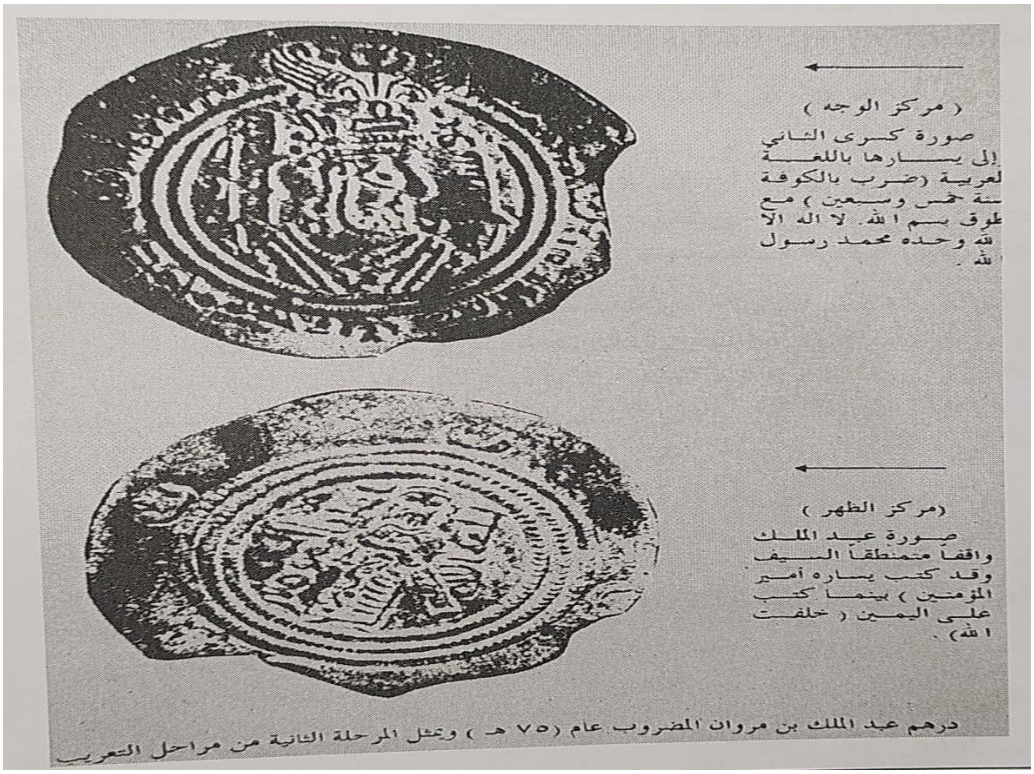


ملحق رقم (18) الإمبراطورية البيزنطية ودور سك النقود فيها خلال القرنين السادس والسابع الميلادي[٢].



[١]- أبو الجدايل. (1995م)، ص:521.
[٢]- أبو الجدايل. (1995م)، ص:534.

ملحق رقم (19) درهم سنة 75هـ/694م، على الطريقة الساسانية[١].

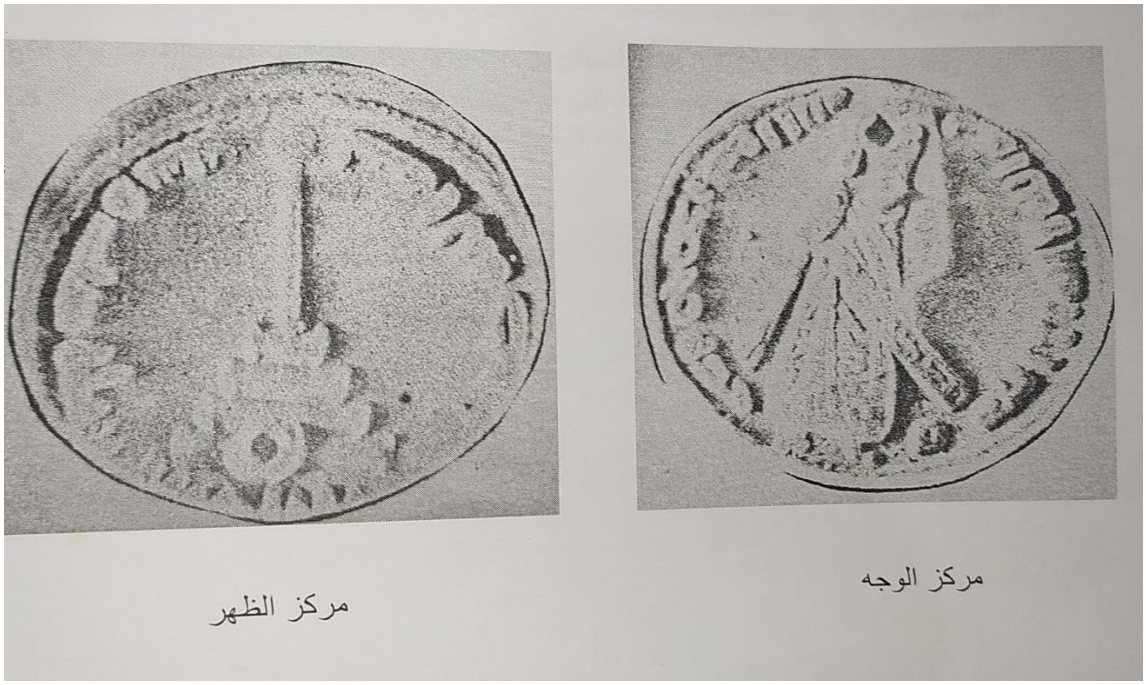


ملحق رقم (20) إضافة عبارات التوحيد مع إبقاء صورة هرقل وولديه[٢].



[١]- بيطار. (1997م)، ص:61.
[٢]- بيطار. (1997م)، ص:67.

ملحق رقم (21) دينار سنة 76هـ/695م، استبدال صورة هرقل وولديه بصورة عبد الملك[١].



ملحق رقم (22) دينار سنة 74هـ/693م. معكوس الحرفين B وَ I[٢].



[١]- بيطار. (1997م)، ص:68.
[٢]- بيطار. (1997م)، ص:66.

ملحق رقم (23) الخطوة الأخيرة في التعريب، دينار سنة 77هـ/696م[١].



ملحق رقم (24) الموازيين والمقاييس المستخدمة في البحث[٢].

الدانق	أي 0.52083غراماً
الدرهم	125,3 غراماً، أي ما يعادل 48 حبة شعير.
الدينار	4.25 غراماً
الرطل	12 وقية.
الفلس	أي ما يقارب 5.9616 غراماً
القنطار	100 رطل أي 150 كيلو غراماً.
قيراط	0.2125 غراماً

١- بيطار. (1997م)، ص:69؛ الحسيني. (1969م)، ص:24.
٢- عقدي. (2021م)، ص:302.

ملحق رقم (25) الأطوال المستخدمة في البحث[١].

الذراع	المسافة من المرفق وحتى الأصبع الوسطى وتُقدر بـ 48سم.
الفرسخ	الفرسخ يعادل ما يقارب 4–6 كم
الميل	يعادل ما يقارب 1,6 كم أي 1600متر

ملحق رقم (26) القيمة النسبية لبعض العملات البيزنطية[٢].

	سوليدوس Solidus	سيمسيس Semissis	فولس Fullis	ديكانوميا Decanummla	بينتاثوميا Pentanummia	نوموس Nomos
سوليدوس Solidus	1	1/2	420	1680	3360	16800
سيمسيس Semissis	1/2	1	120	1340	1680	8400
فولس Fullis	1/420	1/120	1	4	8	40
ديكانوميا Decanummla	1/1680	1/1340	1/4	1	2	10
بينتاثوميا Pentanummia	1/3360	1/1680	1/8	1/2	1	5
نوموس Nomos	1/16800	1/8400	1/40	1/40	1/5	1

[١]- ابن مماتي. (1943م)، ص:330-333.
[٢]- عقدي. (2021)، ص:306.

ملحق رقم (27) قائمة بأسماء الخلفاء الراشدين[١]

الاسم	مدّة الخلافة
أبو بكر الصديق رضي الله عنه	11-13هـ/632-634م
عمر بن الخطاب رضي الله عنه	13-23هـ/634-643م
عثمان بن عفان رضي الله عنه	23-35هـ/643-655م
علي بن أبي طالب رضي الله عنه	35-40هـ/655-660م

ملحق رقم (28) قائمة بأسماء الخلفاء الأمويين الواردة في البحث

الاسم	مدّة الخلافة
معاوية بن أبي سفيان	41-61هـ/ 661-680م
يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	61-64هـ/ 680-683م
معاوية بن يزيد	64-65هـ/ 683-684م
مروان بن الحكم	65-66هـ/ 684-685م
عبد الملك بن مروان	66-86هـ/ 685-705م
الوليد بن عبد الملك	87-97هـ/ 705-715م
سليمان بن عبد الملك	97-99هـ/ 715-717م
عمر بن عبد العزيز	99-102هـ/ 717-720م
يزيد بن عبد الملك	102-106هـ/ 720-724م
هشام بن عبد الملك	106-126هـ/ 724-743م
الوليد بن يزيد	126-127هـ/ 743-744م
يزيد بن الوليد	127هـ/744م
إبراهيم بن الوليد	127هـ/744م
مروان بن محمد	127-133هـ/744-750م

[١]- من عمل الطالبة.

ملحق رقم (29) قائمة بأسماء الخلفاء العباسيين الواردة في البحث[١].

الاسم	مدّة الخلافة
أبو العباس عبد الله السفاح	132-136هـ/ 749-753م
أبو جعفر عبد الله المنصور	136-158هـ/ 753-774م
أبو عبد الله محمد المهدي	158-169هـ/ 774-785م
أبو محمد موسى الهادي	169-170هـ/ 785-786م
هارون الرشيد	170-193هـ/ 786-808م
محمد الأمين	193-198هـ/ 808-813م
عبد الله المأمون	198-218هـ/ 813-833م
المعتصم بالله	218-227هـ/ 833-841م
الواثق بالله	227-232هـ/ 841-846م
المتوكل على الله	232-247هـ/846-861م

ملحق رقم (30) قائمة بأسماء الأباطرة البيزنطيين الواردة في البحث.

الاسم	مدّة الحكم
قسطنطين الكبير	306-378م
أسرة جستنيان 518-610م	
جستين الأول	518-527م
جستنيانوس الأول الكبير	527-565م
أسرة هرقل 610-717م	
هرقل	610-640م
قسطنطين الثاني أو قنسطانز	21-48هـ/641-668م
قسطنطين الرابع	48-65هـ/ 668-684م
جستنيان الثاني حكمه للمرة الثانية:	65-76هـ/ 684-695م 86-93هـ/705-711م

[١]- من عمل الطالبة.

أناستاسيوس الثاني	95-97هـ/713-715م
ثيودوسيوس الثالث	97-99هـ/717-741م
الأسرة الأيسورية 99-205هـ/717-820م	
ليو الثالث الأيسوري	99-124هـ/ 717-741م
قسطنطين الخامس	124-159هـ/741-775م
ليو الرابع	159-164هـ/ 775-780م
قسطنطين السادس وأمه إيرين	181-188هـ/797-803م
نقفور الأول	188-196هـ/ 803-811م
ميخائيل الأول	196-198هـ/ 811-813م
ليو الخامس الأرمني	198-205هـ/ 813-820م
الأسرة العمورية 205-253 هـ/820-867م	
ميخائيل الثاني العموري	205-214هـ/ 820-829م
ثيوفل أو ثيوفيلوس	214-228هـ/ 829-842م

Abstract

The research entitled: The conflict between the Arab Islamic state and the Byzantine Empire over the islands and coasts of the Mediterranean Sea (27-246 AH / 648-861 AD). By presenting a study on the importance of the Mediterranean basin and the competition of both the Arab Islamic and Byzantine states to gain its sovereignty and control of its roads and islands and, most importantly, its trade. The conflict began since the establishment of Muawiyah bin Abi Sufyan's Arab-Islamic naval fleet, and their victory in the Battle of Dhat al-Sawari, which gave them strength and motivation to penetrate further. In the Mediterranean Sea, they extended their control over its islands, both eastern and western, and its coasts, such as Cyprus, Crete, Sardinia, the Balearic Islands, Sicily, and others. So the cycle of struggle and conflict began between them over this control and possession of sovereignty, and both parties used what they could to succeed in achieving their goals. He was also interested in studying the reasons for the stagnation of the conflict and its lightening of its intensity for a period of time since the accession of Omar bin Abdul Aziz to the Arab Islamic Caliphate, and the circumstances that prevented each of them from being distracted from the other. However, this did not prevent the two parties from trying during this period to gather their strength and equipment to complete this conflict, and to Some skirmishes led to no results.

The research also shed light on the reasons for the change in the Arab-Islamic naval strategy against the Byzantines, when sovereignty was transferred from the Umayyad state to the Abbasid state, and the justifications that prompted the Abbasids to stop the battle front with the Byzantines for nearly fifty years since the beginning of their rule, because they were preoccupied with consolidating their rule and the pillars of their state. After they finished that, they devoted themselves to directing all their energy towards fighting the Byzantines, and they succeeded in seizing the

most important islands in the Mediterranean at that time, such as Crete and Sicily. He also showed the most important eastern and western naval bases and their effective role in helping the Umayyads and Abbasids continue their struggle with the Byzantines. Finally, the research touched on clarifying the extent of the impact of political and military friction in the areas of civilization. No matter the intensity of the conflict and fighting between any two parties, this does not prevent the emergence of economic friction in general and commercial friction in particular, knowing that the Byzantine Empire was importing most of its indispensable goods. From the east, such as papyrus, textiles, spices, etc., which were considered the three most important products for its residents, and what was the reaction of the Byzantines to the Arabization of money by Caliph Abd al-Malik bin Marwan and the cessation of the use of Byzantine money in the Arab Islamic state? This is to issue their own currency that indicates their stability and freedom from economic dependency on Byzantium. What are the justifications that prompted Abd al-Malik to do this? Did this lead to a trade war between them? What are the manifestations of this war, and the extent of its impact on trade relations between the two parties?

Keywords: Byzantium - Muslim Arabs - Islands - Coasts - Mediterranean Sea - Conflict.

Syrian Arab Republic

Damascus university

Faculty of Arts and Humanities

Department of History

The conflict between the Arab Islamic State and the Byzantine Empire over the islands and coasts of the Mediterranean Sea (27-246 AH / 648-861 AD).

A thesis prepared to obtain a master's degree in the history of Arabs and Islam

Done by:

Amnah Ahmed Al-Rehany

Supervisor:

A.M.Dr. Hlima Qasim Abd Alhadi

1445 A.H/2024 A.D.